جولة في رياض الأدب الفارسي

تأليف

دكتور/ بديــع محمــد جمعــة
أستاذ اللغة الفارسية وآدابها
كلية الآداب - جامعة عين شمس

دكتور/ محمد نور الدين عبد المنعم
أستاذ اللغة الفارسية وآدابها
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

تقديم

الأديب الحق ضمير أمته ، وله رسالة ينقلها إلى الناس ، وعلى هذا يجب على الأدباء والمبدعين أن يلتمسوا الطريق إلى القيم التى ترفع من شأن أمة الأديب بخاصة وعالمه البشرى بعامة ، ويكون تعبيرهم عن هذه القيم شعرا أو نثرا فى صورة منظومات أو قصائد أو مقالات أو قصص أو مسرحيات ، أو غير ذلك من فنون الأدب وأنماطه المتعددة .

وإذا انتقلنا إلى الأدب الفارسى المكتوب بالخط العربى الذى يطلق عليه أحيانا مصطلح " الأدب الفارسى الإسلامى " ، حتى تتم التفرقة بينه وبين الآداب الفارسية قبل دخول الإسلام أرض إيران ، وكتبت بخطوط أخرى غير الخط العربى ، فإن هذا الأدب الفارسى الإسلامى قد بدأ فى الظهور مع بداية القرن الثالث الهجرى عندما نجح الفرس فى استعادة استعمالهم لغتهم الفارسية بعد أن هجروها طوال قرنين من الزمان، ولاشك أن هذا الأدب الفارسى فى صورته الحديثة قد بدأ وتطور تحت مظلة الإسلام الحنيف وتعاليمه وقيمه ، ولهذا فإننا سنجد جميع من نظموا أو كتبوا أدبا فارسيا ابتداء من القرن الثالث الهجرى وحتى الآن . متأثرين تأثرا بالغا بأحكام الشريعة الإسلامية وبما جاء فى القرآن الكريم من قصص وسير ودعوات أخلاقية ، وهذا ماسنتحدث عنه فى الفصل الأول حيث سنعرض بإيجاز لتاريخ الأدب الفارسى الإسلامى وكيف اختلف عما كان لدى الفرس من آداب قبل الإسلام .

أما فى الفصول التالية فسنتناول فى كل فصل موضوعا هاما من موضوعات الأدب الإسلامى حيث سيكون الفصل الثانى على سبيل المثال للحديث عن الابتهالات إلى الله عز وجل وتقديم الحمد والثناء للعلى القدير على هذه النعم العديدة التى وفرها للمسلم وغير المسلم فى حياتهم الدنيوية . وكذلك على ماوعد به المؤمن فى الحياة الأخرى من جنة ورضوان ، وسيعقب ذلك تقديم نماذج مما قاله الشعراء والكتاب فى نعت المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وبيان سيرته العطرة وكراماته العديدة ، وأنه سيكون الشفيع لأمته يوم الحشر ؛ وننتقل فى هذا الفصل كذلك للحديث عن مناقب الخلفاء الراشدين والإشادة بأدوارهم البطولية فى سبيل نصرة الحق ونشر الإسلام والقضاء على الشرك والمشركين .

وتتوالى الفصول وتتوالى الموضوعات الإسلامية التى أبدع الفرس التعبير عنها؛ ومنها الدعوة إلى التمسك بالأخلاق القويمة والفضائل السامية ، والاجتهاد فى تربية المسلم تربية إسلامية خالصة ، عمادها أحكام القرآن الكريم ، وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام . وأخذ العبرة من مسيرة الأنبياء جميعا وكذلك سيرة المجاهدين وأبطال الإسلام وبخاصه من الصحابة والتابعين الذين قدموا أرواحهم فداء للإسلام والمسلمين، حتى نتأسى بأعمالهم ونسير على هداهم .

ومن الموضوعات التى تناولتها هذه الدراسة ، السياحة الدينية وكيف صور أدباء الفرس الأماكن الإسلامية المقدسة وعلى رأسها الكعبة الشريفة ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والمسجد الأقصى ببيت المقدس .

ولما كان الأدب الفارسى الإسلامى متداولا فى كل من الهند وباكستان وأفغانستان وبعض الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتى ، فإننا حرصنا على أن نقدم بعض النماذج الفارسية التى أبدعها أدباء هذه البلاد الإسلامية المجاورة لأرض إيران .

ومن الجدير بالذكر أننا حرصنا على الإشارة إلى المجهودات القيمة التي بذلها الدارسون للأدب الفارسى فى عالمنا العربى وبخاصة فى مصر ، بل كنا ننقل عنهم بعض ترجماتهم لروائع الأدب الفارسى ، وكان الغرض من ذلك تعريف القارئ العربى الكريم بما بذله هؤلاء الأساتذة الأجلاء والزملاء الكرام من مجهودات مشكورة فى سبيل التعريف بالأدب الفارسى ، وإثراء المكتبة العربية بترجمات عديدة لروائع الأدب الفارسى الإسلامى الذى يتفق مع الأدب العربى فى معظم أدواره وشتى موضوعاته وسائر اتجاهاته .

وأخيرا نرجو أن نكون قد قدمنا للمكتبة العربية صورة واضحة عن أهم سمات الأدب الفارسى الإسلامى ، وأن تكون مشجعة فى ذات الوقت للتعرف على هذا الأدب أكثر وأكثر تدعيما للصلات الأخوية الإسلامية التى تربط بين الناطقين بالعربية والمتحدثين بالفارسية .

والله الموفق ..

القاهرة فى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م　　　　المؤلفان

فهرس الموضوعات

الفصل الأول
نشأة الأدب الإسلامى
فى إيران

نشأة الأدب الإسلامى فى إيران

١ - الشعر

الشعر فى إيران قبل الإسلام :

إختلفت آراء الباحثين حول طبيعة الشعر فى إيران إبان عصورها القديمة ؛ فمنهم من أنكر وجود شعر لدى الفرس القدماء ، ومنهم من حاول إثبات وجوده. ويؤيد الرأى الأول صعوبة إفتراض ضياع شعر أمة بأكمله وعدم بقاء أى أثر منه حتى ولا أسماء الشعراء. ويؤيد الرأى الثانى إستبعاد أن تكون أمة عظيمة ذات حضارة عريقة كالأمة الإيرانية قد خلت من الشعر. والمعروف أنه قد ظهرت مجموعة كبيرة من الشعراء الذين صاغوا أعمالا تعد من روائع الأدب العالمى بعد الفتح العربى لإيران ، فكيف يمكن أن تكون تلك البلاد قد أقفرت من الشعراء قبل الفتح العربى لها. كما أن هناك إشارات تاريخية تؤكد وجود المغنين الذين كانوا ينظمون الأغانى وينشدونها فى قصور الأكاسرة فى العصر الساسانى ، والمعروف أن الغناء يقوم على الشعر.

وقد عرفت لهؤلاء الفرس القدماء لغات متعددة هى : اللغة الفارسية القديمة ؛ وهى اللغة التى استعملت فى كتابات الملوك الهخامنشيين الحجرية (٥٥٩ - ٣٣١ق.م) ، واللغة الأفستية (الأوستية) ، والأثر الوحيد المتبقى بهذه اللغة هو كتاب الأفستا وهو الكتاب المقدس عند الزرادشتيين ، ثم اللغة البهلوية لغة الدولة الساسانية وتعرف بالفارسية الوسطى.

ومهما يكن الخلاف بين العلماء فى وجود شعر منظوم باللغات السابقة ، فقد أصبح من المؤكد أن الشعر فى إيران قبل الإسلام كان يقوم على نظام عدد المقاطع ، ويراعى فى ترتيبها كيفية المقطع من حيث الطول والقصر.

وأقدم هذه النماذج الشعرية القديمة فى ايران كتاب " گاثا " وهو قسم الأناشيد بكتاب الأفستا ، ولفظ " گاثا " فى حد ذاته معناه الأنشودة ، وقد تضمن أشعارا إستطاع علماء اللغة أن يتعرفوا على وزنها وقواعد نظمها ؛ فالجزء الأول من هذا الكتاب ، وهو خمسة أجزاء ، يشتمل على سبعة فصول ، وكل فصل يحتوى على عدة

قطع ، وكل قطعة تتكون من ثلاثة مصاريع ، وكل مصراع يتكون من ستة عشر مقطعا، وتوجد وقفة أو سكتة بعد المقطع السابع.

وتوجد بالإضافة إلى الـ " كاثا " أقسام أخرى من الأفستا منها قسم الـ " يشتها " ، ولكن أوزان القسم الأول تختلف عن القسم الثاني.

وتعتبر المعلومات العلمية الدقيقة التي وصلتنا عن وجود أقسام منظومة في الأفستا ، نتيجة الجهود التي بذلها بعض المتخصصين في دراسة هذا الكتاب من علماء القرن التاسع عشر الميلادي ، مثل وسترجارد Westergard ووستفال Westfal وهرمان توربل Herman Torpel. وقد أوضحت بحوث المستشرقين أورل مايرAurel Mayer وجلدنر Geldner في ذلك الوقت قسما من قواعد النظم ، ولاتزال هذه البحوث مستمرة ، وقد أمكن حتى الآن قراءة قسم كبير من مقطوعات الأفستا المنظومة.

أما عن الوزن في اللغة البهلوية - أي لغة عصر الأشكانيين والساسانيين - فأول من اكتشف نظما في أحد المتون هو أندرياس F.C. Andréas ، إذ لاحظ ضمن مطالعة نقوش شابور الأول في " حاجي آباد " أنه من الممكن أن يكون آخر المتن البهلوى الساساني مركبا من سلسلة مصاريع ذات سبعة أو ثمانية مقاطع ، وأن مواطن النبرات معينة في كل مصراع.

وإستطاع بعد ذلك العالم بنفنست Benvenist الفرنسي ، وهو أكثر العلماء اجتهادا في مسألة البحث عن وجود شعر باللغة البهلوية ، وكشف قواعد النظم ، أن يرجح أن كتاب " درخت أسوريك " - أي الشجرة الآشورية - كتاب منظوم ، وهو عبارة عن نص بهلوى موضوعه مناظرة بين العنزة والنخلة. وقد دعاه إلى ذلك تكرار عبارة ذات أحد عشر مقطعا على لسان العنزة. وأستطاع بعد ذلك اكتشاف عبارات أخرى كثيرة ذات أحد عشر مقطعا ، ثم قسم متن الكتاب إلى قطع طبقا لعدد المقاطع ، فأوجد بهذه الطريقة نظما في عبارات الكتاب المتناثرة.

وواصل العالم بنفنست أبحاثه بعد ذلك فإكتشف أن كتاب " أياد گار زريران " (ذكرى زريران) المكتوب باللغة البهلوية الأشكانية (الشمالية) منظوم أيضا ، وأنه أقدم المنظومات البطولية الإيرانية بعد مقطوعات الـ " يشت " ، أو هو جسر بين

منظومات " يشت " والمنظومات البطولية فى العصر الإسلامى. وتتألف هذه المنظومة من قطع ذات خمسة مصاريع ، وأحيانا أربعة أو ستة مصاريع ، والمصاريع ذات ستة مقاطع ، وموضوع هذه المنظومة هو الحرب بين گشتاسپ وأرجاسپ الطورانى دفاعا عن مذهب مزديسنا.(١)

لم تعد البهلوية لغة الوطن الرسمية بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية ، غير أن تغلب العرب وإزدياد رواج اللغة العربية لم يمنعا من إستمرار بعض الفئات من الفرس من غير المسلمين – الذين كان تعدادهم لايزال وفيرا فى ايران حتى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وكان عددهم فى بعض النواحى أكثر من عدد المسلمين – من التأليف بلغتهم والكتابة بالخط البهلوى أو السريانى.

وكانت اللهجات الإيرانية الأخرى ماتزال رائجة فى تلك الفترة ، الا أنها تطورت بسرعة على أثر احتكاكها باللغة العربية ، وشاع إنشاد الشعر فى هذه اللهجات ، وفى أيدينا أبيات مكتوبة من بعضها بالكردية والطبرية والكازرونية ولهجات محلية أخرى . ويلاحظ فى معظم هذه الأبيات تطور الشعر فى إيران من حالته القديمة إلى هيئة جديدة ؛ ففى هذه الأشعار تظهر القافية ، كما يتضح فيها التناسب بين عدد المقاطع والإهتمام بترتيبها من حيث الطول والقصر.

وقبل أن ننهى الحديث عن الشعر القديم فى إيران نتحدث عن نموذج من نماذجه وهو كتاب " درخت أسوريك " ويعد هذا الكتاب من النصوص غير الدينية التى بقيت باللغة البهلوية ، وقد نشر هذا النص البهلوى مع ترجمة فارسية له ، وروعى فى الترجمة أن تكون كلماتها الفارسية الحديثة مساوية للكلمات البهلوية حتى يتضح للقارىء تطور الكلمات من الفارسية الوسطى إلى الفارسية الحديثة ، وقد أعد الأستاذ ماهيار نوابى ناشر النص ومترجمه فهرسا لكل الكلمات البهلوية المستعملة فى ذلك النص ، وذكر فيه عدد المرات التى استعملت فيها كل كلمة وفى أى من المصاريع والأبيات.

---

(١) هذه الكلمة مركبة من ثلاثة أجزاء : مه بمعنى كبير ، ومزدا بمعنى العالم الذى لا نظير له ، ويسنى بمعنى عبادة ، وكلها بمعنى العالم الذى لا نظير له ، وتطلق على الديانة الزرادشتية .

ومن أهم ما كتب حول نظم هذه القصة تلك المقالة القيمة التى كتبها المستشرق هيننج W.B. Henning تحت عنوان " شعر باللغة البهلوية". وقد ترجم هذه المقالة إلى الفارسية الدكتور فريار ونشرها فى مجلة " مهر " (السنة الثامنة - العدد الثانى)، كما نشرها أيضا الأستاذ ماهيار نوابى فى مقدمة ترجمته الفارسية لمنظومة " درخت آسوريك ".

ولاننسى أن نقول إن أول من عرفنا بنظم هذه القصة هو المستشرق بنفنست ، وقد أثبت ذلك فى مقالة له بعنوان " متن درخت آسوريك ونظم الشعر البهلوى " وذلك فى المجلة الآسيوية.(١)

ويرى بعض المحققين ومنهم الدكتور خانلرى أن ما قال به الباحثون الأوربيون ومن تبعهم من العلماء الإيرانيين من أن التساوى التقريبى لعدد المقاطع هو ميزان الشعر فى اللغة البهلوية غير صحيح ، وذلك لأنه اذا كان الشعر كلاما موزونا فى هذا الشكل ، فإنه لايمكن تحديد العبارات الوزنية ، واذا كانت أصول الشعر فى اللغة البهلوية هى التساوى التقريبى للمقاطع فقط ؛ فيجب القول بأن الشاعرين عبد الله الأنصارى وسعدى الشيرازى (فى كتابه الگلستان) كانا يقولان شعرا بطريقة اللغة البهلوية ، إذ توجد قرينة فى أكثر عباراتهم ، ويراعى فى أجزائها تساوى المقاطع ، بالإضافة إلى أنه يمكن رؤية السجع والقافية فى نثرهما وهما غير موجودين فى الشعر البهلوى ، أو من النادر رؤيتهما.

وفى النهاية يستخلص رأيا بخصوص الوزن فى البهلوية ، وهو : أن أساس الوزن فى الشعر البهلوى كان يقوم على أساس كمية المقاطع ونبرة الكلمة ، كما هو الحال فى الأشعار العامية والمحلية. وربما تكون دراسة الأشعار المحلية مفتاحا للكشف عن وزن الشعر الفارسى قبل الاسلام.(٢)

---

(١) Texte du Draxt Assurik et la versification Pehlevi - Journal Asiatique.

(اكتوبر - ديسمبر ١٩٣٠ ص ١٩٣ - ٢٢٥).

(٢) أنظر كتاب «وزن شعر فارسى» د. پرويز ناتل خانلرى - تهران ١٣٣٧ - ص ٤٤ وما بعدها . وأيضا كتاب «عقايد ورسوم عامهء مردم خراسان» ص ٣٥٧ وما بعدها - تأليف ابراهيم شكور زاده - تهران ١٣٤٦ .

الشعر فى إيران بعد الإسلام :

من المعروف أن العلاقة بين العرب والفرس لم تبدأ ببداية الفتح العربى لإيران ، وإنما كانت هناك روابط تجارية وسياسية قديمة ، يذكرها لنا التاريخ ، قائمة بين الشعبين المتجاورين ، وعلى هذا يكون تأثير أحدهما على الآخر ثقافيا وإجتماعيا أقدم بكثير من بداية دخول الإسلام والعرب فى إيران.

إنتصر العرب على الفرس ، ودخلوا المدائن عاصمة ملكهم سنة ١٦ هـ (٦٣٧م). ثم إستطاعوا من بعد ذلك القضاء التام على الجيش الفارسى وجعل تلك البلاد جزءا من دولتهم الإسلامية فى موقعة نهاوند الفاصلة التى سميت بفتح الفتوح سنة ٢١ هـ (٦٤٣م)، ومنذ ذلك الحين خضعت إيران سياسيا للعرب ، وأصبحت اللغة العربية هى اللغة الرسمية لشئون الدولة جميعها.

بدأت اللغة العربية تنتشر بسرعة عجيبة بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا، وأصبح الفرس ينظرون إليها نظرة مقدسة بصفتها لغة القرآن الكريم والدين الجديد ، فكان لابد لهم من دراستها والتعمق فيها حتى يستطيعوا فهم دينهم وكتابهم الكريم ، وقد ساعد هذا الأمر على إنتشار اللغة العربية ، ويذكر لنا بارتولد سببا آخر لسرعة إنتشارها ورواجها إذ يقول : " ويمكن تفسير رواج اللغة العربية هذا الرواج بأن العرب لم يعتمدوا على قوة السلاح فقط كالجرمان والمغول والإيرانيين القدماء ، ولكنهم نشئوا منذ القرن السابع الميلادى لغة أدبية متقدمة فى ساحة الفكر تقدما واضحا ، وأخذت البلاغة والشعر مكانة عظيمة عندهم وإخترعت الأشكال الأدبية المعروفة اليوم ".(١)

وقد ظلت اللغة العربية فى المرتبة الأولى من الناحية الأدبية حتى أواخر القرن الثالث تقريبا ، حتى أخذت القومية الفارسية تنهض وتحاول أن تحيى معها اللغة الفارسية الحديثة التى إعتمدت على اللغة العربية فى كثير من كلماتها ومصطلحاتها ، والتى تكتب أيضا بالحروف العربية.

ومن المعروف أن أوائل كتاب الفارسية الحديثة كانوا من ذوى اللسانين ، وهذا

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية - ترجمة حمزه طاهر ، ص ٦٣ - مصر ١٩٦٦م .

مايفسر لنا تأثر اللغة الفارسية بعد الفتح باللغة العربية إلى أبعد الحدود فى مفرداتها وبلاغتها بل وفى قواعد النحو أيضا ؛ إذ أصبح من الضرورى أن يشتمل النحو الفارسى على بعض أبواب من النحو العربى نتيجة دخول الألفاظ والتراكيب العربية فى ثنايا اللغة الفارسية.

وقد إستخدم الإيرانيون كثيرا من المفردات العربية لأنها كانت - فى بعض الأحيان - أسهل بكثير من الكلمات الإيرانية القديمة ، أو لأنهم لم يجدوا مقابلا لها فى لغتهم ، ويدخل فى هذا الموضوع من المفردات : المصطلحات الدينية وبعض المصطلحات السياسية والديوانية والعلمية. كما أخذت بعض المصطلحات من أصول فارسية ثم عربت وإستعملت فى اللهجات الإيرانية. وقد ساعدهم فى هذا الأمر أن اللغة العربية من أغنى اللغات بالأصول والمشتقات الناتجة عن هذه الأصول ، والمعروف أن الخط العربى قد إستعمل بدلا من الخط البهلوى نظرا لسهولته.

ودليلنا على أن حكام إيران قد ظلوا فترة طويلة لايعترفون إلا باللغة العربية لغة لكل ما يصدر عنهم أو يقدم إليهم مارواه نظام الملك فى كتابه " سياستنامه " عندما قال : " منذ زمان الخلفاء الراشدين إلى أيام السلطان محمود الغزنوى كانت القوانين والأوامر والمنشورات تصدر بالعربية ، وكان إستعمال الفارسية فيما يعتبر من أشنع العيوب ، واستمر الحال على ذلك إلى أيام عميد الملك أبى نصر الكندرى الذى تولى الوزارة لألب ارسلان السلجوقى ، فأمر رجاله أن يصدروا القوانين والأحكام والأوامر باللغة الفارسية ".

وقد نسب العتبى فى تاريخه اليمينى هذا العمل إلى أبى العباس فضل بن أحمد الإسفراينى وزير السلطان محمود ، وأنه أول من أمر بتحويل الدواوين من العربية إلى الفارسية ، ونقض هذا الأمر بعد ذلك بأمر أحمد بن حسن الميمندى.(١)

بل إن بعض الحكام كان يرى أن النظر فى كتب الفرس القديمة أو الإطلاع عليها أمر يتعارض مع الدين الإسلامى ، وقد جاء فى كتاب " تذكرة الشعراء " لدولتشاه السمرقندى " أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان فى عهد الخلفاء العباسيين

---

(١) تاريخ ادبيات در ايران - دكتر ذبيح الله صفا - جلد اول ص ١٧٤ - تهران ١٣٣٨.

والفارسي الأصل كان يجلس في نيشابور فجاءه أحد الفرس يعرض عليه إحدى قصص الفرس القديمة وهي قصة (وامق وعذراء) وهي التي وضعها أحد القدماء (لأنو شيروان)، فسأل : ما هذا الكتاب ؟ فقيل له هو قصة وامق وعذراء ، وهي قصة جيدة ، فقال الأمير : نحن أناس نقرأ القرآن والحديث ، وهذا كتاب المجوس فهو مردود إليك ، وأمر بأن يلقى في الماء وتحرق الكتب التي صنفها المجوس أينما كانت ".(١)

وهكذا نرى أن الطاهريين (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ) وهم أول أسرة اسلامية من أصل فارسي ، لم يكونوا ينظرون إلى الأدب الفارسي نظرة حسنة ، ويرون العناية به مخالفة للدين. كل هذا لايعني أن الفرس قد تركوا لغتهم ولم يتكلموا بها منذ دخولهم في الإسلام وإهتمامهم بالعربية ولكنهم ظلوا يتحدثون بهذه اللغة ، إلا أنه لم يظهر لهم إنتاج أدبي فيها خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، وماوصل إلينا لايعدو أن يكون أدبا في لهجات محلية.

وقد وصلت إلينا بعض الأشعار التي أنشدت في لهجات محلية ، وكلها ذات وزن مقطعي ، وتلاحظ القافية في بعضها. ويدل هذا على تطور الشعر في ايران من اعتماده على الأوزان المقطعية القديمة الى اعتماده على أوزان مقطعية جديدة ، قريبة من الأوزان العروضية العربية. ومن الأمثلة التي تؤيد ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه مرتين ، مرة في حوادث سنة ثمان ومائة ، ومرة أخرى في حوادث سنة تسع عشرة ومائة و الخبران يتحدثان عن غزوة أسد بن عبد الله القسري لخاقان صاحب الترك ، وكيف رجع منها مغلولا ؛ فتغنى عليه الصبية من أهل خراسان بشطرات معناها : (٢)

لقد عدت من بلاد الختل ، فاذهب فقد عدت محطما ضائعا ،
وعدت تائها مشردا ، وعدت جبانا خائفا.

ومن أمثلة ذلك أيضا ذلك الشعر الذي ينسب إلى يزيد بن مفرغ الحميري ، وهو شاعر عربي الأصل كان يعيش في إيران في بداية العصر الأموي ، وقد غضب عليه

---

(١) تذكرة الشعراء ص ٣٠ - تصنيف دولتشاه السمرقندي - ليدن ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م .

(٢) از ختلان آمذيه   برو تبـاه آمذيه
آوار بـاز آمذيه   بيدل فراز آمذيه

عبيد الله بن زياد نظرا لولعه بهجاء بنى زياد ، فقبض عليه وأمر به فسقى نبيذا حلوا وشبرما ، فأسهل بطنه ، وقرنه بهرة وخنزير ، وطيف به وهو على تلك الحال والصبيان يتبعونه ويصيحون بالفارسية : اين چيست ؟ أى : ما هذا؟ فيجيبهم بما معناه : [١]

إنه ماء وإنه نبيذ ، وهو عصارات الزبيب
وسمية عاهرة فاجرة.

وهذه المصاريع الثلاثة السابقة هى شعر ذو سبعة مقاطع ، وله قافية ناقصة ، كما أن النموذج السابق عليه شعر ذو ثمانية مقاطع ، وله قافية ناقصة أيضا.

والواقع أن هذين النموذجين يكفيان للدلالة على حالة الشعر فى القرنين الأول والثانى من الهجرة ، الى أن تطور الشعر بعد ذلك ونشأ الشعر الفارسى الإسلامى الذى تأثر باللغة العربية وبالشعر العربى وأوزانه وبحوره.

إشتدت الحركة القومية منذ أواخر القرن الثانى وبداية الثالث الهجرى بقيام الدويلات الفارسية المستقلة ؛ فأخذ الفرس يحاولون جاهدين الرقى بلغتهم الفارسية ، وجعلها لغة أدبية. وأخذ حكام الولايات المستقلون يشجعون على ذلك ، ويرفضون سماع الأشعار العربية ، لأنهم أصبحوا لايفهمونها ، وأخذوا يميلون لكل ما هو فارسى خالص.

والواقع أن عصر النهضة الفارسية لم يقم معتمدا على اللغة الفارسية الخالصة فى حد ذاتها ، بل كان الكتاب والشعراء يأخذون من العربية بعض مفرداتها وعباراتها، ويقتبسون من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والحكم والأمثال العربية ، كما إستخدموا فى أشعارهم بحور الشعر العربى ، وزادوا عليها وغيروا فيها بعض التغيير، واستحدثوا صورا شعرية جديدة فى مقدمتها المثنوى والرباعى. ولاريب أن العروض العربى قد أثر فى الشعر الفارسى تأثيرا كبيرا ، وإستعار الفرس من العرب

---

(١) آبست نبيذ است   عصارات زبيب است
سميه روسبيد است

سميه : هى أم زياد بن أبيه وجدة عبد الله وعباد بن زياد .

أنظر : البيان والتبيين جـ١ ، ص ١٤٣ - ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ - القاهرة ١٣٨٨هـ .

الأوزان والبحور المختلفة ، كما إقتبسوا بعض ضروب النظم كالقصيدة والقطعة ، وقد وضعوهما على نسق المعلقات الجاهلية من حيث الصياغة والأسلوب وإن كان قد أصابهما شئ من التعديل على أيدى الفرس كما فعلوا أيضا بالغزل. وقد أخذ الفرس كل مصطلحات العروض عن العرب كالأوتاد والفواصل والأسباب وغير ذلك.

ونتيجة لهذا التأثر بالعربية وآدابها ، فقد أصبح من غير الممكن أن يكتب الكاتب أو ينظم الشاعر شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية. والدليل الواضح على هذا هو شاهنامة الفردوسى التى قصد ناظمها أن يصوغها فى أقدم العبارات والأساليب ، خصوصا وأنه يتحدث عن تاريخ الفرس وأمجادهم ، ورغم هذا فإن أحدا لايستطيع أن يدعى أنها خالية من الألفاظ العربية.

ونجد بعض كتاب الفرس ينصحون باستعمال الكلمات العربية فى ثنايا اللغة الفارسية ، ومن هؤلاء كيكاوس مؤلف كتاب " قابو سنامه " (٤٧٥ هـ = ١٠٨٢م) الذى يقول لإبنه گيلا نشاه :" ويجب أن تمتزج الكتابة بشئ من العربية ، فإن الفارسية الخالصة كريهة معيبة ".[١] وكذلك ينصح العروضى السمرقندى فى كتابه " چهار مقاله " أو المقالات الأربع (المؤلف حوالى سنة ٥٥٠هـ) بأنه يجب على الكاتب أن يقرأ كلام رب العزة وأخبار المصطفى (صلعم) وآثار الصحابة وأمثال العرب ، كما ينصح بقراءة الكتب والدواوين العربية كمقامات البديع والحريرى وديوان المتنبى.[٢]

ونلاحظ أنه قد نشأت بعض الفنون البلاغية نتيجة إمتزاج اللغتين العربية والفارسية ، وكثرة من أجادوا اللغتين وكتبوا بهما ، كفن الترجمة ؛ ويكون بأن ينظم الشاعر بالفارسية معنى البيت العربى ، أو ينظم البيت الفارسى بالعربية ، ومثال ذلك ما جاء فى كتاب " لباب الألباب " لمحمد عوفى (متوفى سنه ٦٣٥هـ) [٣] ، فقد أنشد سيف الدولة الأبيات التالية فى وصف قوس قزح:

وســـاق صبوح للصبوح دعوتــه	فقــام وفـــى أجفانــه ســنة الغمــض
يطوف بكاسات العقار كأنجـــم	فمــن بيــن منقض علينــا ومنفــض

(١) قابوسنامه ، تأليف كيكاوس قابوس بن وشمگير الزيارى - تهران ١٣٤٣ ص ١٦٤ .
(٢) چهار مقاله ، نظامى عروضى سمرقندى - تهران ١٣٤١ - ص ١٤ .
(٣) لباب الألباب - محمد عوفى - ليدن ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م - جـ١ ص٢٧ .

وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا على الجو دكنا والحواشى على الأرض
يطرزها قـوس السـحاب بأصفر على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبـلـت فى غـلائل مصبغة والبعـض أقصر من بعض

وقد ترجم هذه الأبيات الأمير طاهر بن الفضل ، فقال :

آن ساقى مه روى صبوحى بر من خورد
وزخواب دوچشمش چو دوتانرگس خودم
وآن جام مى اندر كف او همچو ستاره
ناخـورده يكى جـام ودگر داده دمـادم
وآن ميغ جنوبى چو يكى مطرب خور بود
دامـن بزمـين بر زده همچون شب ادهم
بر بسته هوا چون كمرى قوس قزح را
از اصـفر واز احـمر واز ابيـض معلم
گوئى كه دو سه پيرهن است از دوسه گونه
وز دامـن هـر يـك ز دگـر تاريكى كم

ولم يقتصر الأمر على هذا بل ظهر فيما بعد من بين الفرس أنفسهم من كان ينشد الشعر باللغة العربية بعد أن أتقنها وأصبح على علم بدقائقها ، ونجد أمثلة ذلك كثيرة فى كتاب " يتيمة الدهر " للثعالبى ، وما نكاد نصل إلى القرن السادس الهجرى إلا ونجد شاعرا كسعدى الشيرازى (متوفى سنة ٦٩١ أو ٦٩٤ هـ) يضم إلى أشعاره الفارسية عدة قصائد وقطع بالعربية. ومن قصائده العربية قصيدته المشهورة فى رثاء أمير المؤمنين المستعصم بالله وذكر واقعة بغداد ، والتى يقول فيها :

حبست بجفنى المدامـع لاتجرى فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغـداد بعد خرابهـا تمنـيت لو كانـت تمر عـلى قبرى
لأن هلاك النفس عند أولى النـهى احب له من عيش منقبض الصـدر
زجرت طبيبا جس نبضى مداويـا إليك فما شكواى من مرض تبـرى
لزمت اصطبارا حيث كنت مفارقا وهـذا فـراق لايعالـج بالصـبر

تسائلنى عما جرى يوم حصرهـم	وذلك مما ليس يدخل فى الحصـــر
أديرت كؤوس الموت حتـى كأنـــه	رؤوس الأسارى ترجحن من السكر
بكت جدر المستنصريـــة ندبـــة	على العلماء الراسخين ذوى الحجر
نوائـب دهـــر ليتنى مـت قبلـــها	ولم أر عدوان السفيه على الحـــبر

وتقع هذه القصيدة فى حوالى ثلاثة وتسعين بيتا.[١]

أثرت الأوزان والبحور العربية فى الشعر الفارسى تأثيرا كبيرا كما ذكرنا ؛ فقد حاكى الفرس الأوزان العربية ، وأخذوا مصطلحات العروض كلها ، ومن يرجع إلى كتاب " المعجم فى معايير أشعار العجم " (مؤلف حوالى سنة ٦٣٠ هـ) ، وخاصة فى الجزء الذى يتناول العروض ، يجد ذلك واضحا جليا. يقول مؤلف الكتاب : " وبحكم أن صناعة الشعر كانت فى بادىء الأمر من إختراع طبع العرب وإبتداع خاطرهم ، وتبعهم العجم فى كل أبوابه ، ولم يضعوها ، ونقلوا تسمية الأركان والأجزاء وتصدير البحور والأوزان ، وتقرير مايجوز ومالايجوز فيها ، وليسوا مستقلين ، فلابد لنا فى هذا الكتاب أن نبدأ بشرح أوضاعهم ومصطلحاتهم فى تقرير البحور وثبت الدوائر وذكر أجناس الشعر ، وتعديد أوزانهم ، حتى يعرف الخطأ من الصواب فيما زاده العجم على أشعارهم وما أنقصوه منها ، ويعرف غثه من ثمينه".[٢]

والشعر الفارسى بعد الإسلام لايعتمد على كيفية المقاطع بل على كمية الحروف الموجودة فى المقاطع كما هو الحال فى الشعر العربى. ولكن لابد لنا أن نوضح هنا الإختلافات العروضية الفرعية بين الشعر العربى والفارسى ، وهى تتلخص فيمايلى:[٣]

١ - ذكر العروضيون أن العروض الفارسى أخذ من أصول الأوزان العربية العشرة سبعة أصول فحسب ورفض الثلاثة الأخرى لم يستعملها فى شعره. وأصول الأوزان العربية هى : فعولن ، فاعلن ، مفاعلين ، مستفعلن ، فاعلاتن ، مفاعلتن ،

---

(١) كليات شيخ سعدى ص ٤١٠ - طهران ١٣٣٧ .

(٢) المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٦٨ ، شمس قيس الرازى - تهران ١٣٣٨ .

(٣) أنظر : «بدء الشعر الفارسى» على اكبر فياض» ص ٨ و ٩ من محاضراته المطبوعة بجامعة فاروق الأول ١٩٥٠م ، والمعجم ص ٤٥ .

متفاعلن ، مفعولات ، فاع لاتن ، مس تفع لن ، أما فى الفارسية فهى سبعة : مفاعيلن ، فاعلاتن ، مستفعلن ، مفعولات ، فاع لاتن ، مس تفع لن ، فعولن.

٢ - أما بالنسبة للبحور فهى فى العربية ستة عشر بحرا ، ولكن الفرس إقتصروا على أحد عشر بحرا منها وتركوا خمسة لايستعملونها ، وهى: الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل ، وقد ذكر شمس قيس الرازى صاحب " المعجم " أن ما جاء فى الشعر الفارسى على هذه البحور كان من قبيل إظهار المهارة فى علم العروض ، ويصف هذه البحور بأنها بعيدة عن الطبع السليم.(١)

وهناك إختلاف أخر فى انتخاب شكل البحر ؛ فنرى الفارسى لايستعمل الرمل مثلا إلا مثمنا ، بينما لايستعمله العربى إلا مسدسا.

٣ - يوجد أيضا إختلاف فى الزحافات والعلل ؛ فقد زاد الفرس أنواعا من الزحافات لاوجود لها فى الشعر العربى ، وتركوا زحافات عربية لايستعملونها فى شعرهم كما يقول صاحب " المعجم " : " إن جملة زحافات شعر العجم خمسة وثلاثون زحافا ، إثنان وعشرون منها من زحافات العرب وثلاثة وعشر زحافا من وضع عروضيى العجم ".(٢)

والواقع أن التأثيرات العربية التى نتحدث عنها فى الشعر الفارسى ليست تأثيرات شكلية فحسب ، بل هى تأثيرات من حيث المضمون أيضا ، فكل من يقرأ الشعر الفارسى لابد وأن يجد فيه كثيرا من الأفكار والصور والتشبيهات المقتبسة من الشعر العربى ، فقد كان الشعر العربى هو المصدر والإلهام الذى كان الفرس يستوحونه فى إنشاد قصائدهم. وكانت الثقافة العربية هى الثقافة الرئيسية بالنسبة لشعراء الفرس وكتابهم. ومن هنا يتضح لنا أن مانجده من تأثير عربى على الشعراء الفرس ، لايكون مجرد توارد أفكار بين شاعرين ، وإنما هو تأثير عربى لا شك فيه. وسنذكر فيما بعد نموذجا لتأثر الشعراء الفرس بالشعر العربى وبالثقافة العربية ، وهو الشاعر منوچهرى الدامغانى (متوفى سنه ٤٣٢ هـ).

---

(١) المعجم ص ٧٨ .

(٢) المعجم ص ٥٠ .

ومن أوائل الشعراء الفرس الذين نظموا شعرا بأسلوب جديد بعد الاسلام :

١ - الشاعر حنظلة البادغيسى (من بادغيس بخراسان) المتوفى سنة ٢٢٠هـ ، وهو من معاصرى الطاهريين ، وكان يعيش فى عصر عبد الله بن طاهر ، وقد ذكر له عوفى بيتين يقول فيهما : (١)

- مهما يلقى صديقى بالبخور على النار ، حتى لايصيبه أذى عين الحسود.
- فلن يفيده البخور والنار ، مادام له وجه كالنار وخال كالبخور.

ويروى له نظامى عروض السمرقندى بيتين آخرين يقول فيهما : (٢)

- إذا كانت العظمة بين أنياب الأسد ، فخاطر وإنتزعها من بين أنيابه.
- فإما العظمة والعز والنعمة والجاه ، وإما مواجهة الموت كأبطال الرجال.

٢ - الشاعر فيروز المشرقى (متوفى سنة ٢٨٣ هـ) وهو من شعراء الصفاريين ومن معاصرى عمرو بن الليث ، ومن أشعاره هذان البيتان اللذان يصف فيهما سهما فيقول : (٣)

- عجبا لهذا السهم الذى يشبه الطائر ، وهو كالطائر الذى تكون الأرواح كل صيده.
- وقد أعطاه النسر جناحه هدية ، حتى لايحمل صغاره إلى الضيوف.

٣ - الشاعر أبو سليك الگرگانى ، وهو من الشعراء القرن الثالث ، ومن معاصرى عمرو بن الليث الصفارى أيضا ، ومن أبياته قوله : (٤)

- لو ترق دمك على الأرض ، خير لك من أن تريق ماء وجهك ؛

---

(١) لباب الألباب جـ١ ، ص ٢ .

يارم سپند اگرچه بر آتش همه فگند ... از بهر چشم تا نرسد مرو اورا گزند
اورا سپند وآتش نايد همى بكار ... با روى همچو آتش وبا خاك چون سپند

(٢) مهترى گر بكام شير در است ... شد خطر كن ز كام شير بجوى
يا بزرگى وعز ونعمت وجاه ... يا چو مردانت مرگ رويا روى
(چهار مقاله ص ٢٦)

(٣) مرغيست خدنگ اى عجب ديدى ... مرغى كه شكار او همه جانا
داده پر خويش كركسش هديه ... تا نه بچه اش برد بمهمانا

(٤) خون خود را گر بريزى بر زمين ... به كه آب روى ريزى در كنار
بت پرستنده به از مردم پرست ... پند گير وكار بند وگوش دار

- فعابد الصنم أفضل من عابد الناس ، فخذ النصيحة واستمع إليها واعمل بها.

ونذكر بالإضافة إلى هؤلاء أيضا الشاعر محمود الوراق الهروى (متوفى سنة ٢٢١ هـ)، ومحمد بن وصيف السگزى المعاصر ليعقوب بن الليث الصفارى ؛ ومسعود المروزى صاحب أول شاهنامه قبل الفردوسى ، وقد نظم شاهنامه فى أواخر القرن الثالث الهجرى. ويظهر بعد هذه الطبقة من الشعراء الثانويين الذين ذكرناهم أول شاعر كبير من الشعراء الفرس وهو الرودكى السمرقندى (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) الذى لقب بحق أستاذ الشعراء واشتهر بنظم الشعر الغنائى الذى بقى لنا منه كثير جمع فى ديوانه ، وكان من أشهر ممدوحيه نصر بن أحمد السامانى (٣٠١ - ٣٣١هـ) ثم وزيره أبو الفضل البلعمى. وقد نال منهما الصلات الوافرة ، وأروع قصائده فى شكوى الزمان ، ويقال أنه نظم " كليلة ودمنة " ولم يبق من نظمه لها سوى أبيات متفرقة. يقول فى إحدى قصائده ناعيا شبابه : [(١)]

- تآكلت أسنانى وتساقطت جميعا. لم تكن أسنانا
لا ، بل كانت مصباحا وضاءً
- كانت منضدة فى بياض الفضة ،
وكانت دراً ومرجانا ، وكانت نجم السحر وقطرات المزن.
- والآن لم تبق منها واحدة ، بليت كلها وتساقطت ،
فأى نحس ذلك ؟ أمن الفلك ؟ قد يقال.
- كلا ، لا من الفلك ، ولا امتداد الأجل ،
فما هو إذن ؟ أقول لك : هو قضاء الله.

---

(١) مرا بسود وفرو ريخت هرچه دندان بود — نبود دندان لا بل چراغ تابان بود
سپيد سيم زده بود ودر ومرجان بود — ستارهء سحرى بود وقطره باران بود
يكى نماند كنون زآنهمه بسود وبريخت — چه نحس بود همانا كه نحس كيوان بود
نه نحس كيوان بود ونه روزگار دراز — چه بود منت بگويم قضاى يزدان بود
مختارات من الشعر الفارسى ، الدكتور محمد غنيمى هلال ص ١٠، القاهرة ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م.

ويقول فى قصيدة أخرى يصف الربيع : [١]

- أقبل الربيع البهيج بألوانه الزاهية وعطره الفواح،
مع مائة ألف نوع من الزينة والزخرف العجيب.
- وربما تحول الشيخ المسن إلى شاب حينئذ،
وتبدلت الدنيا من حالة المشيب إلى حالة الشباب.
- وقد أعد الكون العظيم جيشا ،
مكون من السحب المظلمة تقودها ريح الصبا.
- قاذف النفط فيه هو البرق الساطع ، وقارع الطبل فيه هو الرعد.
لقد شاهدت آلاف الجيوش من قبل ولم أر جيشا بهذه المهابة.
- أنظر إلى ذلك السحاب وهو يبكى وكأنه إنسان حزين،
وأنظر إلى ذلك الرعد وهو ينوح وكأنه عاشق بائس.
- والشمس تطل بوجهها بين الحين والآخر من بين السحب المظلمة.
كسجين يتحين الفرصة ليفلت من حارسه.
- لقد عانت الدنيا من المرض فترة ،
ولكنها تحسنت عندما وجدت فى عطر الياسمين دواء لها.
- وقد أخذت الأمطار المسكية الرائحة تهطل من جديد ،
وارتدت الدنيا حلة مقصبة من الثلوج.
- وازدهرت الورود فى الأماكن التى غطتها الثلوج،
وجرت المياه فى الجداول بعد أن كانت متجمدة.
- وتلألأت زهور الشقائق من بعيد بين الخضرة
كقبضة العروس وقد تخضبت بالحناء.
- وأخذ البلبل يغرد على أغصان شجرة الصفصاف ،
وأخذ العصفور يرد عليه من فوق شجرة السرو.
- وأخذت الحمامة تغنى فوق شجرة السرو ألحانا قديمة ،
وأخذ البلبل يغنى على أغصان الورد بألحان غريبة.

---

(١) آمد بهار خرم با رنگ وبوى طيـــــب — با صد هزار زينت وآرايش عجيــب
شايد كه مرد پير بدين گه جوان شد — گيتى بديل يافت شباب از پى مشيب =

ويقول فى قصيدة أخرى : (١)

– قضى عظماء العالم جميعهم نحبهم ،
وأحنوا رؤسهم جميعا للموت.
– وأصبح تحت الثرى أولئك الذين ،
شيدوا كل هذه القصور العالية.
– ولم يأخذوا معهم فى نهاية الأمر ،
من كل الآلاف المؤلفة من النعم سوى أكفانهم.
– ولم يتمتعوا فى الحياة سوى بما لبسوا ،
وبما أعطوا وما أكلوا.

ويقول فى قطعة أخرى : (٢)

– أيتها المحبوبة ، لقد سمعت أنه كان ليوسف ثلاثة قمصان،
إرتداها طوال عمره فى أوقات المحنة والراحة.

= چرخ بزرگوار یکی لشکری بکرد — لشکرش ابر تیره وباد صبا نقیب
نفاط برق روشن وتندرش طبل زن — دیدم هزار خیل ونديدم چنين مهيب
آن ابر بين كه گريد چون مرد سوگوار — وآن رعد بين كه نالد چون عاشق كئيب
خورشيد ز ابر تيره دهد روى گاه گاه — چونان حصارى كه گذر دارد از رقيب
يك چند روزگار جهان دردمند بود — به شد كه يافت بوى سمن را دواى طيب
باران مشك بوى بباريد نو بنو — وز برف بر كشيد يكى حلهء قصيب
كنجى كه برف پيش همى داشت گل گرفت — هر جو يكى كه خشك همى بود شد رطيب
لاله ميان كشت در خشد همى ز نور — چون پنجهء عروس بحنا شده خضيب
بلبل همى بخواند در شاخسار بيد — سار از درخت سرو مرا وراشده مجيب
صلصل بسرو بن با نغمهء كهن — بلبل بشاخ گل بر بالحنك غريب

(١) مهتران جهان همه مردند — مرگ را سرهمه فرو كردند
زير خاك اندرون شدند آنان — كه همى كوشكها بر آوردند
از هزاران هزار نعمت وناز — نه بآخر جز از كفن بردند
بود از نعمت آنچه پوشيدند — وآنچه دارند وآنچه را خوردند

(٢) نگارينا شنيدستم كه گاه محنت وراحت
سه پيراهن سلب بودست يوسف را بعمر اندر =

- أحدها تلوث بالدم كيدا ، والثانى تمزق بالإتهام ،
والثالث أضاء برائحته عينى يعقوب الباكية.
- فوجهى يشبه الأول ، وقلبى يشبه الثانى ،
ونصيبى من الوصل يشبه الثالث.

تحدثنا فيما سبق عن الشعر الفارسى الاسلامى خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام ، ورغم أننا لاحظنا قلة الأنتاج الشعرى فى تلك الفترة ، إلا أن هذا الإنتاج يدل على مدى التطور الذى طرأ على الشعر الفارسى فى عهد الطاهريين والصفاريين. ثم يأتى بعد ذلك عصر السامانيين (٢٦١ - ٣٨٩هـ) الذى يتميز بكثرة الشعراء وعلى رأسهم الشاعر أبو عبد الله الرودكى.

وقد بذل السامانيون - وكانت عاصمتهم بخارى - جهدا كبيرا فى تشجيع النظم والنثر الفارسيين ، وأخذوا يغدقون الأموال على الشعراء والكتاب من أجل أن ينظموا لهم الملاحم الوطنية كالشاهنامة ، أو يترجموا لهم الكتب المختلفة. وقد ترجم تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى بناء على أوامر الأمير السامانى منصور بن نوح ، كما إشتغل بعض الوزراء بالترجمة إلى الفارسية كأبى على البلعمى وزير الأمير منصور. وبظهور أمر الغزنويين (٣٦٧ - ٤٣٣هـ) أصبحت غزنة مركزا أدبيا هاما ، وخاصة فى عصر السلطان محمود الغزنوى (٣٨٧ - ٤٢١هـ) وإبنه مسعود (٤٢١ - ٤٣٢ هـ) ، وقد إزدان بلاطهما بالعديد من الشعراء والكتاب والعلماء.

وتمتاز فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين بكثرة الشعراء وتعدد آثارهم ، والواقع أن تشجيع الملوك والحكام والوزراء كان السبب الرئيسى الذى ساعد على رواج الشعر فى هذه الفترة ؛ إذ حاول كل حاكم أن يضم الى بلاطه أكبر عدد ممكن من الشعراء والكتاب ، وأخذ يجزل لهم العطاء ، حتى وصل بعض الشعراء إلى درجة كبيرة من الثراء ، وقد قيل فى ذلك إن أمتعة الرودكى كانت تحمل على أربعمائة

= يكى از كيد شد پر خون دوم شد چاك از تهمت
سوم يعقوب را از بوش روشن گشت چشم تر
رخم ماند بدان اول دلم ماند بدان ثانى
نصيب من شود در وصل آن پيراهن ديگر

جمل[1] ، وأشار الشاعر الخاقانى إلى ثراء الشاعر العنصرى فقال : [2]

- سمعت أن موقد العنصرى قد صيغ من فضة

وأن أدوات مائدته قد صنعت من الذهب.

وصار بعض الشعراء يحسد على ماهو فيه من نعيم وجاه ، كقول الفرخى (متوفى سنة ٤٢٩ هـ) :[3]

- لقد صرت محسود العظماء بسبب خدمتى لمحمود ،

وهذا ما يجب أن يكون عليه خادم محمود دائما.

ويقال أيضا أنه بلغ من شأن الفرخى أنه كان يركب خلفه عشرون غلاما بمناطق من الفضة.[4] وغير ذلك من الأمثلة كثير على ما كان للشعراء من مكانة ، وما كان لهم من ثراء وجاه.

ونجد أيضا أن كثيرا من الحكام والأمراء والوزراء من كان هو نفسه من المشتغلين بالشعر أو الكتابة ، ونذكر على سبيل المثال: شمس المعالى قابوس (متوفى سنه ٤٠٣ هـ) ، وابن العميد (متوفى ٣٦٠هـ) ، والعتبى (متوفى ٤٢٧هـ) ، والبلعمى (متوفى ٣٦٣هـ) وهو وزير الأمير منصور بن نوح بن نصر السامانى.

ومن خصائص الشعر الفارسى الإسلامى فى تلك الفترة ما أظهره الشعراء من براعة فى نظم أفكار جميلة فى شعرهم ، وإبداعهم فى التعبير عنها مع قلة التعقيد والإبهام ، حتى صارت نماذجهم الشعرية قدوة لمن جاء بعدهم ، ومن هؤلاء الشعراء الرودكى ، والدقيقى (متوفى ٣٦٥هـ) ، والفردوسى (متوفى ٤١١ أو ٤١٦هـ) ، والعنصرى (متوفى ٤٣١هـ) ، والفرخى ، ومنوچهرى.

وقد كثر الإنتاج الشعرى حتى ليقال إن الرودكى نظم مائة ألف بيت ، وإن عدد

---

(١) چهار مقاله ، ص ٣٢ .

(٢) شنيدم كه از نقره زد ديگدان ز زر ساخت آلات خوان عنصرى

(مجمع الفصحاء ، ج٢ ، ص ٣٥٥).

(٣) محسود بزرگان شدم از خدمت محمود خدمتگر محمود چنين بايد هموار

(٤) چهار مقاله ، ص ٣٩ .

أبيات شاهنامة الفردوسى يصل إلى ستين ألف بيت. وشاعت فى أشعار هذه الفترة التشبيهات المركبة والدقيقة التى تعتمد على الخيال فى معظم الأحيان ، ويظهر ذلك بوضوح فى شعر منوچهرى الدامغانى ، كما يلاحظ وصف الحروب وميادينها ؛ مثلما نجد فى شعر العنصرى ، والحديث عن مجالس السلاطين ومحافلهم ، وما كان يدور فيها . وتتناثر هنا وهناك فى أشعارهم أسماء الألحان والأنغام الموسيقية ، وأسماء المطربين والمطربات. وأخذ الشعراء يصفون أيضا الإحتفالات التى كانت تقام فى المناسبات المختلفة من أعياد فارسية وإسلامية. كما أبدع الشعراء فى وصف المناظر الطبيعية ، وتحولت بعض أشعارهم فيها إلى لوحات فنية بارعة ، ومن الشعراء الذين قدموا لنا وصفا بديعا للطبيعة فرخى ومنوچهرى ، وقد أخذ الأخير يفصل فى تصويره لها ، ويذكر أسماء الطيور والأشجار والنباتات والزهور المختلفة ، وكأنه درس كل هذه الأشياء وعرف خصائصها وتطور نموها. وغالبا ما يقترن وصف الطبيعة عند الشعراء بقصيدة المديح ، فقد كان فى بعض الأحيان المقدمة التى يضعها الشاعر فى مطلع قصيدته.

وأخذ بعض الشعراء يصف أشياء بذاتها ضمن قصيدته أو فى قطع أو رباعيات مستقلة ، كوصفهم للسيف والقلم والجواد وغير ذلك ، وبلغوا فى ذلك مرتبة عالية. كما نرى إنعكاس الأحوال والأوضاع السياسية والإجتماعية فى الشعر ، ويرجع ذلك إلى معرفة الشاعر بما يحيط به وتأثره بما حوله ، وإهتمامه بالمحيط المادى إلى جانب إهتمامه بالخيال. فنجد العنصرى يتحدث عن حروب السلطان محمود الغزنوى فى الهند ، فيقول : (١)

- من كثرة النيران التى أشعلها السلطان فى بلاد الهند ،
تصاعد الدخان من معابدها حتى بلغ كوكب زحل.

وقد تميز شعر بعض الشعراء - ومنهم العنصرى - بالتفكير المنطقى الذى يقوم على قياس له نتائج بنيت على مقدمات. وهذا التفكير ومايخرج به من إستنتاجات أدى إلى صبغ بعض أبياتهم وخاصة المصاريع الأخيرة منها بصيغة المثل السائر وصورته.

(١) ز بسكه آتش زد شاه در ولايت هند   كشيده دود ز بتخانهاش بر كيوان

ومثال ذلك قول العنصرى : (١)

- هو أمير المشرق الذى ينصره الله دائما ،
وكل من يتقى الله ينصره على الدوام.
- كل الممالك إدعاء ، وسيفه هو البرهان ،
ما أجمل الدعوى التى يساندها البرهان.
- إن قطرة ماء سخائه صارت سببا لدرر المعانى ،
وقطرة المطر أيضا هى سبب لدر البحر.
- عندما يقصد مدحه من لايقول الشعر ،
يصير شاعرا وشعره كروضة رضوان.
- لأنه يجمع من صفاته المعانى الجميلة ،
وطالما جمعت المعانى يصبح إنشاد الشعر سهلا يسيرا.

وقد حاول بعض الشعراء الإتيان بصور جديدة وأفكار مبتكرة ، فاتجهوا إلى الأفكار العلمية ومصطلحاتها ، ونجد هذا واضحا فى العصر الغزنوى وما تلاه من العصور ، وإستعمال المصطلحات العلمية لم يكن شائعا بطبيعة الحال فى أوائل العصر السامانى. وقد مزج الشعراء هذه الأفكار والمصطلحات العلمية بالأخيلة الشعرية ، ولم يكن هدف الشاعر من ذلك مجرد ذكر هذه المصطلحات ، ولكنه كان يستخدمها ليرسم بواسطتها صورا وتشبيهات شعرية جديدة. ويعتبر الفرخى من أشهر الشعراء الذين استخدموا المصطلحات العلمية فى الشعر ، فنجده يستخدم فى نهاية بعض قصائده مصطلحات النجوم عند حديثه عن التأبيد فى مدحه كقوله مثلا : طالما أنه يمكن إدراك مكان سير الكواكب عن طريق الاسطرلاب ، فلتكن الدنيا محققة لكل رغباتك.

---

(١) خسرو مشرق كه يزدانش هميشه ناصرست — هر كه يزدان را پرستد ناصرش يزدان بود
پادشاهى ها همه دعويست برهان تيـــغ او — آن نكوتر باشد از دعوى كه با برهان بود
در معنى را سبب شد قطره باران سخاش — در دريا را سبب هم قطرهء باران بود
هر كه نا شاعر بود چون كرد قصد مدح او — شاعرى گردد كه شعرش روضهء رضوان بود
ز انكه نعتش جمع گردانيد معنيهاى نيك — چون معانى جمع گردد شاعرش آسان بود

وأما عن موضوعات الشعر فى تلك الفترة فهى المديح والشعر البطولى أو الملاحم الوطنية ، والوصف ، والغزل ، والقصة ، والوعظ :

أ- **المديح** : ظهر المديح منذ بداية الشعر الفارسى فى بلاط الطاهريين والصفاريين ، إلا أنه إكتمل فى عهد السامانيين الذين كانوا يحكمون خراسان وما وراء النهر. وقد كثر الشعراء فى عصرهم ، وكان على رأسهم الرودكى والشهيد البلخى (متوفى٣٢٥هـ) والدقيقى (متوفى ٣٦٥هـ) وغيرهم. وقد أخرج الرودكى الشعر الفارسى من حالته البدائية البسيطة ، وعالج كثيرا من موضوعات الشعر وأجناسه.

وإرتقى فن المديح بعد ذلك فى عصر السلطان محمود الغزنوى وإبنه مسعود ، وكان الشعراء ينظمون قصائدهم فى مديح السلاطين والوزراء والأمراء وغيرهم فى المناسبات المختلفة من أعياد وفتوحات وغير ذلك ، وكانت الصلات التى تقدم لهم كثيرة، وخاصة فى عهد السلطان محمود ؛ وذلك نتيجة لما حصل عليه فى غزواته التى قام بها فى الهند ، ومن أشهر شعراء المديح فى العصر الغزنوى : العنصرى والفرخى ومنوچهرى الدامغانى.

وقد تميز المديح فى هذا العصر بالمبالغة فى بعض الأحيان ، وعادة ما تبدأ قصيدة المديح بوصف الطبيعة أو فصل من فصول السنة ، أو الحديث عن عيد من الأعياد ، وربما بدأها الشاعر بالغزل.

ب- **الملاحم الوطنية** : تعد هذه الفترة من أهم الفترات الأدبية التى اهتمت بهذا النوع من الشعر ؛ ففى أوائل هذه الفترة ظهر مسعودى المروزى الذى نظم شاهنامة فى أواخر القرن الثالث أو السنوات الأولى من القرن الرابع للهجرة. وكانت أبياتها من الشعر المثنوى (المزدوج) ومن بحر الهزج المسدس ، وقد ضاعت هذه المنظومة. كما ظهر فى منتصف هذه الفترة الدقيقى الذى نظم ألف بيت فى قصة گشتاسب وحربه مع أرجاسب الطورانى دفاعا عن الدين الزرادشتى ، ومع أن شاهنامته لم تتم ، الا أنه مهد السبيل للفردوسى الذى ظهر فى أواخر هذه الفترة ، وشاهنامته التى تبلغ حوالى ستين ألف بيت منظومة فى البحر المتقارب. ويتحدث فيها عن تاريخ إيران منذ أقدم العصور وحتى سقوط الساسانيين ، وتشتمل على أحداث

أسطورية وتاريخية. وقد إقتفى أثره كل من جاء بعده من الشعراء ونظم فى هذا الموضوع.

وتعتبر شاهنامة الفردوسى من أغنى الكتب الأدبية بالمفردات والمصطلحات الفارسية ، وقد كان الفردوسى ممن عاونوا على إحياء اللغة الفارسية ونشرها ، خاصة وأن الشاهنامة كانت - ومازالت - موضع اعجاب وتقدير كل من يقرأها ، فاهتم الناس بقراءتها على مر العصور ، وجرت ألفاظها على ألسنتهم. كما تعتبر الشاهنامة مصدرا رئيسا من مصادر النحو الفارسى ، ذلك أن اللاحقين بالفردوسى من الشعراء إتخذوا من شعره معيارا للتركيبات النحوية وإقتدوا به فى إستخداماته اللغوية.

وقد أعطى الفردوسى كل موضوع حقه ؛ فتحدث عن الحرب والسلم ، والفخر والمديح ، والزهد والحكمة ، والوصف والأخلاق ، والمعروف أنه بدأ نظم شاهنامته حوالى سنة ٣٧٠ أو ٣٧١ هـ وأتمها حوالى سنة ٤٠٠هـ. ويمكن تقسيم الشاهنامة إلى ثلاثة أقسام هى : العصر الأسطورى ، والعصر البطولى ، والعصر التاريخى.

وتعتبر هذه المنظومة سجلا حافلا لعادات الشعب الإيرانى وتقاليده والعلوم والفنون الشائعة فى عصر الشاعر ، وقد أجاد الفردوسى فى الوصف عموما خاصة فى وصف الحروب وميادينها ، والطبيعة وما فيها ، وهو يدعو للعدل ويحبذه ، ويحض على العلم ، ويحترم العقل ويمدحه ، كما تمتلئ منظومته بالحكم والمواعظ.

جـ- الغـزل : بدأ النظم فى الغزل منذ منتصف القرن الثالث ، أى منذ ظهور الشعر الفارسى الحديث ، وأقدم النماذج التى نجدها ماتبقى من شعر حنظلة البادغيسى. وتطور النظم فى هذا الموضوع خلال القرن الرابع ، ونظم الشعراء نوعا من الشعر سمى بالغزل ، كما ضمنوا قصائدهم صورا بديعة من الغزل والتشبيب.

وكان الرودكى صاحب أول غزل بديع فى الفارسية ، وشاركه فى هذا أيضا الشهيد البلخى ، حتى إذا وصلنا الى النصف الأول من القرن الخامس وجدنا الغزل يبلغ شأوا بعيدا فى الكمال على يد الفرخى.

د- القصص : إهتم الشعراء فى هذه الفترة أيضا بنظم القصص ؛ فنظم

الرودكى كليلة ودمنة شعرا ، كما نظم أبو المؤيد البلخى الذى كان يعيش فى القرن الرابع قصة يوسف وزليخا. وقد إمتلأت شاهنامة الفردوسى بالعديد من قصص الحب كقصة الجارية شيرين ، وهى القصة التى نظمها فيما بعد نظامى الگنجوى (متوفى ٦٠٤هـ) تحت عنوان " خسرو وشيرين " ، وقصة زال ورودا به ، وقصة بيژن ومنيژه ، وقصة رستم وتهمينه. ونظم العنصرى قصصا أخرى كقصة " وامق وعذرا "، وهى قصة قديمة من بقايا العصر الساسانى ، وقد نظمها فى البحر المتقارب ، وقصة " خنگ بت وسرخ بت " ، وهى قصة كانت معروفة عن صنمين فى باميان ببلخ ، وقصة " شاد بهر وعين الحياة ".

وفى ختام النصف الأول من القرن الخامس نظمت قصة " ويس ورامين " ، وهى إحدى قصص إيران القديمة ، وقد نظمها الشاعر فخر الدين أسعد الگرگانى (متوفى ٤٦٦هـ) عن متن قريب من الأصل البهلوى فى بحر الهزج المسدس.

هـ- الحكم والمواعظ : نال النظم فى هذا الموضوع إهتماما كبيرا من الشعراء الفرس ، وقد نظم فيه الشعراء أول ما نظموا فى أوائل القرن الرابع ، وأول من إهتم بالنظم فيه الرودكى ، ومازالت فى بقايا شعره الموجود بين أيدينا بعض القطع فى الوعظ والحكمة ، والواقع أن كليلة ودمنة التى نظمها شعرا ما هى إلا منظومة حكمية أخلاقية ، كما برع فى هذا الموضوع أيضا شعراء آخرون مثل الشهيد البلخى والدقيقى وأبى شكور البلخى صاحب المنظومة الحكمية " آفرين نامه ". كذلك تمتلئ الشاهنامة بالنصائح والمواعظ كما سبق أن ذكرنا ، رغم أنها منظومة حماسية. وأهم أقسامها الحكمية نصائح بزر جمهر ومجالس أنو شروان معه ، كما ترى النصائح فى ختام حكايات الملوك والأبطال.

ويعتبر الكسائى المروزى (متوفى ٣٩١ هـ) أول من نظم قصائد كاملة فى الوعظ والحكمة ، وقد مهد بذلك السبيل لظهور شاعر العصر السلجوقى المشهور ناصر خسرو القباديانى (متوفى ٤٨١هـ) ، الذى نظم قسما كبيرا من أشعاره فى هذا الموضوع.

الأجناس الشعرية عند الفرس :

١- القصيدة

للقصيدة فى الشعر الفارسى نفس المنزلة التى لها عند العرب ، وقد أنشد الفرس قصائدهم على غرار القصائد العربية ، ملتزمين فيها بالوزن ووحدة القافية ، إلا أنهم جعلوا الحد الأدنى لعدد أبياتها بين الثلاثة عشر بيتا وبين العشرين ، ولم يضعوا حدا أقصى لعدد أبياتها. وقد تتجاوز بعض القصائد عندهم مائتين من الأبيات.

ويقول شمس قيس الرازى فى كتابه " المعجم فى معايير أشعار العجم " : " إذا زادت الأبيات عن خمسة عشر أو ستة عشر تسمى قصيدة ، وان كانت أقل من ذلك تسمى قطعة. ويلزم فى القصائد الفارسية أن يكون المطلع مصرعا ، أى أن تكون قافية كلا المصراعين متحدة فى الحروف والحركات وإلا سميت بالقطعة حتى ولو زادت عن العشرين بيتا ". ويقول أيضا : وإشتقاق القصيدة من القصد وهو التوجه إلى شئ أو مكان ، والمقصود هو محل قصد الناس بالطلب والتحصيل والقول والفعل. ومعنى ذلك أن القصيدة هى مقصود الشاعر لإيراد المعانى المختلفة والأوصاف المتنوعة من مدح وهجاء وشكر وشكوى وغير ذلك ، والهاء فى آخرها للدلالة على وحدتها مثل شعير وشعيرة وذبيح وذبيحة ".(١)

وقد تكون القصيدة الفارسية فى المدح أو الهجاء أو الحماسة أو الرثاء أو الوعظ أو الشكوى ، وهى تقسم بحسب موضوعها إلى الأقسام التالية :

أ - مديحة : إذا قصد منها المديح.
ب - هجوية : إذا قصد منها الهجاء.
جـ - مرثية : إذا قصد منها الرثاء.
د - حكمية : إذا قصد منها الفلسفة والحكمة.
هـ - ربيعية : إذا قصد بها وصف الربيع.
و - شتائية : إذا قصد بها وصف الشتاء.
ز - خزانية : اذا قصد بها وصف الخريف.

---

(١) المعجم ص ٢٠١ .

ح - مناظرة : إذا قصد منها المناظرة.
ط - السؤال والجواب : إذا نظمت القصيدة على طريق محادثة بصورة السؤال والجواب. (١)

ولايفوتنا هنا أن نذكر أن الفرس قد تأثروا تأثرا كبيرا بالطريقة التى كان ينشد العرب بها قصائدهم ، وخاصة قصائد المديح التى كانت تبدأ بالنسيب والوقوف على الأطلال ثم ينتقلون بعد ذلك إلى المديح ، فإن البيئة العربية وحياة البادية والرحيل والإنتقال المتواصل من مكان لآخر ، كل ذلك كان يثير فى نفوس الشعراء مزيدا من الشوق والحنين إلى الأحباب الذين إرتحلوا عنهم ، فيذكر الشاعر كل ذلك فى مطلع قصيدته مشيرا إلى الأطلال والدمن والمساكن المهجورة.

وقد إتبع الفرس هذه الطريقة فى إنشاء قصائدهم ، فأخذ بعضهم يبدؤها بالنسيب والبكاء على الأطلال ، بل أخذ بعضهم يذكر كثيرا من الأماكن التى ذكرها الشعراء العرب فى قصائدهم وكثيرا من معشوقات العرب وبعض الجمل والعبارات العربية مقتبسا إياها من القصائد العربية الشهيرة ، بل قد ينظم الشاعر منهم قصيدته على وزن أحدى هذه القصائد. وخير من يمثل هذا الأتجاه الشاعر منوچهرى الدامغانى شاعر القرن الخامس الهجرى ومعزى شاعر القرن السادس الهجرى ، وغيرهما من الشعراء الفرس.

ومن هنا نرى أن قصائد المديح الفارسية سارت على منوال القصائد العربية ، فأخذ الشاعر يبدؤها بالنسيب وذكر الأطلال والرحيل حتى يصل إلى بيت الإنتقال ، ويسمى بالفارسية " گريزگاه " ، فينتقل إلى الموضوع الأصلى وهو المدح. ويشير بعد ذلك إلى طلبه بلطف فى " بيت الطلب " ثم يفرغ من قصيدته بما يسمونه " بيت المقطع". والقصيدة الفارسية التى لاتبدأ بالتشبيب تسمى القصيدة " المحدودة " أو " المقتضبة ".

ولما كانت القصيدة هى أهم أنواع النظم ، فقد وضع لها الفرس بعض

---

(١) تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى للسعدى ، ص ٣٠ - ادوارد براون - ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربى - مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م.

الخصائص والقواعد التى يسير عليها الشاعر ليصل بمنظومته إلى درجة الجودة ، ومن هذه المحسنات :

أ - أن تكون القصيدة مصرعة : أى أن يراعى الشاعر تقفيه مصراعى البيت الأول من قصيدته.

ب - حسن المطلع : أى أن يكون مطلع القصيدة سهلا ، عذب الألفاظ ، مما يجعل المستمع يميل إلى سماع بقية القصيدة.

جـ - حسن التخلص : وهو الخروج من النسيب إلى موضوع القصيدة الرئيسى بطريقة حسنة لطيفة.

د - حسن الإعتذار : وفيه يعتذر الشاعر بطريقة لطيفة عن قصور مدحه وعلو مقام الممدوح.

هـ - الشريطة : وهى ختم القصيدة بالدعاء ، وفى القصائد الفارسية يدعو الشاعر للمدوح بدوام بقائه فى شكل الشرط ؛ فمثلا يتمنى خلوده طالما إستمر طلوع الشمس وغروبها ، وتتابع الليل والنهار.

و - حسن المقطع : وهو أن يختم الشاعر قصيدته بأجود المعانى وأحسنها ، وأعذب الألفاظ ، لأن آخر أبياتها هو آخر مايبقى فى الأسماع.

٢- القطعــة :

هى كما يدل عليها إسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة إنفصلت عنها لسبب من الأسباب ، وقد تكون أيضا جزءا من قصيدة لم يقدر لها أن تكمل ، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ منها غرضا من الأغراض، فلما سجله فيها تركها على حالها ولم يفكر مطلقا فى أن يضيف إليها أبياتا أخرى ، وفى كثير من الأحيان يدل أسلوب القطعة وموضوعها على أن الشاعر قصد بها منذ البداية أن تكون وحدة قائمة بذاتها. (١)

---

(١) تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى للسعدى ، ص ٢٧ .

آخر القصيدة ومثال ذلك قول امرىء القيس ، وقيل إنها منحولة :

توهمت من هند معالم أطــلال ... عفاهن طول الدهر فى الزمن الخالى

مرابع من هند خلت ومصايف ... يصيــح بمغناها صــدى وعــوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف ... وكــل مســـف ثــم آخـــر رادف

بأسحم من نوء السماكين هطال

وهكذا يأتى بأربعة أقسمة على أى قافية شاء ، ثم يكرر قسيما على قافية الكلام، وربما كان المسمط بأقل من أربعة أقسمة، وربما جاءوا بأوله أبياتا خمسة على شرطهم فى الأقسمة ، وهو المتعارف ، أو أربعة ، ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة.

وقد ذكر البعض [1] مثالا آخر لامرىء القيس إذ يقول :

ومستلئم كشفت بالرمح ذيــله ... أقمت بعضب ذى سفاسق ميله

فجعت به فى ملتقى الحى خيله ... تركت عتاق الطير تحجل حوله

كأن على أثوابه نضح جريال

فإن صحت هذه النماذج من هذا الشعر المسمط لامرىء القيس فيمكننا أن نقول أن الشعر المسمط كان معروفا لدى العرب قبل الفرس ، وأن الفرس قد إقتبسوا هذا النوع من الشعر كما إقتبسوا نظام القصيدة أو غيرها.

وإذا كنا قد لاحظنا وجود عدة أنواع للمسمط عند العرب ، فاننا نلاحظ ذلك أيضا عند الفرس ، وأول تلك الأنواع هو أن يقسم الشاعر قصيدته إلى أجزاء أو شطرات تتفق أوائلها فى الروى وأما أواخرها فتكون موافقة لنظائرها فى القصيدة كلها. وقد إتخذ المسمط الفارسى طريقا آخر غير هذا الطريق منذ القرن الخامس الهجرى ، وتطور على يد بعض الشعراء مثل منوچهرى الدامغانى ولامعى الگرگانى (من شعراء القرن الخامس الهجرى)، وأخذ الشعراء ينظمون مسمطا يتكون كل قسم فيه من أربعة أو خمسة أو ستة مصاريع ، ولكل المصاريع قافية واحدة ما عدا المصراع

---

(١) تاريخ ادبيات ايران از قديمترين عصر تاريخى تا عصر حاضر - جلال الدين همائى - چاپ دوم - تهران ١٣٤٠ هـ.ش - جلد اول ص ٦٦.

ويجب ألا تقل القطعة عن بيتين ، ومن الشعراء الفرس الذين أنشدوا قطعا فارسية بالإضافة إلى قصائدهم الطويلة : الرودكى وسنائى (متوفى سنة ٥٤٥هـ) وسعدى الشيرازى وغيرهم.

والقطعة موجودة فى الشعر العربى أيضا ، والواقع أن الشاعر يحتاج إلى نظمها كما يحتاج إلى نظم القصائد الطويلة ، ويقول ابن رشيق فى هذا : " وقال بعض العلماء : يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال ، بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال.".(١)

٣- المسمط

المسمط عبارة عن مصطلح عام يشمل جميع أنواع القصائد المركبة ، وإشتقاق التسميط من السمط وهو : أن تجمع عدة سلوك فى ياقوته أو خرزة ما ، ثم تنظم كل سلك منها على حدته باللؤلؤ يسيرا ، ثم تجمع السلوك كلها فى زبرجدة أو شبهها.. ثم تنظم أيضا كل سلك على حدته ، وتصنع به كما صنعت أولا إلى أن يتم السمط ". (٢)

هذا من الناحية اللغوية ، أما من الناحية الإصطلاحية فالمسمط عند العرب : "هو أن يأتى الشاعر بخمسة أبيات على قافية ، ثم يأتى ببيت على غير تلك القافية ، ثم يأتى بخمسة أبيات على قافية أخرى ، ثم يعود فيأتى ببيت على قافية البيت الأول وكذلك إلى آخر الشعر ".(٣)

ولايقتصر التسميط على هذا النوع السابق ، بل هناك أنواع أخرى ذكرها إبن رشيق عندما قال (٤) : ومن الشعر جنس كله مصرع ، إلا أنه مختلف الأنواع ، وأنا منبه عليه .. فمن ذلك الشعر المسمط ، وهو : أن يبتدئ الشاعر ببيت مصرع ، ثم يأتى بأربعة أقسمة على غير قافيته ، ثم يعيد قسيما واحدا من جنس مالإبتدأ به ، وهكذا إلى

---

(١) العمدة ، جـ ١ ص ١٨٧ - مصر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م.
(٢) العمدة ، جـ ١ ص ١٨٠.
(٣) نقد النثر ، ص ٦٤ - قدامة بن جعفر - القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣م.
(٤) العمدة ، جـ ١ ص ١٧٨.

الأخير ، والمصاريع الأخيرة فى كل قسم تتفق فى القافية مع غيرها حتى آخر المسمط. وأخذوا يطلقون على المسمط أسماء أخرى طبقا لعدد المصاريع التى يتكون منها مثل المربع أوالمخمس أو المسدس.

وهناك نوع آخر من المسمطات للشاعر منوچهرى الدامغانى تتفق فيه كل ستة مصاريع فى قافية واحدة ، وتختلف عن الستة مصاريع التالية لها.

٤ - الغـــزل

الغزل إصطلاحا عبارة عن منظومة قصيرة تتراوح أبياتها بين سبعة أبيات وخمسة عشر بيتا فى الغالب ، وهى تشبه القصيدة من نواح كثيرة ؛ فلابد أن يكون مطلعها مصرعا ، وأن تسير على قافية واحدة.

ويختلف الغزل عن القصيدة فى الموضوع والتخلص ، فموضوع القصيدة يتعلق غالبا بالمديح أو الهجاء أو التعليم أو الفلسفة أو الدين ، أما الغزل فهو لايتعلق إلا بموضوع غزلى أو صوفى ، ويلتزم الشاعر فيه بذكر لقبه الشعرى أو تخلصه ، كما يقول الفرس ، فى البيت الأخير منه ، ولعلهم لجأوا إلى ذلك ليجعلوا أشعارهم فى مأمن من أن يسطوا عليها الغير فيدعيها لنفسه ، أو لعلها طريقة فارسية إمتاز بها الشعر الفارسى وصارت بعد ذلك من خصائصه وميزاته.

والغزل أو التشبيب موجود عند العرب سواء فى مطالع قصائد المديح أو فى قصائد مستقلة كما نجد عند كثير وعمر بن أبى ربيعة وجميل وغيرهم ، ويمكن أن يكون الفرس قد إقتبسوا نظم قصائد مستقلة فى الغزل عن العرب ، فقد تأثروا بالقصيدة الغنائية عند العرب عموما ، إلا أنهم جعلوا للغزل هذا الطابع المميز الذى يمتاز به ، وجعلوه محددا فى عدد الأبيات وبالتخلص فى آخره ، وهذه الطريقة لم تكن موجودة عند العرب.

وممن إشتهر بين شعراء الفرس بنظم الغزليات سعدى الشيرازى وحافظ الشيرازى وجلال الدين الرومى وغيرهم . وقد مر الغزل عند الفرس بمراحل متعددة حتى إكتمل على يدى سعدى وحافظ ، فكان يعيش فى العصور الأولى للشعر الفارسى

فى كنف شعر المديح ، وليس معنى ذلك أنه لم يكن يوجد شعر مستقل فى الغزل فى تلك العصور ، لأن الأدب يقتضى وجود شعر غنائى فى كل عصر ، غير أنه لم يكن بالصورة المحددة التى ظهرت فيها بعد.

والمعروف أن كثيرا من الشعراء الفرس القدامى قد إشتهروا بهذا الفن الشعرى، ونذكر من هؤلاء الرودكى.

تطور الشعر الفارسى بعد ذلك وإستقل الغزل ، فأصبح له نظامه الخاص ، وتكونت طبقة من الشعراء الذين جعلوا هذا الفن حرفتهم ومهنتهم الخاصة ، فاعتنوا به أكثر من غيره من الفنون. والواقع أن الغزل بدأ يستقل منذ عصر السلاجقة أى منذ ظهور التصوف وتغلبه على الأفكار ، ونبغ فى هذا النوع الشعرى لفيف من الشعراء كسنائى أحد شعراء القرن السادس الهجرى ، والعطار من شعراء القرن السادس وأوائل السابع ، وغيرهما.

ومن أعلام الغزل الفارسى فى العصر المغولى سعدى الشيرازى (متوفى ٦٩١هـ) وعدد غزلياته كبير جدا ، وتنقسم إلى أربعة أقسام هى : الغزليات والطيبات والبدايع والخواتيم. ولاننسى أن نقول أن لسعدى غزليات من الأسلوب الملمع أى المنظوم باللغتين العربية والفارسية.

كما أن الغزل قد بلغ مبلغا كبيرا على يد الشاعر حافظ الشيرازى الذى تميز عن بقية شعراء الغزل بالتفكير الفلسفى ، فكأنه أوجد نوعا خاصا من الغزل يمكن أن نطلق عليه الغزل الفلسفى. أما من ناحية الأسلوب فقد كان حافظ يتوخى فى غزلياته السلاسة فى العبارة ، وحسن التشبيه والتمثيل ، كما كان يستخدم الصناعات اللفظية دون تكلف ، مما جعله يحرز نجاحا وسبقا لم يتح لغيره.

٥- الترجيع بند والتركيب بند

هما من أنواع القصائد التى إخترعها الفرس فى محاولة للتخلص من قيود القافية التى وضعها العرب كشرط من شروط إنشاء القصيدة ، ويشبه التركيب بند والترجيع بند والمستزاد ما ظهر بعد ذلك فى العربية فى المغرب والأندلس تحت اسم الموشحات.

والنوعان عبارة عن قصائد تشتمل كل واحدة منها على عدد من الوحدات تكون فى العادة متساوية فى عدد أبياتها ، وتكون كل واحدة منها على قافية واحدة ، ويفصل بين الوحدة والأخرى بيت مستقل من الشعر ليبين لنا نهاية الوحدة التى سبقته وبداية الوحدة التى تليه ، فإذا تكرر بيت بعينه بعد نهاية كل وحدة (بند) فإن المنظومة تسمى بـ " الترجيع بند " ، أما إذا تكررت أبيات مختلفة بعد نهاية الوحدات وكانت هذه الأبيات متفقة القافية مع بعضها ومختلفة عن سائر الوحدات فإن المنظومة تسمى فى هذه الحالة بـ " التركيب بند " ، ويجب أن تجرى المنظومة من هذين النوعين على وزن واحد فى جميع أبياتها.[1]

٦-المســتزاد

هو من أنواع النظم الفارسية ، إلا أن البعض لايعتبره نوعا مستقلا من أنواع الشعر ، وإنما يدخله ضمن أنواع التفنن والصنعة فى الشعر.

والمستزاد عبارة عن رباعية أو غزلية أو قصيدة يزاد بعد نهاية كل مصراع من مصاريعها زائدة موزونة ولايستلزمها المعنى أو الوزن ، وهذه الزوائد تقفى مع بعضها ويكون معناها متصلا بحيث يمكن إعتبارها قصيدة منفصلة قائمة بذاتها ، ويجب ملاحظة أن معنى القصيدة وكذلك قافيتها تتوافران بغير الزيادة ، وأنه ليس من الضرورى أن تبنى القصائد المركبة أو المستزادة على منظومة أخرى سابقة ، فلقد أنشئت بعض القصائد أساسا فى ضرب أو آخر من هذه الضروب. ومن محاولة النظم على هذا الأسلوب فى العربية قول الحريرى : [2]

يا خاطب الدنيا الدنية	إنها شرك الردى	وقرارة الأقدار
دار متى ما أضحكت	فى يومها أبكت غدا	يا لؤمها من دار

---

(١) أنظر : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى للسعدى ص ٥٣ ، ٥٤.

(٢) أنظر : دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى - دكتور محمد نور الدين عبدالمنعم - القاهرة ١٩٨٦م ص ١٣٤.

٧- الرباعى

من تصرفات الفرس فى الأوزان العربية ، وزن الرباعى الذى استخرجوه من بحر الهزج وإشتقوا منه أربعة وعشرين ضربا. وهو عبارة عن بيتين من الشعر ولذلك سمى فى الفارسية بإسم " دوبيت "، وسمى بالرباعى لأنه يتكون من أربع شطرات.

ويجب أن يكون الرباعى على وزن من الأوزان المستخرجة من الهزج ، وأن تقفى مصاريعه الأول والثانى والرابع مع بعضها ، بينما يكون المصراع الثالث مقفى مع هذه المصاريع أو لا يكون كما هو الغالب والأعم.

ويعد الرباعى الذى أطلق عليه العديد من الأسماء مثل : " ترانه " و " دوبيتى " و " دو بيت " ، و " و" چهار بيتى " و" چهار كانى" من الأنواع المهمة فى الشعر الفارسى، ويعتقد البعض أنه من أصعب أجناس الشعر ، ذلك لأن الشاعر يضمن تلك الشطرات الأربع فكرة معينة ومعنى جديدا ، بالإضافة إلى أنه مقيد بوزن خاص ، فكأنه يضع بحرا فى إناء صغير. والقالب المعتاد لهذا الوزن هو جملة " لا حول ولا قوة إلا بالله " وهى فى إصطلاح العروض من مزاحفات بحر الهزج المثمن.

ويفرق البعض بين الرباعى والدوبيتى بقوله : إن الرباعى هو ما كان من أربعة مصاريع منظومة على أحد الأوزان المخصوصة من فروع بحر الهزج وهى أربعة وعشرون فرعا ، وإذا كانت هذه المصاريع الأربعة على وزن آخر سميت بالدوبيتى.(١)

وأقدم الرباعيات المنظومة بالعربية ما ذكره صاحب " دمية القصر " إذ قال إن أباه كان يردد على مسمعه عدة رباعيات بالعربية.(٢) ومن الواضح أن هذا الجنس لم يكن موجودا عند العرب قديما وإنما إنتقل إليهم عن طريق الفرس ، ومع ذلك فنماذجه قليلة نادرة. ومن شعراء الرباعيات فى الفارسية الرودكى وابو سعيد بن أبى الخير (متوفى سنه ٤٤٠ هـ) وعمر الخيام وغيرهم.

---

(١) تاريخ ادبيات ايران از قديمترين عصر تاريخى تا عصر حاضر - جلد اول ص ٦٢.

(٢) أنظر : دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى ص ٢٤٢.

٨- المثنوى

هو من أجناس الشعر الشائعة فى الفارسية ، والتى حاول الفرس فيها التخلص من قيود القافية ، إذ أن القافية فيه تكون فى جزئى البيت الواحد ، وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات. وقد أولع به شعراء الفرس فنظموا فيه المنظومات القصصية الطويلة التى تتناول قصص البطولة أو مسائل الأخلاق والتصوف ، ومن أقدم أبيات المثنوى مانجده متفرقا فى كتاب " لغت فرس " لأسدى الطوسى لبعض الشعراء مثل أبى شكور البلخى والرودكى وغيرهما.

وأول منظومة طويلة تنظم فى هذا الشكل بين أيدينا هى الشاهنامة التى بدأها الدقيقى ، وقد نظم منها ألف بيت فى قصة الملك گشتاسب وظهور زرادشت وأكملها الفردوسى فيما بعد ، فوصلت إلى حوالى ستين ألف بيت. وتأتى بعدها منظومة " يوسف وزليخا " التى تنسب إلى الفردوسى ، والمنظومتان على وزن المتقارب. ومن منظومات المثنوى التى وصلت الى أيدينا منظومتا " روشنائى نامه " أو كتاب الضياء. و " سعادتنامه " أو كتاب السعادة ، وهما من مؤلفات ناصر خسرو ، والمنظومة الأولى عبارة عن مثنوية تشتمل على ٥٧٩ بيتا فى بحر الهزج المسدس ، وقد أنشأها الشاعر فى سنة ٤٤٠ هـ ، وتشتمل المنظومة الثانية على ٢٨٧ بيتا ، ويجب الإشارة إلى أن كلا من هذين الكتابين عبارة عن مثنوية تعليمية أخلاقية.

وتأتى بعد ذلك قصة " ويس ورامين " وهى مثنوية نظمها الشاعر فخر الدين أسعد الجرجانى وهو من شعراء آل سلجوق ، وقد نظمها فى سنة ٤٤٠هـ عقب تغلب طغرلبگ على الرومان ، وأهداها الشاعر لوزير هذا السلطان المسمى ب " أمين الدين أبى الفتح النيسابورى ".

والمعروف أن المثنوى قد ينظم على بحور أخرى غير المتقارب والهزج منها مثلا : الخفيف والرمل. ومن المثنويات التى بقيت أيضا منظومة سنائى المسماه بـ " حديقة الحقيقة " وهى مثنوية أخلاقية أكثر منها صوفية ، ويبلغ عدد أبياتها أحد عشر ألف بيت ، وهى على وزن الخفيف المسدس المشعث المقصور، وقد أهداها الشاعر إلى بهرامشاه سلطان غزنه. ولاننسى ذكر مثنوية " تحفة العراقين " للشاعر خاقانى (متوفى سنه ٥٩٥ هـ) التى يصف فيها حجه إلى مكة المكرمة ، ومثنويات نظامى

الكنجوى المسماة بخمسة نظامى ، وهى : مخزن الأسرار ، وخسرو وشيرين ، وليلي والمجنون ، وسكندر نامه ، وهفت پيكر.

وهناك رأيان بشأن نشأة هذا الجنس الشعرى ، أحدهما أنه فارسى النشأة ، والثانى أنه عربى النشأة . ويؤيد الرأى الأول وجود قطعة أدبية من الأدب الإيرانى القديم كان يظن أنها مكتوبة بالنثر ، إلا أنه إكتشف فيما بعد أنها ذات وزن وقافية ، وهذا الوزن قريب من المتقارب المثنوى ، وهى بعنوان " درخت أسوريك " أى الشجرة الأشورية ، وموضوعها حوار بين الشجرة والعنزة أيهما أفضل من الأخرى.

والمعروف أن العرب قد عرفوا هذا النوع من النظم تحت اسم " المزدوج " فقد ذكره صاحب " نقد النثر " فقال فى حديثه عن أقسام الشعر (١) : " ومنه المزدوج وهو ما أتى على قافيتين إلى آخر القصيدة ، وأكثر ما يأتى على وزن الرجز ".

ويقول أصحاب الرأى الثانى إنه من الجائز أن يكون الشعر المزدوج قد نشأ فى الشعر العربى كمحاكاة لمطالع القصائد والأبيات المصرعة فى أثنائها ، ومحاكاة لمشطور الرجز مع تغيير فى الروى فى شطرين بعد شطرين. والملاحظ أن الفرس إستعملوا هذا الجنس من النظم منذ زمن متأخر تخلصا من قيود القافية التى وضعها العرب ، ومازال الفرس ينظمون فيه حتى الآن. ولم يعطه العرب الإهتمام الذى أولوه لغيره من أجناس الشعر. ومن أقدم النماذج العربية للمزدوج ماذكره صاحب " يتيمة الدهر " ، ومنها مزدوجة لأبى الفضل السكرى المروزى ترجم فيها أمثالا فارسية ، منها هذه الأبيات : (٢)

من رام طمس الشمس جهلا أخطا	الشمس بالتطيين لا تغطى
أحسن ما صفة الليل وجد	الليل حبلى ليس يدرى ما يلد
من مثل الفرس ذوى الأبصار	الثوب رهن فى يد القصار
إن البعير يبغض الخشاشا	لكنه فى أنفه ما عاشا

---

(١) نقد النثر – قدامة بن جعفر – القاهرة ١٣٥١ هـ ص ٦٥.

(٢) يتيمة الدهر – ابو منصور الثعالبى – دمشق ١٣٠٣ هـ جـ ٤ ص ٢٢.

ونذكر أيضا بعض الأبيات من أرجوزة إبى العتاهية المزدوجة المعروفة بذات الأمثال : [١]

حسبك مما تبتغيه القوت	ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا	من إتقى الله رجا وخافا
إن كان لايغنيك ما يكفيكا	فكل ما فى الأرض لا يغنيكا
إن القليل بالقليل يكثير	إن الصفا بالقذى ليكدر
هى المقادير فلمنى أو فذر	إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

وقد نظمت أيضا بالمثنوى فى العربية بعض القصص مثل كتاب : كليلة ودمنة " لأبان بن عبد الحميد بن لاحق ، و " الصادح والباغم " للشريف ابن الهبارية المتوفى فى أوائل القرن السادس الهجرى ، وفى التاريخ أرجوزة ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٧هـ) فى غزوات عبد الرحمن الناصر ، وفى العلوم كالألفية فى النحو.[٢]

وقد مهد هذا النوع من الشعر السبيل أمام شعراء الفرس كى يتناولوا الموضوعات الطويلة وخاصة الموضوعات القصصية والتعليمية، والملاحظ أن المثنوى العربى إقتصر فى وزنه على بحر واحد هو الرجز المسدس ، بينما تفنن المثنوى الفارسى فى إستعمال بحور متعددة تجمعها صفة واحدة هى خفة الوزن وسهولته.

---

(١) الأنوار الزاهية فى ديوان أبى العتاهية - بيروت ١٨٨٦م ص ٣٤٦.

(٢) أنظر كتاب " حافظ الشيرازى شاعر الغزل والغناء فى ايران " د. ابراهيم الشواربى ، مصر ١٩٤٤م ص ٢٦٧.

نموذج لتأثير الثقافة العربية والإسلامية فى الشعر الفارسى الإسلامى

الشاعر منوچهرى الدامغانى :

هو ابو النجم أحمد بن قوص بن أحمد منوچهرى الدامغانى ، الذى يعد من كبار شعراء اللغة الفارسية ، وهو صاحب قريحة فذة وأسلوب جميل ، جعله محط أنظار الملوك والأمراء فى عصره وحياته ، وموضع دراسة وبحث فى عصرنا وبعد مماته. وقد عاش منوچهرى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، وتاريخ مولده مجهول إلا أنه توفى فى شبابه سنة ٤٣٢هـ. وقد أخذ إسمه من فلك المعالى منوچهر بن شمس المعالى قابوس بن وشمگير بن زيار الديلمى (٤٠٣ - ٤٢٣هـ) الذى كان يحكم فى جرجان وطبرستان ، وعاش فى بلاطه حتى وفاة هذا الأمير. وبعد أن توفى فلك المعالى انتقل شاعرنا من مازندران أو غيرها إلى الرى ، وهناك مدح على بن عمران وطاهر الكاتب عميد العراق ، ثم إتجه بعد ذلك إلى بلاط السلطان مسعود تلبية لرغبة الأخير ، وعلى أمل أن ينال مساعدة وزير مثل أحمد بن عبد الصمد الذى كان من أكفأ الرجال والكتاب المشهورين فى بلاط مسعود ، كما أنه كان أديبا محبا للشعر وراعيا لأهله.

ويعتبر منوچهرى الدامغانى من النماذج الفريدة التى يتجلى فى شعرها بوضوح الأثر العربى والإسلامى ومدى تأثر الشعر الفارسى بالشعر العربى وأفكاره وصوره ، ولايستطيع أحد أن ينكر ذلك التأثر فى شعره ، ففى كل قصيدة له فكرة أخذها ، أو قافية ووزن إستعارهما ، أو معانى وألفاظ اقتبسها من الأشعار العربية ، كما تتناثر هنا وهناك فى ديوانه أسماء الشعراء العرب بكثرة حتى غدت بعض قصائده فهرسا لأسمائهم ، بل إن الطيور التى يتحدث عنها منوچهرى لاتغنى ولاتترنم إلا بالأشعار العربية.

كل هذا التأثير لا يعد عيبا من العيوب ، وإنما هو خبرة ودراية واسعة بالأشعار العربية ، جعلته يضعها نصب عينيه كنماذج جيدة يحتذيها ، لأنه يفضلها على غيرها،

ويتمنى أن يصل إلى مكانة العرب فى قول الشعر ، فنجده يقول مثلا (قصيدة ٢٨):(١)

- فليهبنى الله وأنا أنظم الشعر فى مدحك ،
قلب بشار وطبع ابن مقبل.

ولابد أن نتساءل هنا : لماذا إتجه منوچهرى إلى الاقتباس الكثير من العربية وآدابها أكثر من زملائه المعاصرين له على الأقل؟ ويعلل ذلك بسببين رئيسيين : أحدهما أن منوچهرى كانت لديه معرفة عميقة بالشعر العربى ورغبة فى اقتدائه وتقليده ، ونجده دائما يفخر بتفوقه فى هذه الناحية ، ويعيب على غيره عدم خبرته ودرايته بالأشعار العربية مما يعد نقصا فى الشاعر (قصيدة ٣٤) : (٢)

- إننى أحفظ كثيرا من دواوين أشعار العرب ،
وأنت لاتستطيع قراءة : ألا هبى بصحنك فاصبحين.

والسبب الآخر هو أن منوچهرى كان شاعرا شابا يريد أن يخطو بخطى واسعة وسريعة فى الحياة ، ويتقدم على غيره من الشعراء الكبار الذين كان لهم نفوذ ومقام كبير فى البلاط الغزنوى آنذاك ، فسلك سبيل الإقتباس من اللغة العربية وآدابها ، واستعمل المهجور من ألفاظها ، فأظهر براعة فائقة مما حقق له ما كان يرجوه ووقف يدافع عن نفسه أمام حاسديه والحاقدين عليه وعلى تقدمه ، ومثال ذلك قوله (قصيدة ٣٤): (٣)

- لقد حسدنى الحساد وأنا وحيد هكذا ،
فانصف المظلومين يا عز أمير المؤمنين.

ونلاحظ من النماذج المقتبسة من الأشعار العربية أن منوچهرى تأثر بالمعلقات الجاهلية وخصوصا معلقة امرىء القيس ، كما تأثر بشعر أبى نواس والمتنبى ، ويمكن القول أن منوچهرى قد تأثر بتلك المدرسة التى كان يتزعمها ابن المعتز (٢٤٧ -

---

(١) دهـاد ايـزد مـرا در نظـم شـعرت دل بشـار وطبـع ابـن مقبـل

(٢) مـن بسـى ديوان شـعر تازيان دارم زبـر تو ندانى خواند : الا هبى بصحنك فاصبحين

(٣) حاسدان بر من حسد كردند ومن فردم چنين داد مظلومـان بـده اى عـز مير مؤمنين

٢٩٦هـ) فى كثرة إيراد التشبيهات والاستعارات وغير ذلك من فنون البديع والبيان فى الشعر.

وقد يعيب البعض على منوچهرى إستعماله للكلمات العربية المهجورة ، ولكن هذا العيب يتلاشى ويتضاءل أمام تشبيهاته وصوره البيانية الرائعة ، وإنما كان ذلك لبيان مقدرته وتمكنه من اللغة العربية قديمها وحديثها.

وقد كانت الطريقة المتبعة فى إنشاء قصائد المديح لدى شعراء الفرس هى أن تبدأ بوصف الطبيعة أو أحد فصول السنة ، ثم يخرج الشاعر من هذا إلى مدح الممدوح ، ولكننا نرى البعض الآخر ممن تأثروا القصائد العربية - وخاصة الجاهلية منها ومنهم منوچهرى - يحاولون تقليد العرب فى الوقوف على الأطلال والبكاء عليها ، وذكر المحبوبة وفراقه لها ، ثم ينتقل إلى وصف الصحراء والناقة ، ثم ينتهى بعد ذلك إلى مدح الممدوح ، ويتضح هذا فى قصيدة منوچهرى (رقم ٢٨) التى يقول فى مطلعها: (١)

- ألا يا أيها الخيام أنزل خيمتك ، فقد تقدم دليل القافلة وخرج من المنزل.

ويتضح فى هذه القصيدة النهج أو النمط العربى الذى أخذ منوچهرى يقلده بدقة ، فتبدأ قصيدته بوصف رحيله وفراقه لمحبوبته مما يؤثر فيها ويحزنها ، ويستمر فى رحلته على نجيبه ويصفه بأنه كالشيطان أو العفريت الهائل ، ثم يصف الصحراء وقسوتها وبرودتها ، ويواصل سيره حتى يصل إلى مكان ممدوحه ، فيأخذ فى مدحه ووصف محاسنه ، ويشبه وصوله إلى ممدوحه بوصول الشاعر العربى أعشى باهلة إلى ممدوحه ، ويدعو الله فى نهاية القصيدة بأن يهبه طبع بشار وابن مقبل فى نظم الشعر حتى يوفق فى مدح ممدوحه.

بعض الأفكار المقتبسة من الشعر العربى فى ديوانه :

ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المعانى والأفكار والصور التى إقتبسها منوچهرى من الشعر العربى ، ونضرب لذلك عدة أمثلة هى بالطبع وليدة إطلاعه على

---

(١) ألا يا خيمگى خيمه فروهل   كه پيشا هنگ بيرون شد ز منزل

الشعر العربى بقسميه الجاهلى والإسلامى ، وليست مجرد توارد أفكار عند شاعرين مختلفين فى اللغة والتعبير.

أ - يقول فى قصيدة له (٢٨) : (١)

- لقد صدق حكماء الزمان اذ قالوا :

إن العاقل يتحول إلى جاهل فى العشق

ويقول المتنبى فى مدح سيف الدولة : (٢)

إلام طماعية العاذل ولا رأى فى الحب للعاقل

ب - يقول فى قصيدة له (٧٢) : (٣)

- طرتاه ليلتان وخالاه مسكيان ،

وكلهم ظلام فى ظلام فى ظلام.

وهناك بيت من الشعر لشاعر عربى ورد فى كتاب " حدائق السحر فى دقائق الشعر " لرشيد الدين الوطواط يقول فيه:(٤)

فأحوالى وصدغك والليالى ظلام فى ظلام فى ظلام

وقال الشاعر محمود بن مسعود الأندخودى : (٥)

لطرته وخالاه وحالى ليال فى ليال فى ليال

ومنطقه ومبسمه ودمعى لآل فى لآل فى لآل

---

(١) حكيمان زمانه راست گفتند كه جاهل گردد اندر عشق عاقل

(٢) أنظر ديوان المتنبى - تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام - القاهرة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤م. ص ٢٥٨.

(٣) دو زلفش دو شب ودو خال مشكين ظلام اندر ظلام اندر ظلامست

(٤) حدائق السحر فى دقائق الشعر - رشيد الدين الوطواط - ترجمة إبراهيم أمين الشواربى القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ص ١٧٨.

(٥) لباب الألباب - محمد عوفى - ليدن ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦ م - جـ ١ ص ٢٠٨.

جـ - يقول فى قصيدة له (٢٨) : (١)

- وصلت إلى جانب القافلة تماما ،

كما تصل السفينة الى جوار الساحل.

ويشبه ابو نواس القافلة بالسفينة فى قوله : (٢)

خف من المربـد القطيــن وأقلقتهم نوى شطون

فاستفرغوا مشية المصلى كأن أظعانهم سـفين

د - يقول فى قصيدة له (٥٤): (٣)

- العظماء كقلادة من الخرز ،

وأنت كالياقوتة فى وسط هذا الخرز.

ويقول أبو نواس : (٤)

وإذا بنوالعباس عد حصاهم فحمد ياقوتها المستخلص

هـ - ويقول فى قصيدة له (٢٣) يصف الحصان : (٥)

- هو كحجر أسقطه السيل من فوق جبل ،

فأخذ يتدحرج من ناحية الى أخرى ومن أعلى إلى أسفل.

وهذه الصورة تذكرنا بقول امرىء القيس فى معلقته : (٦)

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل.

---

(١) رسيدم من فراز كاروان تنگ چو كشتى كو رسد نزديك ساحل

(٢) ديوان أبى نواس ص ٢٥٦ - مصر ١٨٩٨م.

(٣) بزركوا ران همچون قلادهء خرزند تو همچو ياقوت در ميانهء خرزى

(٤) ديوان أبى نواس ص ٤٢٣.

(٥) همچنان سنگى كه سيل أنرا بگرداند زكوه گاه زاتسو گاه زين سو گه فراز وگاه باز

(٦) شرح القصائد العشر - للإمام الخطيب التبريزى - طبعة صبيح ص ٤٠.

و - ويقول فى قصيدة أخرى (٣) : (١)

- وفى الصباح الباكر يرى فى الهواء قوس قزح ، كأنه لباس ملكى.
- وعلى جسده خمس قطع من الديباج الملون وقد برز ذيل كل قطعة منها .

وهذا يشبه قول الأمير سيف الدولة فى وصف قوس قزح : (٢)

وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا ... على الجو دكنا والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السـحاب بأصفـر ... على أحمر فـى أخضـر تحت مبيـض
كأذيال خـود أقبلـت فى غلائــل ... مصبغة والبعض أقصـر مـن بعــض

ويقول أبو نواس أيضا : (٣)

يباكرنا النوروز فى غلس الدجى ... بنـور على الأغصـــان كالأنجم الزهـــر
يلوح كأعلام المطــارف وشـــيه ... من الصفر فوق البيض والخضر والحمر

ز - ويقول فى قصيدة له (٥) : (٤)

- نريق جرعة من كأس الشراب على الأرض ،
فمن رسوم أهل الأدب أن يريقوا جرعة على الأرض دوما .
- فيالشدة البخل حين لايكون للأرض نصيبها من قدح الكريم.

وهذا المعنى يذكرنا بقول بديع الزمان الهمذانى : (٥)

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة ... وللأرض من كأس الكرام نصيب

ومن مظاهر التـأثير العربى فى شـعر منوچهرى أنه أخذ ينظم بعض قصـائده على وزن وقافية بعض القصائد العربية ، ويذكر فى نهايتها بعض الأبيات العربية التى

---

(١) با مدادان بر هوا قوس قزح ... بر مثال دا من شاهنشهى
پنــج ديبـاى ملــون بر تنـش ... باز جسته دامن هر ديبهى
(٢) أنظر لباب الألباب جـ ١ ص ٢٧.
(٣) ديوان أبى نواس ص ٢٢٢.
(٤) جرعه بر خاك همى ريزيم ازجام شراب ... جرعه برخاك همى ريزند مردان اديب
ناجـوانمردى بسـيار بـود چـون نبـود ... خاك را از قدح مرد جوا نمرد نصيب
(٥) أمثال وحكم - على اكبر وهخدا - طهران ١٣١٠ ، ص ٢١٨.

تشير إلى القصيدة التى نظم على وزنها ؛ بل إنه أحيانا يذكر إسم الشاعر العربى نفسه . ويشير فى بعض قصائده إلى بعض القصائد العربية المشهورة.

بعض المعانى المأخوذة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة :

أ - يقول الشاعر

- لديك نعم كثيرة وشكرك عليها أكثر ،
فكل من يشكر النعمة تزداد نعمه.

وهذا إشارة إلى قوله تعالى : وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ". (سورة إبراهيم - آية ٧).

ب - ويقول فى قصيدة له (٤٣): [١]

- ويوم غضبك لساعة واحدة يشبه ذلك اليوم الذى تطوى فيه السماء كطى السجل.

وذلك إشارة إلى قوله تعالى : " يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين " (سورة الأنبياء - آية ١٠٤).

جـ - يقول فى قصيدة له (١١) : [٢]

- إن ما أمرت به قد تم وما لم يعمل سيعمل ، ومايجب أن يكون قد كان ، جف القلم.

إشارة إلى الحديث الشريف : جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين ". [٣]

د - يقول فى قصيدة له (٧) : [٤]

- هو أفضل من كل خلق الدنيا بشيئين صغيرين ،
نعم هو أفضل بأصغريه : قلبه ولسانه.

إشارة الى الحديث الشريف : " المرء بأصغريه قلبه ولسانه ".

---

(١) ماند بساعتى زيكى روز خشم تو آنروز كاسمان بنوردند همچو طى
(٢) رفته وفرمودنى مانده وفر سودنى بود همى بودنى كلك فرو ايستاد
(٣) أنظر تعليقات دبير سياقى على ديوان منوچهرى ص ٢٤٢ - تهران ١٣٢٦.
(٤) مهتر ز همه خلق جهان او بدو كوچك مهتر بدو كو چك بد لست وبز بانست

٢- النثـــــر

كانت اللغة الشائعة فى عصر الساسانيين هى اللغة الفارسية الوسطى ، والتى يطلق عليها أيضا البهلوية أوالبهلوية الساسانية. وقد ظلت هذه اللغة تستعمل كلغة دينية وعلمية وأدبية لفترة بعد إنتشار الإسلام فى ايران لدى كل من ظل على دين أجداده من الايرانيين ، وباستعمال اللغة العربية أخذت هذه اللغة تضعف وتتوارى تدريجيا ، وأخذت اللغة الفارسية الإسلامية - التى تكتب بحروف عربية - تشق طريقها وتفرض نفسها على الساحة الأدبية ، وبهذا يبدأ عهد جديد فى الادب الفارسى.

ولاشك أنه كانت للإيرانيين كتابات ومؤلفات منذ عهد زرادشت ، ومنذ كتابة النقوش الهخامنشية وخاصة نقوش بيستون فى عهد داريوش وما تلاه ، وظهرت بعد ذلك مؤلفات كثيرة كتبت بالفارسية الإسلامية فى القرون الأولى للإسلام ، وقد فقد بعضها ولم يصل إلينا.

غير أن البداية الحقيقية للنثر الفارسى الإسلامى هى التى تبدأ فى القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر الميلادى) عندما حكمت الأسرة السامانية أجزاء كبيرة من المناطق الشرقية لإيران وحتى منطقة الرى. وقد أخذت هذه الأسرة على عاتقها إحياء اللغة الفارسية وآدابها ، وشجعت الكتاب على تأليف الكتب بالنثر الفارسى الحديث. ووصلت الينا مجموعة من المؤلفات التى تمتد على مدى قرن ونصف من الزمان ، كما ضاعت مجموعة أخرى نتيجة عدم إحتياج الناس إليها أحيانا أو نتيجة الغزوات والحروب والاضطرابات أحيانا أخرى.

ويمكن القول بأن العناية التى أولاها الحكام والأمراء للشعر والشعراء هى نفسها التى وجهوها للنثر وكتابه ، وخاصة بالنسبة للمؤرخين ومؤلفى الكتب العلمية ، وكانوا يغدقون الأموال والعطايا فى سبيل تأليف الكتب أو ترجمتها. وتعتبر قصة جمع شاهنامة أبى منصورى بأمر من أبى منصور محمد بن عبد الرزاق والمتاعب التى تحملها هو ووزيره فى هذا الصدد خير دليل على ذلك.

وكذلك تشجيع الأمير نصر بن أحمد على ترجمة كليلة ودمنة إلى الفارسية ، وتشجيع الأمير منصور بن نوح على ترجمة تفسير وتاريخ الطبرى ، وتشجيع علاء

الدولة كاكويه على كتابة دانشنامه بالفارسية ، وترجمة رسالة حى بن يقظان من العربية إلى الفارسية ، وأمثال ذلك.

والمعروف أنه خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين تم وضع الأسس والمعايير التى يقوم عليها بناء النثر الفارسى ، وكتبت عدة مؤلفات فى موضوعات مختلفة منها الموضوعات العلمية كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات وغير ذلك ، مما مهد السبيل أمام الكتاب فى العصور التالية. ويتميز النثر فى هذه الفترة بالسهولة والسلاسة والخلو من التعقيد والإبهام. كما بدأ تأثير اللغة العربية يظهر بوضوح فى تلك الفترة ، إلا أن الكتاب - وخاصة ممن ألفوا فى الموضوعات العلمية - حاولوا وضع مصطلحات فارسية فى مقابل المصطلحات العلمية ، وتظهر الألفاظ العربية بكثرة فى المتون الفارسية التى ترجمت عن العربية كما هو الحال فى ترجمة تاريخ الطبرى وتفسيره. ونلاحظ أن استعمال الألفاظ العربية فى الشعر الفارسى كان أكثر من إستعمالها فى النثر الفارسى ، وهذا أمر طبيعى حيث أن الشاعر يتعامل فى الشعر مع الوزن والقافية ، فتكون حاجته إلى الألفاظ العربية أكبر.

وهناك مجموعة من المؤلفات الفارسية كتبت فى أوائل القرن الرابع ولم تصل إلى أيدينا ، منها كتاب فى تفسير القرآن كتبه بالفارسية أبو على الجبائى فى القرن الثالث ، وكتاب " المعالجة البقراطية " لأحمد بن محمد الطبرى ، وبعض كتب الشاهنامات كشاهنامة أبى المؤيد البلخى ، وشاهنامة أبى منصور محمد بن عبد الرزاق.

أما المؤلفات النثرية الباقية من القرنين الرابع والخامس فهى كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

أ - رسالة فى أحكام الفقه الحنفى : ألفها أبو القاسم بن محمد السمرقندى (متوفى ٣٤٣هـ).

ب - عجائب البلدان : وينسب إلى أبى المؤيد البلخى ، ويتناول فيه مؤلفه عجائب البر والبحر ، ويقال أنه ألفه لأبى القاسم نوح بنى منصور الذى تولى السلطة عام ٣٦٥هـ.

جـ - تاريخ البلعمى : وهو ترجمة كتاب تاريخ الطبرى ، إلا أن مؤلفه قد حذف وأضاف إليه لذلك ينسب إليه ، وقد بدأ البلعمى وزير الأمير منصور بن نوح السامانى القيام بهذا العمل بأمر من ذلك الحاكم سنة ٣٥٢هـ.

د - ترجمة تفسير الطبرى : وهذا الكتاب ترجمة لكتاب " جامع البيان فى تفسير القرآن " لمحمد بن جرير الطبرى.

هـ - كتاب البارع : وهو مدخل فى أحكام النجوم من تأليف أبى نصر حسن بن على المنجم القمى ، ألف حوالى سنة ٣٦٧هـ.

و - حدود العالم من المشرق إلى الغرب : ألف سنة ٣٧٢هـ فى وصف الأرض وأقسامها ونواحيها ، والأقوام المختلفة وأحوالهم. ومؤلفه مجهول.

ز - التفهيم لأوائل صناعة التنجيم : لأبى الريحان البيرونى ، وقد ألفه بالفارسية عام ٤٢٠هـ ، ثم نقله بنفسه بعد ذلك إلى العربية. والكتاب فى علم النجوم والهندسة والحساب.

حـ - زين الأخبار : وهو كتاب فى التاريخ كتبه أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الگرديزى المعاصر للغزنويين ، ويشتمل كتابه على الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى نهاية عصر مودود بن مسعود الغزنوى (٤٣٢ - ٤٤٠هـ).(١)

نص مترجم من كتاب " زين الأخبار " :

الباب السابع

فى أخبار خلفاء وملوك الإسلام

أبو بكر الصديق

هو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب. تولى الخلافة فى سقيفة بنى ساعده يوم وفاة الرسول (صلعم) ، وصلى عليه عمر بن الخطاب. وكان إسمه فى الجاهلية " عبد الكعبة " ،

---

(١) أنظر ترجمة " زين الأخبار " للدكتورة عفاف السيد زيدان ص ٧٩ ومابعدها جـ ١ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م القاهرة.

وحينما أسلم أسماه الرسول (صلعم) : عبد الله.

وفى عهده ارتدت بعض قبائل اليمامة ، وإمتنعوا عن إخراج الزكاة ، فحاربهم وقتل الكثير منهم حتى أطاعوه وتابوا. وفى سنة أحدى عشرة أرسل عمر بن الخطاب فحج ، وفتح اليمامة. وقتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى.

وفى عام إثنى عشر حج ، وحينما وصل إلى المدينة أرسل جيشا إلى الشام عام ثلاثة عشر ، وحينما مات قفلوا عائدين من الطريق ، وأولاده رضى الله عنهم هم : عبد الله ، ومحمد ، وأسماء ، وعائشة.

عمر بن الخطاب

وهو أبو حفص ، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، وهو الذى جهر بإسلامه على باب الكعبة ، وفرق بين الحق والباطل ، ولهذا لقبوه بالفاروق. وتمت فى خلافته

النص الفارسى :

باب هفتم
اندر اخبار خلفا وملوك اسلام
ابو بكر صديق

او ابو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لوى بن غالب بود ، وآن روز كه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمان يافت . او بخلافت بنشست اندر سقيفهء بنى ساعده ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بر وى نماز كرد ، واو را اندر جاهليت عبد الكعب نام بود ، وچون مسلمانى آمد ، رسول الله صلى الله عليه وسلم او را عبد الله نام كرد وبه أيام او اندر اهل يمامه أهل ردت مرتد شدند ، از جهت دادن زكوة ابا كردند ، واو جهاد كرد ، ومردم بسيار از ايشان بكشت ، تا بطاعت آمدند وتوبه كردند ، وعمر بن الخطاب را اندر سنه احدى عشر بفرستاد تا حج كرد ويمامه را او بكشاد ، ومسيلمة الكذاب را واسود العنسى را او كشت. واندر سنه اثنى عشر حج بكرد . وچون بمدينه رسيد ، لشكر بشام فرستاد ، اندر سنه ثلث عشر . وچون او بمرد ايشان از راه باز گشتند . وفرزندان او رضى الله عنه : عبد الله ومحمد واسماء وعايشه بودند .

عمر بن الخطاب

او ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بود ، ونداى حق بر كعبه او آشكار كرد ، وفرق كرد ميان حق وباطل ، بدين سبب او را «فاروق» لقب كردند ، واندر خلافت او فتحهاء بسيار مر

كثير من الفتوحات للمسلمين ؛ فقد فتحت مدن كثيرة مثل بيت المقدس ودمشق صلحا على يد خالد بن الوليد ، وفتحت ميسان واليرموك والأهواز على يد أبى موسى الأشعرى ، وفتحت نهاوند على يد النعمان بن مقرن.

وفى خلافته كانت موقعة القادسية ، فقد واجه جيش خالد بن الوليد جيش العجم ، وإلتحم الجيشان فى صحراء القادسية ، وهزمت جيوش العجم ، وفر ملكهم يزد جرد بن شهريار ، فتقدم خالد بن الوليد وفتح العراق ، وحمل خزائن ملوك العجم وكنوزهم التى كانوا قد إكتنزوها منذ أربعة آلاف سنة ، وارسل إلى المدينة نصيب عمر.

وكان فتح العراق عام ثمانية عشرة ، وأبناؤه هم : عبد الله ، وحفصة ، وعبد الله وعاصم ، وفاطمة ، وأبو شحمة عبد الرحمن . وقد قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة.

عثمان بن عفان

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ، كنى أيضا بأبى عبد الله ، وتزوج ببنتى رسول الله (صلعم) ، وكان معطاء عظيم الجود والإنعام. وحينما تولى الخلافة أرسل بأول جيش إلى الرى بقيادة أبى موسى الأشعرى ، وفتحها ، ثم فتح الإسكندرية ، فشابور ، ثم

مسلمانانرا بر آمد ، وجايهاء بسيار كشاده شد وچون بيت المقدس ودمشق كشاده شد . بردست خالد بن الوليد بصلح ، وميسان ويرموك واهواز شهرها كشاده شد بردست ابو موسى الاشعرى . ونهاوند كشاده شد بر دست نعمان بن مقرن . وحرب قادسيه بروزگار او بود كه خالد بن الوليد بيامد ولشكر او پيش عجم آمد وبدشت قادسيه بر آويختند وسپاه عجم هزيمت شدند ، ويزدجر دبن شهريار كه ملك عجم بود بگريخت ، وخالد بن الوليد بيامد وعراق را فتح كرد ، وگنجهاى ملوك عجم را كه از چهار هزار سال باز نهاده بودند ، همه برداشت ، وآنچه نصيب عمر آمد به مدينه فرستاد ، وفتح عراق اندر سنه ثمان عشر بود ، وفرزندان او عبد الله وحفصه وعبد الله وعاصم وفاطمه وابو شحمه عبد الرحمن بودند . واو را بو لؤلؤه غلام مغيره كشت .

عثمان بن عفان

ابو عمرو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن اميه بن عبد الشمس بن قصى بن كلاب بن مره بود ، وكنيت او ابو عبدالله نيز بود ، واو به دو دختر مر رسول را صلى الله عليه وسلم داماد بود وسخت منعم بود، وچون بخلافت بنشست نخستين سپاه برى فرستاد بابو موسى الاشعرى وآنرا بكشادند .

إفريقية ، ثم قبرس من سواحل بحر الروم ، ثم مرو على يد عبد الله بن عامر بن كريز. وأبناؤه هم : عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، وعمر ، وأبان ، وخالد ، وعمرو ، وسعيد ، والوليد ، وأم سعيد ، والمغيرة ، وعبد الملك ، وأم أبان ، وأم عمر ، وعائشة.

وكان يمكث في بيته حينما قصده الغوغاء ، وحاصروا المنزل عليه ، ثم إقتحموه وقتلوه رضى الله عنه ، وهو يضع أمامه المصحف يتلوه ، وتخضب ذلك المصحف بدمائه ، وهو باق هكذا حتى الآن. وهو الذي جمع القرآن ورتبه. كما أودع الغنائم بيت المال ، ورتب الرواتب العشرينية للجيش ، وأودع دخل بيت المال في الخزائن.

على بن أبي طالب كرم الله وجهه

وهو أبو الحسن على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله (صلعم) ، لقبه حيدر الكرار ، وهو أول من آمن بالرسول (صلعم) ودخل في الإسلام.

وكان المدافع عن الإسلام ، الضارب بسيف الدين ، ويقولون : أنه لم يضرب كائنا حيا أكثر من ضربة واحدة إلا وقتله في الضربة الأولى. وأبناؤه هم : الحسن ، والحسين ، ومحسن ، وأم كلثوم الكبرى ، وزينب الكبرى ، وهؤلاء جميعا من فاطمة

پس اسكندريه بكشاد ، پس افريقيه ، پس قبرس از سواحل درياء روم ، پس مرو كشاده شد بر دست عبد الله ابن عامر بن كريز وفرزندان او عبد الله الأكبر بود وعبد الله الأصغر وعمر وابان وخالد وعمرو وسعيد ووليد وام سعيد ومغيره وعبد الملك وام ابان وام عمر وعايشه بودند . واو اندر خانهٔ خويش نشسته بود ، كه غوغا بيامدند وقصد او كردند وخانه بر وى حصار كردند. پس غوغا اندرو افتاد واو را بكشتند . واو جامع قرآن پيش نهاده بود وقرآن همى خواند واو بكشتند . آن جامع از خون او بيالود وتا بدين غايت هم چنان مانده است. وقرآن او جمع كرد، وترتيب نهاد ، ومال غنايم بيت المال آوردن او بنهاد ولشكر را بيستگانى كرد ، ودخل بيت المال را اندر خزينه نهاد .

على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، رضى الله عنه

ابو الحسن على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بود ، پسر عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقب او حيدر الكرار بود ، ونخستين كسى كه بر پيغمبر (ص) بگرويد واندر مسلمانى آمد او بود ، ومبارز اسلام وشمشير دين بزد ، وچنين گويند كه : هر گز هيچ

بنت رسول الله (صلعم). ومن نسائه الأخريات : محمد ، وعبيد الله ، وأبو بكر ، وعمر، ورقية ، ويحيى ، وجعفر ، وعباس ، وعبد الله ، ورملة ، وأم الحسن ، وأم كلثوم الصغرى ، وجمانه ، وميمونة ، وخديجة ، وفاطمة ، وأم الكرام ، ونفيسة ، وأم سلمة ، وأمامة ، وأم أبيها.

حارب فى موقعة الجمل عام ست وثلاثين ، وحارب معاوية فى موقعة صفين سنة سبع وثلاثين.

وصرف معاوية وأهل الشام كل جهدهم فى الحيلة والخداع ، كما كان عمرو بن العاص يدبر لمعاوية ، وقد فعل معاوية بمشورته حتى إستولى على الملك. وقد امتدحه رسولنا محمد (صلعم) فقال : " إن إبنى هذين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما "، يعنى الحسن والحسين ، وأبوهما على خير منهما. وقد رويت أخبار كثيرة عن فضائله ، ونزلت آية فى شأنه رضى الله عنه. وأخيرا قتل وإستشهد على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادى.

جانورى را بيش از يك زخم نزده بود الا بزخم نخستين كشت .
وفرزندان او حسن وحسين ومحسن وام كلثوم الاكبر وزينب الاكبر اين همه از فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بودند . ومحمد وعبيد الله وابا بكر وعمر ورقيه ويحيى وجعفر وعباس وعبد الله ورمله وام الحسن وام كلثوم الاصغر وجمانه وميمونه وخديجه وفاطمه وام الكرام ونفيسه وام سلمه وامامه وام ابيها از زنان ديگر بوده .
وحرب جمل او كرد اندر سنه ست وثلثين ، وحرب صفين او كرد اندر سبع وثلثين با معاويه وشاميان ومعاويه باوى بسيار حيلتها كردند وذرع كردند وعمرو بن العاص تدبيرها كرد از بهر معاويه ، ومعاويه باشارهء او تلبيس ها كرد ، تا ملك بگرفتند ، وپيغمبر ما صلى الله عليه وآله وسلم ، او را بستود وگفت : "إن إبنيّ هذين سيدا شباب أهل الجنة وابوهما خير منهما، يعنى الحسن والحسين وابوهما على خير منهما". وبسيار خبر آمده است اندر فضل او ، وآيت آمده است اندر شان او رضى الله عنه .
آخر كشته وشهادت يافت بردست عبد الرحمن بن ملجم المرادى .
(زين الأخبار – ابو سعيد الگرديزى – ص ٥٣، ٥٤، ٥٥ – تهران ١٣٤٧).

نموذج مترجم من كتاب تاريخ الطبرى وهو الترجمة الفارسية للكتاب العربى (تاريخ الرسل والملوك) تأليف الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الذى عاش فى القرنين الثالث والرابع الهجريين والمتوفى سنة ٣١٠هـ ، ويعرف هذا الكتاب عند الإيرانيين أيضا بإسم تاريخ البلعمى نسبة إلى مترجمه كما ذكرنا . (١)

" فتح مدن فارس : ما أن هل العام الثالث والعشرون من الهجرة حتى نما إلى علمه فى بداية هذا العام أن شهرك ملك فارس قد جمع جيشا جرارا وتمركز فى منطقة توج ، تلك التى تعرف فى الفارسية باسم توز وإليهاتنسب الأردية التوزية ، وتوج هذه تقع على مشارف فارس وعلى مقربة من الأهواز ، كما تجمع جيش الأهواز وجيش العجم كله. وعندما بعث عمر بالجيش الإسلامى لم يعين له قائدا عاما ، ولكنه أمر على كل مدينة أحد القواد ، وقال : لقد تجمع جيش فارس فى بقعة واحدة ، وهم يستعدون للحرب ، فإذا ما صرتم إلى فارس ، فلاتتقدموا إلى حيث يتواجدون ، حتى يفل التدبير والإستعداد من عزائمهم. وبعد ذلك فليحاربهم كل منكم فى البلدة التى يعين عليها. ثم عهد بمدينة توج إلى مجاشع بن الثقفى ، وأعطى أمر شابور واصطخر إلى عثمان بن أبى العاص ، وأقطع أمر شيراز إلى أخيه الحكم بن العاص ، وعهد إلى سارية الربلى بأمر پسا ودار جرد وأخيرا توجه هؤلاء القواد بجيوشهم. أما عن جيوش فارس السابق تجمعها بقيادة شهرك بمدينة توج ، فقد دبت الفرقة بين صفوفهم

---

(١) أنظر كتاب "من روائع الأدب الفارسى" - دكتر بديع محمد جمعه - بيروت ١٩٨٠م - ص ٣٤-٣٧.

النص الفارسى :

فتح شهرهاى فارسى

چون سال بيست وسيم از هجرت شد ، در اول سال اورا خبر آمد، كه شهرك ملك فارسى سپاه بسيار جمع كرده است بتوج ، وتوج بفارسى توز است . وآن جامهء توزى از آنجا آوردند ، وآن بكرانهء پارسى است ، بجانب اهواز . وسپاه اهواز وعجم همه جمع شدند . عمر چون سپاه را بفرستاد ، كسى را سپهسالار نكرد . وليكن هر سرهنگى را بر شهرى امير كرد وگفت : سپاه فارسى بيك جاى گرد آمدند ، وتدبير حرب ميكنند ، وشما چون بفارس شويد ، آنجا كه ايشانند ، مرويد . تا ايشان را تدبير شكسته شود . پس هر كسى با آن سپاه وى كه بشهرى آيند ، حرب كنند . وشهر توج را بمجاشع ابن الثقفى داد وشاپور واصطخر را بعثمان ابن ابو العاصى داد وشيراز را به حكم بن العاص برادر او وپسا ودار گرد را بسارية

وانفرط عقد تدبيرهم ، فكان هذا الأمر مساويا للهزيمة ، وهنا تقدم مجاشع الموكل إليه أمر توج وپشاور صوب شيراز ، وكانت بعض الجيوش مازالت متواجدة بمدينة توج ، فتمكن مجاشع وجيشه من التقدم والإنتشار والتغلب على تلك الجيوش ، وغنموا أموال تلك الديار ومجاشع هذا أخو أبى عبيدة بن مسعود الذى مات يوم موقعة الجسر تحت أقدام الفيل الأبيض ، كما أنه والد مختار الثقفى ، وقد تمكن من فتح مدن فارس واصطخر وتوج.

وبعد أن فتح مجاشع توج ، وزع أموالها على المسلمين ، كما أرسل خمس الغنائم الى خليفة الزمان مصحوبا بكتاب الفتح. أما عثمان بن أبى العاص فقد تقدم بجيوشه صوب اصطخر ، فسارع اصطخر - وهو من سميت المدينة باسمه ، ويعرف فى اللغة العربية باسم جور ، والى هذه المدينة ينسب ماء الورد الجورى - إلى ملاقاته، فتحارب عثمان مع هذا الجيش وهزمه ، ثم تقدم إلى بوابة إصطخر وحاصر المدينة وحارب جيشها وتم له فتحها.

وبعد ذلك أرسل إلى الخليفة ببشارة الفتح وجزء من الغنائم. أما الحكم بن العاص أخو عثمان فقد توجه صوب شيراز حيث أعاد شهرك جمع جيوشه والتمركز هناك ، وكان جيشه الكثيف قد تدجج أفراده بالدروع لدرجة أنه لم يكن يرى من المحارب إلا عيناه فقط ، وتجمع مع الحكم جيش كثيف كذلك حيث سارع جميع شيوخ

ابن وهم الربلى داد . اميران كه گفته آمد با سپاه برفتند بشهرك با همه سپاه فارسى بتوج جمع شده بودند پراكنده شدند ، وتدبيرهاى ايشان بشكست ، واين كار برابر بهزيمتى بود . مجاشع حاكم توج وپشاور بشيراز آمدند ، وجمعى سپاه در توج مانده بود . مجاشع با سپاه خويش تاختن برد ، وآن سپاه را بكشت ، واموال آن ديار غنيمت نمود. ومجاشع برادر بو عبيدة بن مسعود بود ، كه حرب وقعت الجسر بود ، در زير پاى فيل سفيد كشته شد . واو پدر مختار بود ، وآن شهرهاى فارسى ، اصطخر وتوج گشاده بود ...

پس مجاشع توج را بگشاد ، واموال آن بر مسلمانان قسمت نمود ، وضمن آنرا بخليفهء زمان فرستاد با فتح نامه ، وعثمان بن ابو العاص باسپاه خويش باصطخر شد . وسپاه اصخطر پيش وى آمد ، شهرى نام وى كرد ، وبتازى جور خوانند . واين ان شهريست كه گلاب جورى از آنجا آورند. عثمان با ايشان حرب كرد ، وايشانرا هزيمت نمود ، وبدر اصطخر آمد. وشهر بحصار گرفت ، وبا ايشان حرب كرد ، وشهر بگشاد ، وخبر فتح با غنيمت بخليفه فرستاد. وحكم بن العاص برادر عثمان روى بشيراز نهاد. شهرك با سپاه بسيار از توج پيش باز او

العرب ووجهائهم ومبارزيهم ، ومنهم عبد الله معمر التميمى وشبل بن معبد البجلى وجارود العهدى وأبو مهلب بن أبى صفرة لملاقاة جيش شهرك.

وعندما أشرقت الشمس ، ووجهت أشعتها صوب جيش المسلمين ، ألهبت عيونهم وحماسهم ، لذا ما إن جاءت لحظة الحرب حتى ألحقوا الهزيمة بجيوش شهرك وقتلوا الكثيرين منهم ، كما قتل الحكم بيديه كلاً من شهرك وإبنه. ويقال إن أحد الأعاجم ويدعى اردانيان كان منضما إلى شهرك ، ولكنه وجنده أثروا السلامة. وهكذا هزم شهرك وغنم الحكم (بن العاص) مغانم وفيرة قسمها بين المسلمين ، ثم أرسل إلى عمر بن الخطاب أخبار الفتح والغنائم. أما سارية فقد توجه صوب پسا ودارجرد وقام بمحاصرتهما وظل المسلمون محاصرين لهما ثلاثة أشهر ، حتى طلب المحاصرون المدد والعون من ذويهم من العجم ، فجاءتهم جماعات عديدة من الأطراف المجاورة ، وهنا خرج المحاصرون لكى ينضموا إلى صفوف الأعاجم الوافدين وليحاربوا المسلمين ، ولذا تمكنوا من قتل عدد كبير من جيش المسلمين ، وكان ذلك يوم الجمعة ، يوم الصلاة، ومع ذلك إستمرت الحرب ، وكان على مقربة من مواقع الجيش الإسلامى جبل عظيم ، فحاصر الكفار المسلمون وأعملوا فيهم قتلا حتى ضاق الأمر بالمسلمين ، وخافوا الهزيمة. ولكن سارية والمسلمين واصلوا الحرب ، حتى سمعوا صوت عمر

آمد ، همه سلاح ، چنانكه جز چشمشان هيچ جا برهنه نبود ، وبا حكم نيز سپاه بسيار بود . پيران ووجوه عرب مهتران ومبارزان پيش آمدند ، چون عبد الله معمر التميمى وشبل بن معبد البجلى وجارود وابى مهلب ابو صفره با سپاه شهرك برابر شدند .

چون آفتاب برايشان تافت ، روشنى بر لشكر مسلمانان افتاد . چشمها از آن روشنى مى سوخت . چون لحظهء حرب نمودند ، لشكر شهرك رو بهزيمت نهادند ، ومسلمانان كشتن بسيار كردند ، حكم بدست خويش شهرك وپسرش را بكشت ، مردى از عجم با شهرك بود نام او را اردانيان، او با خيل خويش بزينهار حكم آمد . وسپاه شهرك به هزيمت شدند. حكم غنيمت بسيار يافت ، وبر مسلمانان قسمت نمود ، وخبر فتح وغنيمت بعمر بن الخطاب فرستاد . وساريه سوى پسا ودا را جرد شد ، ايشان در حصار شدند ، ومسلمانان مدت سه ماه بر در حصار ماندند ، أهل حصار از عجمان يارى خواستند جمعى از اطراف وجوانب آمدند ، وأهل حصار نيز بيرون آمده با يكديگر ملحق شدند وبا مسلمانان جنگ كردند واز لشكر اسلام بسيارى كشته شد ، روز آدينه بود ، وقت نماز وحرب بر پياده دشت بود ، وبنزديك لشكر مسلمانان در آمدند وكشتن ميكردند وكار بر مسلمانان تنگ شده بود ، وبيم

يقول : يا سارية الجبل. أى يا سارية خذ حذرك من الجبل. فقال سارية للجيوش : لقد سمعت صوت عمر ، ومازلت أسمعه ، ولكن كيف يكون صوت عمر وبيننا وبينه مسيرة أيام عديدة . وأخيرا احتمى سارية بالجبل ، فوجد وجيشه الأمن والأمان. وفى اليوم التالى واصلوا الحرب ونالوا الظفر.

وبعد ثلاثة أشهر من الحصار سمع عمر بأخبارهم ، وشغل قلبه بأمورهم ، وكانت الليلة ليلة الجمعة فرأى فى منامه أنهم قد واصلوا الحرب ، وكلما حاربوا أصابوا غنائم وفيرة ، وأخيرا أرسلت أخبار فتوحات سارية إلى عمر رضى الله عنه ، ومن بين الأموال التى أرسلت إلى عمر سفط ملئ بالجواهر.

وعندما وفد الرسول إلى عمر ، كان عمر بالمسجد حيث أقيمت الموائد ، إذ كان يوزع الطعام على عدد كبير من الخلق. فقد كان عمر يذبح فى كل يوم جملا من بيت المال ، ويخصصه لإطعام الخلق فى المسجد ، وبخاصة المساكين والفقراء والغرباء وعابرى السبيل ، فجاء هذا الرسول ووقف أمام عمر ، فظنه عمر أحد الغرباء جاء يطلب طعاما ، فقال له : اجلس وإطعم شيئا ، ثم شغل هو بتوزيع الطعام على الخلق دون أن يأكل شيئا ، إذ كان يأكل دائما مع أسرته. وعندما أكل الجمع ، توجه عمر

هزيمت بود ، ساريه ومسلمان حرب ميكردند ، آواز عمر شنيدند ، چنانكه ميگفت : يا ساريه ، الجبل ، الجبل. ميگويد : اى ساريه كوه گير . ساريه لشكر را گفت : من آواز عمر شنيدم ومى شنوم. وليكن آواز عمر نشايد بودن ، چرا كه ميان ما وعمر چند روزه راهست . پس ساريه پشت بكوه داد آنشب ايمن شدند . پس ديگر روز حرب كردند ، وظفر يافتند .

بعد از سه ماه كه بر در حصار بودند عمر خبر ايشان شنيده بود ، ودلش مشغول بود : آنشب آدينه بخواب چنان ديد كه : ايشان حرب ميكردند ، وچون حرب ببود مال بسيار يافت . وخبر فتح ساريه بعمر - رضى الله عنه - فرستاد . ودر ميان آن اموال سفطى بود پر از گوهر آنچنان به جنس ، آن را بسوى عمر فرستاد چون رسول بيامد ، عمر در مسجد بود وخوان نهاده ، مردم را نان ميداد ، وعمر هر روزى از بيت المال شترى بكشتى ، ودر مسجد بمردم طعام دادى بتخصيص بدرويشان وفقيران وغريبان وره گذريان . اين رسول بيامد ودر پيش عمر بايستاد . عمر پنداشت كه او غريب است . وبطلب طعام آمده است . او را گفت : بنشين وچيزى بخور وخود بمردم طعام ميداد . اما نميخورد وطعام با عيال خويش خوردى .

پس چون مردمان طعام بخوردند ، بخانهء خود رفت . وآن رسول از عقب او ميرفت . او را

صوب داره، فسار ذلك الرسول فى أثره. فقال له : هيا ، ادخل. فدخل ذلك الرجل. جلس عمر وطلب الطعام ، فأحضرت إليه زوجته أم كلثوم إبنة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وعاءً به خبز من شعير وقدر من الزيت وقليل من الملح الخشن. فقال لها عمر : ألم تطهى شيئا ؟ فقالت : كيف أفكر فى الطهى وليس لى رداء أرتديه ، فقد كانت أردية أم كلثوم ممزقة. فمازحها عمر قائلا : ما حاجتك للرداء ؟ كفاك أنك إبنة على بن أبى طالب وزوجة عمر. بعد ذلك قال عمر للرسول : بسم الله تناول الطعام ، إذا كانت أم كلثوم عنا راضية ، لأعدت لنا طعاما. وبعد أن تناولا الطعام أدرك الرجل أن عمر لايعرفه ، فقال : يا عمر ، أنا رسول سارية جئتك بأخبار الفتح والغنيمة والخمس. فقال عمر : الحمد لله ، ثم نظر إليه وسأله عن كل شئ ، فأخبره الرجل بكل شئ ، ثم وضع السفط أمام الخليفة.فقال عمر : أعد هذا إلى سارية ، وقل له : وزعه بين المسلمين الذين شاركوا فى الحرب. فهو حق لهم. وأخيرا خرج ذلك الرجل من البيت ، وتوجه للإلتحاق بخدمة سارية ".

گفت : درآی ، آن مرد درون شد . عمر بنشست ، طعام طلب نمود ، وزن او ام کلثوم دختر امير المؤمنين على كرم الله وجهه زن او بود . طشتی نان جو وقدری روغن زیت وأندك نمك درشت پیش آورد. عمر اورا گفت : چون چیزی نپختی ؟ گفت : چون تردد طبخ کنم که مرا جامه نیست که بپوشم ، وجامه ام کلثوم دریده بود ، عمر با او مزاح کرد که ترا جامه بچه کار آید ، ترا همان بس که دختر علی بن ابی طالب باشی وزن عمر . بعد از آن عمر رسول را گفت : بسم الله طعام بخور که اگر ام کلثوم از ما خوشنود بودی ، طعام ما بر ترتیب بودی . پس چون طعام بخوردند ، آن مرد دانست که عمر او را نمیشناشد. گفت : یا عمر من رسول ساریه ام بخبر فتح وغنیمت وخمس . عمر گفت : الحمد لله وروی بدو نهاد ، واز هر جای از وی پرسید واو میگفت . پس آن سفط پیش خلیفه نهاد . عمر گفت : این را بنزد ساریه باز بر واورا گوی ، این را بر مسلمانان قسمت کن ، که با تو در حرب بوده اند که بر ایشان واجب است . پس آن مرد از خانه بیرون آمد ومتوجه خدمت ساریه شد .

الفصل الثانى
الابتهال إلى الله ونعت الرسول
ومناقب الخلفاء الراشدين



أولا : الابتهال إلى الله

حفلت جميع المنظومات والكتب النثرية الفارسية ، وبخاصة تلك التى ألفت فى العصور الذهبية للأدب الفارسى امتداداً من العصر الغزنوى حتى العصر التيمورى، على أن يفتتحها مؤلفوها بحمد الله والثناء عليه ، وتقديم فروض الشكر والعرفان على عظيم نعمه وجميل كرمه ، وقد شارك فى هذا الأمر جميع من ألفوا ونظموا أيا كان موضوع كتاباتهم ونظمهم ، سواء أكانت هذه المؤلفات والمنظومات تدور حول موضوعات الأدب أو التاريخ أو اللغة أو غيرها من الموضوعات التى تحفل بها المكتبة الفارسية الزاخرة بشتى الموضوعات ، ولما كانت هذه المشاركة واسعة سعة ألوان الأدب والفكر الفارسى ، متعددة بتعدد الشعراء والكتاب فإننا سنحاول أن نقصر حديثنا على تقديم نماذج جيدة من نظم وكتابات كبار الشعراء والأدباء توخيا لعدم الإطالة التى لا يتحملها فصل فى كتاب ، ولأن هذا الموضوع إذا أردنا أن نوفيه حقه من الدراسة والتحليل فسيحتاج إلى عدة كتب لا إلى كتاب واحد.

وإذا كانت الشاهنامة للفردوسى (١) أكبر وأهم منظومة فارسية وفيها حرص ناظمها على أن يحكى تاريخ إيران الأسطورى قبل الإسلام ، لتكون مجالا لفخر الإيرانيين وبيان مكانتهم بين جيرانهم قبل أن تتشرف إيران بدخول الاسلام إليها. فإن الفردوسى – على الرغم من شعوبيته – لم يكن فى مقدوره أن ينظم منظومته دون مقدمة يبتهل فيها إلى الله عز وجل ، وبخاصة أنه كان سيقدمها إلى الفاتح العظيم والقائد الإسلامى الكبير محمود الغزنوى الذى بفضله دخل الإسلام الهند بعد أن حطم

---

(١) الفردوسى : ولد أبو القاسم الفردوسى عام ٣١٩هـ بمدينة طوس ، ولما نبغ فى النظم ضمه السلطان محمود الغزنوى إلى بلاطه وشجعه على نظم الشاهنامة مقابل مكافأة مجزية ، ويقول الايرانيون ان محمودا الغزنوى لم يف بما وعد وخفض مقدار المكافأة ، ولعله فعل ذلك لما وجد أن الشاهنامة قد حفلت بالاشادة بالعنصر الايرانى الأرى فى مقابل الاقلال من شأن العنصر التركى الذى ينتسب إليه محمود الغزنوى ، والعنصر العربى الذى ينتسب إليه الخليفة العباسى الذى كان محمود الغزنوى يكن له كل احترام وتبجيل.
ويقال ان الفردوسى قد تأثر بذلك الموقف تأثرا شديدا واعتلت صحته وودع الحياة عام ٤١١هـ أو ٤١٦هـ ودفن بمسقط رأسه طوس حيث يوجد قبره حتى الآن.



أصنام الشرك والوثنية هناك. ومما جاء في مقدمة الترجمة العربية للشاهنامة والتى أنجزها البندارى بنوع من التصرف والايجاز ، مايلي :

فاتحة الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم

باسم رب الروح والعقل الذى لامجال للفكر فوق علائه. رب الاسم والمكان المقيت ومرسل الهداة بنعمائه ، رب كيوان والفلك الدوار ، ومنير الشمس والزهرة والقمر السيار ، المتعالى على الأسماء والسمات والأوهام ، الخالق فى السماء عوالى الأجرام ، لاتدركه الأبصار فلاتجهد عينيك ، ولا يحده الاسم والمكان ، فماذا يجدى الفكر عليك ؟ إن يعد الروح والعقل هذه الجواهر ، فكلاهما فى الطريق إليه حائر ، وإن تخير الفكر الكلام فقصاراه.أن يصف مايراه ، لاسبيل إلى الثناء عليه فى حقيقته ، وإنما واجبك أن تشمر لعبادته ، هو للعقل والروح قائد ، فكيف يحيط به الفكر الجاهد؟ لن تدركه برأيك هذا وعدتك ، وإن شققت على روحك وعقلك ، حسبك أن تقر بوجود الديان ، وأن تكف عن هذا الهذيان ، وأن تعبده وتستهديه وتطيع أوامره ونواهيه ، من عرف فقد قدر، وبالمعرفة يشب القلب إذا هتر ، ليس للكلام وراء هذا الحجاب محال ، وسعى الفكر لإدراكه خيال محال.(١)

---

(١) الفردوسى : الشاهنامة ، ترجمة البندارى ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص : ٥، وها هو النص الفارسى المقابل لهذه المقدمة نقلا عن منتخب شاهنامه، باهتمام محمد على فروغى وحبيب يغمائى ، ص : ١ ، طهران ١٣٥٤ هـ.ش.

بنام خداوند بخشنده مهربان

بنام خداوند جان وخرد — كزين برتر انديشه بر نگذرد
خداوند نام وخداوند جاى — خداوند روزى ده رهنماى
خداوند كيهان وگردان سپهر — فروزندهٔ ماه وناهيد ومهر
ز نام ونشان وگمان برترست — نگارندهٔ بر شده گوهرست
٥ - ببينندگان آفريننده را — نبينى برنجان دو بيننده را
نيابد بدو نيز انديشه راه — كه أو بر تر از نام واز جايگاه
سخن هر چه زين گوهران بگذرد — نيابد بدو راه جان وخرد
خرد گر سخن بر گزيند همى — همان راگز يند كه بيند همى
ستودن نداند كسى او را جوهرست — ميان بندگى را ببايدت بست
١٠ - خرد را وجان را همى سنجد او — در انديشهٔ سخنه كى گنجد او
بدين آلت وراى وجان وروان — ستود آفريننده را چون توان ؟ =

وهكذا بدا الفردوسى منظومته بحمد الله والثناء عليه والاعتراف بجميله ، والإقرار بعجز العقل البشرى عن إدراك ذاته . والدعوة إلى الإقرار بربوبيته وإطاعة أوامره ونواهيه طاعة العبد المؤمن بربه ، الشاكر لأنعمه ، المسبح بقدرته ، وأن هذا الأمر بعيد عن الجدال والقيل والقال..

وهذا شاعر كبير آخر هو نظامى الگنجوى ، (١) شاعر الفضيلة صاحب مخزن الأسرار وخسرو وشيرين وليلى والمجنون وهفت پيكر وغيرها من المنظومات الرقيقة المستوى فى النظم والفكر ، والتى أقبل العديدون من الشعراء داخل إيران وخارجها على محاكاتها وتقليدها والنظم على هداها . وقد بدأ منظومته الأولى مخزن الأسرار بأبيات عديدة فى التوحيد والمناجاة ، أورد منها على سبيل المثال ترجمة لبعض أبياتها:

فى التوحيد والمناجاة

– بسم الله الرحمن الرحيم
مفتاح باب كنز الحكيم
– اسم الله فاتحة الفكرة وخاتمة الكلام
فلتختم باسمه على الدوام كل كلام
– هو السابق على وجود كل موجود
وهو الباقى بعد فناء كل مخلوق

= بهستيش بايد كه خستو شوى ... ز گفتار بيگار يك سو شوى
پر ستنده باش وجوينده راه ... بفرمانها ژرف كردن نگاه
توانا بود هركه دانا بود ... بدانش دل پير برنا بود
١٥ – از ين پرده برتر سخن گاه نيست ... بهستيش انديشه را راه نيست

(١) نظام الگنجوى شاعر من رجال القرن السادس الهجرى ، ولد فى عام ٥٣٥هـ وتوفى عام ٥٩٩هـ وكانت ولادته بمدينة گنجه ، وقد تميز بين شعراء الفارسية عامة بالذكاء النادر والخلق الرفيع ، حتى أطلق عليه الكثيرون لقب " شاعر الفضيلة " وشهرته ترجع إلى تفوقه فى ميدان القصص الشعرى ، ومازال حتى الآن يحتل المكانة الأولى فى هذا المجال الهام ، وله خمسة منظومات شهيرة هى : مخزن الأسرار ، خسرو وشيرين ، ليلى والمجنون ، اسكندر نامه وهفت پيكر إلى جانب ديوانه الشعرى.

" لمعرفة المزيد يرجى الرجوع إلى كتاب المرحوم الدكتور/ عبد النعيم حسانين : نظامى الگنجوى، شاعر الفضيلة ، عصره وبيئته ، وشعره " القاهرة : ١٩٥٤م."

– هو الأول والآخر فى الوجود والصفات
وهو مانح الوجود والعدم لكل الكائنات
٥ – هو الأول بلا ابتداء
وهو الآخر بلا انتهاء
– كل ماعداه لابقاء له
وهو المقدس حيث لا فناء له
– يا من جميع الوجود نفحة منك
ويا من استمد التراب الضعيف (١) القوة منك
– جميع الكائنات محيط بها علمك
ونحن قائمون بفضلك ، أما أنت فقائم بذاتك
– وجودك لا تحده صورة
فلست شبيها بأحد ولا أحد شبيه بك
١٠ – أنت من لايقبل التغيير أو التبديل
ومن لا يلحق به موت أو فناء
– جميعنا إلى فناء ، والباقى أنت وحدك
وأنت الجدير بالملك العالى والتقدس وحدك
– بأمرك استقرت الأرض مكانها
وبأمرك ارتفعت القبة الخضراء بلا عمد (٢)

* * *

(١) كناية عن الجسد.
(٢) نظامى كنجوى : مخزن الأسرار : تهران ١٣٧٣ ش ، الصفحة الأولى ومابعدها والنص الفارسى كمايلى :

در توحيد ومناجات

بسـم اللـه الرحمن الرحيـم — هسـت كليـد در گنـج حليـم
فاتحـهء فـكرت وختم سـخن — نام خداى است ، بر او ختم كن
پيش وجود همهء آيندگـان — بيـش بقـاى همـهء پايندگـان
اول وآخر به وجود وصفـات — هسـت كن ونيسـت كن كائنـات
٥ – اول او اول بى ابتداست — آخـر او آخـر بـى انتهاسـت =

لقد بدأ نظامى الكنجوى منظومته مخزن الأسرار بتوحيد الله عز وجل ، وأنه متفرد بصفاته وذاته ، وهو الأول والآخر ، وهو الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولانوم ، ولايلحق به موت أو فناء ، وهو مالك الملك القدوس المتعالى على كل ملك أرضى ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مناجاة الله عز وجل واهب الوجود لكل المخلوقات المحيط علمه بكل الكائنات خالق الأرض والسموات، إلى غير ذلك من الصفات القدسية اللائقة برب العزة والجلال.

* * *

وهذا شاعر فارسى كبير آخر نظم العديد من المنظومات الفارسية ذات القيمة العالية ، هو الشاعر فريد الدين العطار[1] صاحب منطق الطير والهى نامه ومصيبت نامه وپند نامه وتذكرة الأولياء وغيرها من المؤلفات والمنظومات التى توضح علو مكانته فى النظم والفكر ، وقد بدأ جميع منظوماته بحمد الله والثناء عليه ، ولكننا سنكتفى بترجمة بعض ما قاله فى مقدمة منظومته الكبرى منطق الطير :

– حمدا لله الطهور خالق الروح
واهب حفنة التراب الإيمان والروح
– هو من شيد عرشه فوق سطح الماء
ونثر أعمار الخلق فى مهب الرياح

= هر چه جز اوهست ، بقاييش نيست — اوست مقدس كه فناييش نيست
اى همه هستى زتو پيداشده — خاك ضعيف ، از تو ، توانا شده
زير نشين علمت كائنات — ما به تو قائم ، چو تو قائم به ذات
هستى تو صورت پيوند ، نه — تو به كس وكس به تو مانند ، نه
١٠ – آنچه تغيير نپذ يرد تويى — وانكه نه مرده است ونه ميرد تويى
ما همه فانى ، وبقا پس تو را ست — ملك تعالى وتقدس تو را ست
خاك به فرمان تو دارد سكون — قبهء خضرا ، توكنى به ستون

(١) فريد الدين العطار : ولد بمدينة نيسابور عام ٥٤٥هـ وتوفى بها عام ٦٢٧هـ ومازال قبره موجودا بها حتى الآن ، عمل بالعطارة والطب فى بداية حياته العملية لذا لقب بالعطار له عدة منظومات شهيرة أهمها منطق الطير وإلهى نامه ومصيبت نامه وپند نامه الى جانب كتاب نثرى واحد يتحدث فيه عن سير الأولياء والمشايخ وهو كتاب تذكرة الأولياء.

- إنه من رفع السماء إلى أعلى عليين
وأنزل الأرض إلى أسفل سافلين
- فى ستة أيام خلق سبعة أنجم
كما خلق تسع سموات بحرفى الأمر كن
٥ - وهو من أذاب البحر تسليما لأمره
كما دك صرح الجبل رهبة منه
- وهو من أمر بعوضة حقيرة بالوقوف على رأس عدوه
فاستقرت فى رأسه أربعمائة عام (١)
- وبحكمته وهب العنكبوت شباكا (٢)
فكانت فيها سلامة الرسول
- وعقد للنملة وسطا دقيقا كالشعرة
ثم كان لها الحوار مع سليمان (٣)
- وخلع عليها خلعة الخلافة السوداء
كما وهبها سورة " طس " بلا عناء (٤)
١٠ - النهار والليل والشمس والقمر فى سجود دائم له
فقد وضعت جباهها على التراب فى طريقه
- لذا بدا على سيماهم أثر السجود
وأنى لأحد أن تكون له سيماء بلا سجود
- اتسم وجه النهار بالبياض من بسطه
بينما اتشح وجه الليل بالسواد من قبضه
- جميع الكائنات شاهدة على ذاته
وانبساط الأرض وارتفاع السماء شاهدان على عظمته

---

(١) إشارة إلى قصة البعوضة والنمرود : انظر قصص الأنبياء للثعالبى طبع مصر ١٣٥٨ هـ.
(٢) إشارة إلى نسج العنكبوت خيوطه على مدخل غار حراء يوم هجرة الرسول الكريم عليه السلام.
(٣) لمعرفة هذا الحوار ، يرجى الرجوع إلى سورة النمل.
(٤) " طس " اشارة إلى سورة النمل.

- لقد خلق التراب والريح والماء والنار
ولكن سره خارج عنها جميعاً . . .

١٥ - يا ابن الخليفة ، يا من عدمت المعرفة (١)
عليك بالاتصاف كأبيك بالمعرفة

- إن كل ما خلقه الحق من عدم ووجود
قد خرت كلها أمامه فى سجود

- أما من أبى السجود فقد مسخ ولعن (٢)
وما أدرك هذا السر

- وما أن اسود وجهه ، حتى قال :
أيها المتعال لاتتركنى فى ضياع ولتصلح أمرى

- فأجابه الحق تعالى : أيها الملعون فى كل طريق
ما آدم إلا خليفة وسلطان

٢٠ - فلتكن له اليوم طوع البنان
ولتحرق فى الغد البخور حيثما كان (٣)

---

(١) يعنى بالخليفة آدم عليه السلام حيث قال تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ..". البقرة ، آية : ٣٠.

(٢) إشارة إلى قوله وتعالى : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " ، البقرة ، آية : ٣٤.

(٣) النص الفارسى لهذه الأبيات هو :

آفريـــــن جـــان أفريـــن پـــــاك را   آنكه جان بخشيد وايمـان خـاك را
عــرش را بــر آب بنيــاد او نهــــــاد   خاكيــان را عمــر برباد او نهــاد
آســمان را در زيــر دســتى بداشـــت   خـاك را در غايـت پستى بداشت
كـرد در شـش روز هـفـت انجـم پديـد   وز دو حـرف امر نه طـارم پديـد
٥ - بحـر را بگداخـت در تسليم خويـش   كوه را افسرده كرد از بيم خويـش
نيـم پشـه برســر دشـمن گماشــت   در سر اوچار صد سالش بداشـت
عنكبوتــــى را بحكمــت دام داد   صـــدر عـالـــم را ازو آرام داد
بسـت مـورى را كمر چـون مـوى سـر   كـرد اورا بـا سـليمان هـم كمـر
خلعــت اولاد عبـاســـش بــــداد   " طا" و" سين " بيزحمت طاسش بداد
١٠ - در سجودش روز وشب خورشيد وماه   ســوده پيشانــى خود برخـاك راه =

بدأ العطار مناجاته بالحمد لله والثناء عليه والحديث عن بعض قدراته وكذلك بعض معجزاته التى تمثلت فى بعوضة النمرود وحديث النملة مع سيدنا سليمان وكذلك دور العنكبوت الذى نسج خيوطه على باب غار حراء مما ضلل الكفار وأقنعهم بأن الرسول عليه السلام لم يكن بداخل الغار عندما تعقبوه أيام الهجرة المحمدية المباركة. كما وجه العطار حديثه لابن آدم كى يتسلح بالمعرفة مثلما كان عليه أبوه الأول آدم عليه السلام حينما زوده الله بألوان من المعرفة لم تتح لغيره من الملائكة والجن ، لذا يجب على الإنسان أن يتسلح بالمعرفة ، معرفة الله حق المعرفة ليكون الإنسان جديرا بالمكانة الرفيعة التى وهبها الله للإنسان ، وميزه بها عن سائر المخلوقات إلى غير ذلك من المعلومات التى أوردها العطار فى هذه المقدمة الطويلة والتى تقع فى حوالى مائتى بيت، ولكننا اكتفينا بترجمة عشرين بيتا فقط منعا للإطالة والإسهاب.

ونظرا لاهتمام فريد الدين العطار بأن ينظم فى مقدمة كل منظوماته العديد من الأبيات فى تقديم فروض الطاعة والابتهال لله عز وجل ، فقد آثرت أن أذكر مثالا آخر لهذه الابتهالات التى قدم بها لمنظومته الشهيرة الثانية ؛ وهى منظومة إلهى نامه " والتى قامت الزميلة الدكتورة ملكة على التركى بترجمتها إلى اللغة العربية : ومما قاله ؛ ما ترجمته :

= هست آن سيماى ايشان از سجود — كى بود بى سجده سيما را وجود
روز از بسطش سپيد افروخته — شب زقبضش درسياهى سوخته
پستى خاك وبلندى فلك — دو گواهش بس بود هريك بيك
باد وخاك وآتش وآب آورد — سر خويش از جمله درتاب آورد
١٥ - اى خليفه زادهء بى معرفت — با پدر در معرفت شو هم صفت
هر چه آورد از عدم حق در وجود — جمله افتادند پيشش در سجود
آن يكى كز سجدهء او سر بتافت — مسخ وملعون گشت واين سردر نيافت
چون سيه روگشت ، گفت اى بينياز — ضايعم مگذار وكار من بساز
حق تعالى گفت : اى ملعون راه — هم خليفه است آدم وهم پادشاه
٢٠ - باش چشما روى او امروز تو — بعد از آن فردا سپندش سوز تو

فريد الدين العطار : منطق الطير ، تصحيح دكتر محمد جواد مشكور ، چاپ سوم ، تهران ١٣٤٧ش ويمكن مراجعة الترجمة الكاملة لمنطق الطير ، ترجمة د. بديع محمد جمعة فى احدى طبعاتها الخمس ، بيروت أو القاهرة.

باسم من يخلد ملكه ولايزول ، ويخرس أمام وصفه نطق الفصيح ، اسمه مفرح لكتاب الأرواح ، وذكره يتصدر فهرست الدواوين ، فاضت حلوق الأرواح بحلاوة ذكره ، وانتثرت اللآلىء على الأنس بوصفه.. إن ذكر اسم دون اسمه ، فهو عار ، الله الذى مهما تعددت مظاهر الوجود ، فكلها بجانب ذاته عين الضعة ، .. ذاته أعلى من كل شئ نعرفه ، فكيف يتأتى لنا شرحها ... ولأن عقل أى إنسان لايسمو إليه ، فلا أحد يعرف كنهه ، فناء العالم إثبات لوجوده ، وخلق العالم دليل على ذاته ، صفاته هى ذاته ، وذاته هى صفاته ... كل الوجود ظل لحضرته وكل الآثار من صنع قدرته ، أصاب القول فى الذات من قال هذا القول الحق : إن التوحيد إسقاط الإضافات..

يا الهى رحمتك بحر عام ، تكفينا قطرة واحدة منه ، إن غسلت ذنوب الخلق الآثمين فى ذلك البحر دفعة واحدة ، فلن يتعكر ذلك البحر لحظة ، بل سيعم الضياء ! وماذا يعتبر بحر الرحمة إن قسمت قطرة واحدة منه على الخلق ، ما أجمل النداء من الحق والتلبية من العبد ، فبين الحق والعبد نداء وتلبية! (١)

* * *

وقد شارك فى هذا الحمد والثناء شاعر الإنسانية وأديبها سعدى الشيرازى (٢) سواء فى ديوانه أو فى كتابيه الشهيرين "كلستان" و "بوستان" ولحسن الحظ فقد ترجم المرحوم الأستاذ الدكتور أمين عبد المجيد بدوى هذين الكتابين إلى اللغة الغربية ، وقد عنون ترجمة كلستان إلى اللغة العربية باسم "جنة الورد" بينما جاء عنوان الترجمة

---

(١) فريد الدين العطار : الهى نامه ، ترجمة : د. ملكة على التركى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩٨ ص ١ ، ٢.

(٢) سعدى الشيرازى : ولد بمدينة شيراز بين عامى ٥٨٠ و ٦٠٠هـ ، التحق فى صغره بالمدرسة النظامية فى بغداد ، تلك المدرسة الشهيرة التى أسسها الوزير السلجوقى الشهير نظام الملك ، وقد زار بعد ذلك كلا من الشام والجزيرة العربية وآسيا الصغرى ومصر ومراكش والحبشة ، وقد وفرت له هذه الرحلات الفرصة للالتقاء بالمفكرين والعلماء فى هذه البلاد. نظم بالفارسية والعربية وله ديوان كبير إلى جانب كتابيه الشهيرين " بوستان " و " كلستان " وقد عاصر اجتياح المغول لبغداد فرثاها رثاءً مريرا . ويقال إنه توفى عام ٦٩١هـ.

العربية للبوستان تحت عنوان " اريج البستان" (١) وقد اخترت ابياتا من ترجمة أريج البستان ليدرك القارئ كم كان سعدى الشيرازى عابدا مبتهلا الى الله عز وجل :

تمجيد الخالق

- باسم الله فاطر الروح ، الحكيم المبدع الكلام فى اللسان .
- الإله الوهاب المعين ، الكريم العفو ، قابل التوب
- العزيز الذى كلُّ من أعرض عن بابه ، لم يجد عزه بأى باب قصده
- رءوس الملوك الصيد ساجدة بحضرته على أرض الاحتياج
٥- لايأخذ الطغاة على الفور، ولايطرد التائبين بالجور
- كم يغضب من الفعل القبيح ، ولكن إن رجعت إليه طوى ماجرى
- رب الأوج والحضيض، لم يغلق باب الرزق أمام أحد لعصيانه
- الكونان قطرة من بحر علمه ، يرى الجرم ويستره بحلمه
- أديم الأرض سفرته العامة ، والعدو والصديق سواء على هذا الخوان المباح
١٠- لو كان يعجل على الظالم ، فمن كان يجد الأمان من قهره ؟
- بريئة ذاته من تهمة الضد والجنس، غنى ملكه عن طاعة الجن والإنس
- طوع أمره كل شئ وكل شخص ، بنو آدم والطير والنمل والذباب
- اللطيف الباسط الكرم، المدبر الأمر، الحافظ الخلق، العالم السر
- إليه ينتهى الكبرياء والعزة والعظمة والآنية ، لأن ملكه قديم وذاته غنية .
١٥- حلمه بصير بالأحوال غير الموجودة ، لطفه خبير بالأسرار غير المقولة
- حافظ بقدرته اليفاع والقاع ، ورب ديوان يوم الحساب
- غير مستغن عن طاعته ظهر أحد ، ولا اعتراض لأحد على قوله
- العالم متفق على ألوهيته ، وقد عجز عن كنه ماهيته
- لم يدرك البشر ماوراء جلاله، ولم يدرك البصر منتهى جماله
٢٠- لايطير فوق أوج ذاته طائر الوهم ولاتصل إلى ذيل وصفه يد الفهم

---

(١) ترجم هذان الكتابان عدة ترجمات عربية ، بالاضافة إلى ترجمات الدكتور أمين عبد المجيد بدوى، فقد ترجمهما الدكتور محمد موسى هنداوى ، ولكننى أثرت الأخذ عن ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد لتقيده بالنص الفارسى وعدم الأخذ بالمعنى العام.

- لا الإدراك يصل إلى كنه ذاته ، ولا الفكر يصل إلى غور صفاته
- لن يصل أبداً إلى المنزل، من اختار طريقا خلا من طريق النبى
- فلا تخل أيها السعدى أنه يمكن السير فى طريق الصفا على غير أثر المصطفى(١)

---

(١) أريج البستان : سعدى الشيرازى ترجمة د. امين عبد المجيد بدوى ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٨ ص ١٨ : ٢٠.

والنص الفارسي هو :

بنام خداوند جان آفرين ... حكيم سخن در زبان آفرين
خداوند بخشندهء دستگير ... كريم خطا بخش پوزش پذير
عزيزى كه هركز درش سربتافت ... بهر در كه شد هيچ عزت نيافت
سر پا دشاهان كرد نفراز ... بدرگاه او بر زمين نياز
٥ - نه گرد نكشان را بگيرد بفور ... نه عذر آوران را براند بجور
وگر خشم گيرد زكردارزشت ... چو باز آمدى ما جرا در نوشت
وليكن خداوند بالا وپست ... بعصيان در رزق بركس نبست
دو كونش يكى قطره از بحر علم ... گنه بيند وپرده پوشد بحلم
اديم زمين سفرهء عام اوست ... برين خوان يغماچه دشمن چه دوست
١٠ - اگر برجفا پيشه بشتافتى ... كه از دست قهرش امان يافتى ؟
برى ذاتش از تهمتى ضد وجنس ... غنى ملكش از طاعت جن وانس
پرستار امرش همه چيزوكس ... بنى آدم ومرغ ومور ومگس
لطيف كريم گستر كار ساز ... كه داراى خلقست ودانای راز
مرورا رسد كبريا ومنى ... كه ملكش قديمست وذاتشب غنى
١٥ - بر احوال نابوده علمش بصير ... باسرار ناگفته لطفش خبير
بقدرت نگهدار بالا وشيب ... خداوند ديوان روز حسيب
نه مستغنى از طا عتش پشت كس ... نه بر حرف او جاى انگشت كسى
جهان متفق بر آلهيتش ... فرو مانده از كنه ما هيتش
بشرما وراى جلالش نيافت ... بصر منتهاى جمالش نيافت
٢٠ - نه برا وج ذاتش پرد مرغ وهم ... نه در ذيل وصفش رسد دست فهم
نه ادراك در كنه ذاتش رسيد ... نه فكرت بغور صفاتش رسيد
خلاف پيمبر كس ره گزيد ... كه هرگز بمنزل نخواهد رسيد
مپندار سعدى كه راه صفا ... توان رفت جز بر پى مصطفى

(كليات سعدى شيرازى : باهتمام محمد على فروغى : " بوستان " تهران ١٣٢٠ ش ص ١ - ٤).

كان سعدى شاعر الإنسانية ، لذا نراه يركز على كرم الله وسخائه مع خلقه ، وعفوه عن الخطائين وكلنا خطاءون، فهو لايعجل بمحاسبة المسئ ومعاقبته على أى فعل خاطئ اقترفه ، بل يصبر عليه لعله يرجع عن المعصية ويستغفر ربه الغفور الودود ذى الرحمة قابل التوب وغافر الذنب ، الذى لم يحرم عطاءه أحداً من خلقه، سواء فى ذلك المطيعون أو المسيئون لأنفسهم بكفرهم وصدهم عن سلوك طريق الإيمان والصلاح والتقوى .

وإذا انتقلنا إلى تصفح مقدمة كتابه الثانى وهو "گلستان" فسنجد سعدى الشيرازى قد قدم له بمقدمة يبتهل فيها إلى الله ابتهال العابد العائذ إلى حظيرة الإيمان المقرر بربوبية الإله الأعظم ، وإذا كانت مقدمة كتابه الأول "بستان" قد جاءت منظومة ، فقد جاءت مقدمة كتابه الثانى "گلستان" وهو كتاب نثرى فى المقام الأول - نثرا ولكنها مدبجة بالعديد من الأبيات ؛ ومنها ما ترجمته :

" المنة لله عز وجل ، فإن طاعته موجبة للقربة، وفى شكره مزيد النعمة ، كل نَفَس يدخل مُمدٌ للحياة، وعندما يخرج مفرحٌ للذات ، ففى كل نفس نعمتان، وكل نعمة تستوجب شكراً .

" اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور" (١)

غيوث رحمته التى لاتحصى عمت جميع الأنام ، وموائد نعمته التى لايضن بها مبسوطة فى كل مكان ، لايهتك ستر العباد بما اقترفوا من الاثم الفاحش، ولايقطع الرزق عن المرزوقين بما ارتكبوا من الخطأ المنكر .

بيت وترجمته

ياكريما ترزق المجوس والنصرانى من خزانة الغيب

كيف تحرم الأحباء ، يامن ترعى الأعداء ؟

. . .

وفى الخبر عن سيد الكائنات وفخر الموجودات ، ورحمة العالمين ، وصفوة الآدميين وتتمة دور الزمان ، محمد المصطفى صلى الله عليه وآله :

---

(١) سورة سبأ ، آية : ١٣.

شفيع مطاع نبى كريم ∴ قسيم جسيم وسيم بسيم

شعر

بلـــغ العلــى بكمالــه ∴ كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله ∴ صلـوا عليـه وآلـه

إذا رفع عبد مذنب مشتت الحال فى حضرة الحق جل وعلا يد الإنابة بأمل الإجابة ، فلم ينظر الله تعالى إليه ، فدعاه ثانية فأعرض عنه كذلك ، فدعاه مرة أخرى بتضرع واستكانة فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ياملائكتى قد استحييت من عبدى، وليس له غيرى فقد غفرت له ، يعنى أجبت دعوته وقضيت حاجته لأنى استحى من كثرة دعاء عبدى وضراعته .

بيت وترجمته

انظر إلى كرم الإله ولطفه ∴ قد أذنب عبده واستحى هو !

العاكفون على كعبة جلاله معترفون بالتقصير عن عبادته قائلين : ماعبدناك حق عبادتك ، والواصفون حلية جماله حائرون يقولون: ماعرفناك حق معرفتك " ! (١)

لقد حرص سعدى - كما فعل فى مقدمة بوستان على أن يعبر عن كرم الله وعفوه وقبوله عذر التائبين ، وصفحه عن معاصيهم ، ولعل فى ذلك دعوة لكل آثم وعاص ألا ييأس من رحمة الله ، فبابه مفتوح أمام كل التوابين الأوابين، وكرمه يفوق كل جرم ، وعفوه يشمل كل مذنب ، فهيا إلى التوبة ياعباد الله !

ومن الكتب التى ازدانت مقدمتها بالحمد والثناء والابتهال إلى الله ، كتاب راحة الصدور وأية السرور لمؤلفه محمد بن على بن سليمان الراوندى(٢) ، وقد اورد فى

---

(١) جنة الورد (گلستان) لسعدى الشيرازى : ترجمة د. أمين عبد المجيد بدوى ، المركز العربى للصحافة ، القاهرة ١٩٨٣ ص ٣٧ ، ٣٩.

(٢) الراوندى : اسمه الكامل هو أبو بكر نجم الدين محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد بن الحسين بن همة الراوندى ، وهو ينتسب إلى أسرة من أهل العلم فى بلدة راوند من أعمال مدينة قاشان توفى والده وهو صغير فتكفل به خاله تاج الدين أحمد بن محمد بن على الراوندى حيث دربه على جمع العلوم والفنون المتداولة فى ذلك الوقت ، ثم التحق بالبلاط السلجوقى وبدأ فى كتابة " راحة الصدور وآية السرور " عام ٥٩٩هـ وأنجزه فى عامين أو ثلاثة.

مقدمة كتابه ديباجة فى حمد البارى جعلها مزيجا من الشعر والنثر ، ومما قاله فى هذه الديباجة ، ماترجمته :

– الحمد لله مبدع الأكوان ، وخالق الربيع ونيسان
– رب الصيف والخريف ، ورب كل شئ فى العالم
– خالق العقل والروح أولا ، لأنهما مفتاحا جميع المغلقات
– وهو ايضا خالق النملة والفيل ، وهو من أوجد نهر النيل
٥ – وهو الذى يخرج النهار من الليل المظلم ، وهو الذى يضئ شمس الكون
– وهو الذى بسط الأرض فوق الماء ، وهو الذى أخرج الدر الحر من الماء
– وهو الذى رفع السماء فوق الأرض وزينها كما يليق
– هو الله الذى خلق الوهاد والجبال ، وبسط عليها بساطا من الخضرة (١)

شكرا جزيلا لله جل جلاله وثناؤه ، فإن التوفيق على شكره يعتبر من أجل نعمه، وحمدا كثيرا للخالق تعالى كماله وكبرياؤه ، فإن اللسان الشاكر يعتبر من مُخبآت كرمه

ولله مئات الآلاف من مثل هذا الثناء والحمد .. فهو الملك الذى لا تستطيع رياح العزل العاتية أن تقطع أطناب كبريائه ، والشكر الحق لخالق الخلق الذى لا يجلس حاجب على أعتاب جلاله ، حتى لايصد عنه طلاب أفضاله ...

وهو القادر الذى لاتصل يد الزوال إلى كبريائه ، وهو الرازق الذى لايبلغ الفهم والكمال حد آلائه وهو القادر ذو الكمال ، والصانع ذو الجلال ... وهو الذى جعل بياض

---

(١) هذا هو أصل الأبيات : النسخة الفارسية ، ص : ١.

سپاس از جهان آفرين كرد گار — خداوند نيسان وفصل بهار
خداوند فصل تموز وخزان — خداوند هر چيزى اندر جهان
خردرا وجان را نخست آفريد — كه هستند مر بند هارا كليد
همو آفريننده‌ٔ مور و پيل — پديد آور يدست درياى نيل
٥- ز بعد شب تيره روز آورد — همان هو ركيتى فروز آورد
همى دارد او گوى خاكى بر آب — پديد آرد از آب در خوشاب
بر از خاك چرخ بلند آفريد — بياراست اورا چنان چون سزيد
خد ايى كه كوه وزمين آفريد — ز سبزه بساطى بد و دركشيد

النهار فاتحة لأرزاق الخلق ، وجعل الليل مطية لراحتهم .

- افتتحت هذا الكتاب باسم الله، فهو الذى يمنح العطاء ، ويغفر الأخطاء
- وهو الملك الذى يخلق من القطره عالما ، ويبدع من الزفرة آلافا من الأرواح
- لايحيط الوهم بجلاله ، ولايحيط الفهم بكماله
- وهو المعبود مدبر الأنام والبلاد ، وهو المقصود اللطيف بالخلق والعباد
- لايتسرب الخيال إلى جلاله ، ولايتطرق المحال إلى أقواله (١)

وهو عالم أبدا ، ناطق بذاته ، خالق لايزال ، رزاق ذو كمال ، صفة خلقه ليست بإيجاد المخلوقات ، ونعت رزقه ليس بإبداع المرزوقات ، وكما كان بصفاته أزليا ، كذلك لايزال عليها أبدياً .

الحدوث والقدم ، والوجود والعدم ، عبيد قدرته وخدم عزته ، والرحمة هى صاحبة ديوان جلاله ، والعزة هى حاجب باب كماله، وذاته المنزهة خارجة عن حدود الزمان والمكان، فلا الزمان يحد بقاءه ، ولا المكان يبلى ذاته .

...

- هو الذى رفع قبة السماء الخضراء ، وهو الذى خلق أديم الغبراء
- يجعل القمر أحيانا يضئ أطراف الشهباء ، ويجعل الشمس أحيانا بأشعتها الذهبية تطوق أديم الدهماء
- هو الله ذاته وحيدة ، وهو منزه عن النظير وصفاته فريدة

---

(١) راحة الصدور وآية السرور : راجع الأصل الفارسي ، نشر محمد اقبال وتصحيح مجتبى ميثوى المنشور فى طهران عام ١٣٣٣ ش ، ص ١ - ٥ ، وكذلك الترجمة العربية المنشورة بالقاهرة عام ١٩٦٠ ص ٣٥ - ٣٩.

وهذا هو الأصل ، النسخة الفارسية ص : ٢ ، ٣.

كردم آغاز اين بنام خداى   هم عطا بخش وهم خطا بخشاى
ملكى كز نمى جهان آرد   وز دمى صد هزار جان آرد
نه جلالش بوهم در گنجد   نه كمالش بفهم در گنجد
اوست معبود وكار ساز همه   اوست مقصود ودلنواز همه
نه جلالش خيال بر تابد   نه كلامش محال بر تابد

- الرءوس ساجدة فى عبوديته ، وقد أجمعت على ذلك طوعا أو كرها .[(١)]

* * *

وهكذا شارك هذا الأديب المؤرخ أقرانه من المؤلفين والكتاب والشعراء فى بدء أعمالهم بحمد الله والثناء عليه ، وتقديم الشكر على عظيم نعمائه ، وجميل كرمه ، وقد عبر عن أفكاره شعرا ونثرا ، مما يدل على قدرته على النظم والنثر ، ومع أن هذا الكتاب - راحة الصدور - مؤلف فى التاريخ ، حيث سجل فيه الراوندى تاريخ السلاجقة منذ بداية عهدهم وحتى النهاية تقريبا ، فقد حرص على أن تكون الديباجة قطعة أدبية متميزة فى مدح الخالق ، والشكر على نعمه الظاهرة والخفية، وذلك طمعا فى رضائه والفوز بجنته .

* * *

ومن الكتب النثرية ذات الاهتمام الكبير لدى كل محبى الأدب الفارسى كتاب قابوسنامه ، تأليف الأمير عنصر المعالى كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمگير بن زيار[(٢)] والذى كتبه ليكون درسا لابنه وذخيرة ينهل منها بعد وفاة أبيه ، وقد بدأه بحمد الله وضرورة معرفته حق المعرفة ؛ وقد قال ماترجمته :

---

(١) وهذا هو أصل الأبيات ، النسخة الفارسية ، ص : ٥.

كه بر افراخت قبهٔ خضرا	كه درو ساخت كلهٔ غبرا
كه ز خور كرد طرف اشهب ماه	كه ز زر ساخت طوق ادهم شاه
آن خد ايى كه ذات او يكتاست	در صفت بى نظير وبى همتاست
بر خط بندگى او سرها	مجتمع گشته طوعا أو كرها

(٢) الأمير عنصر المعالى كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار ، الملك السابع من ملوك الزياريين وقد حكم بين عامى ٤٤١هـ و٤٦٢هـ فى منطقة كوهستان ، وماروى عنه فى كتب التاريخ جد قليل أو عادة يكتفون بذكر أنه مؤلف " قابوس نامه ، ويقال إنه قد قضى فترة طويلة من عمره فى حروب مع الغزنويين فى الهند والسداويين فى بلاد الروم ، ويقال إنه كان مشغولا سواء فى شبابه أو فى كهولته بتحصيل العلوم ، وكان إلى جانب كتاباته النثرية قد نظم بعض الأشعار ولكنها تقل جوده عن مستوى نثره.
انظر مقدمة قابوسنامه ، تهران ١٣٤٣ ش . ص ١٩ - ٢١.

اعلم يابنى أنه لاشئ قط من كائن أو معدوم أو يمكن أن يكون لم يصر معلوما للخلق كما هو ، وأنت فى معرفة الخالق عاجز ، إذ ليس للمعرفة إليه سبيل ، وكل ماعداه صار معروفا وإنما تكون عارفا لله عندما تكون غير معروف ، ومثال المعرفة كالمنقوش والعارف كالنقاش ، فما لم يكن فى المنقوش قبول للنقش ، لايستطيع نقاش أن ينقش عليه ... فعليه يكون فى كل معرفة قبول للعرفان والخالق غير قابل للمعرفة ، فتأمل فى نفسك ولاتتأمل فى الخالق .. انظر الى المصنوع واعرف الصانع ، وتفكر فى آلاء الخالق ونعمائه ولاتفكر فى ذاته .. كما قال النبى عليه السلام " تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته .. إذا أردت حقيقة التوحيد ، فاعلم أن كل شئ فى المجاز صدق فى الربوبية ، وكل من عرف الواحد حقا برئ من محض الشرك ، الواحد فى الحقيقة هو الله عز وجل ، وكل ماسواه مثنى " ... (١)

* * *

كان مؤلف قابوسنامه حريصاً كل الحرص على أن يعلم ابنه كيف يعبد الله العبادة الحقة ويعرف من خلال آلائه المعرفة الصحيحة وأن يرى قدرة الله فى صنعه فيدرك عظمته وجبروته ، وألا يشغل نفسه بمعرفة ذات الله لأن هذا فوق طاقة كل

---

(١) كتاب النصيحة المعروف باسم قابوسنامه للأمير عنصر المعالى كيكاوس ، ترجمة : صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوى. الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٨ ، ص : ٥ - ٥١ ، وهذا هو النص الفارسى :

بدان أى پسر كه هيچ چيز نيست از بودنى ونابودنى وشايد كه بود كه آن شناخته مردن نگشت چنانكه أوست. وتو در شناخت آفريد گار عاجزى ، چه شناخت را در وى راه نيست. وجز او همه شناخته گشت. شنا سندهء خدا آنگاه شوى كه ناشناس شوى ، ومثال شناخته چون منقوش است وشناسنده چون نقاش ، كه تادر منقوش قبول نقش نبود ، هيچ نقاش بروى نقش نثواند كرد ... پس در همه شناخته قبول شناس است ، وآفريد گار قابل شناخت نيست ، وتوبگمان در خود نگر، ودر آفريد گار منگر ، در ساخته نگر وسازنده را بشناس. در آلا ونعماى آفريدگار انديشه كن ودر آفريد گار انديشه مكن ... چنانكه پيغمبر صلعم گفت : تفكروا فى آلاء الله ولاتفكروا فى ذاته ... اگر حقيقت توحيد خواهى ، بدانكه هر چيزى كه در مجازاست در ربوبيت صدق است ، وهركه يكى را بحقيقت بدانست از محض شرك برى گشت، يكى بحقيقت خداى عز وجل است ، باقى همه دو اند.

(قابوس نامه : تصحيح ومقدمة دكتر أمين عبد المجيد بدوى ، تهران ١٣٤٢ش ص ٧ - ٨).

البشر، وأن يدرك أن الواحد هو الله لاشريك له ، أما كل ماعداه فمتصف بالاثنينية . والواحد هو الجدير بالعبادة والتوحيد، وهكذا كا ن درسا تربويا نتيجة لما تمتع به المؤلف من حنكة ودراية وإعداد جيد فى الحياة ، مكنه كل هذا من أن يبصر ابنه بكل مايضمن له التوفيق والنجاح فى حياته ، وأفضل سلاح له فى ذلك سلاح المعرفة الحقة؛ معرفة الله عز وجل؟!

* * *

وها هو أخر شعراء إيران الكبار ، أو مايطلقون عليه : المتحدث باسم إيران بعد الحافظ الشيرازى ، صاحب العديد من المؤلفات النثرية والشعرية ، إنه الأديب الكبير نور الدين عبد الرحمن الجامى [1] المولود فى خراسان عام ٨١٧هـ ، صاحب نفحات الأنس ، وناظم " يوسف وزليخا " عام ٨٨٨هـ أى وله من العمر سبعون عاما والذى اعتمد فى نظم بعض جوانب هذه القصة على أيات من القرآن الكريم من سورة يوسف، وعلى ماجاء فى بعض كتب التفاسير وقصص الأنبياء ، ومما قاله فى مقدمة هذه المنظومة من ابتهالات إلى الله عز وجل ، نذكر ما ترجمته :

- يا الهى اجعل برعم أملى يتفتح . واجعلنى وردة تتفتح من روضة الخلد
- ثم اجعل روضتى باسمة من تفتح تلك البرعمة ، وعطر أنفى من شذى هذه الوردة
- واجعلنى مقرا بنعمك فى دار الأحزان هذه ، والتى خلت من المواسين
- واجعل لى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا

. . .

٥- تعالى الله القيوم العالم ، مانح القدرة لكل عاجز

- الذى زين الفلك بالكواكب ، وجمل الأرض بالخلائق

---

(١) عبد الرحمن الجامى : أخر الشعراء العظام فى ايران ، وقد ولد فى خراسان عام ٨١٧هـ بمدينة جام ومنها أخذ لقبه " الجامى " كما يقال بأن شيخه كان اسمه جام أيضا ، وهو شاعر وكاتب له العديد من المؤلفات النثرية الشعرية ، وأهمها نثرا : نفحات الأنس ، وأهمها شعرا ليلى والمجنون ويوسف وزليخا وكان جامى مجيدا للغتين العربية والفارسية. كما كان واسع المعرفة بالعلوم القرآنية والحديث النبوى الشريف. وقد وظف هذا فى كتبه ومنظوماته وكانت وفاته عام ٨٩٨ هـ.

- مانح الرفعة لكل ذى همة عالية ، ومذل كل عابد لنفسه
- غافر الذنب لكل المذنبين ، محاسب بالعقاب كل المرائين
- من بحر لطفه تجود سحائب الربيع برونقها على الأشواك والياسمين
١٠- ومن منجم جوده تملأ ريح الخريف ساحة الخميلة بفُرش ذهبية
- ذاته مبرأة عن الكيف والكم ، منزهة عن الانخفاض والارتفاع
- العقل مضطرب أمام ذاته ، والقلب عاجز عن المضى فى طريقه
- فإن لم يهدنا بلطفه ، لازددنا بعداً عنه لحظة بعد لحظة (١)

كما قال مناجيا رب العزة والجلال :

- إلهى ! لقد كنا طلقاء من صورة الوجود ، كما كنا أحراراً من خوف الفناء !
- فى البداية خلقتنا من العدم ، وقيدتنا بقيد الماء والطين
- وخلصتنا من الضعف والعجز ، وأوصلتنا من الجهل الى العلم
- وأرسلت إلينا كتابا مبينا ، خاطبتنا فيه بالأمر والنهى

---

(١) راجع ترجمة منظومة يوسف وزليخا الى العربية والمنشورة بمجلة أخبار الأدب العدد ٣٩ ومابعده، القاهرة ١٩٩٤ وقد أعد هذه الترجمة الدكتور عبد العزيز بقوش.
والأصل الفارسى ص ١ - ٣ من طبعة نادرى ١٣٤٧ هـ.ق.

الهى غنچهء اميد بگشاى — گلى از روضهء جاويد بنماى
بخندان از لب آن غنچه باغم — وزآن گل عطر پرور كن دماغم
درين محنت سراى بى مواسا — بنعمتهاى خويشم كن شناسا
ضميرم را سپاس انديشه گردان — زبانم را ستايش پيشهء گردان
٥ - تعالى الله زهى قيوم دانا — توانائى دهء هر نا توانا
فلك را انجمن افروز انجم — زمين را زيب الجسم ده بمردم
بلندى بخش هر همت بلندى — به پستى افكن هر خود پسندى
گناه آمرز رندان قدح خوار — بطاعت گير پيران ريا كار
ز بحر لطف او ابر بهارى — كند خار وسمن را آبيارى
١٠ - زكان جود او باد خزانى — كند فرش چمن را زر فشانى
مبرا ذاتش از چونى وچندى — مبرا تر ز پستى وبلندى
خرد در ذات او آشفته رائى — طلب در راه او ميدست وپائى
اگر ننهد بلطف خود قدم پيش — شوذ زان دورى باد ميدم پيش

٥- فخلطنا بين الحسن والقبيح ، وافرطنا تارة وفرطنا أخرى
- ونادرا ماسلكنا سبيل الأوامر ، وكنا نمضى فى طريق النواهى
- ومع ذلك لم تتخل عن دستور العناية ، ولم تحجب عنا نور الهداية
- أنت الذى هيأت لى الأسباب ، وفتحت أمامى ما للنعمة من أبواب
- وكرمتنى بسعادة الخدمة ، ورفعت رأسى بتوفيق السجود
١٠- وأطلقت لسانى ، بشكرك ، ومنحت قلبى لذة ذكرك ! (١)

* * *

وقد وردت بعض هذه الابتهالات فى بداية الكتب الفارسية مسطرة باللغة العربية ، ومن هذه المقدمات العربية أورد مثالين :

الأول تلك المقدمة التى كتبها جلال الدين الرومى (٢) فى مقدمة كتابه الكبير المثنوى المعنوى ، وعلى الرغم من أن الكتاب بأجزائه الستة جاء نظما إلا أن جلال الدين كتب المقدمة التالية نثرا وباللغة العربية ، ومنها :

---

(١) الأصل الفارسى من طبعة نادرى ص ٥ ، ٦.

خداوندا زهستى ساده بوديم	ز بيم نيستى آزاده بوديم
نخست از نيست ماراهست كردى	بقيد آب وگل ماپست كردى
ز ضعيف ناتوا نائى رهاندى	زناد انى بدانائى رساندى
فرستادى بما روشن كتابى	بامر ونهى فر مودى خطابى
٥ - ميان خوب وبد تخليط كردم	كهى افراط وكه تفريط كردم
ره فرمو دنيها كم سپرديم	بنا فرمودنيها پا فشرديم
تو نگذشتى ز دستور عنايت	نه پوشيدى زما نور هدايت
توئى كاسباب كارم ساز كردى	در نعمت برديم باز كردى
كرامت كردى از خدمت پسندى	بتوفيق سجودم سر بلندى
١٠ - زبانم را بذكر خود كشادى	دلم را ذوق ياد خويش دادى

(٢) جلال الدين الرومى : وولد ببلخ عام ٦٠٤ ثم هاجر مع والده إلى آسيا الصغرى واستقر بمدينة قونية ، أعظم شعراء العرفان فى اللغة الفارسية ، ديوانه المشهور أطلق عليه اسم ديوان شمس تبريز على اسم مرشده ، وكتابه الشعرى الثانى هو المثنوى المعنوى الذى يقع فى ستة أجزاء ، وقد ترجم الدكتور محمد كفافى الجزءين الأول والثانى بينما ترجم الزميل المرحوم الدكتور ابراهيم شتا الأجزاء الستة.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب المثنوى ، وهو أصل أصول أصول الدين فى كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر ، وشرع الله الأزهر ، وبرهان الله الأظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق إشراقا أنور من الإصباح ، وهو جنان الجنان ذو العيون والأغصان ، منها عين تسمى عند أبناء السبيل سلسبيلا ، وعند أصحاب الكرامات خيرٌ مقاما وأحسن مقيلا ، الأبرار فيه يأكلون ويشربون ، والأحرار منه يفرحون ، وهو كنيل مصر شراب للصابرين وحسرة على آل فرعون والكافرين ، كما قال يُضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وإنه شفاء للصدور وجلاء للأحزان وكشاف القرآن وسعة الأرزاق وتطبيب الاخلاق بأيدى سفرة كرام بررة ، يمنعون أن لايمسه إلا المطهرون ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والله يرصده ويرقبه ، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين (١)

لقد حرص جلال الدين الرومى على تقديم كتابه المثنوى على أنه معنى بشرح وتفسير ماجاء فى القرآن الكريم من أحكام وسير ، وأنه قد ألزم نفسه بعدم الخروج فى أى كلمة أو أى حكاية عما جاء من حكم ومواعظ وسير فى كتاب الله العزيز الذى لايأتيه الباطل ، ولايمسه إلا المطهرون الصالحون وكما تعهد الله بالحفاظ على القرآن الكريم أبد الأبدين ، فإن الله سيحفظ كذلك كل ماكتب من تفاسير وشروح وتوضيح للقرآن الكريم ومنها هذا الكتاب ألا وهو كتاب المثنوى المعنوى لجلال الدين الرومى ، وقد حفلت هذه العبارة بالإشارة إلى العديد من الأيات القرآنية سواء بنصها أو بمعناها ، دلالة على عمق الوعى الدينى والثقافة الإسلامية لدى جلال الدين الرومى ، وليس هذا بغريب مادام قد جعل كتابه المثنوى كما قال شرحا وتفسيرا وتوضيحا لبعض ماجاء فى القرآن الكريم من تعاليم وقصص وسير .

ومن الكتب الفارسية النثرية التى حرصت على أن تكتب الحمد والثناء الوارد فى مقدمة الكتاب باللغة العربية ، كتاب مقامات حميدى لمؤلفه حميد الدين عمر بن

---

(١) مثنوى جلال الدين الرومى : ترجمة د. محمد عبد السلام كفافى جـ١ الطبعة الأولى صيدا ١٩٦٦، ص : ٧٠ - ٧٢.

محمود البلخى (١) ومما جاء فى هذه المقدمة مايلى :

الحمد لله الذى شرفنا بالعلم الراسخ ، وعرفنا بالدين الناسخ ، وعلمنا حقائق الأحكام وحملنا دقائق الحلال والحرام ، ميزنا عن طبقات الأنعام وخصصنا بمزايا الإنعام ، الذى أنشأ فى الهواء من السحب أمواجا ، وأبدع فى السماء من الشهب أفواجا، وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجا . دارت الأفلاك بتدويره ، وسارت الاملاك بتقديره . له الفضل والأفضال والقدرة والكمال . لا إله إلا هو الكبير المتعال ، نشهد به لا عن ارتياب ونؤمن به لاعن اختلاب ، ونتوكل عليه فى جيئة وذهاب . إيمان من اعترف بذنوبه، وإيقان من أقر بعيوبه ، ونشهد أن محمداً خير العباد وسيد البشر فى البلاد ، وصاحب القضيب (٢) والسنان الخضيب وراكب البراق إلى المعراج ، السائق الذى أنقذنا من تيه الحيرة بمصابيح جبينه ، وفتح لنا أبواب المناجح بمفاتيح يمنه ، وعلمنا دقائق شرعه ودينه ، صلى الله عليه وآله وعلى الذاهبين فى سبيل الله والمهاجرين والأنصار وسلم تسليما كثيرا كثيرا (٣).

لقد ألف حميد الدين كتابه هذا تقليدا لمقامات بديع الزمان ومقامات الحريرى ولعل هذا هو الذى دفعه لكتابه المقدمة باللغة العربية ليثبت أنه قادر على الكتابة بها، وتقليد أستاذيه بديع الزمان والحريرى . كما يلاحظ أن أسلوبه مفعم بالمحسنات شأنه فى ذلك شأن كل من كتبوا المقامات ، أضف الى ذلك ماتضمنه من جمل مستوحاة من القرآن الكريم فى معناها ومبناها ، مما يدل على سعة معرفته بعلوم القرآن وآياته وأحكامه .

ولم تقتصر هذه المقدمات الحافلة بالأثر الاسلامى فى إنتاج الأدباء الفرس شعراء كانوا أم كتابا على تلك الكتب التى ارتبطت بالعلوم الإسلامية وبالدعوة إلى الأخلاق ، أو حتى بالكتب التى ألفت أصلا بعد دخول الإسلام أرض إيران ، بل تعدت

---

(١) حميد الدين البلخى : من علماء خراسان وقد تولى منصب قاضى القضاة فترة فى بلخ أيام السلطان سنجر ، وله عدة مؤلفات نثرية وشعرية ، أهمها مقاماته التى عارض بها الهمدانى والحريرى.

(٢) أى السيف.

(٣) قاضى حميد الدين البلخى : مقامات حميدى ، نشر دانشكده أدبيات أصفهان ١٣٣٩ ش ، ص١.

ذلك الى مقدمات الكتب التى كانت موجودة قبل الإسلام سواء أكانت هندية الأصل وترجمت إلى البهلوية قبل الإسلام أو كانت من أصل بهلوى . وعندما أراد الفرس بعد الإسلام ترجمة هذه الكتب إلى الفارسية الإسلامية ، فقد حرص مترجموها على أن يكتبوا لها مقدمات جديدة تتفق والدين الإسلامى الذى سيطر على كل مناحى الحياة فى إيران الإسلامية ، ومن هذه الكتب المترجمة إلى الفارسية الإسلامية نقلا عن اللغة البهلوية ، والتى نقلتها بدورها عن السنسكريتية ، كتاب سندباد نامه (١) شأنه فى ذلك شأن كليلة ودمنة ، وسأكتفى بذكر بعض ماجاء فى مقدمة سندباد نامه حيث أن كتاب كليلة ودمنة متداول بالعربية ولسنا فى حاجة للنقل عنه :

خطبة الكتاب (٢)

الحمد والثناء والشكر والمنة ... للقادر الذى لايحط غبار الزوال على جمال كماله، والكامل الذى لا تأخذ يد النقصان بذيل جلاله، لاتنتهى خطرات الخواطر الى ساحة جبروته ، ولاتصل خطوات الضمائر إلى سياحة مساحة ملكوته ، شيد بناء قصر السماء المشيد دون آلة أو أداة ، وخاط قباء الزمان الزمردى المُعلم دون حاجة إلى خياط ومقراض ، وأوصل جوهر الماء إلى جِرم النار بواسطة الحرارة ، وأرسل جسم الهواء الى مركز الثرى بواسطة البرودة ...

وبامتزاج البخار والدخان فى فضاء الهواء ، وجد الرعد والبرق والسحاب والرياح والشهاب .. وفطر أجناس وأنواع الحيوان واصطفى الآدمى من بين أنواع الحيوان وأصناف الأحياء ، وصيره زبدة الموجودات وفهرست المخلوقات ، كما قال : "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا". (١)

---

(١) سندباد نامه : أصله هندى نقل قبل الإسلام إلى البهلوية وترجم بعد ذلك إلى الفارسية الاسلامية ، وقد قام الدكتور أمين عبد المجيد بترجمته الى اللغة العربية ونشر بالقاهرة عام ١٩٧٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥ ومابعدها ، والأصل الفارسى ص ١١ ومابعدها ، انظر النسخة الفارسية ، تهران ١٣٣٣ش.

(٣) سورة الإسراء ، اية : ٥٩

وبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أجل مصالح المعاد ومناظر المعاش وترتيب البلاد وتنظيم العباد ، فأمر بإبلاغ الرسالة وإظهار الدلالة ، وبعث بالرسالة على ألسنتهم بطريق الوحى والإلهام ، ووضع قوانين الشرائع على خلاف الطبائع ، وأمر بالطاعة والعبادة بالعدل والسياسة . كما قال : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(١) وبين العلم والحكمة والشريعة والطريقة من أجل إحكام واستحكام قواعد عقائد العقلاء، وتأكيد وتمهيد أساس مبانى أعمالهم وأفعالهم ، كما قال الله تعالى عز وجل " ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين " (٢).. وهو القائل : "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس". (٣) الكتاب : العقل ، الميزان : الاجتهاد ، الحديد : السيف. لينظر العقلاء فى إعجاز القرآن ، ويعرفوا شواهد القدرة ودلائل الصنعة بالعقل والحكمة والقياس والمجاهدة ، ويمتنعوا عن سير الأفعال الذميمة وصور الأعمال غير المرضية ، ويخاطبوا الجهال سيئ المآل أولا بالحجة ثم يعرضوا السيف ، لأن الجاهل لايخشى العذاب الآجل بلا عقاب عاجل ، ولايجتنب تهييج الفتنة والتحريض على الفساد.

وكما أن الانقياد لأولى العزم من فرائض الفعل ، فإن الامتثال لأولى الأمر من لوازم الشرع ، وكما أمر الأنبياء والرسل بتبليغ الرسالة وإفشاء الدلالة وإظهار المعجزات ، أمر الولاة والسلاطين باستعمال العدل واستظهار الفضل كما قال : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان". (٤)

* * *

وهكذا تأثر جميع الأدباء الذين عاشوا فى إيران منذ الفتح الإسلامى وحتى اليوم بالإسلام قلبا وقالبا ، وإذا أقدم أحدهم على نقل كتاب باق عن أيامهم قبل الإسلام إلى لغتهم الفارسية الحديثة ، فإنه سيخضع هذا الكتاب إلى الاتجاه الإسلامى العام فى إيران ، سواء فى المقدمات التى يدبجونها فتأتى مليئة بالعديد من الآيات

(١) الذاريات ، آية : ٥٦.
(٢) الأنعام ، آية : ٥٩.
(٣) الحديد ، آية : ٢٥.
(٤) النحل ؛ آية : ٩٠.

القرآنية والإشارات الإسلامية ، أو حتى ولو كان فى الكتاب إشارات تتنافى مع الإسلام ، فانهم يبدلونها بما يتواءم مع الإسلام ، وهذا ماحدث فى الترجمات الفارسية الإسلامية لكتاب كليلة ودمنة وكذلك هذه الترجمة لكتاب سندباد نامه ، والذى جاءت مقدمته غاصة بالآيات القرآنية والنابضة بالروح الإسلامية .

* * *

إذا كنا قد ركزنا حتي الآن على ماجاء فى مقدمات المنظومات والكتب من حمد لله والثناء عليه والابتهال الى المولى عز وجل ، فليس معنى هذا أن الأدب الفارسى قد قصر هذه المعانى على تلك المقدمات ، وإنما حفلت العديد من المنظومات الشعرية والكتب النثرية بالعديد من هذه المعاني داخل متون هذه المؤلفات النثرية أو الشعرية أو فى نهايتها ، ومما جاء فى خاتمة پند نامه للعطار ، أورد ما ترجمته :

- إلهى لتشملنا جميعاً برحمتك ، ولتصفح عن جميع ذنوبنا
- إننا عاجزون ، وما أكثر آثامنا ، ولكن ليس لنا من ملجأ سواك
- إن تدعُنا أو تبعدنا ، فنحن عبيدك ، وكلنا رضاء وسرور بحكمك[١]

وقد جاء فى خاتمة الباب العاشر من "بوستان" سعدى وهو آخر الكتاب ، تلك المناجاة التي أورد ترجمة لبعض أبياتها :

فى التضرع إلى الله

- إلهى ، انظر إلينا بعين الجود ، لأن الجرم جاء من العباد فى الوجود
- جاء الجرم من العبد الذليل الحقير ، بأمل العفو من الله العلى الكبير
- أيها الإله الكريم لقد تربينا برزقك ، وقد اعتدنا إنعامك ولطفك
- مادمت قد جعلتنا أعزاء فى الدنيا ، فإننا نتطلع ونتوقع عين هذا أيضا فى العقبى

---

(١) النص الفارسى ؛ هو :

يا الهى رحـم كن برما همـه	عفوكـن جمـله كنـاه ما همـه
عاجزيم وجرمها كرده بسـى	نيسـت مارا غير تـو ديگـر كسـى
كر بخوانى ور برانى بنده ايم	هرچه حكم تست از آن خرسنده ايم

- فريد الدين العطار : پند نامه ، كتانجانه شمس ١٣١٧ ش تهران ، ص : ١٢٨.



ومن ابتهالات ناصر خسرو (١) نذكر ما ترجمته :

– أربعة أشياء هى التى تؤنس روحى طوال الزمان
هى الزهد والعلم والعمل وترتيل القرآن
– وعينى وقلبى وأذنى أثناء الليل الطويل
تكرر النصح والموعظة لجسدى الضعيف إلى كل أمر حرام
– فتقول العين : بربك احفظنى من التطلع إلى كل حرام
وصنى من الوقوع فى الشرور والخطايا والآثام
– وتقول الأذن : اسدد على السبيل وأغلق على الطريق
حتى لا استمع للأكاذيب والأباطيل المليئة بالتلفيق
– يقول القلب : بربك احفظنى من التردى فى المطامع والأهواء
وحصنى من نزعات الهوى ، كما يفعل الرجال الأصفياء (٢)

* * *

وهكذا نرى أن الابتهال الى الله عز وجل وتقديم الشكر والثناء على عظيم نعمه التي لاتعد ولاتحصى قد حفل به الأدب الفارسى شعره ونثره سواء فى مقدمة المنظومات أو فى متونها أو حتى فى خواتيمها ، هذا الابتهال الذى يعبر عن روح إسلامية ، وعن نزعة إيمانية ترجو رضاء الله ورضوانه ، وتبغى عفوه وصفحه ، وأن يتقبل خالص الأعمال الحسنة ، ويطهر القلوب من كل مايبعدها عن الطريق القويم ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) ناصر خسرو : ولد فى قباديان ببلخ عام ٣٩٢ ، التحق بالبلاط الغزنوى ثم بالبلاط السلجوقى بعد ذلك ، ولكنه زهد هذه الأعمال وآثر السياحة حيث زار الشام والجزيرة العربية واستقر فترة بالقاهرة وقد سجل رحلته هذه فى كتابه الشهير سفر نامه. وله ديوان شعر كبير كذلك إلى جانب كتاب آخر هو زاد المسافرين . وقد توفى عام ٤٨١ هـ.

(٢) ادوارد براون : تاريخ الأدب فى ايران حـ ٢ ترجمة د. ابراهيم أمين الشواربى القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٩٥ ، وعنه أيضا ننقل النص الفارسى :

– خواندن فرقان وزهد وعلم وعمل ... مؤنس جانند هر چهار مرا
– جشم ودل وگوش هريكى همه شب ... پند دهد باتن نزار مرا
– چشم هميگويد از حرام وحرم ... بسته هميدار زينهار مرا
– گوش هميگويد از محال ودروغ ... راه بكن سخت واستوار مرا
– دل چكد گويدم همى زهوا ... سخت نگهدار مرد وار مرا

ثانياً : نعت الرسول محمد عليه السلام

كما حفلت المنظومات الفارسية وكذلك الكتب النثرية بمقدمات فى الابتهال إلى الله عز وجل وتقديم الشكر والثناء على عظيم نعمه وواسع كرمه وتعدى ذلك إلى متـون هذه المنظومات والكتب ، فقد حظيت هذه المنظومات والعديد من الكتب النثرية كذلك بنعت الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وتقديم مظاهر التبجيل والاحترام لشخصة ورسالته ، وكذلك طلب شفاعته لكى ينقذ أمته الإسلامية من العقاب نتيجة للأخطاء والآثام التى ارتكبوها ، ومازال يرتكبها العديد من أتباع دين محمد عليه السلام ، وكما فعلنا فى الحديث عن الابتهال إلى الله عز وجل وتقديم الثناء والحمد لذاته العلية ، فسنحاول هنا كذلك الاقتصار على تقديم عدة نماذج محدودة مستقاة من أقوال كبار الأدباء فى إيران عبر عصور الازدهار وبخاصة فى العصرين السلجوقى والمغولى :

وقد ورد مدح الرسول عليه السلام وطلب شفاعته وهداه فى مقدمة مخزن الأسرار لنظامى الگنجوى ، نذكر مما قاله ، ترجمة لبعض الأبيات :

- خاتم الرسل ، خاتم الأنبياء ، الشمس المضيئة جميع الأفلاك .
- إنه المرسل أحمد الذى يتعلق بأذيال ترابه كلا العالمين .
- يامن جسدك أطهر من الروح الطاهرة ، وروحك جديرة بأن تردد روحى فداك!
- لقد أحاط تاجك وعرشك بالدنيا كلها ، حتى أصبح عرشك الأرض وتاجك السماء!
- بفضلك أحلت تراب المساكين روضة زاهرة ، وبفضلك أنرت عيون عابرى السبيل والمحرومين .
- إننا مجرد أجساد ، فاقبل ، إذا أنت الروح لنا ، ولسنا إلا نملاً فلتكن أنت سليماننا .
- أنت الحارس الأمين فكيف تترك القافلة وحيدة ؟ وأنت القلب فمن ذا يرفع العلم ؟

- لتكن حافظ أسرارنا فى كل خلوة ، ولتوقظنا إن ستسلمنا إلى النوم والغفلة.
- إذا كان أول بيت فى القصيد بدأ باسمك ، فإن اسمك سيكون قافية آخر بيت فى القصيد. (١)

بدأ نظامى نعته ببيان أن محمدا عليه السلام هو خاتم الأنبياء والرسل وبأذياله تتعلق آمال البشرية أملا فى الخلاص من أوثان الشرك والمعصية ، ثم انتقل إلى مناجاة الرسول ومخاطبته حتى يمد يده إلى عامة المسلمين والمؤمنين ليكون عونا لهم فى حياتهم فيهديهم طريق الرشاد ويباعد بينهم وبين الأخطاء والآثام ، فإذا كان التعساء والمظلومون والمحرومون قد أنصفهم الرسول عليه السلام بدعوته إلى الإخاء والمساواه وعدم التفرقة بين بنى البشر ، وأنه لافضل لإنسان إلا بعمله لا بحسبه ولابنسبه ، ولافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، فما أحوجنا اليوم أن يكون الرسول حارسنا وموقظنا، بعد أن سيطرت علينا الغفلة ورحنا فى سبات عميق كله دعة وتراخ فى أداء الرسالة التى خلق من أجلها الأدميون، وأرسل للتذكير بها الأنبياء والرسل، وإذا كان محمد عليه السلام خاتم الرسل كما جاء فى أول كلامه ، فهو أول الخلق وخاتمهم كما جاء فى آخر كلامه .

وممن أفاضوا فى نعت الرسول الكريم فى جميع منظوماته وكتبه فريد الدين العطار ، فقد نظم مائة وأربعة وأربعين بيتا فى مدحه الرسول فى منظومة منطق

---

(١) وهذا هو النص الفارسى :

شمسه نه مسند هفت اختران — ختم رسل ، خاتم پيغمبران
أحمد مرسل كه خرد خاك اوست — هر دوجهان ، بستهٔ فتراك اوست
اى تن تو پاكتراز جان پاك — روح تو پروردهٔ روحى فداك
تاج تو وتخت تو دارد جهان — تخت ، زمين آمد وتاج ، آسمان
٥ - خاك ذليلان شده گلشن به تو — چشم غريبان ، شده روشن به تو
ما همه جسميم ، بيا جان تو باش — ما همه موريم ، سليمان تو باش
شحنه تو يى ، قافله تنها چراست — قلب تو آرى ، علم آنجا چراست ؟
خلوتى پرده اسرار شو — ما همه خفتيم ، تو بيدار شو
اول بيت ار چه به نام تو بست — نام تو چون قافيه آخر نشست

(نظامى كنجوى : مخزن الأسرار ، ص : ٢١ - ٢٥).

الطير وحدها ، وسنكتفي بتقديم ترجمة لبعض ما قاله. (١)

المصطفى سيد الدنيا والدين ، كنز الوفاء وصدر العالمين وبدرهما ، هو شمس الشرع وبحر اليقيم ، ونور العالم والرحمة للعالمين .... إنه سيد الكونين وسلطان الجميع ، صاحب المعراج وصدر الكائنات ظل الحق وسيد شمس الذات ، .

كلا العالمين يمضيان فى ركابه ، ترابه قبلة العرش والكرسى ، إنه سيد هذين العالمين وصاحب القدوة فى الخفاء والعيان ، أعظم الأنبياء ومرشد الأصفياء والأولياء، إنه المهدى إلى الإسلام الهادى السبل ، هو السيد الذى يفوق كل ما أقول ، والسباق فى كل شئ على الكل ، (٢) وقد قال سيد الكونين(٣) عن نفسه : «إنما أنا رحمة مهداة».(٤)

استمد العالمان اسميهما من وجوده ، ووجد العرش راحته من اسمه ، وتم خلق كل شئ كقطرات ندى من بحر جوده ، نوره مقصد جميع المخلوقات ، وهو أصل جميع الموجودات والمعدومات ..

إنه المبعوث إلى الجميع ولاجرم ، إنه المبعوث حتى يوم الميزان إلى جميع الخلق فى كل عصر وزمان ، ... ولما كان نوره أصل كل الموجودات ، ولما كانت ذاته مانحة كل ذات ، وجب أن تكون دعوته لكل العالمين ولكل المخلوقات فى الخفاء والعيان ، فأقبل عليه الجميع كما أقبلت عليه أمته ، فكانوا جميعا قاطفى ثمارهمته ، ويوم الحشر يقول من أجل حفنه بلا عمل صالح : هذه أمتى فترد بعد هذا شفاعته ، فيرسل الحق الفداء لهذه الأمه إكراما لروح النبى نور الهدى .

---

(١) يمكن مراجعة نعت الرسول الكريم كاملا فى الترجمة العربية لمنطق الطير ، ترجمة بديع جمعة ، ص : ١٥٦ ومابعدها.

(٢) هذا الكلام إشارة إلى الحديث النبوى : " أول ما خلق الله نورى " ؛ إذ أن العطار يعتقد أن أول ما صدر عن مصدر الوجود هو النور المحمدى ، ثم تم خلق جميع الموجودات من هذا النور المحمدى . انظر شرح أحوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابورى ، تأليف بديع الزمان فروزا نفر ص ٤٣ ، ٣٥١. طهران ١٣٤٠ ش.

(٣) إشارة الى الحديث " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ". الجامع الصغير جـ ١ ص ٣٦٣ ، القاهرة ١٣٥٢هـ.

(٤) ورد هذا الحديث بنصه فى الجامع الصغير ، جـ ١ ص : ٣٤٨.

جاءت دعوته من أجل الخاص والعام وأتم الله به نعمته على التمام، ثم أعطى مهله للكافرين فى مجازاتهم بالعقاب، حيث كف فى عهده إرسال العذاب .الدين والدينا فى كف همته ، كما وهب حياته من أجل أمته. سار فى معراجه بالليل فوضح أمامه سر الكل ، وأصبح ذا القبلتين لسمو رفعته وشأنه ... وتلقى من الحق أعظم كتاب ، فوجد الاحترام والتقدير من الجميع والأحباب .

زوجاته أمهات المؤمنين ، ومعراجه تعظيم للمرسلين ، وخلفه سار الأنبياء حيث كان رائدهم ، وعلماء أمته كالأنبياء فى مراتبهم ، وتبجيلاً له ذكر الحق اسمه فى التوراه والانجيل (١) واستمد الحجر منه المنزلة والرفعة ، وأطلق عليه اسم يمين الله(٢) وبعثه قضى على الأصنام وأمته خير الأنام .

استمدت الكعبة منه التشريف ، فأصبحت بيت الله الحرام ، وأصبح كل من دخلها آمنا ، وعظم شأن الأرض فى عهده ؛ حيث حظيت بالمساجد ، وجعلت كلها طهوراً.

... كلما غاص قلبه فى بحر الأسرار ، انخرط فى الصلاة والأذكار ، لذا كان يقول « أرحنا يا بلال حتى نخرج من ضيق هذا الخيال » وإذا ماسيطر عليه الاضطراب ثانية؛ كان يقول : كلمينى ياحميراً .(٣)

حينما تقدم موسى صوب بساط الجناب الأعلى ، جاء أمر الحق بأن اخلع نعليك(٤) وما أن اقترب وأصبح بعيدا عن نعليه حتى أصبح غارقا فى بحار النور بالوادى المقدس ، أمافى المعراج فكان الرسول شمع ذى الجلال يسمع صوت نعلى بلال، ومع أن موسى كان ملكا وسلطانا فما سلك الطريق وفى قدميه النعلان ، فانظر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : " الذين يتبعون الرسول الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ويناهم عن المنكر ". الأعراف ، آية : ١٥٧.

(٢) ورد فى لسان العرب : الحجر الأسود يمين الله فى الأرض. وقال ابن الإثير : هذا كلام تمثيل وتخيل وأصله أن الملك إذا صافح رجلا قبل الرجل يده ، فكأن الحجر الأسود لله بمنزلة اليمين للملك حيث يستلم ويلثم : نقلا عن تعليقات القاضى طباطبائى ، المدرجة بأخر منطق الطير طبعة طهران ١٣٤٧ ش.

(٣) يقصد بحميرا السيدة عائشة ، رضى الله عنها ، زوجة الرسول عليه السلام.

(٤) اشارة إلى قوله تعالى " فلما آتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى " طه ، اية : ١١ ، ١٢.

إلى أى منزلة حظى بها تابع الرسول فى بلاط الحق إكراما للرسول ، إذ سمح لتابعه بسلوك الطريق مرتديا نعليه ، وما أن رأى موسى العمرانى تلك المنزلة ، وما لتابعة من قربة ، حتى قال : إلهى ! لتجعلنى من أمته ، واجعلنى تابعا لهمته ، ومع أن موسى أراد ذلك على الدوام؛ فقد أدرك عيسى سمو هذا المقام ، فلا جرم أنه عندما يترك الخلوة ؛ سيدعو الخلق إلى اتباع دينه ، ويهبط من السماء الرابعة إلى الأرض واضعا جبهته على ترابة وروحه تحت إمرته وهكذا أصبح المسيح تابعه ، لذا أسماه الحق باسم «المبشر» (١) إنه فصيح العالم وأنا عاجزه ، فكيف يمكننى وصفه وشرح حاله ؟ (٢)

هكذا نعت فريد الدين العطار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقديمه لمنظومته الشهيرة منطق الطير وكل هذه الصفات وغيرها ، تتفق ومشاعرعامة المسلمين وحبهم للرسول عليه السلام ، ومع أن فريد الدين العطار قد نظم العديد من المنظومات فقد حرص على أن يمدح فى كل منظومة من منظوماته رسول الاسلام محمدا عليه أزكى السلام ، ولم يكن مكررا نفسه فى كل مرة ، وهكذا فعل فريد الدين العطار كما فعل غيره من كبار أدباء الفارسية الذين مدحوا الرسول فى كل أعمالهم وإنتاجهم دون الوقوع فى دائرة التكرار ، بل كانوا يأتون بجديد فى كل مرة ، ولندلل على ذلك يحسن بنا أن نذكر بعض ما مدح به العطار النبى محمداً فى مقدمة منظومته الشهيرة الثانية «الهى نامه» ، فقد جاء فى ترجمة هذه المدائح ما نقدم بعضامنه ، راجين ممن يريد الاستزاءة أن يرجع إلى الترجمات العربية لمنظومات العطار وأشهرها : منطق الطير ترجمة الدكتور بديع جمعة ، والهى نامه ترجمة الدكتورة ملكة التركى ، ومصيبت نامه ترجمة الدكتور محمد يونس ، وكلها ترجمات منشورة فى القاهرة بعد أن كانت رسائل جامعية مابين ماچستير أو دكتوراه، وهذه نماذج من مدائحه الواردة فى مقدمة إلهى نامه :

محمد قدوة العلمين ، ومهدى آل آدم ، محمد شمس الخلق وقمر الأفلاك ، محمد

---

(١) اشارة إلى قوله تعالى على لسان عيسى " ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد " الصف، آية : ٦.

(٢) نظرا لطول الاستشهاد ، اكتفيت بذكر بعض ما جاء فى الترجمة دون ذكر النص الفارسى منعا للإطالة والإسهاب . وللاستزادة يرجع إلى الترجمة العربية لمنطق الطير.

مصباح المعرفة وشمع النبوة ، سراج الأمة[1] ، ومنهاج الملة وقائد ميدان الشريعة وأمير جيش السيرة ، ملك العالم وفخر لولاك ، سلطان الأرض والأفلاك ، أمين الأنبياء وبرهان المنهاج ، ملك بلا خاتم وسلطان بلا تاج لملك الدنيا ولكنه التزم بالفقر فخرى ، آيته من ناحية : «إنا فتحنا» [2] ورايته من ناحية أخرى «نصرمن الله » [3]، «لعمرك»[4] تاج مفرقة الذكى، و «ألم نشرح لك» [5] طراز عهده ، هو حقا تاج القاعدة، وهو قطعا سيد الأنبياء، لايوجد أفضل منه على الإطلاق ، ولايوجد أمين للحق سواه ... هو مفاتيح الهدى للعالمين ، ومصابيح الدجى للدنيا والآخرة ، حامل لأمانة رب العالمين.

... مع أنه خاتم الأنبياء ، فقد وجد قبلهم ، فحينما رفع آدم بصره لأول مرة ، رأى اسم محمد مكتوبا فوق العرش ، فسجد أمام اسم محمد الذى خلق من التراب الطاهر. [6]

عند ميلاد محمد أصاب الطوفان عبدة النار ، حيث انطفأت نيران معابدهم بسببه فى الحال ، فإذا كانت النار قد خمدت عن ابراهيم ،فقد خمدت بسببه عن العالم بأسره وهو طفل رضيع .

ما أن ارتفع خفه بالخطو فى طريق الدين ، حتى سقط التاج عن رأس كسرى[7] ، كما أن ثنايا ذؤابته قد أسقطت تاج قيصر ، وأطاحت بخاقان الصين :

كان محمد المقصود بكل الأنبياء ، وعندما بعث ختمت به النبوة ، ألم تر الجند يأتون فى البداية ، ثم يتبعهم بعد ذلك الملك العظيم ، الأنبياء كالجند الهدف من وجودهم هو الملك ، وعندما ظهر سلطان الأنبياء ، ختمت به النبوة ، لأنه المراد.

---

(١) مصداقا لقوله تعالى : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً. الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا " سورة الفتح ، آية : ١.

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة : " نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين " سورة الصف ، آية : ١٣.

(٤) إشارة الى الآية الكريمة : " لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون " سورة الحجر . آية : ٧٢.

(٥) إشارة إلى الآية الكريمة : " ألم نشرح لك صدرك " سورة الشرح ، آية : ١.

(٦) ينسب إلى الرسول (ص) قوله إنه يفضل الأنبياء بست فضائل ، منها التراب الطاهر. تعليقات روحانى ص ٣٢٤ (الهى نامه).

(٧) إشارة إلى اهتزاز عرش كسرى ليلة ميلاد الرسول عليه السلام.

... ومع كل هذه المكانة فقد كان يكنس المنزل أحيانا ، وأحيانا أخرى ينام على الأرض هادئ البال مطمئنا ، وكان تارة يسرع مع عائشة لأداء بعض الأعمال ، وتارة أخرى يرفع الآجر والطين لبناء المسجد ، وفى بعض الأوقات كان يرتق نعليه ، وفى أوقات أخرى يجالس الأطفال .. حتى أنه كان من حلمه يفعل كالجمل أحيانا ، وذلك للتسرية عن حفيديه الحسن والحسين .

وذات ليلة صعد إلى العرش والسماء ، واعتلى العالمين ، كان البراق ملتاعا شوقا إليه ، لذا فقد دخل جبريل عليه السلام وقال ، أيها الطاهر لماذا تلازم الأرض ؛ توجه إلى الأفلاك لأن الحق شرفك بملك العرش ، فتقدم إلى إيوان العرش ... فإن كنت ضيفا على الأرض فترة ، فقد حل الدور الآن على الأفلاك ... وما أن انطلق براق صدر العالم ؛ حتى وصل إلى السماء السابعة كالبرق ، فانكشف له عالم العرش ووضع قدمه فى مقعد صدق. (١) وهنا أنطلقت صيحات ساكنى السماوات قائلة : لقد جاء سيد العالم إلى الميقات ، جاء اليتيم من سلالة أبى طالب ، جاء دراً يتيما طالبا للحق ، فخرجت من الحضرة فى الحال مئات الألوف من الأرواح العلية لاستقباله ..

.. ماذا أقول يارسول الله أكثر من هذا ، فأنا عاجز.. ولا أعلم أكثر من هذا ، ما أفضل أن أصبح جبريل رسول بلاطك ، وكان كل عمله التردد فى طريقك ، وعندما أبصر ميكائيل عين ملكك ؛ أصبح أجيرا لجند جيشك ، ونتيجة لشجاعتك ظل عزرائيل مستعدا دائما بسيفه ، الأمين حارسا لأعتابك ، والملائكة حجابا على بابك ، وكرام الكاتبين حارسيك ..

ماذا أقول وصفاتك على هذا النحو ، لا أعلم كيف يتأتى ثناؤك ، وإن قيل؛ فهل تقبله ؟ أنت تعلم أنه من بين المتحدثين لم يقل أحد مثل هذا المديح ، إلا العطار فقط ، هذه الأشعار عروس .. قبولك لها زينتها وحليتها ، إن تقبلها منى يرتفع شأنى ، وإلا زهقت روحى الحزينة .. ماذا أقول يارسول الله بعد ذلك ، لقد تحدثت بهذا القدر، قدر استطاعتى. (٢)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : " فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ". سورة القمر ، آية : ٥٥.

(٢) يمكن مراجعة هذا النعت والمدح كاملا وهو يقع فى حوالى ثلاثمائة بيت من خلال الترجمة العربية لإلهى نامه والتى أنجزتها الدكتورة ملكة على التركى.

هكذا مدح فريد الدين العطار رسول الله عليه الصلاة والسلام فى مقدمة مثنوياته وألهج فى المدح والثناء . دون أن يكرر فى كل مرة ما قاله فى أى عمل سابق ، وكما فعل فريد الدين العطار فعل غيره من أدباء إيران الذين انتجوا أكثر من عمل ، فكان مدحهم الرسول مبتكرا فى كل عمل ، متفردافى كل منظومه أو كتاب سواء كان هذا المدح فى مقدمة هذه الأعمال أو فى متونها ، وقد حرص معظمهم على ذكر بعض من سيرة الرسول فى هذه المدائح ، ولكننا سنرجئ الحديث عن هذه السيرة ، وعن القصص النبوى والقرآنى إلى فصل لاحق ، مركزين هنا على المدائح المباشرة وحدها.

وشاعر كبير آخر هو سعدى الشيرازى قد خص الرسول عليه السلام بالكثير من مدائحه وسنكتفى بإيراد ترجمة لبعض أبيات هذا النعت الذى قدم به كتابه العظيم «بوستان» :

- كريم السجايا جميل الشيم ، نبى البرايا شفيع الأمم
- إمام الرسل ، هادى السبل ، أمين الله، مُهبط جبريل
- شفيع الورى سيد البعث والنشر ، إمام الهدى صدر ديوان الحشر
- شفيع مطاع ، نبى كريم ، قسيم جسيم ، نسيم وسيم
٥- اليتيم الذى لم يصطنع القرآن ، وإنما غسل ومحا مكاتيات عدة أمم
- حين سل عزمه سيف الخوف ، شق القمر نصفين بالمعجزة (١)
- ولما وقع صيته فى أفواه الدنيا ، وقع التزلزل فى إيوان كسرى
- بلا(٢) ، حطم قامة اللات جذاذا ، وبإعزاز الدين أذهب ماء رواء العزى
- لم يثر غبار الدمار من اللات والعزى فحسب ، بل نسخ التوراة و الإنجيل
١٠- ركب ليلة فجاوز الفلك ، وبالتمكين والجاه فاق الملك
- وساق بحرارة فى تيه القربة ، بحيث تختلف عنه جبريل عند السدرة(٣)
- فقال له سيد البيت الحرام ، ياحامل الوحى تبختر إلى أعلى

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : " اقتربت الساعة وانشق القمر " سورة القمر ، آية : ١.

(٢) بلا : اختصار عبارة التوحيد : لا إله إلا الله.

(٣) إشارة إلى الآيات الكريمة : " ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة مايغشى ". سورة القمر ، الآيات : ١٣ - ١٦.

- ما دمت وجدتنى مخلصا فى المحبة ، لماذا لويت العنان عن صحبتى ؟
- فقال لم يبق لى مجال إلى أعلى ، فبقيت لأنه لم تبق لى قوة جناح
- إذا طرت أعلى قيد شعرة ، يحرق نور التجلى جناحى
- أى نعت مرضىّ أقوله لك : (عليك السلام اى نبى الورى)
- فليكن سلام الملك على روحك ، وعلى أصحابك وعلى أتباعك
- لقد أثنى عليك الله وبجلك ، وجعل جبريل مقبلٌ أرضَ قدرك
- السماء العالية خجلة أمام قدرك ، لقد خلقت وآدم لم يزل ماء وطينا
- أنت جئت أصل الوجود من البداية ، وكل ما صار موجودا بعد ذلك هو فرعك
- لا أدرى أى كلام أقوله لك ، فأنت أسمى مما أقوله لك
- يكفى عز لولاك [1] تمكينا لك ، ويكفى (طه) و(يس) ثناء عليك
- كل ما يصفك به السعدى أقل مما يجب ، (عليك الصلاة يا نبى السلام)[2]

---

(١) اشارة إلى الحديث الشريف : " لولاك لما خلقت الأفلاك ".
(٢) أريج البستان (الترجمة العربية لبوستان سعدى) ترجمة د. أمين عبد المجيد بدوى ، ص ٢١ - ٢٢.

أما النص الفارسى ؛ فهو :

كريـم السـجايا جميـل الشـيم ... نبـى البرايـا شـفيع الأمـم
امـام رسـل ، پيشـواى سـبيل ... اميـن خـدا ، مهبـط جبرئيـل
شفيـع الورى ، خواجهء بعـث ونشـر ... امام الهدى ، صدر ديوان حشـر
شفيـع مطـاع ، نبـى كريـم ... قسـم جسـيم نسـيم وسـيم
٥ - يتيمى كه ناكرده قرآن درسـت ... كتبخانـهء چنـد ملـت بشسـت
چو عزمش برآ هيخت شمشير بيـم ... بمعجز ميـان قمـر زد دو نيـم
چـو صيتـش در افـواه دنيا فتـاد ... تزلـزل در ايـوان كسـرى فتـاد
بـلا ، قامـت لات بشكسـت خـرد ... باعـزاز ديـن آب عزى ببـرد
نـه از لات وعـزى برآ ورد گـرد ... كه تورات وانجيل منسـوخ كرد
١٠ - شبى برنشست از فلك بر گذشت ... بتمكـين وجاه از ملك درگذشـت
چنـان گـرم در تيـه قربـت برانـد ... كه بر سـدره جبريل ازو باز مانـد
بـدو گفـت سـالار بيـت الحـرام ... كه اى حامـل وحـى چرا تافتـى ؟
چـو در دوسـتى مخلصـم يافتـى ... عنانـم ز صحبـت چـرا تافتـى ؟
بگفتـا فـراتر مجالـم نمانـد ... بمانـدم كـه نيـروى بالـم نمانـد
١٥ - اگـر يكسـر مـوى برتر پـرم ... فـروغ تجـلى بسـوزد پـرم =

هكذا مدح سعدى الشيرازى الرسول الكريم بما اتسم به نبى الورى من عظيم الخصال والسجايا، ومن كرام الشيم والأخلاق ، مركزا كفيره ممن مدحوا الرسول على ما أعطاه الله إياه من الشفاعة ، وكأنه وغيره من الأدباء وعامة المسلمين قد تمنوا على الرسول الكريم ألا يتخلى عن أمته وأن يكون شفيعا لهم يوم الحساب ، كما أشار إلى يُتم الرسول عليه السلام وكذلك أميته ، وعلى الرغم من هذا اليتم وتلك الأمية ، فقد أصبح سيد العرب والعجم بفضل بعثه رسولا ونبيا ، وبفضل نزول القرآن عليه أصبح علمه من القرآن ، وليس من علم الكهانة وغيرهم من معلمى الجاهلية.

وكم كان بعثه نورا قد بدد الشرك والوثنية ، وحطم آلهة الشرك والكفر كما حطم عروش الجبابرة والأكاسرة ، وأشار سعدى إلى ماحظى به الرسول الكريم من مكانة عليه لا فى الأرض وحدها ، بل أيضا فى السموات السبع فقد كان معراجه عليه السلام دليلا على علو شأنه ، ورفعة مكانته ، تلك المنزلة التى لم يصل إليها نبى قبله ولارسول سابق عليه.

ومع كل ما قاله السعدى من مدح وثناء ، فإنه يشعر بالخجل ، لأن كل ما قاله ويقوله أقل مما يستحقه الرسول عليه السلام ، ولكن عذر سعدى فى أنه قال كل ما يستطيع ، وليس لديه القدرة على أن يقول أفضل مما قال ؛ لذا فهو يلتمس من الرسول الكريم أن يقبل عذره . إن كان فى كل ما قال مقصراً وغير موف الرسول حقه من المدح والثناء!.

= چه نعت پسنديده گويم ترا ؟ … عليك السلام اى نبى الورا

درود ملك بر روان تو باد … بر اصحاب وبر پيروان توباد

خدايت ثنا گفت وتبجيل كرد … زمين بوس قدر تو جبريل كرد

بلند آسمان پيش قدرت خجل … تو مخلوق وآدم هنوز آب وگل

٢٠ - تواصل وجود آمدى ازنخست … دگر هر چه موجود شد فرع تست

ندانم كدامين سخن گويمت … كه والا ترى ز آنچه من گو يمت

ترا عز لولاك تمكين بسست … ثناى تو طه ويس بسست

چه وصفت كند سعدى ، نا تمام … عليك الصلاة اى نبى السلام

(كليات سعدى ، بوستان ؛ ص : ٤ - ٦).

ومن الشعراء الكبار الذين أثروا الأدب الفارسي بالعديد من المنظومات والكتب النثرية وشارك فى مدح الرسول فى كل كتبه ومنظوماته ؛ الشاعر عبد الرحمن الجامى، وعلى سبيل المثال اذكر ترجمه لبعض ما قاله فى مقدمة منظومته «يوسف وزليخا».

- عندما توج القلم الأزلى باسم محمد ، جعل من ميمه الأولى حلقة لرقبته، ومن الآخرة حلقة لخصره .
- وبفضل هذا الأسم انمحى خط لوح العدم ، وظهر الملوك والملائكة من حلقة حميمه.
- وحا شا لله أن يستطيع العقل ، بكل ماله من إدراك ، أن يقف على سر (حاله).
- فقد أضاءت «حاؤه» هذا الدير ذا الجهات الست ، والروضة الثامنة من الجنات الثمانى.

٥ - وعندما زين القدم بخلخال " داله " ، توالت أسماء بقية الأنبياء فى عقبه .
- فياله من اسم ، ذلك الذى لم يسبقه اسم آخر فى ديوان الوجود .
- وحين يترنم لسانى باسمه، يفعم قلبى وروحى باللذة.
- فإن كان هذا هو شأن الاسم ، فما بالك بالمسمى ، إنه أكثر المخلوقات تعظيما .
- إذا كان الله قد كرم بنى آدم على جميع المخلوقات ، فقد جعله أكثر أبناء ادم تكريما .

١٠- ومنحه الزعامة على كل الزعماء ، ووهبه القيادة على ركب الأنبياء.
- فعندما خطا آدم فى طريق الوجود ، تنفس بمحبة وجه صاحبه المشرق .
- ومالم يفتح الطريق لجوده ، فأنى لسفينة نوح أن تصل إلى «الجودى» ؟.
- وتنسم الخليل نسيما منه ، جعل النار بهيجة كالبستان من حوله.
- وبشر المسيح بمقدمه ، والتمس الكليم قبسا من نوره.

١٥- ووصل جاهه من كنعان إلى مصر ، حين كان يوسف عبدا يباع فيها .
- إنه سروة باسقة فى بستان الوفاء ، وتدرج مزدان من حديقة الأصفياء.
- مع أنه أصاب عين الكفر بالعمى ، فقد أضاءت به عين الإسلام وكأنه

الكُحل.(١)

كما تحدث عن شفاعة الرسول الكريم لأمته يوم القيامة ، راجيا من النبى العظيم ألا يتخلى عن أمته مهما تعاظمت ذنوبها أو كثرت خطاياها ، لأنه الملاذ والملجأ لهم يوم الحشر العظيم ، ومما قاله ؛ ما ترجمته :

ارتداء ثياب التضرع ، والمثابرة فى اقتباس الشفاعة.

- لقد فاضت أرواح الخلائق من فراقك ، فترحم يانبى الله ترحم.
- ألست فى النهاية رحمة للعالمين ، فلماذا أنت غير آبه بالمحرومين ؟.
- احل ليل أحزاننا نهارا ، واجعل نهارنا مباركا ببركة وجهك .
- ومع أننا غرقنا فى بحار الذنوب ، وسقطنا على تراب الطريق بشفاه صادية.

---

(١) راجع بقية هذه المناقب فى الترجمة العربية ليوسف وزليخا التى أعدها الدكتور عبد العزيز بقوش ونشرها فى مجلة أخبار الأدب ، العدد ٣٩ وما بعده أما عن الأصل الفارسى لهذه الأبيات (ضمن نسخة يوسف وزليخا) عام ١٣٤٧هـ.ق ، ص ٧ ، ٨ وهذا هو النص الفارسى:

محمد كش قلم چون نا مور ساخت ... زميمش حلقهء دور كمر داشت
خط حرف عدم زان لوح حك شد ... از آن سر حلقهء ملك وملك شد
تواند شد ز سر حالش آگه ... خرد با جمله دانش حاش لله
درين دور مثمن زدست روشن ... مثمن گلشنى از آن هفت روزن
٥ - چو پا انداخت از خلخال دانش ... سردين پروران شد پايمالش
چونا مست اينكه ازديوان هستى ... بر او نگرفت نامى پيش دستى
زبانم چون روى حرفى سر آيد ... دل وجانم ز لذت در برآيد
چو نام اين است نام آور چه باشد ... مكرم تر بود از هر چه باشد
مكرم شدز عالم نسل آدم ... مكرم تر وى است از هر مكرم
١٠ - خدا بر سرور ان سرداريش داد ... ز خيل انبيا سالاريش دم زد
چو آدم در ره هستى قدم زد ... زمهر روى صبح آراش دم زد
ز جودش گر نگشتى راه مفتوح ... بزدى ره بجودى كشتى نوح
خليل از وى نسيمى يافت كاتش ... براو شد همچو خرم گلستان خوش
مسيح از مقدم او مژده گوئى ... كليم از مشعل او شعله جوئى
١٥ - عصر جاهش از كنعان رسيده ... غلامى بود يوسف زر خريده
زبستان وفا آزاده سروى ... زباغ اصطفى رعنا تذروى
اگر چه كور شد زد چشم هرخام ... چو سرمه ساخت روشن چشم اسلام

٥ - فإنك سحاب الرحمة، ومن الخير أن تلقى نظرة على الظمأى فى بعض الأحيان.

- وما أطيبه ذلك الوقت الذى وصلنا فيه إليك ، وكنسنا بأهدابنا غبار حبك

- وسجدنا سجدة الشكر فى مسجدك ، واحلنا أرواحنا فراشات لمصباحك

- وسلكنا الطريق إلى منبرك ، وذهبنا قوائمه بصفرة وجوهنا

- وحققنا أمانينا بالسجود فى محرابك ، وغسلنا موطئ اقدامك بدموع أعيننا .

١٠- وطفنا حول الروضة بحماس ، وبقلبى ثقوب كالنافذة .

- وبللنا بقطرات سحاب العين الساهرة أعتاب روضتك المقدسة

- فتارة كنا نكنس الغبار من ساحتها وتارة كنا نلتقط القش والأشواك منها

- فأصبح هذا الغبار نوراً لسواد العين ، وتحولت الأشواك والقش بلسما لجراح القلب.

- ورغبة إليك أضرمنا النار فى قلوبنا ، حتى تكون قناديل لك !

- ومالم تشملنا بعون لطفك ، فلن يتأتى منا أى عمل !

- ان القضاء يلقى بنا فى طريقك ، لذا نستحلفك أن تطلب من الله .

- أن يهبنا حياة عامرة باليقين ، وأن يثبتنا فى أمور الدين .

- وألا يريق ماء وجوهنا بدخول النار ، عندما يأتى هول يوم القيامة.

- وأن يمنحك الإذن بالشفاعة لنا ، مع كل ما نحن فيه من ضلال .[١]

---

(١) المرجع السابق ، الترجمة العربية ، وكذلك الأصل الفارسى لهذه الأبيات بالنسخة الفارسية ص : ٦ ، ٧.

لباس ضراعت پو شيدن ودر اقتباس نور شفاعت كوشيدن

تو مهجورى بر آمد جان عالم — ترحم يا نبى الله ترحم

نه آخر رحمة للعالمين — ز محرومان چرا فارغ نشينى

شب اندوه مارا روز گردان — ز رويت روز ما فيروز گردان

اگر چه غرق درياى گناهيم — فتاده خشك لب برخاك را هيم

٥ - تو ابر رحمتى آن به كه گاهى — كنى بر حال لب خشكان نگاهى

خوش آن كز گرد ره سويت رسيديم — بديده گردى از كويت كشيديم

بمسجد سجدهٔ شكر انه كرديم — چراغت را زجان پروانه كرديم

بسوى منبرت ره بر گرفتيم — وز اين بر ريش دل مرهم نهاديم =

وأدلى الراوندى مؤلف راحة الصدور وآية السرور بدلوه كذلك فى مدح الرسول عليه السلام ، ومما قاله فى مقدمة كتابه هذا ما ترجمته : (١)

- صلوات الله الذى يدير الأفلاك والسموات ، على نبيه المصطفى .
- الرسول الحق الذى تبدو معجزته لكل من أرادها .
- والتحيات أيضا على صهريه (عثمان وعلى) ، وعلى صاحبه (أبى بكر) ،
- فإنهم أصدقاؤه الذين كانوا يشاركونه السراء والضراء ليل نهار .
- وعلى سبطيه الشجاعين اللذين يسموان على جميع أهل الجنة .

= ز محـــرابت بسـجده گاه جســتيم   قـدم گاهـت بخـون ديد شسـتيم
١٠ - بگرد روضه ات گشتيم گستاخ   دلى چون پنجره سوراخ سوراخ
زديـم از ابر اشـــك چشـم بيخواب   حريـم اســـتان روضـــه ات آب
گهـى رفتيـم زان سـاخت غبـارى   گهى چيديم ز ان خاشاك وخارى
از ان نـــور ســواد ديـده داديـــم   وز اين بر ريش دل مرهم بنهاديم
زداغ ارزويـــت بـــــادل خـــــوش   زديـم از دل بهرقنديـل آتـــش
١٥ - گر نبود زلطـفت دســتيارى   زدسـت ما نيايـد هيـچ كـارى
قضامــــى افكنـــد از راه مــــارا   خـدا را از خـدا در خـواه مـارا
كه بخشـــد از يقيـن اول حياتـــى   دهـــد آنكه بكـار ديـن ثباتـى
چـــو هول بـروز رسـتاخيز خيـزد   بآتـــش آبـــروى ما نريـــزد
كنـــد با ايـــن همـه گمراهـــى ما   ترا اذن شـفاعت خـواهـى مـــا

(١) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ، الترجمة العربية ص ٤٠ -٤١.
أما الأصل الفارسى ، فهو نقلا عن النسخة الفارسية ص: ٥.

خـداونـد گردنـــده چـرخ كبـــود   از بــاد بــر مصطــفى صـــد درود
فرســتادهٔ حـق رسـول درسـت   كزو معجزت يافت هر كس كه جست
دو داماد وخسرو گاه يا رش بدند   بـــروز وشـب غمگســارش بدنـــد
دو سبط دلاور كــه اندربهشــت   سر ا فراز باشـند بر خـوب وزشـت
٥ - بجز دوستيشان ز بهر معـاد   نداريـــم با خويشـــتن هيـــچ زاد
كه گر جوهرى از سخن مه بـدى   ويا پيـــش جـان آخريـن به بـــدى
بـه بهتـر كـس آن فـرود آمـدى   چو هديـه ز چـرخ كبـود آمـــدى
چنيـن گفـت آن سـر فراز عـرب   كـه كـم بـاد ميـراث گير از نسب
كـــه از معشـــر انبيا تـــا بمـــن   كـه هسـتم سـر ا فراز هر انجمـن
١٠ - نه ميراث گيرست از كس نه به كس   زميـراث مـا بر خـورد يـك نفـس

٥ – وبغير محبة هؤلاء .. لن يكون لنا فى يوم المعاد ملجأ أو زاد
– وكل جوهر ثمين من الكلام . كان مستطابا لدى خالق الأنام.
– قد نزل إلى خير الناس ، كأنه هدية من السماء
– وقد قال سيد العرب ، لا كان من يرثنى عن طريق الندب !
– فمنذ أن كان الأنبياء حتى صرت سيدهم .
١٠– لم يرث الأنبياء شخصا ، ولم يرثهم أحد. (١)

لقد شارك الراوندى غيره من الأدباء الإيرانيين فى مدح الرسول الكريم وذكر بعض مناقبة ، ولكنه ذكر بعد ذلك أصحابه من الخلفاء الراشدين ولذلك سبطيه مع تركيزه بعد ذلك على أن الأنبياء ومنهم محمد عليه السلام لايرثون ملكا عن أحد ، كما أن النبوة ليست إرثا ولا ملكاً يورثه الأنبياء لذويهم من بعدهم ، وهذا خلاف ما يدعيه بعض غلاة المذاهب غير السنية .

ويواصل الراوندى مدحه الرسول ، فيقول ما ترجمته .

مئات الألوف من الصلوات والتحيات بعدد قطرات المطر وما فى الصحراء من مدر ، على روح سيد المرسلين ، ورسول رب العالمين الأكرم الاعظم «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، عليه أفضل الصلوات وأكرم التحيات ، فقد خصه الله عز وعلا من بين الأنبياء بمزيد الكرامة ومزية الفضيلة ، فوضع على رأسة تاج الاصطفاء وجعله حارسا على جهات العالم الأربع .

ورد فى الحديث « زويت لى الأرض ، فأريت مشارقها ومغاربها » (٢) وجعل أهل أقاليم العالم مطيعين لأمره ، فقد ورد فى الحديث «بعثت إلى الأحمر والأصفر»(٣)

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف : إنا معشر الأنبياء لانورث ماتركناه ، فهو صدقة " انظر لسان العرب ، مادة : ورث.
(٢) حديث معروف رواه ثوبان قال : قال النبى (ص) زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها... (مشكاه ، طبع دهلى ص : ٥٠٤.
(٣) حديث معروف رواه ابن سعد (هكذا ورد فى أصل الكتاب وصحته . بعثت إلى الأحمر والأسود) : كنز العمال ج : ٦ ص ١٠٩.

وأمر بسل السيف على أعداء الدولة ، جاء فى الحديث « بعثت بالسيف [١] كما ورد فى القرآن : وأغلظ عليهم [٢] و«وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »[٣]

- البشرى ، البشرى .. فقد صار مقامى فى رحاب المصطفى .
والبشرى البشرى .. فقد رأت عينى منبر المصطفى ومقره
- فيا ليتنى أركب الصعاب ، وأقدم مهجتى هدية للمصطفى .
حتى ولو طوفت بالآفاق رجاء لقاء المصطفى .
- ولتكن روحى وجسدى فداء المصطفى .
التى تحمل عتادى صوب سراى المصطفى .
- ويا أسفا على عجمتنا فى حضرة أفصح العرب .
ويا أسفا على لكنتنا ونحن نتلهف على مدح المصطفى .

.. خرج من غار حراء بالدين والقرآن ، لا بالصنم والقربان ، وهو الذى اتخذ شعار دعوته : ادع إلى سبيل ربك [٤] طائعة فوقفت له جنود الكبرياء وأحاطت به جيوش القبة الخضراء ، كما قال تعالى : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين [٥].

- هناك حيث يستشفع بك الجميع لاتغنى عنهم السموات ولا الصلوات ولا الأكوان
- وتبقى أنت وحدك آخر الشفعاء ، كما أنك خاتم الأنبياء. [٦]
- فإذا لم تكن للناس بضاعة من طاعة ، فلتكن منا الذنوب ومنك الشفاعة !![٧]

---

(١) إشارة إلى الحديث " بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى تعبدوا الله وحده لاشريك له ....كنز العمال ، ج: ٢ ص ٢٥٣ ، كتاب الجهاد.

(٢) سورة التوبة ، آية ٧٣ : " يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير ".

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٣.

(٤) سورة النحل ، اية : ١٢٦.

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٢٠.

(٦) اشارة إلى الحديث المعروف : " علىٌّ منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لانبى بعدى : كنز العمال ، ج : ٦ ص ١٥٣.

(٧) يمكن مراجعة الترجمة كاملة بالترجمة العربية لراحة الصدور ، ص ٤٠ - ٤٤.

هذه قطرات من بحر المديح الذى قيل فى سيرة محمد عليه السلام وفى وصف أخلاقه وشيمه ، ومعصوميته ، هذا المديح الذى يمكن أن يكون محورا لعدة كتب لا لمجرد جزء من كتاب ، هذا المديح الذى قال عنه المداحون ، إننا مهما قلنا ، ومهما أفضنا القول فإننا نشعر بالتقصير ، وإننا لم نعط رسول البشرية محمداً ما يستحقه من ثناء عاطر وشكر وافر على ما قدمه للبشرية نتيجة بعثه رسولا ونبيا ، وحاملا لأعظم رسالة فيها الهداية والرشاد لبنى البشر جميعا ، حيث لم يرسل إلى أمة دون أخرى ، بل كان بعثه للبشرية جميعا .

كما يلاحظ أن جميع مادحيه قد ركزوا كذلك على الشفاعة مطالبين بالمزيد منها وكأنهم يقولون أغثنا يارسول الله ، أغثنا يا شفيعا عند الله ، إننا خطاءون وأنت الشفيع ، إذا لم تكن منك الشفاعة فلا أمل لنا فى النجاة فلا تكلنا يارسول الله الى أخطائنا بل خذ بأيدينا نحو بر الأمان وبعيدا عن نار جهنم والعياذ بالله !!

ثالثاً : فى مناقب الخلفاء الراشدين

فى مناقب أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

حفل الأدب الفارسى وبخاصة قبل بداية العصر الصفوى (٩٠٥ هـ) ، بالعديد من القصائد والقطع الشعرية والنثرية التى أنشدت فى حق الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله الكريم مشيدين بهم ، وبتضحياتهم من أجل الإسلام والمسلمين ، وباتخاذهم أمثلة يجب أن تحتذى فى الفعل والقول ؛ حتى يحظى كل من يتأسوا بهم بالخلق الرفيع وبالعمل الصالح تقربا الى الله عز وجل ، أول هؤلاء الصحابة كان رفيق الرسول (ص) بالغار أبا بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه ، فقد قال فى حقه فريد الدين العطار فى منظومته " الهى نامه " ماترجمته :

قائد رجال الدين ، الصديق الأكبر ، والإمام الصادق لأصحاب المحشر ، كان أعظم رحمة مهداة إلى الرسول ، لأنه كان سابقا بالخيرات فى الدين (١) قرين الخلوة وصديق الغار ، هبته فى اليوم الأول أربعون ألفا. (٢) إنه الشخص الذى سن سنة حسنة ، يصله أجرها دائما ، ولأن أبا بكر بدأ على هذا النحو ، فقد منح أجر الدنيا كلها ، ولأن إيمانه منذ الخليقة فهو يعلو كل إيمان لقدمه ، ألم يعان آلام الأسنان عشر سنوات ، ولم يخبر الرسول بهذا الأمر ، وعندما كشف الحق للرسول أمر رفيقه ، قال له الرسول : أيها الصديق لماذا لم تخبرنى بهذا الأمر ؟ ولكن ليس بمستغرب معرفة ذلك من الحق ، إن الشخص الذى حفظ سر جسده علي هذا النحو ، ليس له من سبيل لحفظ سره سوى الحق ... وكأنما ألقم فمه حجرا ، حيث كانت روحه مستغرقة فى الحق تماما ، ولذا قلما كان يجري الكلام على لسانه ، ولأن روحه قد انشغلت بالمعرفة ، فلم يُرو عنه إلا ثمانية عشر حديثا فقط !

---

(١) مصداقا لقوله تعالى : " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفيناهم من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير " فاطر ، آية : ٣٢.

(٢) يقال إن أبا بكر عندما أسلم كان يملك أربعين ألف درهم : أنفقها كلها فى سبيل علو شأن الإسلام. نقلا عن حواشى الترجمة العربية لالهى نامه للدكتوره ملكة التركى.

.... لم يكن يتزيد فى أى شئ قط ، ولم يتحدث إلا بأقيلونى [١]

.... لقد تصدى أبو بكر وهو فى الغار لأذى الحيات السامة حتى يكف أذاها عن الرسول

لقد شبه الرسول (عليه السلام) أبا بكر وعمر ، الأول بالسمع والثانى بالبصر.

ولما كان النبى قد شبههما بالسمع والبصر ، فإن من لايقبلهما أصم وضرير.[٢]

ولم يكتف العطار بذكر هذه المناقب من السيرة العطرة للصديق أبى بكر ، فقد ذكر بعض مناقبه مرة أخرى في مقدمة منظومته منطق الطير ، ومما جاء فيها ماترجمته :

---

(١) قال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له بعد مبايعته بالخلافة قولته المشهورة : قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فاعينونى ، وإن أسأت فأقيلونى ... ".
وفى رواية أخرى : " فقومونى ! ".

(٢) راجع بقية الحديث عن مناقب أبى بكر الصديق فى الترجمة العربية لالهى نامه ص ١٥ ، ١٦ أما النص الفارسي فهو : انظر النسخة الفارسية ، ص ١٩ ، ٢٠ : تهران ١٣٦٤ ش :

سر مردان دين صديق اكبر — امام صادق اصحاب محضر
مهين رحمت مهدات او بود — كه در دين سابق الخيرات او بود
شب خلوت قرين ديار غاراست — نثارش روز اول چل هزار است
كسبى كو سنتى نيكو نهادست — هميشه اجر آنش دست دادست
٥ - بدين بو بكر چون كردست آغاز — بدو گردد همه اجر جهان باز
از آن ايمان او در اصل خلقت — همى چربد بر ايمان ها ز سبقت
مگر او در د دندان داشت ده سال — پيمبر را نكرد آگه از آن حال
چو حق گفت آن پيمبر را بتحقيق — پيمبر گفتش اى در كار صديق
چرا با من نكردى اين حكايت — زحق گفتا نكو نبود شكايت
١٠- كسى كو سر تن زينسان نگه داشت — بسرجان او جز حق كه ره داشت ؟
نهاده بود سنگى در دهانش — كه تا گوهر نيفشاند زبانش
چنان مستغرق حق بود جانش — كه كم رفتى حديثى بر زبانش
چو جانش بود مشغول درايت — از او هجده حديث آمد روايت
سزد عالم اگر هجده هزار است — كه آن هجده حديثش يا دگار است
١٥- نفس هر گز در افزونى نميزد — كه دم جز در " آقيلونى " نميزد
كسى كو در گزند مار يار است — توان گفتن كه اين كس يار غاراست
كه تا پر زهر نبود آنچنان مار — نيايد در گزند آنچنان يار
چو پيغمبر ابو بكر وعمر را — بصر خواند اين يك وسمع آن دگررا
نبى چون هر دو را سمع وبصر خواند — كسى كاين دو ندارد كور وكر ماند

- السيد الأول صاحب الرسول ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار .(١)
- صدر الدين ، الصديق الأكبر ، قطب الحق ، له فى كل شئ على الجميع السبق .
- كل ما ألقى به الحق من الحضرة العلية فى صدر المصطفى
- ألقى به المصطفى فى صدر الصديق ، ولاجرم أن ألقى الله فى قلبه التصديق

٥- كان يقضى ليله كله حتى الصباح فى سجود دائم ، كما كان يتنهد أثناء الليل مما به من حرقة

- وقد سرت تنهداته عطرة حتى بلاد الصين ، حيث عطرت دماء الغزال التترى
- لذا قال الرسول شمع الشرع والدين : اطلبو العلم ولو بالصين .(٢)
- مكانته نابعة من حكمته ، وما كان لسانه ينطق إلا بكلمة " هو"
- وحكمته لم ترد على أى لسان ، وغير اسم الله لم ينطق لسانه

١٠- لابد للإنسان من اعتبار حتى يكون ذا وقار ، إذ كيف تتأتى جلال الأعمال من عديم الوقار. (٣)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى إثنين إذ هما فى الغار .. " التوبة ؛ آية : ٤٠.

(٢) إشارة إلى قول الرسول الكريم : اطلبوا العلم ولو بالصين ، وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم " الجامع الصغير ، جـ ١ ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) وهذا هو النص الفارسى ، نقلا عن منطق الطير ص ٢٧ تهران ١٣٤٧ ش.

خواجهء أول كه يار اوست　　ثانى اثنين إذ هما فى الغار اوست
صدر دين صديق اكبر قطب حق　　در همه چيز از همه ، برده سبق
هر چه حق ازبار گاه كبريا　　ريخت در صدر شريف مصطفى
آن همه در سينهء صديق ريخت　　لا جرم تا بود ازو تحقيق ريخت
٥ - سر فرو بردى همه شب تا بروز　　نيم شب هوئى بر آوردى بسوز
هوى او تاچين برفتى مشكبار　　مشك كردى خون آهوى تتار
زين سبب گفت آفتاب شرع ودين　　علم بايد جست از اينجا تا بچين
سنگ از آن بودى بحكمت در دهانش　　تا بسنگ وهنگ هو گويد زبانش
نى كه سنگش برزبان بگرفت راه　　تا نگويد هيچ نامى جز إله
سنگ بايد تا پريد آيد وقار　　مردم بى سنگ كى آيد بكار

وهكذا ركز فريد الدين العطار على أن أبا بكر كان رفيق الغار ، الذى قبل المخاطرة والهجرة مع الرسول عليه السلام ، فكان الله خير حافظ لهما ، وكذلك على كونه الصادق الصديق الذى لم يشك ولو للحظة واحدة في صدق أى شئ قاله الرسول الكريم أو قيل عن الرسول ، وبخاصة عندما نقل إليه حديث الرسول عن المعراج فما كان منه إلا أن قال قولته المشهورة : " إن كان قد قال هذا ، فهو صادق "

أما ماقاله الراوندى من مناقب إبى بكر الصديق ، فقد وصلت إلى بيان موقفه من الإسلام في حياة الرسول الكريم ومساندته له ، ثم موقفه من حركة الردة بعد وفاة الرسول عليه السلام ، حتى وصفه عمر بن الخطاب نتيجة لموقفه الصلب والحاسم مع المرتدين بأنه " الأسد " ومما قاله الراوندى فى مقدمة كتابه " راحة الصدور وآية السرور " ؛ ماترجمته :

أول شخص نهل من الإسلام ، وعانق عروس الإيمان هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه فهو خادم الخلافة ، وإمامها المنزه ، وأول من اعتلى منبر الخلافة ، وأول نائب للمصطفى ، صديقه فى الغار ومحل أسراره .. وهو رأس العشرة المبشرة رضى الله عنهم ... إن أبا بكر الصديق زعيم أهل التحقيق رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، وقد ازدان به صدر الخلافة ، فعندما غربت فى مغرب يثرب شمس زعيم الأنبياء محمد المصطفى صلوات الله عليه ، وبدأ المنافقون والمشركون يطلقون ألسنتهم بالسوء ، وجزع الصحابة المخلصون ، انبرى أبو بكر رضى الله عنه بيقين إسلامى وعناية رحمانية ، وخاطبهم قائلا : " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لايموت ، ألا وإن السيوف التى أظهر الله بها الإسلام على عواتقنا ، فمن شاء منهم أن يبرز فليبرز " فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "لقد كنت ثعلبا فصرت أسداً " . فقويت قلوب الصحابة وخمدت فتنة المنافقين، وتمكن الصحابة من اقتلاع جذور الردة والنفاق ، وبذروا بذور الدين فى سائر الآفاق. (١)

هكذا كان موقف أبى بكر الصديق القوى والحازم وعدم قبوله أى حل وسط اقترح لتهدئة ثائرة المرتدين ، علاجا ناجعا لهذه الفتنة ، لأنه أدرك لو أنه وافقهم فى

---

(١) راحة الصدور وآية السرور ، الترجمة العربية ص : ٤٥ ، ٤٦.

شئ فستزداد مطالبهم بعد ذلك ، مما سيضعف شوكة الإسلام والمسلمين ، ولكنه أثر أنه يسلك طريق القوة والعنف مع هؤلاء المرتدين ، حتي يكون لائقا بالأمانة التى حملها إياه رسول الله فى حياته وبعد مماته ، مما جعل عمر بن الخطاب يصفه بالأسد الهصور بعد أن خرج عما عهد عليه من هدوء وصمت وترو .

وقد أنهى الراوندى مدحه لأبى بكر الصديق بأبيات هذه ترجمتها :

- وهو شيخ الإسلام الملقب بالصديق والعتيق ، وأعقابه يفخرون بأنه أسبق السابقين إلى الاسلام والإمامة .
- إذا كان محمد قد جعله إمام الإسلام ، فإنه بسيرته إمام الصحابة وقدوة لهم
- لقد جلس على سرير السلطنة في ملك الجنة ، لأنه من حيث المعتقد واليقين من أعز اصحابه
- ولما كانت ابنته عائشة أم المؤمنين زوجة للمصطفى ، فقد أصبح من غير شك يعرف بالصديق الأكبر .
- لقد وهب ماله للمصطفى وزوجه من ابنته ، فهنيئا له مافعل ، وهنيئا لمن اتخذه أسوة حسنة .(١)

وهكذا أنهى الراوندى مدحه لأبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه ، بأن دعا جميع المسلمين لاتخاذهم أبا بكر أسوة حسنة يحاولون السير على نهجه والتأسى

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٤٦ ، أما الأصل الفارسى فى النسخة الأصلية ص ٩ ، ١٠.

شيخ اسلام آنك صديق وعتيق القاب اوست
سبق اسلام وامامت مفخر اعقاب اوست
پيشواى عالمش گر چه محمد كرده بود
او بسيرت پيشوا وسرور اصحاب اوست
بر سرير سلطنت در ملك جنت آن نشست
كزيقين واعتقاد نيكو از احباب اوست
آنك ام المؤمنين است اهل بيت مصطفى
بى گمان صديق اكبر منشأ اسباب اوست
بذل كرد او مال ودختر را براى مصطفى
فرخ وخر م كسى كش قبله هم محراب اوست

بأعماله وأقواله ، وهذا هو المقصود من ذكر مناقب الخلفاء الصالحين ، ليس المقصود تسجيل تاريخ ، بل تنبيه المسلمين إلى ما كان يفعله هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم من خير وصلاح حتى نحاول تقليدهم لعل الله يتقبلنا كما تقبلهم ، فكان أبو بكر وصحبه من المبشرين بالجنة ، فأين نحن منهم ؟!

* * *

فى مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

كان الحديث عن عمر بن الخطاب حديثا مستفاضا ، عن عدله وعن زهده وعن شجاعته ، وعن تفقده أحوال المسلمين ، وعن تواضعه الذى زاده مكانة فى نفوس الجميع، كما أكثر البعض من سوق القصص المتعلقة بما كان يفعله خدمة للإسلام والمسلمين ، وقضاء على الشرك والمشركين ، وكيف انتشر الإسلام فى عهده انتشارا واسعا شمل أكبر امبراطوريتين فى ذلك الوقت ، وهما : امبراطورية الروم ، وامبراطورية الفرس . ومع كل هذا المجد وتلك الفتوحات ظل على تواضعه وعدله بل وعلى فقره أيضا ، ومما قاله فى حقه فريد الدين العطار فى منطق الطير نذكر ترجمة لبعض الأبيات : (١)

سيد الشرع وشمس المتدينين ، ظل الحق الفاروق الأعظم شمع الدين ، من ختم به الحق العدل والإنصاف ، كما كان له فى الفراسة قصب السبق على الجميع ، وأول من يسمح له بعبور الصراط هو عمر ، كما قال الرسول عليه السلام ، كما أنه أول من يتسلم خلعة الخلافة فى دار السلام ، ما أعظمه من صاحب مقام رفيع ، فما أن وضع الرسول يده فى يده منذ البداية ، حتى حمله معه إلى حيث يوجد فى النهاية .(٢)

بعدله وصل أمر الدين إلى أوجه ، كما وجد النيل المضطرب راحته (٣) ، إنه شمع الجنة وسراج الخلد ، وكما تتلاشى الظلال أمام نور الشمعة ، فإن الشياطين

---

(١) راجع حديث العطار عن مناقب عمر بن الخطاب فى الترجمة العربية لمنطق الطير ، ص : ١٦٦.

(٢) اشارة الى قول الرسول الكريم : " عمر معى، وأنا مع عمر ، والحق بعدى مع عمر حيث كان ". الجامع الصغير ، جـ : ٢ ص : ١٤٢.

(٣) يشير الى فتح مصرعلى يد عمرو بن العاص فى أيام خلافة عمر بن الخطاب ، وما تبع ذلك من عدل بين الرعية وتخليص المصريين من عنت الدولة الرومانية.

تسارع بالهروب بعيدا عنه . (١) إذا تكلم فالحقيقة على لسانه . عندما رآه النبى يحترق فى ضراعة ، قال : كم هو جدير بأن يسمى " سراج الجنة ". (٢).

وقد تحدث العطار عن لقبه هذا سراج الجنة بتفصيل أكبر فى مقدمة منظومته "الهى نامة" وربط بين هذا اللقب وبين حديث الرسول عنه بأنه بمثابة العين للرسول عليه السلام ، فقال ماترجمته :

- اعتبره الرسول عينيه فيا لها من مكانة !
وقال عنه سراج الجنة أيضا فيا لها من مرتبة !
- إنه السراج الذى أضاء الشرق والغرب
وزيته لاشرقى ولاغربى
- ولما كان بمثابة العين والسراج من الحضرة
فكيف يتأتى لك خوض الطريق بلا عين أو سراج
- إن عدمت العين والسراج
فلن تستطيع التفرقة بين الحديقة أو الحمام
٥- وإن لايلازمك السراج والعين في الطريق
فلن تعرف الطريق من البئر ، ولا البئر من الطريق
- وإن تسلك الطريق بدون هذا وذاك
فستزل قدمك وتسقط فى البئر
- وغداً عندما ينفخ فى الصور
سينطفئ مصباح السماء إلى الأبد
- ولكن سراج الجنة الوضاء هذا
سيظل أكثر ضياء على الدوام صباح مساء (٣)

---

(١) اشارة الى قول الرسول الكريم : " إن الشيطان ليفر منك يا عمر ". الجامع الصغير جـ ١ ص ٢٧٤.

(٢) اشارة إلى قول الرسول الكريم : " عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة " المرجع السابق جـ ٢ ص : ١٤٢.

(٣) الهى نامه : الطبعة الرابعة طهران ١٣٦٤ ش ص : ٢٠ - ٢١ ، والنص الفارسى لهذه الأبيات هو : =

وعلى الرغم من المكانة السامية لعمر بن الخطاب فى الدنيا والأخرة ، فقد ظل على تواضعه ، فلم يتخذ قصرا ولاسريرا للحكم ، بل ظل بعد أن تولى أمر الخلافة فى بيته المتواضع وحياته الزاهدة المتقشفة ، مما كانت مضرب الأمثال لكل الملوك فى جميع الأمصار ، وقد تحدث عن هذا الأمر جلال الدين الرومى فى المثنوى وذلك عندما سرد حكاية مفادها أن قيصر الروم أرسل رسولا إلى عمر ، وعندما وصل الرسول إلى المدينة ، فإذا به يسأل عن قصر الخليفة عمر ، ولكنه لم يجد قصرا ولا دار حكم ، ولا أى مظهر من مظاهر الأبهة التي تعودها هذا المبعوث الرومى فى بلاط ملوكه ، وهذه ترجمة لأبيات هذه الحكاية :

- إن رسولا من القصر جاء الى عمر بالمدينة ، بعد أن طوى الفلاة الشاسعة
- وقال : أيها الخدم ! أين قصر الخليفة حتي اتجه إليه بحصانى ومتاعى ؟
- فقال له القوم : ليس لعمر قصر ، وإنما لعمر قصر الروح المضئ
- فهو وإن كان عظيم الشهرة بالإمارة ، فإنه كالدراويش لايمتلك سوى كوخ !

٥- وحين تلقى رسول الروم بسمعة هذه الألفاظ النضرة ، زاد اشتياقه

- فأرسل البصر منقبا عن عمر ، كما ترك متاعه وحصانه للضياع
- ثم مضى يقتفى أثر ذلك العظيم ، سائلا عنه كالمجنون فى كل صوب
- ورأته أمرأة إعرابية ، فعرفته غريبا ، فقالت : إن عمر هناك تحت تلك النخلة
- لقد كان متفردا عن الخلق تحت جذع النخلة ، فتأمل كيف نام ظل الله فى الظل؟ !

١٠- جاء رسول الروم إلى ذلك المكان ووقف بعيدا ،. وما أن أبصر عمر حتي

= پیمبر چشم خود خواند ش زهی قدر   چراغ خلد هم گفتش زهی صدر
چراغی کرده شرق وغرب روشن   که نه شرقی ونه غربیش روغن
چو او چشم وچراغ آمد زدرگاه   تو بی چشم وچراغی چون روی راه
اگر نبود ترا چشم وچراغی   ز گلخن فرق نتوان کرد باغی
٥ - که گر نبود چراغ وچشم در راه   ندانی چاه از ره ، راه ازچاه
تو بی این هر دو گر در راه افتی   ز کوری عاقبت در چاه افتی
ز نفخ صور فردا جاودانی   فرومیرود چراغ آسمانی
ولیکن این چراغ جنت افروز   بود رخشنده ترهر شام وهر روز

أخذته رجفة.

– لقد وقعت بنفس هذا الرسول مهابة لذلك النائم ، ثم حلت بروحه حال طيبة.

– فقال محدثا نفسه : كم رأيت الملوك ، وكم كنت عظيما أثيرا لدى السلاطين .

– ما أحسست من قبل بهيبة للملوك أوخوف منهم ، فما بال هيبة هذا الرجل قد سلبت لبى ؟

– هذا الرجل الأعزل النائم فوق الثرى ، قد ارتعد منه كل كيانى . فما هذا ؟

١٥– ان هذه الهيبة من الخالق ، وليست هيبة مخلوق ، إنها ليست هيبة هذا الرجل صاحب الدلق .

– وبينما هذا الرسول يتفكر ، وقد عقد يديه احتراما ، فإذا بعمر قد هب من نومه بعد ساعة.

– فأدى التحية لعمر ثم سلم عليه ، إذ قال الرسول : السلام ثم الكلام !

– فرد عمر السلام ، ودعاه للاقتراب منه ، وأمنه ، وأجلسه أمامه

– إن عبارة " لاتخافوا لهى نزل الخائفين ، وإنها لملائمة للخائف

٢٠– لقد أسعد عمر ذلك القلب الهلع ، وعمرّ ذلك الخاطر الخرب

بعد ذلك تجاذب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أطراف الحديث مع هذا الرسول فى أمور شتى ، جعلت هذا الموفد من قبل أمبراطور الروم يقبل على الإسلام ويرفض العودة إلى بلاد الروم. (١)

هكذا كان يحكم عمر الخلافة الإسلامية على اتساع رقعتها ، كان العدل والتواضع هما سلاحاه ، حتى قيل فى حقه تلك المقوله المشهورة : حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر "!

وعن تواضعه مع عامة المسلمين مهما كان وضعهم الاجتماعى نظم سعدى الشيرازى ما ترجمته :

---

(١) راجع بقية القصة فى ترجمة الجزء الأول من المثنوى ، سواء فى ترجمة الدكتور محمد كفافى المنشورة ببيروت ، أو الترجمة الحديثة للدكتور ابراهيم شتا المنشورة بالقاهرة.

حكاية الخليفة عمر مع الشحاذ

- سمعت أن شحاذا فى مكان ضيق ، قد وضع عمر قدمه فوق ظهر قدمه .
- لم يعرف الفقير المسكين من هو، لأن المتألم الحرد لا يعرف العدو من الصديق
- فثار عليه قائلا : هل أنت أعمى ، فقال له الأمير العادل عمر :
- لست أعمى ، ولكن الأمر صار خطأ ، ولم أعرف ! فتجاوز عن ذنبى
- أى منصفين كانوا ، عظماء الدين ؟ إذ كانوا هكذا مع الأتباع والمرؤوسين
- غدا يتدلل المتواضعون ، وينكس خجلا رءوسهم المتكبرون .
- إذا كنت تخاف من يوم الحساب ، فتجاوز عن خطأ ذاك الذى يخاف منك
- لاتجر عبثا واجتراء على من دونك والمرءوسين ، فإن فوق يدك يدا أيضا ![(١)]

بينما كان عمر مع الرعية متواضعا كان مع نفسه شديد الحساب ، وخوفا من يوم الحشر كان دائم التجوال لتفقد أحوال الرعية ليلا ونهارا لأنه يعتبر الحكم تكليفا لاتشريفا ، فهو مسئول عن الرعية أمام الله عز وجل وقصص عمر بن الخطاب فى هذا الأمر مشهورة ومنها قصته مع المرأة التى كانت تطبخ الحصى لكى ينام أولادها، وقصته مع بائعة اللبن التى رفضت نصيحة أمها بغش اللبن لأن عمر لا يراهما ؛ فقالت الفتاة إن رب عمر يراهما ، وقد دفع عمر بن الخطاب أحد أبنائه للزواج من هذه الفتاة، ومن نسلها جاء عمر بن عبد العزيز ، وقد حيكت الكثير من هذه الحكايات عن تفقده أحوال الرعية حتى بعد مماته ، ومنها تلك الحكاية التى أوردها نظام الملك فى

---

(١) أريج البستان : الترجمة العربية للبوستان ، ترجمة د. أمين عبد المجيد بدوى ، ص ١٦٧.
أما النص الفارسى فهو عن : بوستان ، ص : ١٥٠ (نسخة فروغى)

گدايى شنيدم كه در تنگجاى	نهادش عمر پاى بر پشت پاى
ندا نست درويش بيچاره كوست	كه رنجيده دشمن نداند ز دوست
بر آشفت بر وى كه كورى مگر ؟	بدو گفت سالار عادل عمر
نه كورم وليكن خطا رفت كار	ندا نستم ، از من گنه در گذار
٥- چه منصف بزرگان دين بوده اند	كه بازير دستان چنين بوده اند ؟
بنازند فردا تواضع كنان	نگون از خجالت سر گردنان
اگرمى بترسى ز روز شمار	از آن كز تو ترسد خطا درگذار
مكن خيره بر زير دستان ستم	كه دستيست بالاى دست توهم

كتابه الشهير سياستنامه. (١)

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبيه : يا أبت ! متى أراك إن قبضك الله عن الدنيا ؟ فقال عمر : فى الآخرة ! قال : وددت لو رأيتك أسرع من هذا ! قال : فإنك ترانى فى منامك ، فى الليله الأولى أو الثانية أو الثالثة . ثم انقضت اثنتا عشرة سنة دون أن يراه فى منامه ، فلما رآه بعد اثنتى عشرة سنة فى رؤياه ؛ قال : يا أبت ! ألم تقل انى أراك بعد ثلاث ليلال ؟ فأجابه : كنت عنك فى شغل ، فقد كان فى سواد بغداد جسر ركبه التلف ، ولم يصلحة الموكلون به . عبرته أغنام ، فولجت ساق شاه فرجة فيه ؛ فانكسرت ، فسألنى الله بها حتى اليوم !

وفى الحقيقة يجب أن يعلم مولى العالم أنه مسئول فى ذلك اليوم العظيم عمن وليهم من الخلائق وأنه لن يقبل منه إذا هو أحال أمرهم على أحد. (٢)

هكذا كان عمر بن الخطاب مسئولا عن الرعية وعن الدواب أيضا لا يهدأ له بال حتى يوفر للجميع أسباب الراحة والطمأنينة ، وكيف ظل بعد موته اثنتى عشرة سنة يحاسب من الله عن كسر ساق شاة لإهمال من أحد عماله ، وليس لإهمال منه » .

ثم يختم نظام الملك حكايته بتوضيح المغزى وهو أن الحاكم مسئول أمام الله عن كل صغيرة أو كبيرة فى مملكته أو إمارته ، وكأن لسان حاله يقول أين نحن الآن منك ياعمر؟.

فى مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عثمان ثالث الخلفاء الراشدين ، صاحب النورين ، والمتصف بالحلم ، الحريص على صلة الرحم قد تحدث بعض الأدباء ذاكرين مناقبه ، ومن هؤلاء كان الراوندى

---

(١) نظام الملك : أشهر وزير إيرانى عبر التاريخ الاسلامى ، وزر لكل من ألب أرسلان وملكشاه السلجوقيين (٤٥٥ – ٤٨٥هـ)، أسس المدارس النظامية وأشهرها مدرسة بغداد التى كان أبو حامد الغزالى أحد أساتذتها ، ومؤلفه الشهير سياست نامه يعد من أشهر الكتب التى توضح واجبات الحاكم وكيف يسوس أمور الدولة.

(٢) روى هذه الحكاية أيضا الإمام الغزالى فى كتابه نصيحة الملوك.

صاحب كتاب راحة الصدور وآية السرور ، حيث قال فى مقدمة كتابه ما ترجمته : (١)

عثمان هو فريد العصر ، جامع القرآن ، زوج الكريمتين ، وخاتم القرآن فى ركعتين ، ذو النورين الطاهرين ، وقد شرفه الرسول بما أورده فى حقه حينما قال : كيف لا استحيى ممن يستحيى منه الملائكة ؟ (٢)

ثم أورد فى حقه بضعة أبيات هذه ترجمتها :

- لم يختم أحد القرآن فى ركعتين سوى عثمان
- ولم يكن بين الصحابة من هو خير من عثمان فى جمع القرآن !
- هو القدوة والإمام والرائد والمقتدى
- الذى لم يبلغ أحد شأوه فى خدمة الدين والإسلام
- ذاق الجميع نعمته وجحدوها فصاروا كالغوغاء
- ولم ينتفع أحد بمثل هذا الكفر والجحود والنكران (٣)

لقد تبرع عثمان بالكثير من ماله فى سبيل نصرة الدين الإسلامى ، كما كان قريبا من قلب الرسول عليه السلام حتى زوجة الرسول باثنين من بناته هما : أم كلثوم ورقية ، وقد تزوج الثانية بعد وفاة الأولى ، تغمدهم الله جميعا بواسع رحمته لذا أطلق عليه لقب «ذى النورين» حيث حظى بنورى محمد عليه السلام وهما ابنتاه ، ثم زاده الله فضلا ونوراً عندما أتم جمع القرآن وهو بهذا لم يعد صاحب النورين بل صاحب الأنوار الثلاثة كمال قال العطار فى ذكر مناقبه بالهى نامه :

أمير المؤمنين عثمان .. صاحب اللبين من نورى الرسول ، ماذا أقول وقد أصبح

---

(١) راحة الصدور ، الترجمة العربية ، ص : ٤٨.

(٢) صحيح مسلم ، طبع مصر جـ ٢ ، ص : ٢٣٥.

(٣) نقلا عن الترجمة العربية ص ٤٨ ، أما الأصل الفارسى فهو بالنسخة الفارسية هى : ١١ وهو :

در دو ركعت ختم قرآن جز كه عثمان كس نكرد
به ز عثمان از صحابه جمع قرآن كس نكرد
آن امام پيشوا وآن مقتداى رهنماى
كز براى دين جز او انعام واحسان كس نكرد
نعمتش خوردند وز كفران چو غوغايى شدند
سود بر ادبار ونا پاكى وكفران كس نكرد

ذا ثلاثة من الأنوار ، أثنان من نورى الرسول ، والنور الثالث من جمعه القرآن ..

ولأنه كان مهتما بالحفاظ على القرآن ، فقد آثر العزوف على الدنيا انشغالا بهذا الأمر.

إن نزعت بغضه لحظة من قلبك ، تشرق شمسك ويضئ قمرك ، إن الشخص الذى كسر عصا عثمان على ركبته ، أصيبت قدمه بجذام دائم (١) وهكذا أصبحت عصاه رمزاً وصارت مثل عصا موسى خصما للأعداء ، وإن وجد له عدو فى الحياة ، يكون كنائب فرعون ، كان قلبه بحرا عظيما من العلم ، وكان جسده جبلا راسخا من الحلم ، كما كان قلبه فى الحقيقة جامعا للقرآن ؛ لذا كان الخلق يتحلقون حوله بالمسجد ليفسر القرآن للخاصة والعامة . ولما كان إماما للخاصة والعامة فى شئون القرآن فكيف يجانبه الصواب مع أقاربه (٢) ... وفى تلك الغوغاء أشهر غلمانه السلاح استعداداً للنزال وإذا به يدعو الجميع إلى إلقاء السلاح .. وكان القرآن شغله الشاغل، حتى صار شهيدا وأصبح القرآن وعاء دمائه (٣)

لقد كان الرسول عليه السلام حريصا على الإشادة بعثمان بن عفان وإعلاء شأنه ثقة منه بفضل عثمان بن عفان على الدعوة الإسلامية، ووضع أمواله تحت تصرف النبى صلى الله عليه وسلم ليأخذ منه ما يدعم الدعوة ويقوى عودها ، لذا قال الرسول فى حقه الكثير والكثير ، وكان مما قاله نقلا عما جاء فى مقدمه منطق الطير للعطار :(٤)

---

(١) هذه اشارة إلى أحداث الفتنة التى سبقت مقتل عثمان ، حيث اجتمع عليه الثوار داخل مسجد الرسول عليه السلام ، ومنعوه من الصلاة ، وتطاول عليه أحدهم بعصا الرسول التى كان يحملها عثمان فى يده ، ويقال إن هذا الرجل أصيب بعد ذلك بمرض الجذام. د. فتحية النبراوى : دراسة فى عصر الخلفاء الراشدين ص ٢٥٤.

(٢) من الاتهامات التى وجهت إلى عثمان رضى الله عنه أنه اختص بنى أمية – وهم من أقاربه – بالملك والثروة دون المهاجرين والأنصار. ولكن هذا الاتهام مرفوض من كثير من المؤرخين وكذلك من فريد الدين العطار : انظر محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : الدولة الأموية ؛ للشيخ الخضرى ، ص ٤٠.

(٣) عندما هاجم الثوار دار عثمان ، كان عثمان عاكفا على قراءة القرآن والعبادة ، وكان يصلى وبين يديه المصحف فسالت دماؤه فوق المصحف : حواشى الترجمة العربة لالهى نامه ، ص : ٢٢٩.

(٤) راجع الترجمة العربية لمنطق الطير ، ص ١٦٧ ، ١٦٨.

إنه يوسف الثانى.
- ان الفلك يظل دائما خجلاً من عثمان (١)

حدث أن عثمان لم يكن موجودا أثناء بيعة الشجرة ، لذاوضع الرسول الكريم يده بدلا من يد عثمان ، فقال أحد الحاضرين كم كنت أود أن أكون غائبا مثل ذى النورين لأحوز هذا التكريم ، فقال عنه الرسول شمس الدنيا والدين : أن له أن يفعل بعد هذا كل شئ دون خوف .

فى مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه :

حظى أمير المؤمنين على بن أبى طالب بأهتمام ملحوظ من الأدباء الإيرانيين ، وذلك لعلمه وشجاعته ، وتضحيته بنفسه يوم الهجرة ، حتى لايدرك الكفار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غادر داره إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التى اتسم بها على بن أبى طالب ، لذا حاكوا حوله العديد من القصص والحكايات التى تزخر بها منظوماتهم وكتبهم النثرية ، وعلى الرغم من هذه الكثرة الهائلة فإننا سنكتفى بذكر بعض مناقبة ، وكذلك حكاية أوحكايتين وردتا فى حقه الكريم ، وقد قال فى حقه فريد الدين العطار ما ترجمته .

- سيد الحق وزعيم الصادقين ، منبع الحلم وبحر العلم وقطب الدين .
- ساقى الكوثر والإمام الهادى ، ابن عم المصطفى وأسد البارى
- انه المرتضى المجتبى قرين البتول ، السيد المعصوم صهر الرسول .
- إنه فريد فى اطلاعه على الحق ، وليس للعقل أمام علمه أدنى شك .
- إذا كان الرسول قد قال : أقضاكم على ، فإن عليا كذلك مشغول بذات الحق.
- إذا كان أحد الأشخاص قد استرد الحياة بنفخة من عيسى ، فإن عليا قد أعاد اليد المقطوعة بنفخة منه .

---

(١) اشارة الى الحديث الشريف :" عثمان حيى تستحيى منه الملائكة". الجامع الصغير جـ ٢ ، ص : ١١٢.

- لقد أصبح صاحب القبول - وهو معتمد على كتفى الرسول - محطما للأصنام بالكعبة ! (١)

كما نظم فى حقه الراوندى فى مقدمة راحة الصدور أبيات هذه ؛ ترجمتها :

- هو صهر النبى وابن عمه المبجل ، وهو زوج زهراء النبى ، وهو أبو الحسن والحسين

- ردد ما شئت فى رفعة الأحساب فى جميع العالم ، وقل ما شئت فلن تجد من هو أرفع منه!

- لقد ثبتت به أصول الإسلام فى الأرض ، وهو مقتلع الباب الحديدى لحصن خيبر

- وهو على بن أبى طالب ، أسد الله الغالب ، الذى استطاع أن يكون فى المعارك قاتلا للكفار

- إن الشمس قد امتلأت عيناها بالدماء وهى فى حجب المغرب ، خجلا لموت هذا الورع وهو يصلى. (٢)

---

(١) منطق الطير : الترجمة العربية ص ١٦٩ ، أما الأبيات فبالأصل الفارسى ص : ٢٩.

خواجهء حق پيشواى راستين   كان علم وبحر حلم وقطب دين
ساقى كوثر ، امام رهنما   ابن عم مصطفى ، شير خدا
مرتضاى مجتبى ، جفت بتول   خواجهء معصوم وداماد رسول
مقتداى دين باستحقاق اوست   مفتى مطلق على الاطلاق اوست
هم ز اقضاكم على جان آگه است   هم على مشغول فى ذات الله است
ازدم عيسى چو مرده زنده خاست   او بدم دست بريده كرد راست
كشت اندر كعبه آن صاحب قبول   بت شكن بر پشتى دوش رسول

(٢) راحة الصدور : الترجمة العربية ، ص ٤٩ ، وأصل الأبيات بالنسخة الفارسية ص ١٢٠.

آنك داماد نبى وابن عم مهترست   جفت زهراء نبى ، باب شير وشبر ست
در نسب يادر حسب در كل عالم باز گوى   تا كجا كو كيست كزوى برترست
بيخ دين اندر زمين زومحكم آمد وآنگهى   بر كننده آهنين در را زحصن خيبرست
پور بو طالب على شير خدا كندر مصاف   قاتل كفار بد دينست وعمر وعنتر ست
آفتاب از شرم آن كورا غازى فوت شد   پر زخون هرشب دوديده درحجاب خاورست

لقد كان على كرم الله وجهه بحرا للعلم ، ومع هذا فقد كان محيطا للحلم ، ومع علمه الغزير ، فقد كانم يحسن الاستماع لمن يخالفه الرأى ، وهذه حكاية ساقها سعدى الشيرازى فى كتابة «بوستان» يدلل على علمه وحلمه؛ فقال ما ترجمته :

حكاية الإمام على ومخالفه فى الرأى

- عرض شخص مشكله أمام على ، عساه يجلو ويكشف مشكلته
- أجابه الأمير الآسر للعدو ، الفاتح للبلاد ، إجابة من قبل العلم والرأى.
- ولكن ، سمعت أن شخصا فى ذلك المجلس ، قال : ليس هكذا يا أبا الحسن.
- لم يغضب منه حيدر البطل الشجاع ، وقال : إن تعرف أحسن من هذا ، فلتقل!

٥- فقال ما عرف وذكر ما ينبغى ، إذا لايليق أن تستر عين شمس بالطين،
- فارتضى منه ملك الرجال الجواب ، وقال أنا على خطأ وهو على صواب !
- المتكلم العالم الأفضل منا ، هو الواحد الذى لاعلم أسمى من علمه (١)

* * *

هكذا فعل أسد الله على بن أبى طالب صاحب العلم الرفيع ومن قال فى حقه الرسول الكريم «أقضاكم على» ، إذ تقبل رأى مخالفه ، واعترف بأنه كان على خطأ

---

(١) أريج البستان ، ص ١٦٦ ، والنص الفارسى نقلا عن كليات سعدى ، ص : ١٤٩.

كس مشكلى برد پيش على | مگر مشكلش را كند منجلى
امير عدو بند كشور كشاى | جوابش بگفت از سر علم وراى
شنيدم كه شخصى در آن انجمنى | بگفتا چنين نيست يا با الحسن
نرنجيد ازو حيدر نامجوى | بگفت ار تو دانى از ين به بگوى
٥- بگفت آنچه دانست وبايسته گفت | بگل جشمه خور نشايد نهفت
پسنديده از اوشاه مردان جواب | كه من برخطا بودم ، او بر صواب
به ازما سخنگوى دانا يكيست | كه بالا تر از علم او علم نيست



– فريح الغضب وريح الشهوة وريح الطمع ، تعصف بمن لايكون من أهل الصلاة.

– الغضب سلطان على الملوك ، لكنه غلام لنا ، وهأنذا قيدته بسيطرة اللجام .

– ثم قال امير المؤمنين : إنه فى القتال ، حينما بصقت فى وجهى تحركت نفسى ففسد طبعى .

١٥– فأصبح نصف قتالى من أجل الحق ، ونصفه من أجل الهوى والنفس .

– سمع المجوسي هذا القول ، فتجلى النور فى قلبه ، ومزق زناره .

– وقال : لتعرض على الشهادة ، فقد رأيتك مفخرة للزمان .

– واتجه نحو الدين بمحبة واشتياق ، قرابة خمسين من ذوى قرباه وقومه .

– فعلى بسيف حلمه قد اشترى بدلاً من السيف كثيرا من الرقاب لكثير من الخلق.

٢٠– إن سيف الحلم أحد من سيف الحديد ، بل إنه الأقدر على تحصيل الظفر من مائة جيش (١) !

---

(١) المثنوى، ترجمة كفافى جـ ١ ، ص ٤١٩ ومابعدها ، والنص الفارسى ؛ كما يلى :

از على آموز اخلاص عمل   شير حق را دان مطهر از دغل
در غزا بر پهلوانى دست يافت   زود شمشيرى بر آورد وشتافت
او خدو انداخت بر روى على   افتخار هر نبى وهر ولى
آن خدو زد بررخى كه روى ماه   سجده آرد پيش او در سجده گاه
٥ – در زمان انداخت شمشير آن على   كرد او اندر خراش كاهلى
گشت حيران آن مبارز زين عمل   ور نمودن عفو ورحمت بى محل
گفت بر من تيغ تيز افراشتى   از چه افگندى ، مرا بگذاشتى
آن چه ديدى كه چنين خشمت نشست   تا حنان برقى نمود وباز جست
گفت : من تيغ از پى حق مى زنم   بندهء حقم نه مأمور تنم
١٠ – ما رميت إذ رميت در حراب   من چو تيغم وآن زنند آفتاب
كه نيم ، كوهم زحلم وصبر وداد   كوه را كى در ربايد تند باد ؟
باد خشم وباد شهوت ، باد آز   برد اوراكه نبود اهل نماز
خشم بر شاهان شه ، ومارا غلام   خشم را هم بسته ام زير لگام
چون خدو انداختى در روى من   نفس جنبيد وتبه شد خوى من
١٥ – نيم بهر حق شد ونيمى هوا   شركت اندر كار حق نبود روا   =

فيما قال من رأى ، وكان مخالفه الرأى على صواب ، أى تواضع هذا ؟ إنه تواضع العلماء ، وأى خضوع للحق كان يتصف به أمير المؤمنين ؟ لقد كان كل ما يصدر عنه من قول أو فعل مرده تقربه إلى الله وخشيته منه ولم يكن يستثار إلا من أجل الحق ، لامن أجل نفسه بل كثيرا ما كان يتنازل عن حق من حقوقه أو الدفاع عن نفسه ، إذا كان فى غير هذا التنازل شبهة الأنا أو الذاتية . وهذا ما حدث فى أحد المعارك بينه وبين أحد الكفار ، تلك الحكاية التى رواها لنا جلال الدين الرومى فى كتابه العظيم « المثنوى» ونذكر هنا ترجمة لبعض أبياتها .

على وخصمه الكافر

- تعلم من على الإخلاص فى العمل ، واعلم أن أسد الله كان مطهرا من الغش والخداع .
- لقد تغلب فى إحدى الغزوات على رجل من الأبطال ، فرفع السيف مسرعا للقضاء عليه
- فبصق هذا الخصم فى وجه على ، الذى كان فخرا لكل نبى وولى .
- بصق على هذا الوجه ، الذى كان وجه القمر يسجد أمامه حيث يكون السجود

٥- وفى الحال ألقى على بالسيف من يده ، وتراخى فى قتاله ! .

- ففدا المبارز حيران من هذا العمل ، ومن إظهار على هذا العفو وتلك الرحمة فى غير محلهما .
- وقال : كنت قد شهرت على سيفك البتار ، فلماذا رميته الآن وتركتنى ؟
- ماذا رأيت فأسكن غضبك هكذا ، لقد كان كبارق بد ثم احتجب !
- قال على : إننى أضرب بالسيف فى سبيل الله ، إننى عبد الله ولست عبدا لجسدى !

١٠- إننى فى الحرب مصداق لقول الحق : «وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى» (١)

- أنا لست عودا من القش ، بل أنا جبل من الحلم والصبر ، فكيف تقتلع الجبل الرياح العاصفة؟

---

(١) الأنفال ، آية : ١٧.

وهكذا انتصر حلمه على غضبة ، وكسب الإسلام بحلمه هذا إسلام خمسين أو أكثر من ذوى ذلك الكافر الذى أسلم بدوره نتيجة لما فعله على بن أبى طالب من كبح لجماح نفسه ، وهكذا كان على بن أبى طالب حليما مع من هم دونه من عامة المسلمين، ومع أعداء الله ، ولكن دون أن يتنازل عن حق من حقوق الله عز وجل ، بل كان فى حلمه متغاضيا عن حقه فقط .

* * *

رحم الله عليا وسابقيه من الخلفاء الراشدين رحمة واسعة لما قدموه للإسلام من تضحيات ونضال من أجل نصرة دين الإسلام وإعلاء شأنه حتى اليوم .

هكذا كان حال هؤلاء الرجال الذين عاشوا بالإسلام وللإسلام ، وقد تخلى كل منهم عن الأنا والذاتية ، ولم يكن أحدهم يفكر فى جاه أو سلطان ، بل تولى كل منهم الخلافة لاطمعا فى مكانة اجتماعية ولا أملا فى ثروة أو أبهة ، فكانت الخلافة بالنسبة لهم تكليفا ثقيلا وعبئا ضخما ، ولكنهم تحملوا العبء وأدوا الأمانة على خير وجه ، ومع كل هذه التضحيات فقد ظهر نفر من غلاة المذاهب الاسلامية متهمين هؤلاء الرجال العظام وبخاصة الخلفاء الثلاثة الأول بأنهم استأثروا بالخلافة وسلبوا عليا هذا الحق كما يدعون ، وكانت هذه الدعوات المرفوضة قد وجدت أرضا صالحة لازدهارها فى ايران ، مما دفع العديد من الادباء والمفكرين لنبذ هذا التعصب ، ومن هؤلاء الأدباء الذين اهتموا بهذا الأمر فريد الدين العطار ، حيث هاجم هؤلاء الغلاة ذوى المذاهب الضالة المضللة ، ومما قاله ما ترجمته :

فى ذم التعصب

- يامن وقعت أسير التعصب، وظللت أبدا أسير البغض والحب .

= گبر اين بشنيد ونورى شد پريد	در دل اوتا كه زنارى بريد
عرض كن برمن شهادت را ، كه من	مر تورا ديدم سر افراز زمن
قرب پنجه كس ز خويش وقوم او	عاشقانه سوى دين كردند رو
او بتيغ حلم چندين حلق را	واخريد از تيغ چندين خلق را
٢٠ - تيغ حلم از تيغ آهن تيز تر	بل ز صد لشكر ظفر انگيز تر

(مثنوى معنوى): نشر عزيز الله كاسب ١٣٧١ ش الطبعة الأولى ص ١٦١ - ١٧٢.

- إن كنت تفاخر بالعقل واللب ؛ فكيف تنطق بعد ذلك بالتعصب ؟
- أيها الجاهل لارغبة فى الخلافة ، إذ كيف تتأتى لدى أبى بكر وعمر مثل هذه الرغبة؟
- لوكانت لديهما الرغبة وهما صاحبا قدوة ، و لأعطى كل منهما لابنه من بعده هذه الولاية .
٥- ولو كانا قد سلبا الحق من المستحق ، لكان منعهما واجبا على الآخرين
- إذا كان أحد لم يتقدم لمنع الصديق ، فلك أن تكذب الجميع أو تلزم جانب التصديق .
- أما وإنك تكذب صحابة الرسول ، فإنك بذلك تنكر أحاديث الرسول .
- فقد قال - الرسول - أصحابى نجوم زاهرة ، وأفضل القرون قرنى
- وأفضل الخلق صحابتى ، وأقربائى ومن حظوا بصحبتى !
١٠- وإذا كان الأخيار هم الأشرار فى نظرك ، فكيف تدعى أنك صاحب نظر ؟
- كيف تجيز لصحابة الرسول أن يتقبلوا بقلوبهم رجلا غير صاحب قبول ؟
- أو أن يجلسوه مكان الرسول ، فهذا الباطل غير مقبول من الصحابة .
- إذا كان اختيارهم خاطئا ، فإن اختيار جمع القرآن يكون كذلك خاطئا.
- إن كل ما يفعله صحابة الرسول هو الحق ولا يفعلون إلا ما يليق بالحق .
١٥- إذا جاز أن تكون الرغبة فى الخلافة لدى الصديق ، لما قال «أقيلونى» على الإطلاق
- كان الصديق رجل طريق دائما ومتخليا عن الكل وللأعتاب كان ملازما .
- وكم نثر المال والابنة والروح ، فالزم الحياء ، فمثل هذا الرجل لايستمرئ الظلم.
- وقد تطهر من قشور الرواية لأنه كان فى لب الدراية .
- لم يكن الرسول يجلس مكانه من يتعدى على منبر الدين !
٢٠- فإن يدرك شخص هذا كله ، فكيف يستطيع القول بأنه لاحق له فى الخلافة ؟
- ولو قدر أن لدى عمر قدرا ضئيلا من الرغبة ، لما قتل ابنه ضربا بالدرة .
- ولو قدر أنه قد تولى الخلافة عن طريق الخطأ ، فلم كان نصيبه أسمال

الدراويش ؟

– كم افترش مرقعا من مئات القطع ، حيث عدم الرداء والكليم .

– إن كنت ضده متعصبا ، فلست منصفا ، ولتمت بهذا القهر .

– لقد ما ت عمر بالسم ، أما أنت فستموت دوما بقهره ، وإن لم تذق سمه (١)

---

(١) الترجمة العربية لمنطق الطير ص ١٧٠ ، ١٧١ ، أما الأصل الفارسى ، ص : ٢٩ – ٣١ من منطق الطير

ای گرفتار تعصب ماندهء　　دائما در بغض ودر حب ماندهء
گر تولاف از هوش واز لب میزنی　　پس چرا دم از تعصب میزنی
در خلافت نیست میل ای بیخبر　　میل کی آید ز بو بکر وعمر
میل اگر بودی در آن دو مقتدا　　هر دو کردندی پسر را پیشوا
٥ – هر دو گر بردند حق از حقوران　　منع واجب آمدی بر دیگران
گر نمیاید کسی در منع یار　　جمله را تکذیب کن یا اختیار
ورکنی تکذیب اصحاب رسول　　قول پیغمبر نکر دستی قبول
گفت : هر یا ریم نجمی روشن است　　بهترین قرنها قرن من است
بهترین خلق یاران منند　　اقربا ودوستاران منند
١٠– بهترین چون نزد تو باشد بتر　　کی توان گفتن ترا صاحب نظر
کی روا داری که اصحاب رسول　　مرد ناحق را کنند از جان قبول
یا نشا نندش بجای مصطفی　　ازصحابه نیست این باطل روا
اختیار جمله شان گرنیست راست　　اختیار جمع قرآن پس خطا ست
بلکه هرچ اصحاب پیغمبر کنند　　حق کنند ولایف ودرخور کنند
١٥ – میل در صدیق اگر جایز بدی　　خود اقیلونی کجا هرگز بدی
دائما صدیق مرد راه بود　　فارغ از کل لازم درگاه بود
مال ودختر کرد وجان برسرنثار　　ظلم نکند اینچنین کس شرم دار
پاك از قشر روایت بود او　　زانکه در مغز درایت بود او
آنکه بر منبر ادب دارد نگاه　　خواجه را ننشیند او بر جایگاه
٢٠ – چون ببیند اینهمه از پیش وپس　　نا حق اورا کی تواند گفت کس
در عمر گرمیل بودی ذرهء　　کی پسر کشتی بزخمم درهء
گر خلافت بر خطا میداشت او　　هفت من دلقی چرا میداشت او
چون نه جامه دست دادش نه گلیم　　برمرقع دوخت صد پاره ادیم
گر تعصب میکنی از بهر این　　نیست انصافت بمیر ازقهر این
٢٥– او بمرد از زهر وتواز قهر او　　چند میری گر نخوردی زهر او

ثم واصل العطار هجومه على هؤلاء المتعصبين فى موضع آخر من نفس المقدمة لكتابه منطق الطير ، فقد قال ما ترجمته :

- سواء أكان المقصود عليا أم أبابكر الصديق ، فروح كل منهما غارقة فى التحقيق.
- فعندما توجه المصطفى صوب الغار ، نام المرتضى تلك الليلة على فراشه .
- وهكذا أراد الحيدر أن يقدم روحه نثارا ، وذلك للحفاظ على روح الرسول الأعظم !
- كما خاطر الصديق رفيق الغار بروحه ؛ وقدم روحه فداء لرفيق الغار .

٥- كلاهما قدما الروح نثارا فى طريقه ، وكلاهما نثرا الروح حفاظا عليه.

- فتعصب فى الرأى على أنهما بمنطق الرجال ، قدما الروح نثارا فى سبيل الحبيب .
- وإن كنت رجلا كهذا أوذاك ، فهل لك أن تتحمل آلام هذا اوذاك ؟
- فلتكن مثلهما باذلا الروح ، وإلا فالزم الصمت وتخل عن هذا الهزل !
- أنت فى هذا الطريق لست إلها ولارسولا ؛ فاغلل يدك عن هذا الرد والقبول

١٠- وتطهر من التبرأ والتولى ، وكن عبدا مطيعا فى هذا الطريق .[1]

- وما دمت حفنة من تراب ؛ فالزم جانبك ، وطهر كل مداركك وأقوالك [2]

---

(١) المقصود من التبرأ و التولى : تبرأ المتعصبين من الخلفاء الثلاثة الأول وتوليهم بعيدا عنهم.

(٢) منطق الطير - الترجمة العربية ص ١٧٧ - ١٧٨ ، والأصل الفارسى لهذه الأبيات بنسخة جواد مشكور ؛ ص : ٣٦ ، ٣٧

گر على بود اگر صديق بود	جان هريك غرقهء تحقيق بود
چون بسوى غار ميشد مصطفى	خفت آن شب بر فراشش مرتضى
كردجان خويش را حيدر نثار	تا بماند جان آن صدر كبار
پيش يار غار ، صديق جهان	هم راى جان او در باخت جان
٥- هر دو جانبازان راه او شدند	جانفشانان در پناه او شدند
تو تعصب كن كه ايشان مردوار	هر دو جان كردند برجانان نثار
گر تو هستى مرد اين يا مرد آن	كو تو را يا درد اين يا درد آن
همچو ايشان جان فشائدن پيشه كن	يا خموش وترك اين انديشه كن
تو درين ره نى خدائى نى رسول	دست كوته كن از ين رد وقبول
١٠- از تولا وتبرا پاك شو	تو كف خاكى درين ره خاك شو
چون كف خاكى سخن از خاك گوى	جمله را پاكيزه دان وپاكيزه گوى

هذه دعوة مباركة لنبذ التعصب بين الفرق والمذاهب الإسلامية ، كم أحوجنا إليها الآن ، توحيدا للقوى الإسلامية لعلنا نعيد للأمة الإسلامية سالف مجدها وعزتها ، كما كانت على عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم جميعا ، اللهم حقق هذا الرجاء ، وألهمنا الهداية والرشاد ولنتخذ من سيرة المصطفى عليه السلام وصحبه الكرام القدوة والأسوة الحسنة . وعلى الله قصد السبيل !!.

الفصل الثالث
أدب الفتوحات الإسلامية

برع الفرس منذ القدم فى الكتابة والنظم حول الحروب والغزوات ، ومن أقدم الكتب التى دونت نثرا بالفارسية فى القرن الرابع الهجرى فى وصف الحروب والبطولات مايسمى بالشاهنامات أو كتب الملوك ، وكان الفرس يقلدون فيها كتاب "خداينامه" البهلوى وترجماته العربية ، وهو الكتاب الذى ألف في العصر الساسانى وترجمه بعد ذلك الى اللغة العربية ابن المقفع وسماه "سير الملوك" ، وقد ضاع فيما ضاع من كتب .

ومن بين الشاهنامات التى كتبت نثرا فى القرن الرابع شاهنامة أبى المؤيد البلخى ، والتى تعد من أقدم الشاهنامات وأهمها ، وتتناول تاريخ ايران القديم . كذلك شاهنامة أبى منصور محمد بن عبد الرزاق الذى كان حاكما على خراسان وقد أمر وزيره أبا منصور محمد بن عبد الله المعمرى بجمع هذه الشاهنامة.

وأول من شرع فى نظم شاهنامة الشاعر مسعود المروزى وهو من شعراء أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ، وجاء من بعده الشاعر الدقيقى ثاني الشعراء الذين نظموا شاهنامة ، ويأتى بعد ذلك أبو القاسم الفردوسى صاحب الشاهنامة الخالدة التي وصلت إلينا كاملة ، والتي يصل عدد أبياتها إلى مايقرب من ستين ألف بيت .

كل هذا يدل على ان الفرس كانوا يهتمون بتسجيل تاريخهم وحروبهم وفتوحاتهم وبطولاتهم على مدى العصور ، وعندما دخلوا فى الدين الإسلامى وشاركوا فى الفتوحات الإسلامية التى كانت تهدف الى نشر الإسلام فى أرجاء الدنيا ، حاول كتابهم وشعراؤهم تسجيل كل مايدور فى هذه الفتوحات فى مؤلفاتهم التاريخية أو دواوين أشعارهم . وقد تحولت فيما بعد المنظومات البطولية التي تمجد القومية الإيرانية إلى منظومات تاريخية بحته ، تتحدث عن تاريخ فترة من الفترات أو عهد من العهود ، كما هو الحالى فى منظومة "سلجوقنامه" التي تتناول تاريخ آل سلجوق ، و"ظفر نامه" التى تتناول تاريخ إيران منذ ظهور الإسلام وحتي عصر مؤلفها حمد الله المستوفى القزوينى (متوفى ٧٥٠هـ) وغيرهما .

ومن أقدم الكتب الفارسية التى إهتمت بالحديث عن الفتوحات الإسلامية كتاب "زين الأخبار" تأليف أبى سعيد عبد الحى من الضحاك بن محمود الگرديزى ، وقد

كتب المؤلف كتابه عام ٤٤٠ هـ فى عهد عبدالرشيد بن مسعود بن محمود بن سبكتگين. ويشتمل الكتاب على أحداث تاريخية منذ بدء الخليقة وحتي نهاية عصر السلطان مودود بن مسعود الغزنوى . ويعرض فيه المؤلف الاحداث التاريخيه بايجاز ، كما يهتم فيه بعادات الشعوب وتقاليدهم ، ويتميز اسلوبه بالبساطة والسهولة والبعد عن التكلف والتعقيد .

ويبدأ الكتاب بالحديث عن ملوك العجم ، ويقسمهم المؤلف إلى خمس طبقات تحدث عن كل طبقة منها على حده . ففى الطبقة الأولى يتحدث عن مجموعة من ملوك إيران ثم يتناول فى الطبقة الثانية الكيانيين ، وفى الطبقة الثالثة يتحدث عن ملوك الطوائف ، وفى الرابعة يتحدث عن ملوك الساسانيين ، وفى الخامسة يتحدث عن الأكاسرة ، ويبدأ حديثه بالكلام عن أنو شيروان العادل ويقول عنه : " حينما جلس أنو شيروان بن قباد على العرش إستن سننا طيبة ؛ فاطلقوا عليه انو شيروان العادل ، لأنه كان رجلا عادلا ، لم يسعد لظلم إنسان وأتى بتقاليد حميدة فى احقاق الحق لم يأت بها إنسان قبله قط ، وأول عمل قام به أنه أعطى ملك العرب للمنذر بن امرئ القيس ، لأنه كان السيد ، وابن سيد العرب جميعا ، وكان له ولاسلافة مآثر كثيرة لدى ملوك العجم " (١)

وعند حديثه عن يزد جرد بن شهريار يتناول معركة القادسية فيقول : " وكان آخر ملوك العجم ، وجلس على العرش وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، ولم تمض على خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سوى اثنين وعشرين يوما . وحينما تولى عمر رضى الله عنه الخلافة ، أرسل جيوش المسلمين إلى العراق ، وكان خالد بن الوليد أميرا لتلك الجيوش . فلما أتت أخبار قدوم جيوش العرب إلى يزد جرد بن شهريار بعث بجيوشه للقائهم وولى رستم بن فرخ زاد قيادة هذه الجيوش ، وحينما إلتقى الجمعان فى صحراء القادسية استمرت الحرب طويلا ، وكان الظفر دائما للمسلمين وقدم يزد جرد بنفسه إلى المعركة، والتحم مع جيش المسلمين ، ولكن الظفر كان

---

(١) الترجمة العربية لكتاب "زين الأخبار" للدكتورة عفاف السيد زيدان - جـ١ ، ص٤٧ ، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
النص الفارسي ص ٣١ - تهران ١٣٤٧ .

للمسلمين أيضا وهزمت جيوش العجم واندحرت ، وفر يزد جرد ودخل مرو ، وحينما علم ماهوى مرزبان مرو أرسل جماعة لطلبه ، وكان ماهوى حانقا عليه غاضبا منه ، ولكن رجاله لم يجدوه ؛ فقد إختفى يزد جرد فى طاحونة ، ولما أتى حارسها ورآه قال له : أخرج من طاحونتى ، فإن دخلى كل يوم خمسة دراهم وسينقطع دخلى حينما تبقى هنا ، ولما لم يكن مع يزد جرد ذهب أو فضة حتى يعطيه إياه ؛ وكان أيضا جائعا، فقد أعطاه جوهرة نفيسة وقال له : بع هذه وارفع غلالك ، ثم أحضر لى شيئا حتى أقتات به ، ولاتدل إنسانا على مكانى. وحينما ذهب الحارس بالجوهرة إلى السوق أمسكوه واقتادوه إلى ماهوى ، فسأله عن مكان يزد جرد فدله عليه، فأرسل ماهوى أشخاصا قطعوا رأسه وأتوا بها إليه ، ورموا جسده فى الماء. وإختتمت به مملكة العجم. وإستولى المسلمون بعد ذلك على إيران وهى فى أيديهم حتى الآن ، وستظل فى ملكهم إلى يوم القيامة بمنة الله تعالى ".(١)

ويشير المؤلف الى هذه الموقعة مرة ثانية عند حديثه عن عمر بن الخطاب إذ يقول : " وفى خلافته كانت موقعة القادسية ، فقد واجه جيش خالد بن الوليد جيش العجم ، وإلتحم الجيشان فى صحراء القادسية ، وهزمت جيوش العجم ، وفر ملكهم يزدجرد بن شهريار ، فتقدم خالد بن الوليد وفتح العراق ، وحمل خزائن ملوك العجم وكنوزهم التى كانوا قد أكتنزوها منذ أربعة آلاف سنة ، وأرسل إلى المدينة نصيب عمر. وكان فتح العراق عام ثمانية عشر ".(٢)

وعندما يتحدث المؤلف عن دولة بنى العباس فى الباب السابع من الكتاب ويصل إلى خلافة القائم بأمر الله ، يتناول أخبار أمراء خراسان قبل الاسلام ثم بعد استيلاء المسلمين عليها ، فيقول : (٣)

" اما أمراء خراسان فقد كانت لهم فى القديم رسوم أخرى ، فمنذ عهد أردشير بابكان كان للدنيا سپهسالار واحد ، وحينما قدم أردشير جعلهم أربعة : أحدهم فى

---

(١) الترجمة العربية ص ٥٩ والنص الفارسى للكتاب ص ٤٠ .
(٢) الترجمة العربية لزين الأخبار ص ٨٠ والنص الفارسى ص ٥٣ .
(٣) الترجمة العربية لزين الأخبار ص ١٤٦ والنص الفارسى ص ٩٢ .

خراسان ، والآخر فى المغرب ، والثالث فى النيمروز ، والرابع فى أذربيجان ، وجعل لخراسان أربعة مرازبة : أولهم مرزبان مروشايگان ، والثانى مرزبان بلخ وطخارستان، والثالث مرزبان ما وراء النهر ، والرابع مرزبان هراة وپوشنگ وبادغيس.

وحينما إستولى المسلمون على ملك العجم ، وصارت خراسان للمسلمين ازالوا كل رسوم المغان. وفى عهد الرسول (صلعم) لم تصل ايدى المسلمين إلى خراسان ، وكذلك فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وحينما تولى عمر رضى الله عنه الخلافة بعث بخالد بن الوليد إلى بلاد العجم ليفتحها ، وحينما وصل إلى القادسية تقدم إليه جيش العجم بأمر يزدجر بن شهريار وكان رستم بن فرخ قائدا لهذا الجيش، ودارت رحى الحرب هناك ، وكان الظفر والنصر للمسلمين. وهزموا المغان ، وقبضوا على كثير منهم وباعوهم أرقاء ، وهزم يزدجر وقتل فى مرو شاهجهان ، ودخلت جيوش المسلمين إلى العراق على هذا النحو فاتحين البلاد حتى وصلوا إلى خراسان.

وفى خلافة عمر رضى الله عنه لم يصل أحد إلى خراسان ، وحينما تولى عثمان رضى الله عنه الخلافة أرسل عبد الله بن عامر بن كريز إلى خراسان ، فأرسل عبد الله بن عامر على مقدمته عبد الله بن خازم ، وخرجوا عن طريق فارس وجرجان إلى طبسين (١) وفتحوهما. وكان أهلهما أول من أسلم فى خراسان. وقدم من بعد عبد الله بن عامر بن كريز كذلك أمراء آخرون مازالوا يفتحون حتى يومنا هذا ".

ومن أهم الفتوحات الإسلامية التى تناولتها المؤلفات الفارسية تلك الفتوحات التى قام بها السلطان محمود الغزنوى فى الهند ، وهو الذى تولى الملك بعد أبيه سبكتگين عام ٣٨٨هـ ، ونهضت بفضله الدولة الغزنوية إلى أن زالت بعد ذلك على يد السلاجقة عام ٤٢٨هـ أى بعد موته بسبع سنين. وقد عرف محمود الغزنوى بعدة ألقاب منها : " بطل الإسلام " و" فاتح الهند " و " محطم الأصنام " و" يمين أمير المؤمنين " و " يمين الدولة ". أما أعماله فتدل على عبقرية حربية وسياسية فائقة ؛ فقد إستطاع أن يغلب السامانيين على أمرهم وأن يغزو الهند وينازل الهنود فى إثنتى عشرة معركة فى مدة أربع وعشرين سنة (٣٩٢ - ٤١٥هـ) وأن يزيد حدود مملكته التى ورثها حتى

---

(١) طبسين هما مدينتان فى غرب سيستان وكان العرب يسمون احداهما طبس العناب والأخرى طبس التمر .

إمتدت من بخارى وسمرقند إلى كجرات وقنوج وشملت فيما شملته أفغانستان وما وراء النهر وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وجزءا كبيرا من الولايات الواقعة فى الشمال الغربى من الهند.[1]

والواقع أن أهم مايميز عصر السلطان محمود وأعماله تلك الغزوات والفتوحات التى قام بها فى الهند والتى كان لها جليل الأثر وعظيمه فى نشر الإسلام فى تلك البقاع ، وكان ذلك هدفا من أهداف محمود ، وقد أعطى له صبغة الجهاد الدينى الذى يجب على كل مسلم أن يقوم به. وفى كل هذه الغزوات حالفه النصر ، وكان قد فرض على نفسه فى كل عام غزو الهند كما يقول ابن خلكان. [2] وقد ساعده فى تلك الغزوات قرب غزنة حاضرة ملكه من الهند ، ولم تكن الهند غريبة عليه فقد سبق له أن شارك أباه فى غزواته لها من قبل ، مما يسر له الإطلاع على أحوالها ، والوقوف على قدر غير قليل من أساليب القتال عند أهلها. كما أنه كان قد إستولى على بلاد ماوراء النهر التى آلت إلى ايلك خان بعد زوال الدولة السامانية ، وعلى سيستان وبلاد الغور مما قوى مركزه الحربى فى الداخل ، فبدأ يوجه حملاته إلى الهند.

ولاشك أن ثروات الهند أيضا كانت عاملا من العوامل المشجعة على تلك الفتوحات ، ولكنها لم تكن العامل الأساسى فى ذلك ، فلو كانت غاية محمود من غزواته الهندية مجرد جمع الأموال فحسب ، اذن لقبل ما عرضه عليه الهنادكة من إفتداء صنم سومنات بالأموال الطائلة ، ولما رد عليهم بقوله المشهور بأنه يؤثر أن ينعته الناس بأنه محطم الأصنام على أن يقولوا عنه بائع الأوثان.[3]

وقد إستطاع محمود الإستيلاء على صنم سومنات المشهور سنه ٤١٦هـ والذى يزعم الهنود " أن الأرواح إذا فارقت الأجساد إجتمعت لديه على مذهب التناسخ ، فينشئها فيمن يشاء ، وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل

---

(١) تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس الى السعدى - تأليف ادوارد براون - ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي - مصر ١٩٥٤م ، ص١١٠ ، ١١١

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - مصر ١٢٩٩ هـ - حـ ، ص ٥١٦ .

(٣) تاريخ المسلمين فى شبة القارة الهندية وحضارتهم - جـ ١ ، ص ٨٧ تأليف الدكتور أحمد محمود الساداتى - القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .

وله من الموقوف مايزيد على عشرة آلاف قرية ". (١) وقد حطم يمين الدولة هذا الصنم.

ولم يفتر محمود عن توجيه حملاته إلى الهند طوال عهده ، حتى أننا نرى نائبه أحمد بن ينا لتگين فى هذه البلاد يستولى سنه ٤٢١هـ ، وهى السنة التى توفى فيها محمود ، على نرس التى تعد من أعظم مدن الهند أنذاك.

وبالاضافة إلى مهارة محمود وانتصاراته الحربية ، فقد كان رجلا متمسكا بالدين ، سنى المذهب ، وقد حاول القضاء على الفرق المختلفة من قرامطة وملاحدة وغيرهما ، وأخذ على نفسه القضاء على الشرك ، وتميز بالعدل ورعاية الفنون والآداب والعلوم. وهو أيضا صاحب فضل كبير على الأدب الفارسى ، فقد بذل الجهد والمال من أجل جمع الكثير من الشعراء والكتاب ، وأخذ يقر بهم إليه بكافة الوسائل ، وكان ممن إزدان بهم مجلسه ابو الريحان البيرونى المؤرخ المعروف صاحب المؤلفات المشهورة عن الهند (متوفى٤٤٨هـ)، والإمام ابو منصور الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩هـ) صاحب كتابى " يتيمة الدهر " و " فقه اللغة ".

ويخصص الگرديزى عددا كبيرا من الصفحات للحديث عن السلطان محمود الغزنوى والفتوحات التى قام بها ، وذلك تحت عنوان : " ملك الأمير الأجل السيد يمين الدولة وأمين الملة وكهف الإسلام أبى القاسم محمود بن ناصر الدين والدولة سبكتگين رحمة الله عليهما " يقول الگرديزى : (٢)

" ولما إنتهى السلطان محمود رحمة الله عليه من فتح مرو وصار أميرا لخراسان، قدم إلى بلخ ، وكان لايزال فيها حين أتاه رسول القادر بالله من بغداد بعهد خراسان واللواء والخلعة الفاخرة والتاج ، ولقبه القادر بالله بيمين الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود ولى أمير المؤمنين.

ولما وصل هذا العهد واللواء تسنم الأمير محمود عرش السلطنة ، ولبس الخلعة، ووضع التاج على رأسه ، وأذن بالدخول فى البلاط للخاصة والعامة. وكان ذلك فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، ثم رحل عن بلخ إلى هرات سنة تسعين وثلاثمائة ،

---

(١) حبيب السير فى أخبار أفراد البشر - خواند مير - بمباى ١٨٥٧م ، جـ ٢ ، ص ٢٤.
(٢) انظر الترجمة العربية لزين الأخبار - جـ ٢ ، ص ٢٨١ ومابعدها
والنص الفارسى للكتاب ص ١٧٥ ومابعدها .

ومن هناك ذهب إلى سيستان ، وحاصر خلف بن أحمد فى قلعه إسپهبد ، ووسط خلف الوسطاء ، وتصالح مع الأمير محمود على أن يعطى مائة ألف دينار ، وأن يجعل الخطبة له. ولما فرغ الأمير محمود من هذا ذهب إلى غزنين ، ومنها توجه إلى الهندوستان واستولى على الكثير من الحصون.

..... ورجع الأمير محمود إلى هرات فى الخامس من رمضان سنه إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ومن هناك ذهب إلى غزنين ، ومنها دخل الهند وستان بجيش عظيم ونزل فى مدينة پرشاور على رأس عشرة آلاف غازى ، وفى مواجهة محمود نصب جيبال ملك الهند معسكرا ، وجلب للحرب اثنى عشر الف فارس وثلاثين ألف مترجل وثلاثمائة فيل ، وإصطفت الصفوف ، ودارت رحى الحرب ، فوهب الله عز وجل النصر للمسلمين ، وظفر الأمير محمود رحمه الله بالنصر ، وقهر جيبال ، وهلك الكفار ، وقتل المسلمون منهم فى هذه المعركة خمسة آلاف كافر ، وأسروا جيبال مع خمسة عشر من أبنائه وأخوته ، وغنموا كثيرا من الأموال والسبايا والدواب. ويقولون إن جيبال كان يتحلى بقلادة فى رقبته مرصعة بالدر والجوهر قيمها العارفون بمائة وثمانين ألف دينار. وكذلك وجدوا قلائد نفيسة فى أعناق سائر القواد. وكان هذا الفتح فى يوم السبت الثامن من محرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. ومن هناك ذهب الأمير محمود رحمه الله إلى ويهند وفتح كثيرا من هذه الولايات ، وحينما حل الربيع رجع إلى غزنين.

.... ولما رجع الأمير محمود إلى غزنين قصد بهاطية ، ومر عن طريق والشستان، وترك الحصن ، ووصل إلى بهاطية. وحارب هناك ثلاثة أيام وهيأ بجيراو راجه بهاطية جيشا ، وأرسله لحرب الأمير محمود ، وذهب هو مع نفر من أتباعه إلى ساحل نهر السند ، وحينما علم الأمير محمود أرسل عدة من الفرسان فلحقوا به وقبضوا على كل من معه. وحينما رأى بجيراو هذا الحال إنتحى ناحية وقتل نفسه ، فحملوا رأسه، وقبضوا على قومه جميعا، وأحضروهم إلى الأمير محمود فسر سرورا بالغا، وأمر فأعملوا السيوف فى الكفار فقتلوا كثيرا منهم ، واستولوا على مائتين وثمانين فيلا.

... ثم إتجه السلطان محمود صوب الهندوستان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وحارب انندپال بن جيبال ، وهزمه واستولى على ثلاثين فيلا ، وغنم كثيرا من الغنائم.

ثم ذهب من هناك إلى قلعة بهيم نگر ، وحاصر تلك القلعة ، وحارب ثلاثة أيام حتى أتى أهل القلعة يطلبون الأمان ، وفتحوا الباب ، ودخل الأمير محمود القلعة مع نفر من خاصته ، واستولى على خزائن الذهب والفضة والماس وكل ما إكتنزوه...

وحينما دخلت سنة إحدى وأربعمائة قصد الملتان من غزنين ، وذهب إلى هناك واستولى على كل ماتبقى من الملتان ، وقبض على أكثر القرامطة الذين كانوا هناك ، وقتل بعضهم ، وقطع أيدى البعض الآخر ، ونكل بهم ، وسجن الباقين فى القلاع حتى ماتوا فى هذه الأماكن.

وأخبروا السلطان محمود أن تانيسر مكان عظيم به أصنام كثيرة ، وهو عند الهنادكة مثل مكة عند المسلمين ، ويقدس الهنود هذه البقعة تقديسا عظيما ، وفى هذه المدينة يوجد معبد عتيق به صنم يسمونه جكرسوم ، فلما سمع الأمير محمود هذا الخبر تملكته الرغبة فى أن يذهب إلى هناك ، ويستولى على هذه الولاية ، ويهدم المعبد، ويحصل لنفسه على الأجر الجزيل.

وفى عام اثنين وأربعمائة ترك غزنين وقصد تانيسر ، وحينما علم تروجنپال ملك الهند تكدر وأرسل رسولا إلى الأمير محمود يقول له : لو تخليت عن هذا العزم ولم تأت إلى تانيسر سأعطيك خمسين فيلا من خيارالفيلة ، فلم يعبأ الأمير محمود لهذا الكلام، وذهب ووصل إلى ديره رام ، فخرج أهل رام على الطريق ، وكان به غابات كثيفة ، وقبعوا فى الكمائن ، وقتلوا كثيرا من المسلمين. وحينما وصل إلى تانيسر كان أهلها قد أخلوها ، فأغار المسلمون على كل ما وجدوه ، وحطموا كثيرا من الأصنام ، وجاءوا بصنم جكر سوم إلى غزنين ووضعوه فى البلاط واجتمع كثير من الخلق لرؤيته.

... وفى سنة أربع وأربعمائة قصد السلطان محمود قلعة نندنة ، ولما علم تروجنپال ملك الهندوستان عين حراسا على القلعة ، أما هو فقد ذهب إلى وادى كشمير، وأخذ جيش الأمير محمود مكانا فى نندنة ، وحفر الحفارون سردابا تحت الأرض ، ومن حوائط القلعة رمى الترك السهام. ولما رأى أهل القلعة هذه الحرب طلبوا الأمان فى الحال وسلموا ، وذهب الأمير محمود مع عدد من خاصته إلى القلعة ، وحملوا ما فيها من مال وسلاح ، وعين الأمير محمود سارغ كوتوالا (قائدا) لهذه القلعة.

واتجه من هناك إلى وادى كشمير حيث يوجد تروجنپال ، وحينما علم تروجنپال هرب ، فأمر الأمير محمود أن يستولوا على كل القلاع التى فى وادى كشمير ويغيروا عليها ، ووجد الجيش فيها غنائم كثيرة وسبايا. ودخل كثير من الكفار فى الإسلام ، وأمر فى هذا العام أن يشيدوا المساجد الجامعة فى كل مكان فتحوه من بلاد الكفار ، وأمر فأرسلوا الأساتذة فى كل مكان حتى يعلموا الهنود شرائط الإسلام ، أما هو فرجع مظفرا منصورا إلى غزنين ، وكان فتح نندنة هذا فى سنة خمس وأربعمائة.

.. وحينما دخل عام تسعة وأربعمائة قرر السلطان محمود الذهاب إلى قنوج ، وكانت ولاية متعددة غنية عامرة يكثر بها الكفار ، فعبر السلطان محمود سبعة أنهار خطيرة ، ولما وصل إلى حدود قنوج أرسل بكوره أمير الحدود رسولا ، وأظهر الطاعة والولاء وطلب الأمان فأمنه السلطان محمود..

وحينما حل فصل الخريف عام عشر وأربعمائة قصد الأمير عين الدولة نندا لأنه قتل راجپال أمير قنوج ووبخه قائلا : لماذا هزمت أمام جيش السلطان محمود ؟ واستقبل نندا تروجنپال لينصره وليرسل جيشا إلى ولايته ، وحينما وصل خبر مجئ السلطان محمود إلى هذه الديار ، عبر تروجنپال نهر الگنج وقدم إلى بارى ، وعبر الأمير يمين الدولة النهر وهزم الجيوش مجتمعة ، وهرب تروجنپال مع نفر من الهنود ولم يتقدموا أمام السلطان محمود ، ثم قصدوا مدينة بارى فوجدوا المدينة خالية من الناس ، فأحرقوا المعابد كلها وغنموا كل ماوجدوه. ومن هناك قاد السلطان محمود جيشا إلى ولاية نندا وعبر عدة أنهار كبيرة ، وعلم نندا بخبر مجئ جيش الإسلام فتهيأ للحرب وجمع جيشا كبيرا ، ويقولون إن جيشه كان يحتوى على ستة وثلاثين ألف فارس ، وخمسة آلاف ومائة وأربعين مترجلا ، وستمائة وأربعين فيلا ، ومثل عدد هذا الجيش كانت توجد أسلحة وخزائن وعلف ، وحينما اقترب الأمير محمود منه نزل وعبأ الجيش ، وهيأ الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والمقدمة والساقة ، وأرسل الطلائع ، ونزل بحزم واحتياط ، وأرسل رسولا إلى نندا ونصحه وتوعده وبصره . كما أرسل اليه الرسائل مهددا ومنذرا : إسلم تسلم من هذه الحرب وهذه المحنة وهذا الفساد ، فأجاب نندا : لن يكون لى معك أمر غير الحرب ... وحينما جن الليل قذف الله تعالى الرعب والفزع فى قلب نندا فجمع الجيش وهرب ... فشكر الأمير يمين الدولة الله عز وجل ، وأمر فاقتحموا معسكر نندا وغنموا مالا كثيرا من كل نوع.

... وعندما دخل عام ثلاثة عشر وأربعمائة قصد الأمير محمود رحمه الله ولاية ننذا ، فلما وصل إلى قلعة گواليار أحاط بها وحاصرها ، وأمر الجيش فطوق جميع جوانبها لشدة منعتها وقوة أحكامها ، ولكثرة ما بها من الحجارة الصلدة شديدة المنعة لم يستطع الحفارون ولا الرماة الإستيلاء عليها ، وأرسل قائد القلعة رسولا يطلب الصلح وأعطى خمسة وثلاثين فيلا ، ورجع جيش يمين الدولة من هناك ، وذهب صوب قلعة كالنجر حيث قلعة ننذا ، وكان ننذا فى هذه القلعة بكامل حشمه وحاشيته وأقربائه، وأمر الأمير محمود رحمه الله فطوق جيشه القلعة من جميع جوانبها ، وظل يفكر ، لأن القلعة كانت على مكان منيع شاهق الإرتفاع لا طريق للحيلة والشجاعة إليها، كما كان بناء القلعة من الحجر الصلد ، فتعذر حفره أو قطعه ، ولم يسعفه تدبير آخر ، فجلس يفكر ، وقضى عدة أيام هناك ، وحينما نظر ننذا ورأى هذا الجيش الكثيف الذى سد كل الطرقات ، وبسط رسلا تحدثوا فى أمر الصلح. واتفقوا على أن يدفع ننذا جزية ، وفى الحال يرسل هدية مقابل ذلك ، ويقدم ثلاثمائة فيل من الفيلة المختارة ، وسر ننذا سروراً بالغا لهذا الصلح ، وفى الحال أمر فخرجت الفيلة بدون حراسها من القلعة ، وأمر الأمير محمود رحمه الله فدخل الترك والعسكر وأمسكوا هذه الفيلة وركبوها ، وكان أهل القلعة ينظرون ويتعجبون من شجاعتهم ، ثم قال ننذا شعرا عن السلطان محمود باللغة الهندية وأرسله اليه ، فأمر الأمير محمود فعرضوا هذا الشعر على شعراء الهند والعرب والعجم فأعجبهم وقالوا : ليس من الممكن نظم كلام أبلغ و ارفع منه ، فافتخر محمود بهذا ، وأمر فكتبوا منشورا لننذا بإمارة خمس عشرة قلعة ، وأرسلوه اليه وقال له السلطان : هذا عطاء ذلك الشعر الذى نظمته من أجلنا ، وأرسل له أشياء كثيرة من الطرائف والجواهر والخلع ، ورد ننذا على ذلك بكثير من الأموال والجواهر ، ورجع محمود من هناك بالنصر والظفر ، وقدم إلى غزنين ... ".

وهكذا وصف الگرديزى فى كتابه كل الفتوحات والغزوات التى قام بها السلطان محمود الغزنوى فى الهند ، ومحاولاته للقضاء على مراكز الكفر والإلحاد ، ونشر الإسلام فى ربوع تلك البلاد ، وإعلاء كلمة الحق ، وإقامة المساجد وهدم المعابد وتحطيم الأصنام الموجودة بها وقد حظى السلطان محمود بمؤلفات عديدة تتناول حياته وجهاده فى سبيل نشر الإسلام ، ومن أقدم هذه المؤلفات كتاب " تاريخ اليمينى " الذى ألفه

باللغة العربية أبو نصر العتبى وكان من ملازمى بلاطه ، ويتناول المؤلف فى كتابه حياة السلطان محمود وأبيه سبكتگين ، ولذلك عرف باسم تاريخ اليمينى نسبة إلى يمين الدولة. وتاريخ تأليف هذا الكتاب هو أوائل القرن الخامس الهجرى ، وقام بعد ذلك بترجمته إلى الفارسية عام ٦٠٣ ابو الشرف ناصح بن ظفر بن سعد الكاتب الذى كان يعيش فى عصر أتابكة آذربايجان ، وكتب المنينى شرحا عليه باللغة العربية فى مطلع القرن الحادى عشر الهجرى سماه " الفتح الوهبى " ، ويعتبر كتاب تاريخ اليمينى من أهم الكتب التى تتناول تاريخ الغزنويين وحياة السلطان محمود.

* * *

ومن الكتب الهامة التى تحدثت عن الغزوات والفتوحات الإسلامية كتاب "طبقات ناصرى " الذى ألفه منهاج الدين عثمان بن سراج الدين المعروف بالقاضى منهاج السراج الجوزجانى عام ٦٥٨هـ ، وهو عالم من علماء خراسان الأفذاذ ، تولى مناصب كبيرة فى الهند بعد سفره إليها. ويشتمل الكتاب على ثلاث وعشرين طبقة ، تبدأ بطبقة الأنبياء وتنتهى بظهور المغول ، ويضم بين هاتين الطبقتين طبقات أخرى منها طبقة الخلفاء الراشدين وبنى أمية وبنى العباس وملوك العجم وملوك اليمن والطاهريين والصفاريين والسامانيين والديالمة والغزنويين والسلاجقة والملوك السنجرية ، وغيرهم. وقد ظل المؤلف يشغل منصب القضاء فى دهلى حتى سنة ٦٥٨هـ ، ويبدو أنه لم يعش بعد ذلك طويلا حيث توفى سنة ٦٩٨هـ أو قبل ذلك. ويمتاز كتاب " طبقات ناصرى " بالدقة فى سرد الأحداث التاريخية ، كما يمتاز بأسلوبه السهل الممتنع البعيد عن الإبهام والغموض والمتأثر باللغة العربية إلى حد كبير.

عندما يتحدث المؤلف عن الطبقة الأولى وهى طبقة الأنبياء ، والتى يبدؤها بأبى البشر آدم يصل إلى ولادة المصطفى (صلعم) وأخلاقه ومعجزاته وأسمائه وألقابه ، ثم يتحدث عن سنوات الهجرة من السنة الأولى حتى السنة العاشرة ، ويتناول فيها غزوات الرسول (صلعم). ثم يتحدث عن الطبقة الثانية وهى طبقة الخلفاء الراشدين فيبدؤها بأبى بكر ثم عمر ، وفى عهده تمت فتوحات كثيرة يتحدث عنها المؤلف كفتح الشام ومصر والعراق وجبال ارمينيا والأهواز وفارس واصطخر والرى وأذربايجان وأصفهان وبيت المقدس ونهاوند ، ويشير إلى أنه أنشأ الدواوين وخصص رواتب الجند ، وأنه

تولى الخلافة عشر سنوات وخمسة شهور وستة أيام.(١)

وفى حديثه عن الخليفة الثالث عثمان ذكر أن فتوحات كثيرة أيضا تمت فى عهده منها ما تبقى من بلاد على حدود أصفهان والرى واصطخر وفارس ودارابجرد وكرمان وسجستان وطبرستان وخراسان ونيشابور وهرات ومرو شاهجان وبلخ وطخارستان وغيرها، وعندما يصل إلى بنى أمية يروى أن المسلمين فتحوا فى عهد معاوية بلاد الروم ومن بلاد ايران بلخ وكش ونخشب وسمرقند ، كما فتح فى عهد الوليد بن عبد الملك أجزاء من بلاد الروم ووصل المسلمون إلى الملتان فى بلاد الهند.(٢)

وفى الطبقة الخامسة يتحدث عن طبقات ملوك العجم حتى ظهور الإسلام وهم خمس طبقات ، وعندما يصل إلى آخر ملوك العجم وهو الملك الثانى عشر يزدجرد يقول: " ... وأرسل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص إلى ناحية المدائن مع جيش الصحابة رضى الله عنهم ، وإنتقل يزدجرد من المدائن إلى خراسان عن طريق خوزستان وفارس ، وأرسل رستم فرخ هرمز لمحاربة جيش الإسلام ، وعندما رأى رستم أن الأمر قد بلغ نهايته أخبر يزدجرد حتى يذهب إلى خراسان مع ألف حارس لخزائنه ، وألف حارس لصقوره ، وألف حارس لكلابه ، ومايلزم للصيد والملك والترفيه ، وعاد رستم إلى جيش المسلمين ، ودارت المعارك بينه وبين سعد بن أبى وقاص ، إلى أن قتل رستم فى القادسية ، واستولى المسلمون بعد ذلك فى السنة السادسة عشرة من الهجرة على المدائن ، وإتجه يزدجرد إلى خراسان حتى قتله ماهوى الدهقان فى طاحونة سنة احدى وعشرين من وفاة المصطفى (صلعم) وانتهى بذلك أمر ملوك العجم ويبقى الملك لله ، وكانت مدة سلطنة يزدجرد عشرين سنة. والله أعلم ". (٣)

وفى الطبقة الحادية عشرة من كتابه يذكر منهاج السراج الطبقة السبكتگينية اليمينية المحمودية (نسبة إلى سبكتگين والد يمين الدولة محمود الغزنوى)، فيتحدث عن فتوحات السلطان محمود وأنه كان " أول ملك من ملوك المسلمين يلقب بلقب سلطان

(١) طبقات ناصرى - منهاج سراج - مجلد أول ص ٧٨ - كابل ١٣٤٢ ش .
(٢) المرجع السابق ص ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٧ .
(٣) طبقات ناصرى - جـ ١ ، ص ١٧٢ .

من قبل دار الخلافة .. وعندما تولى السلطنة ظهر أثره على كل المسلمين ، حيث حول عدة آلاف من المعابد إلى مساجد . وفتح بلاد الهند وهزم حكامها ، وقبض على جيپال أعظم ملوكها ، .. وقاد جيشه إلى ناحية نهر واله والگجرات ، وحطم صنم سومنات وقسمه إلى أربعة أقسام، وضع قسما منه فى مسجد غزنة ، وقسما على باب قصر السلطنة ، وأرسل القسم الثالث إلى مكة ، والقسم الرابع إلى المدينة ، وقد نظم الشاعر العنصرى فى هذا الفتح قصيدة طويلة يقول فيها :

- عندما سافر السلطان إلى سرمنات ،

جعل اثار الغزو علما للمعجزات.

.. وقد إستولى هذا السلطان برجولته وشجاعته وسداد رأيه على بلاد الإسلام التى كانت تقع ناحية الشرق ، وتولى ولاته حكم كل بلاد العجم من خراسان وخوارزم وطبرستان والعراق وبلاد نيمروز وفارس وجبال الغور وطخارستان ، وخضع له ملوك التركستان ، وشيد جسرا على نهر جيجون . وقاد جيشا إلى بلاد توران والتقى به قدر خان حاكم الترك ، وخضع له خاقانات التركستان وبايعوه ... وعاش ستين سنة وحكم لمدة ست وثلاثين سنة ، وتوفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ..» (١)

وهكذا رأينا ماذكرته كتب التاريخ الفارسية عن فتوحات المسلمين فى الهند وغزواتهم لها إلى أن تمت لهم السيطرة على جزء كبير منها ، وانتشر الدين الإسلامى هناك ، وقد ساهم السلطان محمود الغزنوى بنصيب وافر فى هذه الفتوحات ، حيث فرض على نفسه غزو الهند كل عام. وتجلت فى حملاته على الهند قدرته العسكرية وحبه للجهاد واصراره على تحدى العقبات مما جعل حياته أشبه بأسطورة تروى ، فقد قاد جيوشه فى بلاد الهند أكثر من سبع عشرة مرة ، وحطم ما بها من معابد وأصنام، ويقال إن مدينة قنوج الشهيرة وحدها كانت تضم نحو عشرة آلاف معبد.

وقد إتخذ الغزنويون فى الهند سياسة كانت بعيدة الأثر فى إنتشار الإسلام ، وساعدت على الإندماج بين الترك والهنود ، من ذلك اباحتهم للمسلمين من الهنود أن يتولوا المناصب الكبرى ، كما إستخدم الغزنويون الهنود فى الجيش، وفرضوا لهم العطاء ووثقوا بهم وعاملوهم المعاملة نفسها التى ظفر بها الجند الأتراك ، وغدت

---

(١) طبقات ناصرى - جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

القوات الهندية تؤلف نحو نصف جيش مسعود بن محمود. وكانت تلك خطوة هامة على طريق الالتحام بين الهنود وبين الإسلام.(١)

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن فتوحات السلطان محمود الغزنوى ، وسجلوا فى أشعارهم تفاصيل هذه الفتوحات ضمن مدائحهم التى نظموها فيه ، الشاعر ابو القاسم حسن بن أحمد العنصرى شاعر العصر الغزنوى الشهير (متوفى ٤٣١هـ) ، وملك الشعراء فى بلاط السلطان محمود. وتدور معظم قصائده حول مدح هذا السلطان وأخيه الأمير نصر وإبنه السلطان مسعود الغزنوى. وللعنصرى غير الديوان منظومات أخرى تتناثر أبيات منها فى المعاجم ، وتميز بالمعرفة التامة للغة العربية وآدابها ، كما يعتبر رائد فى فن إنشاد القصيدة الفارسية ، وقد قلده شعراء كثيرون بعده.

واذا طالعنا ديوان العنصرى نجده يتحدث دائما عن السلطان محمود على أنه بطل من أبطال المسلمين ، وأنه إستطاع بخبرته العسكرية وفتوحاته أن يحقق الكثير للمسلمين ، ومثال ذلك ما قاله فى إحدى قصائده : (٢)

– إنه أمير المشرق يمين الدولة ،
الذى يسهل بسيفه كل ماهو صعب على الدولة.

ويقول فى قصيدة ثانية واصفا فيها تأثير محمود فى أعدائه ومايتركه فى بلادهم من خراب ودمار :(٣)

– دائما ماينمو الموت فى بساتين أعدائه
فوق الأشجار بدلا من نمو الأوراق.

---

(١) انظر كتاب : الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى – د/ حسن أحمد محمود من ص ٢٣٨ إلى ص ٢٥٢ – طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢م .

(٢) ديوان العنصرى – باهتمام وتصحيح ومقدمة وحواشى يحيى قريب – طهران ١٣٦٣هـ – ١٣٢٣ ش . ص ١٨.

خسرو مشرق يمين الدولة أن كز تيغ أو — هرچه دشوار است بر دولت همى آسان بود

(٣) همى در باغهاى دشمنانش — بجاى برگ رويد مرگ از اشجار
همى در شهرهاى حاسدانش — بجاى آب نار آيد در أنهار
(ديوان العنصرى ، ص ٢٦)

- ودائما ماتجرى النيران فى الأنهار
في مدن أعدائه بدلا من الماء.

ويؤكد العنصرى فى موضع آخر على إنتصارات محمود وأمجاده ، وأنها حقيقة وليست روايات تذكر فى الكتب ، يقول فى مطلع إحدى قصائده : (١)

- هكذا يترك سيف الأمراء أثره ،
وهكذا يتصرف العظماء بما يليق بهم.
- أنظر إلى سيف السلطان ولاتقرأ كتب الماضى وقصصها ،
فسيفه أصدق إنباء من هذه الكتب بكثير.

وفى هذه القصيدة أيضا يشبه الشاعر موت أعداء السلطان محمود وغرقهم فى نهر جيحون بأنهم كفرعون وقومه ، ويشبهه هو بأنه موسى الذى عبر النهر دون أن يصاب بأى أذى ، يقول : (٢)

- وغرقوا جميعا فى النهر كفرعون وقومه ،
بينما عبر السلطان النهر كموسى.

وفى نهاية هذه القصيدة يصف الشاعر حروب السلطان بأنها كانت لنصرة دين محمد ، ثم يدعو له بالنصر الدائم والتوفيق المستمر ، يقول : (٣)

- قتل الأعداء واستولى على الكنوز وغنم الأموال ،
من أجل نصرة دين محمد المختار.

---

(١) چنان بماند شمشير خسروان آثار — چنين كنند بزرگان چو كرد بايد كار
به تيغ شاه نگر نامهء كذشته مخوان — كه را ستگوى تر از نامه تيغ او بسيار
(ديوان العنصرى ص ٤٨)

(٢) بر آب در همه غرقه شدند چون فرعون — چو برگذشت برآن آب شاه موسى وار
(ديوان العنصرى ص ٤٩)

(٣) بكشت دشمن وبرداشت گنج ومال ببرد — زبهر نصرت دين محمد مختار
هميشه صفت تيرگى نصيب شب است — چنان كجا صفت روشنى نصيب نهار
نصيب شاه جهان باد عز ونصرت وفتح — نصيب دشمن او مرگ ومحنت وتيمار
هزار فتح چنين وهزار غزو چنان — برو بر آمده وگفته عنصرى اشعار
(ديوان العنصرى ، ص ٥١)

- فطالما كانت الظلمة من نصيب الليل ،
 وطالما كان الضياء من نصيب النهار.
- فليكن العز والنصر والفتح من نصيب سلطان العالم ،
 وليكن الموت والمحن والمرض من نصيب أعدائه.
- وليكن له ألف فتح كهذا ، وألف غزو كذاك ،
 وينشد له العنصرى الأشعار.

ويرى العنصرى أن السلطان محمود من الشخصيات التى يفخر بها الإنسان المسلم ، وأن الدولة لاتستقيم أمورها إلا به وبامثاله ، وأن مايفعله يحالفه الصواب والتوفيق دائما ، يقول : (١)

- إنه مراد العالم وسلطان الأرض وكنز الفضل ،
 وهو قوام الملك ونظام الهدى وفخر البشر.
- يمين الدولة الذى تشرفت الدولة به ،
 وأمين الملة الذى عظم شأن الملة به.
- لقد حظى سلطان العالم بأربعة أشياء
 فى أربعة أوقات عندما عزم على السفر
- فعندما عزم كان نصيبه الصواب ، وعندما قرر كان نصيبه التوفيق
 وعندما عاد كان نصيبه الفتح ، وعندما حارب كان نصيبه النصر.

إلى أن يقول فى نفس القصيدة :
- لم يعد هناك كفر فى العالم أجمع خوفا من بطش السلطان ،
 ولم يعد به شر بسبب خيره وفضله.

---

(١) مراد عالم وشاه زمين وكنج هنر ... قوام ملك ونظام هدى وفخر بشر
يمين دولت ودولت بدو كرفته شرف ... امين ملت وملت بدو كرفته خطر
چهار چيز بود در چهار وقت نصيب ... خدايگان جهانرا چو كرد راى سفر
چو عزم كرد صواب وچو راى زد توفيق ... چو باز كرد فتح وچو جنگ كرد ظفر
......
ز بيم شاه نماند همى بگيتى كفر ... زخير شاه نماند همى بگيتى شر
(ديوان العنصرى ، ص ٥٨)

ويتحدث الشاعر عن فتوحات محمود وحروبه فى كثير من قصائده ، ومثال ذلك القصيدة التى يبدؤها بقوله : (١)

– يا من سمعت عن فضائل السلطان ،
تعال وشاهد فضائل أمير المشرق بعينيك.

ويشير الشاعر فى هذه القصيدة إلى فتوحات السلطان محمود فى المولتان وما أصابه من نصر على الكفار ، وما حققه من نشر للإسلام وقضاء على الشرك ، يقول:(٢)

– إستمع إلى حكاية السفر إلى المولتان وتعرف عليها،
واذا لم تكن تعرفها فابدأ بها فهى حكاية تاج الفتوح

إلى أن يقول :

– لقد توجه السلطان إلى المولتان وفتح مائتى قلعة فى الطريق،
لكل واحدة منها مائة قفل ومانع كخيبر.
– ومن كثرة ما أحرقه السلطان من أماكن ومعابد ،
لم تتمكن الرياح من حمل أكوام رمادها حتى الآن.
– لقد فعل الأمير فى السند وناحية الهند ،
ما لم يفعله حيدر بأهل خيبر.

---

(١) ايا شنيــــده هنرهــاى خـــسروان بخبــر   بيا ز خسرو مشرق عيان ببين تو هنر
(ديوان العنصرى ، ص ٧٨)

(٢) حكايـت ســفر مولتـــان همـــى دانـــى   وگـر ندانـــى تـــاج الفتـــوح پيـــش آور
...
بمولتان شد ودر ره دويست قلعه گشـاد   كه هر يكى را صد بند بود چون خيبر
ز بوم وبتكده هائى كه شاه سوخت هنوز   نبرده باد همـــى توده هـاى خاكستر
بســند وناحيت هـند شهريار آن كـــرد   كجا بمردم خيبر نكـرده بـد حيـــدر
نه قلعـــه ماند كه نگشاد ونه سپه كه نزد   نه قرمطى كه نكشت ونه گبر ونه كافر
....
ببست رهـگذر كفـر وبيـخ شـرك بكنـد   بجاى بتكـده بنهـــاد بر كـــه ومنبـــر
نجست زينهمه كافرستان كه ويران كـرد   بجـز رضـاى خــدا ورضاى پيغمبـــر
(ديوان العنصرى ص ٧٨)

- فهو لم يترك قلعة بدون فتح ، ولم يترك جيشا بدون هزيمة ،
ولم يترك قرمطيا أو مجوسيا أو كافرا بدون قتل.

ثم يتحدث عن فتحه لمرو في نفس القصيدة ، ويقول :

- سد طريق الكفر ، واقتلع جذور الشرك ،
أقام المساجد والمنابر مكان المعابد.
- ولم يطمع في شئ من وراء هدم بلاد الكفر ،
سوى في رضا الله ورسوله.

نذكر أيضا من الشعراء الذين أفاضوا في الحديث عن محمود الغزنوى وفتوحاته وغزواته من أجل نشر الإسلام في الهند الشاعر ابو الحسن على بن جولوغ الفرخى السيستانى (متوفى٤٢٩هـ)، وهو أيضا من شعراء بلاط السلطان محمود ، ومعظم قصائده في مدح ذلك السلطان وأبنائه وإخوته ووزرائه وندمائه. ويشتمل ديوانه على أكثر من تسعة آلاف بيت من الشعر الذى يتميز بالسهولة والخلو من التعقيد والإبهام. وقد وصف غزوات محمود بشكل واقعى حيث أنه كان شاهد عيان على كل هذه الغزوات والحروب. ويمكن إعتباره من أشهر شعراء القصيدة في إيران.

وفي إحدى قصائد الفرخى يصف الشاعر عودة السلطان محمود من الهند بعد فتح سومنات بقوله:(١)

- يمين الدولة سلطان العصر الذى عاد إلى مقره الان،
بقلب مسرور وبفأل حسن.
- ذلك لأنه حطم الأصنام وهدم المعابد،

---

(١) ديوان حكيم فرخى سيستانى - بكوشش دكتر محمد دبير سياقى - تهران ١٣٤٩ (ص ٣٤ قصيدة ١٨).

يمين دولت شاه زمانه بادل شاد ... بفال نيك كنون سوى خانه روى نهاد
بتان شكسته وبتخانه ها فكنده زپاى ... حصارهاى قوى برگشاده لاد از لاد
گذاره كرده بيا بانهاى بى فرجام ... سپه گذاشته از آبهاى بى فرناد
خليفه گويد كامسال همچو هر سالى ... گشاده باشد چندين حصار وآمده شاد
خبر ندارد كامسال شهريار جهان ... بناى كفر فكنده ست وكنده از بنياد

وفتح القلاع القوية قلعة بعد قلعة.
- وعبر الفيافى الشاسعة ،
وعبرت جيوشه البحار الواسعة.

ويتحدث الشاعر عن خليفة بغداد عندما وصل إليه خبر فتح سومنات ، وقد إعتبره فتحا عاديا ، إلا أن الشاعر يصف ذلك بشكل مختلف ، ويرى هذا الفتح أمرا غير عادى ، لايقوى عليه إلا سلطان ذلك العصر محمود الغزنوى ، يقول :

- يقول الخليفة إن هذا العام مثل كل عام ،
فقد فتح عدة قلاع وعاد مسرورا.
- وهو لايعلم أن مليك الدنيا ،
قد حطم بناء الكفر هذا العام وإقتلع جذوره.

ويدعو له بقوله : (١)

- ليبقه الله حيا ، فبسيفه وساعده ،
خرب بناء الكفر ، وعمر بناء الدين.

ويصف الشاعر المعاناة التى عاناها السلطان محمود فى سفره وحروبه ، وأنه كان يتحمل ذلك فى سبيل نصرة الإسلام ، كما كان عبوره للبحار والأنهار معجزة كبيرة كمعجزة عبور موسى ، يقول : (٢)

- من كثرة ما عانى جسده الشريف من متاعب السفر وآلامه ،
لم أعد أعرف هل جسده هذا جسد إنسان أم هو من الفولاذ.
- وما عبور السلطان الشجاع للبحر بجيشه
إلا معجزة تعادل معجزة من معجزات موسى.

---

(١) بقاش باد كه از تيغ او وبازوى اوست ... بناى كفر خراب وبناى دين آباد
(الديوان ص ٣٤)

(٢) ز بسكه رنج سفر بر تن شريف نهد ... همى ندانم كان تن تنست يا پولاد
برابر يكى از معجزات موسى بود ... در آب دريا لشكر كشيدن شه راد
(الديوان ص ٣٤)

ويرى الشاعر أن ما فعله السلطان ليس بالمعجزة الوحيدة ، فإن له معجزات كثيرة فى الجهاد والحرب ، وقد أعطاه الله هذه المواهب وذلك التوفيق منذ كان فى سن العشرين من عمره. كما يعتقد أن ما فعله السلطان يفوق بكثير من فعله ملوك ايران القدماء ، يقول : (١)

– لاتقل إنه يشبه كيقباد أو جمشيد ،
فإن الحديث عنه يختلف تماما عن الحديث عن جمشيد وكيقباد.
– فعندما تتحدث عنه لاتتحدث عن غيره من الملوك،
فمن الخطأ أن نقارن بين طائر الهما (٢) والحدأة.

والواقع أن إستيلاء محمود الغزنوى على الگجرات ودخول سومنات يعتبر من أعظم فتوحاته الهندية ، فقد إخترق إليها صحراء مهلكة هى صحراء الثار (تر) التى لم يجرؤ الإسكندر المقدونى من قبله على إقتحامها ، فكانت قوة جلده وإحتمال رجاله مثار الدهشة والإعجاب . وفى سومنات هذه كان يقوم معبد كبير له قداسة عظمى عند الهنادكة ، حتى إنهم أعادوا بناءه من جديد فى العصر الحاضر عام ١٩٥١م ، أى بعد مضى أكثر من تسعة قرون على هدم محمود له. ويعتقد الهنادكة أن الأرواح تتناسخ فى الأبدان عند هذا المعبد ، وأن المد والجزر إن هما إلا صلاة البحر يؤديها إلى صنمهم الأكبر هناك.

ويحج الناس إلى هذا المعبد عادة فى جموع زاخرة ولاسيما عند خسوف القمر، وكان به من السدنة ألف من البراهمةومن المنشدين خمسمائة (٣).

وفى قصيدة أخرى يصف الفرخى أيضا عودة السلطان محمود من الهند بعد فتحه الثانى ، ويذكر فتح مدينة قنوج ، ويعد هذا الفتح من بين وقائع محمود الحربية

(١) مگو مگوى كه چون كيقباد يا چوجم است　　حديث او دگرست از حديث جم وقباد
چو زو حديث كنى از شهان حديث مكن　　خطا بود كه تخلص كنى هماى به خاد
(الديوان ص ٣٥)

(٢) الهما : طائر خرافى يقال إن كل من يقع عليه ظله تأتيه السعادة ، ويتفاءل به الإيرانيون .

(٣) انظر : محاضرات فى تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها - الدكتور أحمد محمود الساداتى - طبعة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧٦ م القاهرة .

الباهرة ، وكانت هذه المدينة تضم نحو عشرة آلاف من المعابد ، ولم يستطع أميرها المقاومة ، وتم الإستيلاء على مدينته ، يقول : (١)

– يمين الدولة محمود قاهر الكفار ،
الذى يدعم دين محمد المختار.
– عندما عاد منتصرا من قنوج ،
كان الظفر والفتح عن يمينه وعن يساره.
– ومازالت رايته فى لون زهرة النسرين من غبار الطريق ،
ومازال خنجره فى لون زهرة الجلنار من أثر الدماء.
– ومازال القمر مندهشا من صوت دقات طبوله ،
ومازالت الكواكب السيارة حيرى من بريق سيفه.
– فمن أجل سفك دماء أعداء الله ،
ومن أجل دعم دين محمد المختار.
– طوى الطريق وقاد على عجل ،
جيشه الجرار تحت لوائه المنتصر ،
– طريق وأى طريق هو ؟ إنه طريق طويل كليل الفراق ،
أو هو كحياة الفقراء المعدمين كله ألم ومعاناة.

ثم يصف الشاعر بعد ذلك المعارك التى دارت بين جيش محمود وجيش نندا الهندى ، وانه استطاع القضاء عليه قضاء مبرما ، ويشبه ذلك بقوله : (٢)

---

(١) قوى كنندهٔ دين محمد مختار   يمين دولت محمود قاهر كفار
چو بازگشت به پيروزى از در قنوج   مظفر وظفر وفتح بر يمين ويسار
هنوز رايتش از گرد راه چون نسرين   هنوز خنجرش از خون تازه چون گلنار
هنوز ماه ز آواى كوس او مدهوش   زعكسى تيفش خيره ستارهٔ سيار
ز بهر ريختن خون دشمنان خداى   ز بهر قوت دين محمد مختار
رهى ببيش خود اندر گرفت وگرم براند   بزير رايت منصور لشكر جرار
رهى چگونه رهى ، چون شب فراق دراز   چو عيش مردم درويش ناخوش ودشوار

(٢) همى شدند وهمى ريخت آن سپاه سليح   چنانكه وقت خزان برگ ريزد از اشجار
بجاى لشكر ايشان نگاه كرد ملك   نديد زيشان جز خيمه بر زمين آثار =

- لقد انهار ذلك الجيش المسلح وتساقط جنوده ،
كما تتساقط أوراق الأشجار فى فصل الخريف.
- ونظر الملك إلى مكان الجيش ،
فلم ير منهم أحدا سوى آثار الخيام على الأرض.
- فتعقبهم لمسافة طويلة ،
وقتلهم جميعا وقضى على عدو الدين العاجز الذليل كما ينبغى.
- تبارك الله لمهارة ذلك المليك ،
الذى عجزت ألسنة الخلق عن مديحه ووصفه.
- يا من تكون رأس حربتك ملجأً للشجاعة ،
ويكون سيفك البتار معيارا لتطبيق الشريعة.
- كم من الأصنام حملتها من المعابد ،
كتلك الأصنام التى أخذتها من لاهور فى العام الماضى.
- وبسبب أن مخالفى الهدى فى تلك البلاد
قد عبدوا الأصنام.
- حطمت الأصنام الذهبية وطهرتها ،
بعد أن سككت الدنانير الذهبية منها بإسم الله.

ويصف الشاعر فى قصيدة أخرى له بعض فتوحات السلطان محمود ، وما فعله بالطغاة والعصاة والملحدين وعبدة الأصنام فيقول : (١)

= برفت بردمشـان يك دو منزل وهمه را — بكشت ودشمن دينرا بكشت بايد زار
تبارك الله از آن خسروى كه در هنرش — زبان خلق همى باز مانـد از گفتـار
ايا شـجاعت را نوك نيـزهٔ تـو پنـاه — ايا شريـعت را تيـغ تيز تـو معيـار
بسا بتـاكه تو برداشـتى ز بتكده هـا — چنان بتان كه ز لاهور بر گرفتى پار
ز بـهر آنكه بتـان را همـى پرستيدنـد — مخالفان هـدى انـدر آن بلاد وديار
بتـان زريـن بشكسـتى وبپـا لـودى — بنـام ايزد از آن زرهـا زدى دينـار
(ديوان الفرخى ص ٥٢ ، ٥٣)

(١) طاغيان وعاصيان را سر بسر كردى مطيـع — ملحدان وگمراها نرا جمله بر كردى بدار
عيشهاى بت پرستان تلخ كردى چون كبست — روزهاى دشمنان دين سيه كردى چوقار
.... =

- لقد جعلت الطغاة والعصاة جميعا مطيعين وخاضعين لك ،
وقضيت على الملحدين والضالين كلهم.
- وجعلت حياة عبدة الأصنام مرة كالحنظل ،
وجعلت أيام أعداء الدين سوداء كالقار.

ويصف نتائج فتوحاته وغزواته وأنها جعلت القلاع خالية من الرجال ، والمدن خالية من الأمراء والحكام ، وجعلت الأدغال خالية من الأسود ، والصحارى خالية من الأفاعى ، فيقول فى نفس القصيدة :

- لقد جعلت الأدغال خالية من الأسود ، وجعلت الصحارى خالية من الأفاعى.
وجعلت القلاع خالية من الرجال ، وجعلت المدن خالية من الأمراء.
- فأنت الأمير الذى أخذ الأمارة من الأمراء ذوى الحظ الحسن ،
وأخذت العرش والملك من البيوتات الشهيرة.
- كبيت اليعقوبيين وبيت المأمونيين.
وبيت جيپال الهندى ، والمئات من أمثالهم.
- هزمت جيوشهم واستوليت على بلادهم ،
فأى ملك سوف تحاربه بعد ذلك ؟
- لقد فعلت ما يفعله شجعان الرجال ،
مما جعل حسادك يشرعون فى الهذيان واللغو.
- ولو أراد أحد أن يفعل ما فعلته أنت فى هذه الدنيا ،
وفعل ذلك ، فلن يجد شيئا آخر يفعله فيها.
- وسوف تنقضى أزمنة كعمر نوح حتى يظهر ملك آخر ،
كهؤلاء الذين إقتلعت جذورهم وقضيت عليهم.

= بيشه ها بى شير كردى ، دشتها بى اژدها — قلعه ها بى مرد كردى ، شهرها بى شهريار
خسروى از خسروانى بستدى پيروز بخت — تخت وملك از خانه هايى بر گرفتى نامدار
خانهء يعقوبيان وخانهء مأمونيان — خانهء چيپاليان واين چنين صد بر شمار
لشكر إيشان شكستى كشور ايشان گرفت — با كدامين شاه خواهى كرد زين پس كارزار
كارهاى شير مردان كردى واز رشك تو — حاسدانت ياوه گوهستند وجمله ژاژ خوار
گر كسى خواهد كه درگيتى چو تو كارى كند — چون كند ، چون در همه گيتى نيابد هيچ كار
عمرهاى نوح بايد تا شهى خيزد دگر — هم از آن شاهان كه تو بركنده اى از بيخ وبار
(ديوان الفرخى ص ٨٧)

ويتناول الشاعر فتوحات السلطان محمود وعبوره لنهر الگنگ فى الهند فى إحدى قصائده الشهيرة ويخاطبه فيها بقوله : (١)

- إنك أنت السلطان الذى أينما ذهب ليلا أو نهارا ،
  يرافقه الظفر والفتح عن يمينه وعن شماله.
- فعملك دائما هو الغزو ، وحرفتك هى الجهاد،
  وتتحدث عنهما دائما سواء كنت نائما أم مستيقظا.
- والشاهد على ذلك أنك توجهت إلى الگنگ ،
  لغزو طائفة الكفار سيئة العقيدة.

إلى أن يقول واصفا عبوره لهذا النهر وغرق أعدائه فيه : (٢)

- وعبرت هذا النهر لحرب الكفار ،
  فقهرهم الله تعالى على يديك.
- وغرق كل الجيش مرة واحدة بأسلحتهم ودروعهم
  فى النهر دون أن يتمكنوا من العبور.
- وعبرت جيوشك كلها النهر بدون ضرر أو أذى ،
  كما عبر قوم موسى بن عمران نهر النيل.

---

(١) تو آن شهى كه ترا هر كجا روى شب وروز ... همى رود ظفر وفتح بر يمين ويسار
همیشه کار تو غزوست وپیشهء توجهاد ... از ین دو چیزکنی یاد ، خفته گر بیدار
گواه این که سوی گنگ روی آوردی ... پی غزای بد اندیش فرقهء کفار
(ديوان الفرخى ص ٦١)

(٢) بجنگ کافر ازین رود بگذرید بهم ... که هم بدست شما قهرشان کند قهار
همه سپاه بیکبار با سلیح وسپر ... فروشدند بدان رود نا دهنده گذار
چو قوم موسى عمران زرود نیل از آب ... بر آمدند همه بی گزند وبی آزار
چهل أمیر زهندوستان در آن سپاه است ... بزیر رایتشان سی وشش هزار سوار
علامتست در آن لشکر اندر وبر او ... پیادگان گزیده صد وسی وسه هزار
قویست قلبکه لشکرش به نهصد پیل ... چگونه پیلان ، پیلان نامدار خیار
همه چوکوه بلندند روز جنگ وجدل ... بلند کوه بداندانها کنند شیار
خدایگان زمانه چو این خبر بشنید ... چه گفت ، گفت همیخواستم من این پیکار
(ديوان الفرخى ص ٦٣ ، ٦٥)

ثم يصف جيش العدو ومدى قوته وتسليحه ، وعندما علم الملك بتلك القوة رغب في قتال ذلك العدو ، فيقول :

- كان على رأس هذا الجيش أربعون أميرا هنديا ،
وكان تحت إمرتهم ستة وثلاثون ألف فارس.
- وكانت لهذا الجيش علامات ورايات ،
كما ضم من المشاة المختارين مائة وثلاثة وثلاثين ألف جندى.
- ويدعم وسط الجيش تسعمائة فيل ،
وأى أفيال ؛ أنها أفيال مشهورة منتقاة.
- وهى ضخمة كالجبال فى وقت الحرب والنزال ،
تكسر الجبال العالية بأسنانها.
- فماذا قال سيد العصر ومليكه عندما سمع هذا الخبر ؟
قال : إننى أرغب فى منازلة هذا الجيش.

ويصف الفرخى فى قصيدة أخرى له سفر السلطان إلى سومنات وفتحها ، وتحطيم الصنم منات ، وعودته منها منتصراً ، يقول فى مطلعها : (١)

- أصبح الحديث عن الإسكندر حديثا خرافيا وقديما ،
فتحدث اليوم حديثا جديدا ، فالجديد له حلاوة أخرى.
- فالحديث عن الإسكندر وأين وصل وماذا فعل ،
قد حفظه الناس من كثرة سماعه وتكراره.

---

(١) فسانه كشت وكهن شد حديث اسكندر — سخن نو آر كه نو را حلاوتيست دگر
حديث آنكه سكندر كجا رسيد وچه كرد — ز بس شنيدن گشته ست خلق را از بر
شهى كه روز وشب او را جز اين تمنانيست — كه چون زند بت وبتخانه بر سر بتگر
گهى ز جيحون لشكر كشد سوى سيحون — گهى سپه برد از باختر سوى خاور
ز كارنامهء او گر تو داستان خوانى — بخنده يادكنى كارهاى اسكندر
....
تو سومنات همى سوختى به بهمن ماه — شهان ديگر عود مثلث وعنبر
بوقت آنكه همه خلق گرم خواب شوند — تو در شتاب سفر بوده اى ورنج سهر
(ديوان الفرخى ص ٦٦ ، ٧٣)

- أما السلطان فهو الذى لايتمنى شيئا بالليل أو بالنهار
سوى أن يهدم معابد الأصنام ويحطمها فوق رؤوس عبدة الأصنام.
- فأحيانا يقود الجيش من جيحون إلى سيحون ،
وأحيانا يقوده من الغرب الى الشرق.
- واذا قرأت قصتين من سجل أعماله ،
فسوف تضحك عندما تتذكر أعمال الأسكندر.

ويقـارن الشـاعـر بين السلطان مـحـمـود وبين غـيـره من السـلاطين فى نفس القصيدة ، ويرى أنه يعمل بجد وإخلاص من أجل إعلاء كلمة الحق ورفع راية الإسلام عالية خفاقة ، بينما يعيش غيره من الملوك فى راحة ورفاهية ، يقول :

- لقد أحرقت سومنات فى شهر بهمن ،
بينما كان الملوك الآخـرون يحرقون العود والعنبر.
- وبينما كان الناس جميعا يغطون فى سبات عميق ،
كنت أنت تسرع فى السفر وتعانى من السهر.

الفصل الرابع

القصص الدينى فى الأدب الفارسى



تقديـم

الحـديث عن القـصـة فى الأدب الفـارسى حـديث مـتـشـعـب واسـع . لأن الأدب الفارسى وبخاصة الشعر قد حفل بالعديد من المنظومات القصصية ، وقد ساعد على ذلك ابتكار الفـرس لفن شـعـرى جـديد، هو فن المثنوى ، ذلك الفن الذى أتاح للفـرس انطلاق الشعراء فى التعبير دون قيد القافية الموحدة ، لأن هذا الفن يعتمد على التزام القافية بين شطرى البيت الواحد ، وليس كالقصيدة العربية التى كان تلزم الشاعر بوحده القافية طوال أبياتها ، ممما جعل قدرة الشاعر العربى على الإطالة محدودة ، ومهما كانت المقدرة اللغوية للشاعر العربى ، فلن يستطيع أن يواصل النظم على قافية واحدة لأكثر من مائتى بيت وإن وجدت قصائد تفوق هذا العدد ، فهى جد قليلة بل ونادرة ، أما اكتفاء الفرس بالالتزام فى القافية على شطرى البيت الواحد ، فقد أتاح لهم نظم العديد من المنظومات التى تتعدى أبياتها عدة آلاف ، بل إن منظومة واحدة كالشاهنامة ، قد وصل عدد الأبيات فيها إلى مايزيد عن الستين ألف بيت ، ونتيجة لهذه الإنطلاقة فى النظم والتعبير فإن العديد من الشعراء قد أجادوا فن القص ، أو على الأقل فن نظم الحكايات .

وفى المقابل فإن كتاب النثر قد أدلوا بدلوهم فى هذا المضمار فزينوا كتبهم بالعديد من الحكايات التى ساقوها للتمثيل أو لتوضيح ماينادون به من آراء وأفكار ، أو لسرد سير أبطالهم وشخصياتهم القومية أو المذهبية . وعلى هذا فقد راج فن القصة لدى الفرس منذ عدة قرون وتنوعت أغراض هذه القصص ما بين حماسية ورومانسية ومذهبية ودينية .

وما يهمنا فى هذا المضمار هو الحديث عن القصص الدينى فى الأدب الفارسى سواء ما حيك فى إطار الحكايات ؛ أو ما كتب أو نظم فى مجال القصة القصيرة ، وما جاء فى اطار القصة الطويلة.

ولما كانت هذه الحكايات أو تلك الروايات كثيرة كثرة هائلة ، ؛ فإننا سنكتفى بذكر عدة حكايات على سبيل المثال ، ثم ينتقل بنا الحديث إلى أشهر القصص الدينية فى الأدب الفارسى ، وسنلاحظ أن الكثير من هذه الحكايات الدينية قد سردت متعلقة

بقصص الأنبياء عليهم السلام ، ومنها هذه الحكاية عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام والتى وردت فى كتاب «بوستان » نظم شاعر الإنسانية الكبير سعدى الشيرازى.

(حكاية ابراهيم الخليل عليه السلام وضيفه المجوسى)

– سمعت أنه فى أسبوع لم يأت ابن سبيل ، إلى دار ضيافة ابراهيم الخليل
– ولم يكن من طبعه المبارك ألا يسارع بإعداد الأكل فى الصباح ؛ لعل مسكيناً يأتى فى الطريق
– فخرج ونظر فى كل جانب ، وأطل على الأطراف والوادى
– ثم رأى شخصاً وحيداً فى البادية كشجرة صفصاف ، رأسه وشعره أبيضان من الغباروالشيب .
٥ – فرحب به بمودة ، ودعاه إلى الطعام على عادة الكرماء
– قائلاً : يا إنسان عيني ، تكرم بتناول عيشى وملحى
– فقال نعم ،وهرول وخطا إلى الأمام ، لأنه عرف خلقه عليه السلام
–وأجلس رقباء مضيفة الخليل ، بالاعزاز ذلك الشيخ الذليل
– فأمر (الخليل) ورتبوا الخوان ،وجلس الجميع حول ذلك الضيف
١٠ – فلما بدأ الجميع بـ(بسم الله) ، لم يسمع من الشيخ حديثاً
– فقال (ابراهيم الخليل) أيها الشيخ المعمر ! إنى لا أرى لك صدقاً ومحبة مثل الشيوخ
– أليس الشرط والقاعدة أنك وقتما تأكل ، تذكر رب الرزق والإطعام ؟
– فقال : لا أتبع سنة لم أسمعها من الشيخ عابد النار
– فعرف النبى الحسن البخت والفال ، أن الشيخ مجوسى فاسد الحال
١٥ – فطرده بذلة حين رآه غريباً عن الله ، لأن النجس يكون منكراً عند الأطهار
– فجاء الوحى بهيبة لائما، من الرب الجليل ، قائلاً : أيها الخليل !
– لقد أعطيته أنا الرزق والروح مائة عام ، وأنت نفرت منه من لحظة
– إذا كان هو يسجد أمام النار ، فلماذا تثنى أنت يد الجود ؟ (١)

---

(١) الترجمة نقلا عن أريج البستان للدكتور أمين عبد المجيد ، ص ٩٠-٩١ . =

إذا كانت الحكاية تركز على ضرورة أن يبدأ الإنسان أى عمل بـ « بسم الله » كما تبرز كذلك سمة الكرم ، وضرورة أن يكون الكرم بلا غرض ، وشاملاً كل بنى البشر ، فإن الله عز وجل قد عاتب نبيه ابراهيم الخليل ، لأنه طرد مجوسياً نزل ضيفاً على مائدته مرة واحدة ، بينما كرم الله عز وجل يشمل الجميع مسلمين وكفاراً ، وهاهم جميع المجوس وغيرهم يقبلون على موائد الرحمن سنوات عمرهم ، ولايطردهم الله ولايعجل بعقابهم ، حيث أن الله جل شأنه يمهل ولايهمل مرجئاً الحساب إلى يوم الحساب ، لعل بعض هؤلاء يؤمنون قبل الممات !!

وليس فى استضافة مجوسى أو نصرانى خروج عن جادة الإيمان ، فها نحن نرى العديد من دول العالم الإسلامى تستضيف العمالة الآسيوية والإفريقية التى لا يدين معظمهم بالإسلام ، فيعملون ويأكلون من مائدة المسلمين .

= والأصل الفارسى :

شنيدم كه يكهفته ابن السبيل — نيامد بمهما نسراى خليل
ز فرخنده خوئى نخوردى بگاه — مگر بينوائى در آيد ز راه
برون رفت وهر جانبى بنگريد — بر اطراف وادى نگه كرد و ديد
بتنها يكى در بيابان چو بيد — سر ومويش از گرد پيرى سپيد
٥ - بدلداريش مرحبائى بگفت — برسم كريمان صلائى بگفت
كه اى چشمهاى مرا مردمك — يكى مردمى كن بنان ونمك
نعم گفت وبر جست وبرداشت كام — كه دانست خلقش . عليه السلام
رقيبان مهما نسراى خليل — بعزت نشاندند پير ذليل
بفرمود وترتيب كردند خوان — نشستند برهر طرف همگنان
١٠ - چو بسم الله آغاز كردند جمع — نيامد زپيرش حديثى بسمع
چنين گفتش اى پير ديرينه روز — چو پيران نمى بينمت صدق وسوز
نه شرطست وقتيكه روزى خورى — كه نام خداوند روزى برى
بگفتا نگيرم طريقى بدست — كه نشنيدم از پير آذر پرست
بدانست پيغمبر نيكفال — كه گبرست پير تبه بوده حال
١٥ - بخوارى براندش بيگانه ديد — كه منكر بود پيش پا كان پليد
سروش آمد ازكر دكار جليل — بهيبت ملامت كنان كاى خليل
منش داده صد سال روزى وجان — ترا نفرت آمد ازو يكزمان
گراو ميبرد پيش آتش سجود — تو واپس چرا ميبرى دست جود ؟

(كليات سعدى : بوستان نشر فروغى ، ص ٧١ - ٧٢).

كما أورد جلال الدين الرومى فى كتابه المثنوى العديد من الحكايات المرتبطة بالرسل والأنبياء ومنه حكاية عن ناقة سيدنا صالح ، وكم أنزل الله العقاب والعذاب بأولئك الذين خالفوا أمر الله وعقروا هذه الناقة :

(ناقة صالح)

- كانت ناقة صالح في صورتها الظاهرة ناقة ، وكان من جهل هؤلاء الحاقدين أن عقروها (١)
- فهم حين أصبحوا خصوماً لها على الماء ، أعماهم الحرص على الخبز و الماء
- كانت ناقة الله تشرب الماء من النبع ومن السحاب ، فحبس هؤلاء ماء الحق عن الحق
- وهكذا أصبحت ناقة صالح ، مثل جسم الصالحين كمينا لهلاك الظالمين
٥ - لنر ماذا جلب أمر الحق : «ناقة الله وسقياها (٢) » على تلك الأمة من أحكام الموت والألم
- فقد قاضاهم محتسب الحق بمدينة كاملة ، دية لناقة واحدة .
- وقد قال صالح : أما وقد أحدثتم هذا الحسد ، فلسوف تقع نقمة الرب بعد أيام ثلاثة (٣)
- وسوف تأتيكم من الله آفة ذات علامات ثلاث
- وسوف يتغير لون وجوهكم ، ويصبح هذا اللون مختلفاً فى نظركم
١٠ - ففى اليوم الأول يكون لون وجوهكم كالزعفران ، وفى اليوم الثانى يكون أحمر كالأرجوان .
- وفى اليوم الثالث تصبح كل الوجوه سوداء ، وبعد ذلك يأتى قهر الله .
- فحينما سمعوا هذا الوعيد المظلم ترقبوه ، وانتظروه
- ففى اليوم الأول رأوا وجوههم قد اصفرت ، فانطلقت من اليأس آهاتهم العميقة

---

(١) اشارة إلى قوله تعالى : " فقال لهم رسول الله : ناقة الله وسقياها " الشمس ، آية : ١٣.

(٢) اشارة إلى قوله تعالى : " فكذبوه فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولايخاف عقباها " ، الشمس آية ١٤ - ١٥.

(٣) إشارة الى قوله تعالى : " فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب " (هود، آية : ٦٥).

- وفى اليوم الثانى احمرت وجوه الجميع ، وضاعت بذلك فرصة الأمل والتوبة
١٥ - وفى اليوم الثالث علا السواد وجوه الجميع ، فصدق حكم صالح بدون جدال
- وقد نزل جبريل ببيان هذا فى القرآن : « فأخذتهم الرجفة ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين » (١)
- لقد انتظرت ثمود ضربة القهر الإلهى ، فجاءهم القهر ومحا تلك المدينة
- وذهب صالح من خلوته نحو المدينة ، فرآها مغلقة بالدخان واللهيب
- وسمع النواح من حطام القوم ، كان النواح ظاهراً ، أما النائمون فمختفون !
٢٠ - سمع النواح من عظامهم ، كما كانت دموع الندم تقطر كالندى من أرواحهم (٢)

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٧٨.
(٢) جلال الدين الرومى : المثنوى جـ١ ترجمة محمد عبد السلام كفافى ص ٣١٠ - ٣١٣.
وهذه الحكاية تقع فى واحد وستين بيتا ، ويمكن مراجعة الحكاية كاملة بالترجمة العربية للجزء الأول من المثنوى للدكتور محمد عبد السلام كفافى. وهذا الأصل الفارسى للأبيات التى ذكرنا ترجمتها ؛ كما يلى :

ناقهء صالح بصورت بد شتر — پى بريدنش از جهل آن قوم مر
از براى آب چون خصمش شدند — نان كور وآب كور ايشان بدند
ناقه الله آب خورد از جوى وميغ — آب حق راداشتند از حق دريغ
ناقهء صالح چو جسم صالحان — شد كمينى در هلاك ظالمان
٥ - تابر آن امت زحكم مرگ ودرد — " ناقة الله وسقياها " چه كرد ؟
شحنه قهر خدا زيشان بجست — جونبهاى اشترى شهرى درشت
كفت صالح چونك كرديد اين حسد — بعدسه روز از خدا نقمت رسد
بعدسه روز دگر از جانستان — آفتى آيد كه دارد سه نشان
رنگ روى جمله تان گردد دگر — رنگ رنگ مختلف اندر نظر
١٠ - روز اول رويتان چون زعفران — در دوم ، رو سرخ همچون ارغوان
در سوم گردد همه روها سياه — بعد از آن اندر رسد قهر إله
چون شنيدند اين وعيد منكدر — چشم بنهادند وآن را منتظر
روز اول روى خود ديدند زرد — مى زدند از نا اميدى آه سرد
سرخ شد روى همه روز دوم — توبت اميد وتوبه گشت كم
١٥ - شد سيه روز سوم روى همه — حكم صالح راست شد بى ملحمه =

لم تكن هذه الناقة فى رأى جلال الدين الرومى إلا رمزا يختبر فيه قوم صالح ، فهل يمتثلون إلى نصيحة سيدنا صالح بالامتناع عن عقر هذه الناقة استجابة لأمر الله عز وجل ، أم يركبهم الغرور والصلف ويصرون على معصية الخالق ، وعدم الامتثال إلى نصح صالح عليه السلام ، وقد فشلوا فى الاختبار ، وأقدموا على المعصية والخطيئة وعقروا هذا الناقة الرمز والتى تختلف عن بقية النوق ، وهذا مالم يكن فى حسبانهم ، ولم يدركوا سرها ، فكان جزاؤهم شر الجزاء ، وحل بهم العذاب والدمار والنكال ، حتى كان الجزاء ـ كما قال الرومى ـ تدمير مدينة كاملة فى مقابل عقر ناقة واحدة ، ولكن لم يكن الأمر وكأنه واحدة بواحدة وإنما كان الجزاء مقابل عدم الإيمان بالله وبرسوله وبدعوته ، ولم تكن الناقة والامتناع عن عقرها إلا اختباراً لم يدركوا مغزاه ، وهو الامتثال لأوامر الله وكذلك تحذير وتنبيه لكل من يخرج عن الطريق المستقيم ، طريق الإيمان والتسليم لله عز وجل : وأن مثل هذا الجزاء الذى أصاب قوم صالح ، سيصيب كل من يعصى الله ورسله الكرام فى أى زمان وأى مكان !!

* * *

وهذه حكاية عن سيدنا داود عليه السلام وردت فى كتاب جوامع الحكايات ولوامع الروايات تأليف الأديب العلامة محمد عوفى [١] تدور حول ضرورة كسب العيش بالكد والعمل وعدم الاتكال على الآخرين أو الطمع فى مال الغير ، وملخصها :

= در نبى آورد جبريل آمين — شرح اين زانو زدن را جاثمين
منتظر كشتند زخم قهر را — قهر آمد ، نيست كرد اين شهر را
صالح از خلوت بسوى شهر رفت — شهر ديد اندرميان دود وتفت
ناله از اجزاى ايشان مى شنيد — نوحه پيدا ، نوحه كويان نا پديد
٢٠ - ز استخوانها شان شنيد اوناله ها — اشك خون از جانشان چون ژاله ها

(جلال الدين الرومى : مثنوى ، دفتر اول ١١١ - ١١٣ تهران ١٣٧١ ش).

(١) محمد عوفى : سديد الدين أو نور الدين محمد بن محمد عوفى البخارى. من كبار ادباء ايران فى أواخر القرن السادس واوائل القرن السابع الهجريين ، ويقال إنه من ذرية الصحابى الكبير عبد الرحمن بن عوف ، ولذا اشتهر باسم " عوفى " وقد ولد ببخارى فى منتصف القرن السادس الهجرى وبها حصل علومه ، ثم رحل بعد ذلك إلى بلاد ما وراء النهر، من أشهر مؤلفاته : لباب الألباب وجوا مع الحكايات.

حكى أنه فى الأيام الأولى بعد صدور الأمر الإلهى : « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض »أن خضعت جميع طوائف بنى اسرائيل لحكمه ووضعت رقابها فى ربقة طاعتـه، وكـان من عـادته فى أيام خـلافتـه أنه عندمـا يجن الليل وينشـر الظـلام ظلاله الكثيفة على الدنيا ، يخرج داود متنكراً ، ويسأل كل من يقابله : علام تكون سيرة داود معكم وما نصيبكم من نعيم مملكته ، هل هو الشوك أم كأس الإنعام ؟ وذات ليلة التقى به جبريل عليه السالم وقد تخفى فى صورة رجل . فسأله داود : ماذا تقول فى داود ؟ فقال كل ما يمكن أن يقال إنه نعم الملك ونعم النبى ، ولكن تنقصه خصلة واحدة فقال داود: وما هى ؟ قال : إنه يأكل من بيت المال ، فلو كان يأكل من كد يده لما نقص من جمال كماله شئ!!

عاد داود عليه السلام إلى محراب عبوديته مهموماً حزيناً باكياً، وأخذ يبتهل إلى الله ضارعاً: يا إلهى لتعلمنى حرفة ، حتى تكون لى عوناً فى كسب قوت يومى .

فأمر الله سبحانه وتعالى بتعليمه حرفة صناعة الدروع ، بهذا جاء الأمر الإلهى: «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » .

إذا كـان الأنبيـاء مع مـامنحـهم الله من جلال النبوة ، قد أعطاهم القدرة على الكسب من عمل أيديهم ، فإن هذا تنبيه للعقلاء حتى يتحرزوا من الطمع والنظر إلى ما فى يد الغير كى يظفروا بالسعادة فى الدنيا والأخرة (١)

هذه الحكاية دعوة للعمل وعدم التراخى والتكاسل ، وقد منحنا الله القدرة على الكسب بما حبانا به من عقل وصحة وعافية ويدين قادرتين على العمل وساقين تسعيان فى طريق كسب العيش ، لذا يجب علينا أن نحسن استغلال الطاقات التى وهبنا الله إياها ، حتى نكون من عباده العاملين ، فنكون جديرين برضاء الله وضوانه : « ولكل درجات مماعملوا ، وما ربك بغافل عما يعملون »(٢) وقوله تعالى : « ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٣) وقوله تعالى : « أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء

---

(١) محمد عوفى : جوامع الحكايات ولوامع الروايات : جلد اول از قسم سوم ١٣٥٢ش تهران ص ٧٩ - ٨١.

(٢) الأنعام ، آية : ١٣٢.

(٣) النحل ، آية : ٩٧.

بما كانوا يعملون » [١]

* * *

هذه بعض الحكايات القصيرة التى أوردها الأدباء معبرين عن نفحات من قصص الرسل والأنبياء عليهم السلام ، أخذاً للعظة والعبرة والتأسى بأخلاقهم الحميدة وسيرهم العطرة ، وقد امتدت هذه الحكايات إلى حياة الآئمة الصالحين الذين أبلوا بلاءً حسناً فى نصرة الإسلام ، وكانوا بمثابة مصابيح للهداية والإرشاد لعموم المسلمين ، وإذا كنا قد تحدثنا عن مناقب الخلفاء الراشدين فى فصل سابق ، فسنكتفى هنا بذكر حكايتين قصيرتين عن خامس الخلفاء الراشدين، كما يطيب للبعض ان يطلق عليه ذلك ؛ وهو الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

الحكاية الأولى وردت فى كتاب سياست نامه لنظام الملك وهذه ترجمتها :

.قيل إنه فى أيام عمر بن عبد العزيز ألم بالناس قحط فآذاهم وأجهدهم ، فذهب إليه قوم من العرب يشكون قائلين : يا أمير المؤمنين لقد أكلنا لحومنا وشحومنا فى القحط ، فهزلت أبداننا وشحبت ألواننا من قلة الطعام ، وإن حظنا لفى بيت المال .. وهذا المال لايخرج عن أن يكون مالك أو مال الله عز وجل أو مال عباد الله . فإن كان مال عباد الله فنحن منهم ، و إن كان من مال الله ، فما لله فيه من حاجة ، وإن كان مالك فتصدق به علينا ، « إن الله يجزى المتصدقين [٢] » وإن كان من مالنا فيسره لنا لننجو من هذا الضيق ، فإن جلودنا يبست على أبداننا . فرق لهم عمر بن عبد العزيز، واستعبر وقال : « إنى فاعل ما قلتم » . وأمر لساعته بأن تقضى لهم حوائجهم ويبلغ بهم مقصودهم . ولما هموا بالنهوض والإنصراف ، قال لهم عمر بن عبد العزيز : أيها الناس ؛ إلى أين تذهبون ؟ قولوا لله تعالى مقالتى كما قلتم لى مقالتكم » . يريد أن يدعوا له . فرفع الأعراب وجوهم إلى السماء وقالوا : « يارب بعزتك أفعل بعمر بن عبد العزيز ما فعل بعبادك »! وما كادوا يتمون دعاءهم حتى تلبدت السماء لساعتها وأخذ المطر الغزير يهطل ونزلت من بين البرد آجرة على دار عمر وانكسرت فبرزت منها

---

(١) الأحقاف ، آية : ١٤.

(٢) سورة يوسف ، آية : ٨٨.

رقعة ،نظروا فيها فإذا هى مكتوب فيها : هذه براءة من الله العزيز ، من النار إلى عمر بن عبدالعزيز » ! (١)

أما الحكاية الثانية فقد وردت فى كتاب « بوستان » للشيخ سعدى الشيرازى وهى مرتبطة بعام القحط الوارد ذكره فى الحكاية السابقة ، وكيف كان عمر بن عبدالعزيز مضحياً بكل شئ لمساعدة الناس على تجاوز هذه الأزمة الطاحنة ،وهذه ترجمة لها :

- يحكى شخص من العظماء من أهل التميز حكاية عن عمر بن عبد العزيز
- إنه كان له فص على خاتم ، حار فى تقدير قيمته الجوهرى
- وقضاء حل عام قحط ، فصار بدر سيما الناس ، هلالا
- فأمر أن يبيعوه (أى فص الخاتم) فباعوه ؛ لأنه أشفق على الغريب واليتيم
٥ - وفى أسبوع واحد بددنقده وثمنه ، حيث أعطاه للفقير والمسكين والمحتاج
- فلامه اللائمون قائلين : إنه لن يأتى مثله فى يدك مرة أخرى !
- سمعت أنه كان يقول وأمطار الدمع تهطل على عارضيه مثل دمع الشمع
- الزينة تكون قبيحة على الملك ، وقلوب أهل المدينة قريحة من الضعف
- يليق أن يكون لى خاتم بلافص ، ولايليق أن تكون قلوب الخلق حزينة
١٠ - فهنيئاً لمن يؤثر راحة الرجال والنساء ، على تزيين نفسه
- لايرغب الفضلاء فى سرور أنفسهم ، على حساب غم الآخرين .
- إذا نام الملك ناعماً مستغرقاً ، فلا أظن أن الفقير ينام مستريحاً
- وإذا سهر الليل الطويل ، ينام الناس براحة ودعة (٢)

---

(١) سياستنامه ، ص : ٩٣.

(٢) أريج البستان ص : ٥١ ، والأصل الفارسى هو :

يكى از بزرگان اهل تميز — حكايت كند ز ابن عبد العزيز
كه بودش نگينى در انگشترى — فرومانده در قيمتش جوهرى
قضا را در آمد يكى خشكسال — كه شد بدوسيماى مردم هلال
بفرمود وبفروختندش بسيم — كه رحم آمدش بر غريب ويتيم
٥ - بيك هفته نقدش بتاراج داد — بدرويش ومسكين ومحتاج داد =

هكذا كان الخليفة عمر بن عبدالعزيز مثالاً يحتذى لأى حاكم مسلم يعتبر الحكم مسئولية كبرى ، وهماً ثقيلاً أناء الليل والنهار ، وأن واجبه العمل على راحة مرءوسيه ، لا أن يكون الحكم مكانة وأبهة وتسيداً على خلق الله .

* * *

إذا تجاوزنا الحكاية وانتقلنا إلى الأقصوصة فسنجد الأدب الفارسى الإسلامى قد حظى بالعديد منها فى الشعر أو النثر على حد سواء ، وكان بعضها مستمداً من القصص القرآنى وقصص الأنبياء والرسل عليهم السلام ، أو من سير أبطال الأسلام وفتوحاتهم ، وكذلك دحض دعاوى الكفر والطغيان .

وأول هذه القصص القصيرة التى سنعرض لها قصة سيدنا موسى عليه السلام منذ كان نطفة وحتى صار نبياً ورسولاً ، وقد جاءت هذه القصة فى الجزء الثالث من مثنوى جلال الدين ، جاءت فى حوالى أربعمائة وخمسين بيتاً ، وملخصها كمايلى :

..لما كان جهد فرعون بلا توفيق ، فإن كل ما كان يرتقه كان مآله التمزيق ، وكان تحت إمرته الآلاف المؤلفة من المنجمين ومثلهم العديدون من السحرة ومفسرى الأحلام ، وذات ليلة رأى فرعون موسى فى نومه ، وأنه هو الذى سيحطم فرعون وملكه، فسيطر عليه الهم والحزن ، واستعدى جيشه من المنجمين ومفسرى الأحلام للبحث فى كيفية تقيه خطر هذا الحلم المفزع والمشئوم ، وقد تدبروا فيما بينهم واستقر الرأى على

= فتادنـــــد دروى ملامـــت كنـــان — كه ديگر بدستت نيايد چنـــان
شـــنيدم كه ميگفـت وباران دمـــع — فرو ميدويدش بعارض چو شمع
كه زشتـــست پيرايــه بر شـــهريار — دل شـــهرى از ناتوانى فگـــار
مرا شـــايد انگشـــترى بى نگـــين — نشايد دل خلـــقى اندوهگـــين
١٠ - خشك انكه آسايش مرد وزن — گزينـــد بر آرايـــش خويشـــتن
نكردنـــد رغبـــت هـــنر پرور ان — بشادى خويش از غم ديگـــران
اگر خـوش بخسـبد ملك بر سـرير — پندارم آسوده خسبد فقيـــــر
وگـــر زنده دارد شـــب دير بـــاز — بخسبـــند مـــردم بآرام ونـــاز

(كليات سعدى ؛ بوستان ص ٣١ - ٣٢)

قطع الطريق على بنى اسرائيل ، بعدم إعطاء الرجال والنساء فرصة اللقاء واحتمال الحمل ، ورأوا أن أفضل طريقة أن ينقلوا منذ فجر ذلك اليوم عرش الملك صوب الميدان، ثم ينادوا بنى اسرائيل جميعاً لتلبية دعوة الملك حيث سيسفر لهم عن وجهه دون نقاب، كما سيحسن إليهم ويشملهم بعطفه فى ذلك اليوم وتلك الليلة .

وقد انطلت الحيلة على بنى اسرائيل وأسرع جميع الرجال صوب الميدان ممنين أنفسهم باللقاء والعطاء. وعند وصولهم إلى الميدان كشف لهم الملك عن وجهه وأحسن استضافتهم وأنعم عليهم بعظيم الهدايا والعطايا ، ثم قال لهم : إن كنتم حريصين على أرواحكم ، فهيا ناموا جميعاً فى الميدان هذه الليلة ، فأجابوه : سمعاً وطاعة ، بل إن أردت فسنبقى هنا شهراً كاملاً !

وكان خازنه عمران - وهو من بنى اسرائيل - فى خدمته وفى معيته ، وعندما عاد الملك إلى المدينة ،عاد عمران معه ، ولكنه قال لعمران : لتنم على هذا الباب ، وإياك أن تمضى إلى زوجتك أو تطلب وصلها !

دخل الملك إلى حجرة نومه ، بينما نام عمران على الباب كما أمره ، وفى منتصف الليل جاءت زوجة عمران إليه ، فسألها عمران لم أتيت فى هذا الوقت من الليل ؟ فأجابته من الشوق ! ومن قضاء الله ! فجامعها وأودع فيها الأمانة ، ثم قال لها: أيتها الحبيبة ليس هذا الأمر هيناً، وما كان يخشاه فرعون قد وقع بالفعل فى تلك اللحظة التي تم فيها الوصال فيما بيننا ! فإياك أن تقصى هذا الأمر لأحد حتى لايصيبنى ويصيبك العديد من الأحزان والكوارث . ولسوف تظهر فى النهاية آثار هذا اللقاء عندما يحين حين الأمارات .

وفى نفس اللحظة تعالت الأصوات من الميدان ، وكانت تلك الصيحات تملأ الفضاء جلبه وضجيجاً ، ووصلت هذه الصيحات إلى مسامع فرعون فهب من نومه مذعوراً ، ونادى عمران قائلاً: ما هذا الضجيج وذاك الصراخ ؟ فقال عمران : أطال الله عمر مليكنا ، إن بنى إسرائيل مسرورون منك. ولم تكن لدى عمران الجرأة كى يقص على فرعون أمر مضاجعته لزوجته .

أما عن إمرأة عمران فقد رتبت على ظهر عمران حتى يظهر نجم موسى ، فكل رسول توضع نطفته فى ا لرحم ، يظهر نجمه على السماء، وهكذا ظهر نجم موسى فى

السماء ، برغم فرعون ومكره واحتياله !

على الرغم مما قاله عمران لفرعون ، فإن فرعون ظل فى قلقه وحيرته ، لذا ما كان منه إلا أن أرسل عمران ليستطلع الأمر ، فذهب إلى الميدان ، حيث وجد جميع السحرة والمنجمين فى هلع شديد وحزن عميق ، فسألهم السبب ، فقالوا : مع كل ما فعلناه لم يواتنا الحظ ، ووجد عدو الملك وانتصر ، وظهر الليلة نجمه فى السماء ، فما كان من عمران رغم علمه بالحقيقة إلا أن تظاهر بالغضب وقال للسحرة والمنجمين : لقد خدعتم مليكى ! أليس فى هذا طمع أو خيانه ؟

وما أن وصل الخبر إلى الملك حتى استدعى جميع السحرة والمنجمين ، وقال لهم بغيظ وحنق: أيها الخونة سوف أصلبكم جميعاً بلا إمهال حيث جعلتمونى أضحوكة وخسرت أموالى بعد أنفقتها على الأعداء أملا فى أن يبتعد رجال بنى اسرائيل عن نسائهم فى تلك الليلة ! ليس لكم من جزاء عندى إلا أن أشنقكم وأضرم فيكم النار ، وأقطع أطرافكم وآذانكم وشفاهكم .

فسجد المنجمون والسحرة أمام فرعون ، وقالوا : أيها الملك إذا كنا قد هزمنا مرة ، فقد قمنا عدة سنوات بدفع البلاء عن المليك ، وأفهامنا جد حائرة فيما حدث، وإذا كان السيف قد سبق العزل، وحدث الحمل ، وقفزت نطفته واستقرت فى الرحم؛ فإننا على سبيل التعويض يجب أن نتدارس الأمر قبل يوم الميلاد ، وظلوا فى ترقب لمدة تسعة أشهر يوماً بيوم ، ثم أشاروا عليه بحيلة جديدة ، وهى أن يخرج الملك عرشه مرة أخرى إلى الميدان ، ثم ينادى عماله وحجابه موجهين الدعوة إلى النسوة كى يقبلن على الميدان مع أطفالهن الصغار ، وركز النداء على نساء بنى إسرائيل جميعاً ، وكان رجال فرعون ينادون ؛ قائلين : هيا أيتها النسوة فالإقبال لكن هذا العام ، حتى تجد كل منكن ما تتمنى . وعلى كل من وضعت هذا الشهر أن تأتى مع وليدها لكى تتسلم هديتها من الملك .

خرجت نسوة بنى اسرائيل جميعهن ، وقد أخذت كل أم وليدها معها ، وما أن تجمعت النسوة جميعهن حتى أخذ عمال الملك كل مولود ذكر من أمه ، وسرعان ما قطعوا رءوس الأطفال جميعاً ، وهم يقولون : إن هذا من الحيطة؛ حتى لا ينمو خصم الملك، ويزداد التخبط والاضطراب فى المملكة !

أما أمرأة عمران التى حملت موسى فقد ابتعدت عن كل هذا ولم تخرج إلى الميدان ولكن فرعون الماكر كان قد أرسل الحاضنات والمرضعات إلى البيوت من أجل التجسس، فنقلن إليه أن هناك طفلاً ، لم تأت به أمه إلى الميدان ، فجاءها العسس ولكنها ألقت بطفلها فى التنور بأمر من الله، إذ أوحى بهذا إلى هذه المرأة حتى تصبح على علم بأن هذا الوليد من نسل الخليل ابراهيم عليه السلام ، وأن لديه عصمة أمر الله تعالى حيث قال : « يانار كونى برداً وسلاماً » فلا تكون النار عليه حراً شديداً .

عاد العسس خائبين من ذاك المكان ، ولكن الجواسيس علموا بالأمر ، فأخبروا فرعون بما كان، فقال : أيها العسس عودوا إلى ذاك المكان ، وأحسنوا التفتيش جيداً فى التنور ، فجاءها الوحى أمراً إياها بأن ألقيه فى اليم وكونى راجية فى الله ، فألقته فى النيل وهى على ثقة بأن الله سيجعلها تلتقى به عزيزاً مكرماً .

ودارت القصة فى مسيرتها حتى تحدث جلال الدين الرومى بعد ذلك عن عصا موسى وتحولها إلى أفعى ، وخوف الناس من هذه الأفعى ، وفرارهم منها مما أوقع الهرج والمرج الذى نتج عنه بعض القتلى والجرحى ؛ فاستدعى فرعون موسى موبخا ومحذراً وقائلاً : لماذا أيها الكليم قتلت الخلق وأوقعت فيهم الرعب ؟ لقد كنت تدعو الناس إليك ولكن الأمر انقلب إلى ضده ولابد للناس من مخالفتك ، كما أننى سأدبر أمراً فيه عقابك ، فلاتظن أنك تستطيع خداعى ، أو أن أحدا سوف يتبعك! وسأجمع لك سحرة الدهر حتى أبدى جهلك أمام المدينة ، ولكن لن يكون هذا فى يوم أو يومين، بل أمهلنى أربعين يوماً ، فأعترض موسى على طول المهلة ، ولكن الأمر الإلهى جاءه فى التو واللحظة بقبول المهلة ، دون أن يخشى شيئاً .

ومما جاءه من الوحى : أعطه الأربعين يوماً مهلة طوعاً، حتى يفكرفى ألوان المكر لوناً لوناً، وسوف أحبط حيلهم جميعاً ، وكلما زادوا منها ، جعلتها بلاقيمة. فما كان من موسى إلا أنه قال لفرعون : لقد جاء الأمر ، فاذهب ولك المهلة ، أما أنا فذاهب إلى مكانى .

ثم طفق موسى يسير والأفعى تسير فى إثره وكأنها كلب الصياد مدربة مطيعة وعندما وصل إلى قومه ، أمسك بشدقيها ، فأنقلبت ثانية إلى عصا ، فاتكأ عليها قائلاً: واعجباً ، إنها بالنسبة لنا شمس، وبالنسبة للخصم ليل !

وما أن ذهب موسى تاركاً فرعون فى حيرته ، حتى سارع فرعون فى طلب

السحرة من كل مكان حيث أرسل فى كل المدائن جامعاً للسحرة لعلهم يتشاورون فيما يمكنهم من إحراز السبق والفوز على موسى وكلما سمع عن ساحر مشهور أرسل فى طلبه عشرة من رسله .

وكان هناك شابان ساحران مشهوران ، بحيث كان سحرهما ينفذ إلى القلب، وقد وصلتهما رسالة الاستدعاء من فرعون بأن هيا أقبلا ! فقد ظهر رجلان من بنى إسرائيل ، ونصبا حلقة سحرهما على الملك ، وليس معهما إلا عصا تتحول إلى أفعى ، ولابد وأن يكون هناك حل يقدمه السحرة ، حتى ينجو الملك بروحه من هذين الساحرين موسى وهارون ، وكان لهذين الشابين الساحرين أب قد حاز المكانة العالية فى السحر والدهاء ، ولكنه كان قد أسلم الروح ، فسألا أمهما عن قبر أبيهما ، فأخبرتهما بموقعه ، فذهبا إلى القبر يستغيثان روح أبيهما فيما عرضه الملك ؛ حيث قالا :

يا أبانا ان الملك قد أرسل إلينا رسالة تبدى خوفه وقلقه من رجلين ضايقاه أشد الضيق ، وأراقا ماء وجهه أمام الجند ، وهذان الرجلان ليس معهما سلاح أو جند ، ليس معهما إلا عصا فيها الشر والفتنة ، فإذا كان هذا سحراً فأخبرنا ، وإذا كان أمراً إلهياً فألهمنا الصواب ، فأجاب الوالد بلالسان ولا نطق قائلاً : ياولدى الحبيبين إن الجواب صراحة عن هذا الأمر مرهون بشئ، إننى لست مأذوناً بأن أجيب على الأمرصراحة ، ولكن السر ليس بعيداً عن عينى ، لذا سأبدى لكم أمارة ، حتى يصير هذا السر مكشوفاً لكما ، فعندها تذهبان إلى حيث يوجد ، فتحسسا أين ينام وعندما ينام هذا الحكيم ، اقصدوا تلك العصا ودعكما من الخوف ، فإن استطعتما سرقتها فهو ساحر ، وأن لم تستطيعا فالحذر ! الحذر فهذا أمر إلهى ، وهو رسول من ذى الجلال ، وواصل الأب حديثه مع أولاده قائلاً : ياروح أبيكما ، إذا نام الساحر فلا قوة ولاقدرة له أثناء النوم ، أما إذا كان نبياً مرسلاً فقدرته ومعجزته فى كل وقت !

قبل كلاهما القبر ومضيا نحو مصر من أجل هذا الصراع المرير ، وعندما وصلا إلى مصر طلبا منزل موسى ، واتفق أنه فى وقت وصولهما أن كان موسى نائماً تحت ظل نخلة وقد أغلق عينيه اللتين فى رأسه ، ولكن العرش والفرش كلهيما كانا تحت ناظرية .

وعندما رأياه نائماً ، احتالا من أجل أن يسرقا العصا ، فاتجه هذان الفتيان الساحران بسرعة نحو العصا ، مستديرين خلف موسى حتى لا يراهما أو يشعر بوجودهما ، ولكن ما أن تقدما لتنفيذ حيلتهما ، حتى بدأت تلك العصا فى الحركة ، فقد تحركت العصا وتلوت حول نفسها ، فتسمر كلاهما فى مكانه خوفاً وهلعاً ، ثم تحولت إلى أفعى وهجمت عليهما ، فهرب كلاهما وقد امتقع لونهما ، فتيقنا أنها من السماء ، وذلك لأنهما كانا يعرفان حدود السحر ، وهكذا ظهر عليهما الوهن وأصابتهما الحمى ، وبلغ بهما الأمر إلى الاحتضار وتسليم الروح ، فأرسلا فى التو واللحظة رجلاً إلى موسى حاملا اعتذارهما ؛ حيث قالا : نحن مجرما فرعون ، فاعف عنا ، يامن أنت فى بلاط الجلالة من خواص الخواص ، فعفا عنهما فارتدت إليهما العافية فى التو واللحظة ، وأخذا فى اظهار الخضوع والذلة أمام موسى .

فما كان من موسى إلا أن طيب خاطريهما ، وطلب منهما الدخول مع السحرة فى الصراع ضده حتى لو كانا يدركان العاقبة ، فقبلا الأرض بين يديه ومضيا ، وظلا ينتظران يوم الزينة حيث يكون اللقاء والتحدى .

وعندما دخل هذان الساحران مع بقية السحرة على فرعون ،خلع عليهم الخلع الثمينة ، ثم قال: هيا أيها السباقون ، فلو كنتم الغالبين فى هذا اللقاء ، فسوف أنثر عليكم عظيم العطاء . فقال السحرة جميعاً ، بإقبالك أيها الملك سوف نكون نحن الغالبين ويصير أمره إلى يباب ،نحن فى هذا الفن أبطال صناديد ، ولا أحد فى الدنيا له ما لنا من قدرة فيه (١)

وإلى هنا يتوقف جلال الدين الرومى عن سرد باقى القصة ، وإنما يعلق على القصة قائلاً :

- لقد صار ذكر موسى قيداً على الخواطر ، فكم من قائل : مالنا نحن وهذه الحكاية القديمة

- إن ذكر موسى هنا مجرد ستار وحجاب ، ولكن ليكن لك فيه نور موسى أيها

---

(١) يمكن مراجعة القصة كاملا بالجزء الثالث من المثنوى ترجمة الدكتور ابراهيم شتا ، نشر المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ ص ٩١ - ١٢٢.

الرجل الطيب

- إن موسى وفرعون فى داخلك ، وينبغى أن تبحث عن هذين الضدين داخلك(١)

وكأنه يعنى أن الإنسان قد تجمع فيه العنصران ، عنصر الخير ويمثله موسى، وعنصر الشر ويمثله فرعون ، والواجب على الإنسان أن يناصر موسى الخير فى داخله، وأن يعادى فرعون الشرير، وبهذا يكن جديراً برضوان الله العزيز وعطفه !

ثم عاد جلال الدين بعد فترة وأشار إلى قصة فرعون مع السحرة بعد أن آمنوا بدعوة موسى عليه السلام دون إذن من فرعون ، مما جعله يهددهم بالعذاب حيث قال ما ترجمته :

- يهدد فرعون اللعين السحرة بالعقاب فى الحياة الدنيا قائلاً لهم :
- لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لأهلكنكم ولن أعفيكم من هذا العقاب
- إن كان يظن أنهم لايزالون مقيمين على نفس الوهم والخوف والوسواس
- وأنهم كانوا يرتعدون خوفاً وهلعاً من الأوهام وتهديدات النفس
- فلم يكن يدرى أنهم قد نجوا وجلسوا على كوة نور القلب (٢)

هكذا أفاد جلال الدين الرومى من القصص القرآنى ، فقد عرض القرآن الكريم فى العديد من سورة وآياته لقصة سيدنا موسى عليه السلام منذ كان نطفة فى رحم أمه وتخوف فرعون من وجوده وإقدامه على قتل جميع الذكور من بنى اسرائيل الذين

---

(١) الأصل الفارسى : المثنوى جـ ٣ ص ٣٨٦.

ذكر موسى بند خاطرها شدست ... كين حكايتها ست كه پيشين بدست
ذكر موسى بهر روپوش است ، ليك ... نور موسى نقدتست اى مرد نيك !
موسى وفرعون در هستى تست ... بايد اين دو خصم را در خويش جست

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦ :

ساحران را نى كه فرعون لعين ... كرد تهديد سياست بر زمين
كه ببرم دست وپاتان از خلاف ... پس در آويزم ، ندارم تان معاف
او همه پنداست كايشان درهمان ... وهم وتخويفند ووسواس وگمان
كه بودشان لرزه وتخويف وترس ... از توهمها وتهديدات نفس
او نمى دانست كايشان رسته اند ... بر دريچهء نور دل بنشسته اند

سيولدون فى نفس الفترة التى حددتها الرؤية التى رآها فى منامه إلى غير ذلك من أحداث التى جاءت متفرقة فى ثنايا القرآن الكريم ، وحتى بعثه وتحديه لفرعون وسحرته وانتصاره بإراده الله وتوفيقه على كل ألاعيب السحرة ، الذين أدركوا فى النهاية أنه نبى مرسل ، وليس ساحراً بشراً يخادع الناس ويخلب أبصارهم بحيله وألاعيبه ، فما كان منهم إلا أن آمنوا برب موسى ، حتى ولو كان فى ذلك هلاكهم على يد فرعون . ومن الممكن أن يكون جلال الدين الرومى قد أضاف من عنده بعض الأحداث حتى يكمل حبك القصة ،وذلك ماثل فى حديثه عن الساحرين الفتيين ووالدهما المتوفى ، وغير ذلك من الأحدث الجانبية التى لا تؤثر على جلال القصة ، والحكمة من سردها .

* * *

أما الأقصوصة الثانية ، وعنوانها « قصة النملة » والملك سليمان عليه السلام(١) وهى مجهولة المؤلف ، وقد عثر على نسختها الخطية بدار الكتب المصرية ، الدكتور شعبان ربيع ، فعكف على نشرها وترجمتها إلى العربية ، كما قدم تعليقات ودراسة لها؛ وفيما يلى عرض عام لأحداث الأقصوصة :

... يحكى أنه كان حول مكة المكرمة واد يسمى « واد النمل » على نحو ما ذكر الله تعالى فى كتابه المجيد ، وكان فى هذا الوادى نملة تسمى مندودة تتولى حكم مملكة النمل ، وقد اختلفت الروايات فى تقدير حجم هذه النملة ، وهل هى بحجم القطة أم أصغر أم أكبر ! وكان جميع النمل فى ذلك الوادى ينفذون أوامرها ويخضعون لحكمها ، وتتبعها جيوش النمل .

وذات يوم اتجه موكب الملك سليمان عليه السلام صوب ذلك الوادى ، وكانت جيوش سليمان تضم فيما بينها شياطين ومردة وإنساً وجناً ووحوشاً وطيوراً ، فى أعداد لايمكن حصرها بالتحرير أو بالتقرير .

ولما وصل أخبار قدوم جيش سليمان عليه السلام إلى أذن مندودة قالت لتوابعها من النمل :انتبهوا ، فإن ركب الملك سليمان متجه إلى هذه الديار،وحتى لاتكونوا عرضة لأن تطأكم الأقدام الثقيلة لأفراد هذا الجيش عليكم بالعودة السريعة إلى مخابئكم تحت

(١) قصة النملة والملك سليمان عليه السلام : مجهولة المؤلف ، نشر د. شعبان ربيع سوهاج ١٩٨٥.

الأرض ، وانهمكوا فى عبادة الحق تعالى ، وإذا بالريح قد أوصلت هذا الحديث إلى أذن الملك سليمان عليه السلام ، وأخبرته بأن مندوده نملة شهيرة تقيم مملكة للنمل تحت الأرض بسبعة طوابق ، وقد سمعت بمقدم جيوشكم ، فأمرت جميع رعاياها من النمل بالتزام أماكنها داخل الوادى وعدم مبارحته خوفاً على حياتها .

ما أن سمع الملك سليمان ما نقلته إليه الريح ، أمرجنوده بالتوقف فى ذلك اليوم والإقامة فى ذلك الوادى ، ثم أرسل الهدهد إلى مندودة كى يدعوها إلى الحضور لمقابلة سليمان الملك عليه السلام.

وعندما أبلغ الهدهد مندودة بالأمر سارعت بقطف زهرة من حديقتها كى تقدمها هدية للملك سليمان ، وقالت للهدهد : اذهب أنت ، وسآتى فى إثرك !

وبعد ساعة وصلت مندودة ودخلت الممر الذى يوجد فيه سليمان الملك ومعها الزهرة ، فوصلت رائحة تلك الزهرة إلى مشام الملك من بعيد ، فقال متعجباً : ما رأينا أو سمعنا عن مثل هذه الزهرة قط!

وما أن دخلت مندودة إلى بلاط سليمان وكان جالساً على عرشه ، تقدمت وجلست إلى جواره على العرش . فتعجب سليمان من جرأتها ، وقال لها : يامندودة ! إن مائه ألف من الشياطين والطير والأنس والجن يقفون خلفى وأمامى مغلولى الأيدى ، لايقدرون على النطق دون إذن ، فأى مكانة لك حتى تقتربى منى ، وتجلسى على العرش بجوارى .

فكان رد النملة غاية فى الحكمة والذكاء والفطنة حيث قالت له :

أنت ملك مافوق الأديم ، وأنا ملكة باطن الأرض ، ولايليق بالملوك أن يقفوا مغلولى الأيدى بين يدى أى ملك ، فإن كنت لا تدرك أو تعقل هذا الحديث ، وآثرت الجنوح الى التكبر ، فأنت رسول ولايليق التكبر بالرسل ! فقد قال رسول الله :كل من فى قلبه تكبر ولو بمقدارذرة من خردل لايدخل الجنة إلا بعد عذاب » (١)

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر ، ولايدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ".
أنظر : ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة جـ ١ ص ٢٢.

وقد قرأت فى التوراه أن نبياً سوف يبعث آخر الزمان وسوف تقول أمته « لا إله إلا الله، محمد رسول الله » وهو حبيب الله تعالى ، وسف يعرض عليه ملء الأرض ذهباً، ولكن الرسول محمدا لن يقبل،كما لن يقبل الجلوس علي عرش أو كرسى ولن يطلب سوى التراب، بينما تتكبر أنت ! ولذا سيكون عمرك قصيراً ، وسوف تموت فى عمر الشباب ، وقد قرأت هذا المعنى فى التوراة .

ولما سمع سليمان من النملة هذا الكلام تحير وتعجب وقال : إنى أرى لك علماً وفطنة ، زدينى من نصائحك !

فسألته مندودة كيف حصل على الملك وهو أصغر أخوته ، فأخبرها بأن والده الملك داود عليه السلام كان له اثنا عشر ابنا وكان سليمان أصغرهم ، وقد سأل داود أبناءه الاثنى عشر سؤالاً ، ووعد من يجيب على الأسئلة إجابات صحيحة [1] : سيكون الملك والخاتم من نصيبه فأخفق الأخوة جميعاً عدا سليمان ، فكان الحكم والخاتم من نصيبه على الرغم من أنه أصغر الإخوة ولكنه أفطنهم !

ثم سألته بعد ذلك مندودة ماذا طلبت من الله بعد أن أصبحت ملكاً !

فقال سليمان عليه السلام :

لقد طلبت من حضرة الحق سبحانه وتعالى أن تصبح الشياطين والطير تحت حكمى !

فقالت له مندودة : لم تصب فى ذلك ، فإن الشياطين مذهبهم الكفر ويشتغلون بعصيان الحق تعالى ، ولايجب عليك مصاحبتهم ، فأنت نبى ويجب أن تكون صحبتك مع الملائكة .

ثم ماذا طلبت بعد ذلك ؟

فقال الملك سليمان : سألت الحق تعالى ملكاً لم يهبه لأحد قبلى ، وألا يعطيه لأحد بعدى .

فقالت النملة : لم تصب فى ذلك أيضاً ، فإن الدنيا مثل ظل جدار ، إذ امتد من هذا الطرف تلاشى من الطرف الآخر ، وليس لها وفاء دائم ، وقد قرأت

---

(١) يمكن مراجعة الأسئلة واجاباتها بالرجوع إلى الترجمة العربية للقصة كما ترجمها الدكتور شعبان ربيع طرطور.

فى التوراه أن نبياً سوف يظهر آخر الزمان واسمه محمد صلى الله عليه وسلم وسيكون صاحب فضل ورحمات من بين مائة وأربعة وعشرين ألفاً من الرسل ، وأنه لن يقبل أن يعطيه الله تعالى ملك السماء والأرض ، لذا فقد منحه الله تعالى مرتبة أعلى وهى أن ينقذ أمته من نارجهنم ، حيث يقول جميع الأنبياء يوم الجزاء : نفسى ! نفسى! إلا حضرة محمد صلى الله عليه وسلم فسيقول : « أمتى ! أمتى !» فلو كنت أيضاً قد اخترت الفقر والفاقة لكنت قد وصلت إلى تلك المرتبة بالتأكيد .

وماذا طلبت أيضاً :

فقال سليمان الملك : طلبت ارتقاء العرش سواء أكنت قاعداً أو نائماً ، وألا تطأ قدماى الأرض قط .

فقالت مندودة : لم تصب فى هذا أيضاً ، فإن الحياة فوق الأرض ، والموت فى باطنها ، هما الصواب ، لأن الآدمى خلق من تراب ، وقد اختار محمد المصطفى عليه السلام وجميع الأنبياء العيش والموت على نفس الأرض !

وتوالت أسئلتها وتوالت إجاباته ، وكانت فى كل مرة توضح ما فى إجاباته من خطأ ، مقارنة بينه وبين محمد عليه السلام .

ونتيجة لما أبدته من علم واسع وحكمة وفطنة ، سألها سليمان عليه السلام عن علامات يوم القيامة .

قالت مندودة : بعد مرور ألف وأربعين سنة على وفاة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يتفشى التكبر والكذب وشرب الخمر وعدم الإخلاص وعدم الوفاء، ولايبجل الصغير الكبير كما لا يرحم الكبير الصغير ، ويقل الحلال ويزداد الحرام .. وبعد مرور ألف ومائه وخمسين عاماً لن يعمل العلماء بعلمهم وتقل البركة وتنحسر الزراعة ، ولايؤدى الأبناء حقوق الوالدين...، إلى غير ذلك من الآثام والمعاصى التى تؤدى إلى قلة البركة ، وتفشى الظلم والجور بين الخلق ..وحينما يقترب يوم القيامة يظهر يأجوج ومأجوج[1] وتجف الأنهار ويهلك الناس من العطش والجوع ، ويصبح العالم خراباً

(١) قال تعالى : " حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ، قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا " سورة الكهف ، آية : ٩٣ ، ٩٤.

يبابا ..إلى أن يظهر الدجال ويعم الهرج والمرج كل مناحى الحياة ثم يهبط عيسى عليه السلام من السماء الرابعة ويطبق أوامر الشرع ...

وبعد أن سمع سليمان الملك كل هذا الكلام من مندودة تملكته الدهشة من واسع علمها ، ثم طلب منها الإذن بالرحيل ولكنها دعته ليكون ضيفاً عليها فى مملكتها ، على أن تشمل دعوتها كل الحاضرين معه ، قائلة له : أنت لا تعرف مقدار دولتنا ولو يوجد مائه ضعف لجيشك هذا ، فإننا نستطيع استضافتهم فى مملكتنا !

وفعلاً نزل سليمان ضيفاً على مملكة النمل فوجد جميع المحال والمبانى وقد تزينت بالياقوت والجواهر وتمخضت بالمسك والزعفران ، وقد غصت بالعديد من الفواكه التى لانظير لها على وجه الأرض ، وقد أكل سليمان وجنده من هذه الفواكة التى أعجب بها سليمان الملك وجنوده أيما إعجاب!

بعد ذلك طلب سليمان الإذن بالانصراف ، ولكنه قال قبل ذلك سوف أتجول فى أرضك وأتفقدها بضعة أيام !

فقالت مندودة : ليس هذا من شرط الإسلام والايمان ، لقد أتيت بك ضيفاً إلى دارى ، ويجول بخاطرك وضع هذه المملكة تحت تصرفك !

فقال لها سليمان : ألم تعلمى أن الحق تعالى قد وضع جميع مشارق الأرض ومغاربها تحت تصرفى ، وألا يشاركنى أحد فى هذا الملك ، ولهذا فإن هذه المملكة هى حقى !

فقالت مندودة : بالرغم مما قدمته لك من عظات ونصائح ، إلا أنها لم تؤت ثمارها معك ، وإذا كنت تبغى الرئاسة علينا ، فخذ ما تشاء ولاتقصر ، ولن أدخل فى حرب معك ، لأن الدخول فى حرب مع الأنبياء أمر مرفوض ، فأنا مطيعة للإسلام ومن غير المناسب محاربتكم ، ولكن انظر ماذا سيعمل أتباعى من النمل مع جنودك !

ثم نظرت إلى النمل ، فإذا النمل قد أخذت فى حفر الأرض تحت أقدام جند سليمان ، فهبطت بهم الأرض حتى قاع البحر ، فغرق جيش سليمان من الشياطين والطير ، وبقى سليمان وحيداً حائراً، فقالت له :

ليس من السهل أن يستولى أحد على هذه الملكة ، بل تلزم فترة حتى يستطيع

العبد بالتدبر والتريث أن يأخذ خاتماً كخاتم سليمان الملك ، وعرشه !

فقال سليمان :

سوف أتقبل منك كل هذا النصح والارشاد ، ولن أورد نفسى بعد ذلك موارد الهلاك !

وأخيراً عاد سليمان مع جنده وحشمه ، ومضى موكبه بأمر الله تعالى ، والله أعلم بالصواب !

* * *

على الرغم من أن مؤلف هذه الأقصوصة غير معروف ، ومجهول الأسم ، فإن ناسخ تلك النسخة التى اعتمد عليها الناشر و هو شاه قادرى ، قد خطها فى ٢٩ من شهر شوال المكرم من عام ١٢٤٣ هجرية . وفى اعتقادى أن مؤلف القصة هذه قد كتبها فى فترة مابعد الألف الأولى من الهجرة، لأنه حينما كان يتحدث عن علامات يوم القيامة ، كان يشكو ما ساد الحياة فى زمته من آثام وأخطاء نتج عنها الكثير من الكوارث التى ألمت بالعباد ، وحين ذكر أن بعد الهجرة بألف وأربعين سنة سيحدث كذا كذا من خروج عن جادة الدين ، كان يتحدث عن فترة قريبة العهد بزمانه .

وهذه الأقصوصة مأخوذة عن القرآن الكريم ، حيث جاء فى سورة النمل تلك الآيات الكريمة :

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ، حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ، فتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال : رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » (١)

وهكذا فإن تعبير وادى النمل مأخوذ عن القرآن الكريم ، وماقالته النملة من تحذير لبقية النمل وارد أيضاً فى الآيات الكريمة ، ثم سماع سليمان عليه السلام لهذا

---

(١) سورة النمل ؛ آية : ١٧ ، ١٨ ، ١٩.

الأمر الصادر من ملكة النمل لأتباعها ، مذكور فى تلك الآيات ، وإذا كان مؤلف القصة قد ذكر أن النمل كانت له مملكة وجند وحشم ، فهذا مصداق لقوله تعالى « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير ، بجناحين إلا امم أمثالكم » (١) وماذكر فى القصة أكثرمن مرة بشأن الاشارة فى التوارة ببعث محمد عليه السلام ليكون خاتم الأنبياء مأخوذة من القرآن كذلك . لقوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والأنجيل » (٢)

وكذلك قول سليمان أنه طلب من الله العلى القدير ملكاً لم يعط لأحد من قبله ولامن بعده ، قد ورد ذكره فى قوله تعالى : « وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى ، إنك أنت الوهاب » (٣)

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة فى القرآن الكريم .

أما ذلك الحوار الذى دار بين سليمان الملك والنملة فكله من نسج خيال المؤلف الذى جعل النملة تفوق سليمان حكمة وفطنة ، مع أن سليمان عليه السلام كان صاحب تدبر وتفكير حتى عرف باسم «سليمان الحكيم ؛ وقد قال الله تعالى فى حقه وحق والده داود عليهما السلام : « ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حكما وعلماً » (٤) وقوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » (٥) ولعله بذلك أراد تفضيل محمد عليه السلام على كل الرسل ومنهم سليمان عليه السلام ، حيث كانت النملة وهى تبين مجافاة أقوال سليمان الصواب تعرج على ذكر محمد عليه السلام وبيان علو منزلته !

وعلى كل فإن كاتب هذه الأقصوصة ، وما فيها من حوارات وخيال ، لم يكن الوحيد الذى اهتم بهذا الموضوع ، بل سبقه إلى ذلك العديد من كتب التراث الإسلامى التى زخرت بالكثير من الذكر للنمل وبخاصة نملة سليمان عليه السلام ، ومن هذه الكتب ؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، وبصائر التمييز فى لطائف الكتاب العزيز

---

(١) سورة الأنعام ؛ آية : ٣٨.
(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧.
(٣) سورة ص ، آية : ٣٥.
(٤) الأنبياء ، آية : ٧٩.
(٥) سورة النمل ، آية : ١٥.

للفيروز آبادى ، وصحيح مسلم ، ولسان العرب لابن منظور ، وتفسير الخازن ، ومعالم التنزيل ، وتفسير النسفى ، والبداية والنهاية ، ولطائف الإشارات للإمام القشيرى... وغيرها من كتب التراث ، والتى يرجح أن المؤلف قد قرأ بعضها وتأثر بأحاديثها ، وربما قرأ ما جاء فى التوراة ووظفه فيما كتب !

* * *

أما الأقصوصة الثالثة والأخيرة فقد رواها شاعر الإنسانية الشيخ سعدى الشيرازى ، وقد نظمها لكى يسخر من عبادة الأوثان ، قائلاً بأن البراهمة يدركون جيداً زيف هذه العبادات ، وإنما يحاولون ترويجها جريا وراء المكاسب المادية والأدبية التى توفرها لهم هذه العبادات المضللة ، وقد اختار لأقصوصته هذه الحديث عن معبد الصنم « سومنات » أكبر أصنام الهند ، ذلك الصنم الذى تم تحطيمه على يد الفاتح العظيم محمود الغزنوى والذى انتشر الإسلام بفضله فى الهند ، وقد حاول البراهمة تقديم فدية كبيرة لإنقاذ هذا الصنم من التحطم ظانين بأن السلطان محموداً قد دخل الهند طمعاً فى المال والثروة، ولكنه رفض عرضهم هذا وأصر على تحطيم « سومنات » رمز الوثنية وعبادة الأصنام فى الهند ، ولم يكن حديث سعدى الشيرازى عن هذه الفتوحات ، ولكنه تخيل أنه ذهب إلى حيث كان يوجد سومنات ودخل المعبد ورأى زيف البراهمة وكيف أنهم يضللون أتباعهم بادعاء أن صنما بالمعبد قادر علي تحريك يديه استجابه منه لتضرع عباده وتوسلاتهم إليه ، فتحير سعد لهذا الإدعاء وعقد العزم على كشف الخديعة وفضح المشرفين عليها ، وبيان كذبهم ونفاقهم ، وقد جاءت هذه الأقصوصة الشيقة التى نظمها السعدى فى مائه بيت بكتابة « بوستان» ، كمايلى :

– رأيت صنما من العاج فى معبد سومنات ، مرصعاً مثلماً كان فى الجاهلية مناة

– وقد صور المثال صورته ، بحيث لايمكن إبداع أحسن منها

– القوافل سائرة من كل ناحة ،لرؤية تلك الصورة العديمة الروح

– وقد طمع الراجات - مثل السعدى - فى الوفاء من ذلك الصنم الحجرى القلب!

٥ – وذهب البلغاء فى كل مكان ، متضرعين أمام ذلك الأخرس المعدوم اللسان

- وعجزت عن كشف تلك الواقعة ، إذ لماذا يعبد الحى الجماد ؟ (١)

وكان أحد المجوس يشارك السعدي المسكن ، وكانت بينهما مودة وألفة ، مما شجع السعدى على أن يسأله عن هذا الصنم ذى الصورة المجسمة ، الممعنة فى الضلال ، والعاجزة عن الإتيان بأى فعل ،والتى لا تسطيع إن طرحت أرضاً أن تنهض من كبوتها أو أن تدافع عن نفسها . وعلي الرغم مما بينهما من صداقة ، وعلى الرغم من أن السؤال كان غاية فى الرقة والهدوء إلا أن ذلك الصديق البرهمى استشاط غضباً ، وسارع بنقل الخبر إلى شيوخ المعبد ، فتبدل الحال سريعاً ، وبدأ السعدى يعانى سوء المعاملة من الجميع ، وأمام هذا التصرف العدائى من الجميع ، بدأ السعدى يلجأ إلى المداراة حفاظاً على حياته وسلامته ، حتى أنه اضطر إلى مدح كبير البراهمة ،كما بدأ يتغزل فى جمال ذلك الصنم وحسنه وجمال هيأته ، وإذا كان قد أخطأ فى حقه سابقاً ، فذلك مرجعه أنه غريب عن هذه الديار ولم يكن يدرك مكانة هذا الصنم جيداً ،وإمعاناً فى المداراة وادعاء الجهل سأل كبير البراهمة ،عن السبب الذى من أجله يقبل العباد عليه ، ويجلونه ويقدسونه .

أعجب كبير البراهمة بالسؤال ،وأدرك أنه ربما يسأل حتى يقتنع وينخرط معهم فى تقديس هذا الصنم ، فقال : ما أكثر الأصنام التى لاقيمة لها فى هذه الحياة ، إلا هذا الصنم الذى يرفع كل صباح يده إلى الله العادل ، وإن كنت لاتصدق ، فلتبق الليلة فى المعبد حتى ترى فى الصباح الصنم وهو يرفع يده ، وبهذا ترى بعينيك ما لم تكن تصدقه من قبل !

بقى السعدى ليلته داخل المعبد مترقباً ماذا سيحدث ،وأى سر يمكن أن يكشفه، وبقى معه العديدون من المجوس الذين تجمعوا بلا وضوء أو صلاة ،وقد فاحت الروائح

---

(١) أريج البستان ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ والأصل الفارسى لهذه الأبيات هو :

بتى ديدم ازعاج در سـومنات	مرصع چودر جاهليت منـات
چنان صورتش بسته تمثالگـر	كه صورت نبندد از آن خوبتر
زهـر ناحـيت كاروانها روان	بديـدار آن صـورت بـى روان
طمع كرد رايان چين وچـكل	چو سعدى وفا زان بت سنگدل
زبان آوران رفته از هر مكـان	تضرع كنان پيش آن بى زبـان
فروماندم از كشف آن ما جرا	كى حيى جمادى پرستد چرا ؟

النتنة من أجسادهم ،بقى السعدى فى معاناة شديدة ، وكأنه قد ارتكب إثما عظيماً، وجزاؤه البقاء تلك الليلة فى ذلك العبد !

وعندما اقترب الصباح ، أقبل ضارب الطبل وقرع الكوس ، إيذاناً بحدوث المعجزة التى أقبل جميع البراهمة فى المدينة وما جاورها كى يشاهدوا الصنم وهو يرفع يده ، وفى هذه الرؤية الخير كل الخير لمن يشاهدها . ولم يمض وقت طويل حتى رفع الصنم يده فجأة ، فعلا الضجيج من الحاضرين جميعاً ، وفجأة تهلل وجه البرهمى ونظر صوب السعدى قائلاً : لقد صارت الحقيقة أمامك عياناً ، ولم يعد لديك شك بعد ذلك !

فتظاهر السعدى بالتأثر بما رأى ، ثم انخرط فى البكاء مداراة ، فاذا بكل البراهمة حوله يشاركونه البكاء ويقبلون عليه مخففين عليه حده التأثر ،ثم تظاهر السعدى بأنه قبل ماهم فيه من ضلال إذ أقبل على الصنم العاجى وطبع قبلة على يده ، فظنوا أنه أصبح برهمياً مثلهم ، ولهذا سمحوا له بالبقاء داخل المعبد عدة أيام .

وما أن اطمأن السعدى عدم الاعتداء عليه ، والسماح له بالمبيت فى المعبد ، حتى أخذ يحاول كشف سر هذا الصنم ، وكيف يحركون يده ، واكتشف بعد فترة وجود ستر مكلل بالذهب ، وخلف هذا الستار يقف برهمى عابد نار وبيده طرف حبل ، فأدرك أنه عندما يجذب هذا البرهمى الحبل، يرفع الصنم يده للتضرع .

عندما أدرك البرهمى أن السعدى كشف سرهم ، تملك الخوف البرهمى وسارع بالجرى ، فجرى وراءه السعدى ولحق به حتى ألقاه منكوساً مقلوباً فى بئر ، وذلك لأن السعدى أدرك أنه لو لم يعاجل بالقضاء على هذا البرهمى ، فإنه سيسعى ورفاقه فى الإجهاز على السعدى بعد أن كشف الخدعة ، ولا محالة أنه مذيع لأمرها ! وقد برر السعدى قتله للبرهمى بما ترجمته :

– لأنك إذا تركت ذلك الرذل المجرد من الفضل حياً ، لن يتركك حياً بعد ذلك .
– واذا وضع رأسه علي بابك للخدمة ؛ فإنه سيقطع رأسك إذا استطاع .
– لاتضع قدمك ولاتسر على أثر المخادع المخاتل ، فإذا ذهبت ورأيته فلا تعطه الأمان .

- قتلت ذلك الخبيث (البرهمى) بالحجر ، لأنه لن يأتى من الميت حديث بعد ذلك .
٥ – فلما رأيت أننى أثرت ضجة ، تركت ذلك القطر وفررت .
- إذا أضرمت النار فى قصباء ، فاحترز الأسود إذا كنت عاقلاً .
- لاتقتل صغير الثعبان المؤذى للناس ، وإن قتلته ، فلا تبق فى ذلك البيت بعد ذلك .
- إذا أثرت زنابير البيت ، فاهرب من المحلة والحى ، وإلا فانك تسقط بشدة.
- لاترم السهم نحو من هو أمهر وأنشط وأسرع منك ، فإذا وقع ذلك فسارع بالفرار .
١٠ – ليس فى أوراق السعدى مثل هذه النصيحة : إذا هدمت أساس الجدار ؛ فلاتقف !
- لقد جئت إلى الهند ، ولكن بعد تلك القيامة ، توجهت من هناك عن طريق اليمن قاصداً الحجاز [1]

لقد زار السعدى الهند ، وهاله مايعبده البراهمة من أصنام عاجية أو حجرية لا جدوى منها ، لا لنفسها ولا لعابديها ، إذ كيف يعبد الإنسان الحى صنما أو جماداً لا

---

(١) أريج البستان ، ص : ٢٤٠ ، ٢٤١ والأصل الفارسى :

كه كر زنده اش مانى ، آن بى هنر	نخواهد ترا زند كانى دكر
وكر سر بخدمت نهد بر درت	اكر دست يابد ببرد سرت
فريبنده را پاى درپى منه	چو رفتى وديدى امانش مده
تمامش بكشتم بسنگ آن خبيث	كه از مرده ديگر نيايد حديث
٥ – چوديدم كه غوغائى انگيختم	رها كردم آن بوم وبگر يختم
چو اندر نيستانى آتش زدى	ز شيران بپرهيز اكر بخردى
مكش بچهء مار مردم كر اى	چو كشتى در آن خانه ديگر مپاى
چو زنبور خانه بپاشوفتى	گريز از محلت كه گرم اوفتى
بچا بكتر از خود مپنداز تير	چو افتاد ، دانت بدندان گير
١٠– در اوراق سعدى چنين پند نيست	كه چون پاى ديوار كندى مايست
بهند آمدم ، بعد از آن رستخيز	وزآنجا براه يمن تا حجيز

(كليات سعدى ، بوستان ؛ ص : ٢١٩).

يحرك ساكناً ولايستطيع حتى الدفاع عن نفسه وإذا قلبه إنسان رأساً على عقب ، فإن هذا الصنم لن يستطيع أن يقوم من هذه الكبوة ويعدل وضعه كما كان من قبل ولهذا أراد السعدى أن يسخر هذه العبادات التى يقبل عليها البراهمة دون وعى أو إدراك ، وقد اختار معبد سومنات محوراً للحديث، لأن هذا المعبد كان أكبر معابد الهند الى أن حطمها الفاتح الاسلامى الشهير الغزنوى (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) وتبعها بتحطيم كل المعابد التى كانت قائمة فى المناطق التى فتحها وضمها إلى حوزه الاسلام أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين .

وإذا كان السعدى قد تظاهر بالتأثر بما رأى ، وهو ما فسره البراهمة بأنه قد آمن بأصنامهم، فإن هذا التظاهر والمداراة كانت خدعة منه حتى يجد الفرصة لفضح سرهم وكشف خداعم ، وهذا ما حدث ! وما أن أكمل المهمة حتى سارع بالتوجة إلى ارض الحجاز ، حيث الكعبة المشرفة ، رغبة منه فى التخلص من أثار هذه المداراة ، ومما عاناه من عذاب نفسى لما أبداه من ميل كاذب للأصنام وضلالهم !

* * *

بعد أن تحدثنا عن القصص القصيرة فى الآدب الفارسى فى صورتيها : الحكاية والقصة القصيرة شعراً أو نثراً . فقد بقى لنا أن نتحدث عن القصص الدينى فى اطار القصة الطويلة أو الرواية ، وسنلتقى بعرض نموذجين فقط لهذا الفن الأدبى الذى يعطى الفرصة للأديب كى يعبر جيداً عن إبداعة وتميزه ، وقدرته على حبك هذه الروايات حبكاً يضمن لها البقاء طويلاً ، وكذلك اهتمام الأدباء والمؤرخين بها ، وهاتان القصتان هى : قصة يوسف وزليخا ، وقصة المعراج :

(قصة يوسف وزليخا)

هذه القصة من أقدم القصص الدينية التى ظهرت فى الشعر الفارسى ، وأكثرها تداولاً بين شعراء هذه اللغة ، وقد قيل بأن الفردوسى شاعرالفارسية الأشهر قد نظم هذه القصة ما بين عامى ٣٨٤ ، ٣٨٦ هـ ولكن البعض يشكك فى نسبة هذه القصة المنظومة إلى الفردوسى ومنهم الدكتور محمد محمدى ،حيث قال :

فى أواخر القرن الخامس الهجرى نظمت إحدى القصص العذبة المشهورة « يوسف وزليخا» وهذه المنظومة هى نفسها التى نسبها أصحاب التذاكر إلى الفردوسى مع العلم بأنها لاتشبه شعره، ولكن لاشك حالياً فى بطلان هذه النسبة ، ومن المسلم به أن صاحب هذه المنظومة كان أحد شعراء شمس الدولة أبى الفوارس طغانشاه ألب أرسلان حاكم خراسان فى عهد ملكشاه السلجوقى (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) وأنه نظمها بعد الفردوسى بأكثر من نصف قرن (١)

ويقول بعض الباحثين بأن شاعرين قد سبقا الفردوسى فى نظم هذه القصة أحدهمامن بلخ اسمه أبو المؤيد، والآخر من الأهواز اسمه البختيارى ، وقد ضاعت منظومتاهماجميعاً ، ولم يبق إلا المنظومة المنسوبة إلى الفردوسى - وذلك كما يقول براون - بفضل الدكتور اتيه (٢) الذى نشرها وعلق عليها .

ولم تتوقف قرائح الشعراء فى نظم هذه القصة عن النسخة المنسوبة إلى الفردوسى فقد نظمت بعد ذلك عدة مرات ، كان أهمها جميعاً منظومة نور الدين عبد الرحمن الجامى وذلك عام ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) ، ومنظومة حسين ناظم الهروى عام ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨م) ومنظومة لطفعلى بيك آذر بيكد لى عام ١١٥٦ هـ (١٧٦٢م) وغيرها من المنظومات التى عنيت بنظم هذه القصة (٣)

كما يقال بأن محمد عوفى قد أملى جزءاً من قصة يوسف ، ولكن المنية أدركته قبل أن يتمها(٤)

ولعل السبب الأقوى فى شهرة هذه القصة - كما يقول الدكتور محمد محمدى - اتصالها بالقرآن وورودها فيه وقد عول الشعراء على هذا الأصل ، وأخذوا القصة كما هى فى القرآن وسبكوها فى قالب الشعر ، وربما زادوا فيها أشياء أخذوها من أقوال أصحاب التفاسير وأهل الحديث (٥) .

---

(١) د. محمد محمدى : الأدب الفارسى فى أهم أدراره ، بيروت ١٩٦٧ ، ص : ٢٠٠.

(٢) براون : تاريخ الأدب فى ايران جـ ٢ ترجمة د. ابراهيم أمين الشواربى القاهرة : ١٩٥٤ ، ص ١٧٥٠.

(٣) الأدب الفارسى فى أهم أدواره : ص ٢٠٠.

(٤) القصة فى الأدب الفارسى ؛ ص : ٢٣٢.

(٥) الأدب الفارسى فى أهم أدواره ، ص : ٢٣٣.

وإلى جانب هذه القصص الطويلة ، وجدت عدة إشارات إلى أحداثها فى منظومات ودواوين العديد من الشعراء ، كمنطق الطير لفريد الدين العطار، والمثنوى لجلال الدين الرومى ، وبوستان للسعدى الشيرازى ، هذا على سبيل المثال لا الحصر، ولكننا سنكتفى بالحديث عن أهم منظومتين : الأولى المنسوبة إلى الفردوسى ، والثانية من نظم عبد الرحمن الجامى ، راجين من القارئ الكريم الرجوع إلى القصة فى « سورة يوسف » حتى يكون على بينة مما أخذه كل منهما من القرآن الكريم وما أضافه من خياله كشاعر إلى أحداث القصة .

* * *

يوسف وزليخا عند الفردوسى : (١)

منظومة الفردوسى تطابق فى جملتها القصة كما وردت فى كل من القرآن الكريم والتوراة ، وكذلك مع خيال الشاعر المبدع فى نظم القصص. ولعل جنوح الفردوسى إلى ما ورد فى التوراة يرجع إلى اعتماده على رواية اثنين من اليهود الذين أسلموا وهما كعب الأحبار ووهب بن منبه ، فقد قال الفردوسى ما ترجمته :

- رووا عن كعب ووهب ، وعنهما نشروا هذه القصة .
- أنه لما كانت أيام ابراهيم الذى أثنى عليه الله بالوفاء .
- وولد له اسحق الطاهر الرأى ، المميز فى خلقه والمبعوث رسولاً من الله .
- وقد سمعت أن الأنبياء طوال ألفين من الزمان قد جاءوا من أعقابه .
- وكان أول ابن جاء من عقب اسحق ، قد أنجب يعقوب الميمون الأصل (٢)

---

(١) راجع ملخص القصة فى : القصة فى الأدب الفارسى ص ٢٣٧ ومابعدها . ويوسف وزليخا للفردوسى نسخة كتابفروشى اسلامية بتهران.

(٢) حكيم ابو القاسم فردوسى : تفسير سورة يوسف يا يوسف وزليخا ، تهران ، كتابفروشى اسلامية (بدون تاريخ) ص : ٨.

روايت ز كعب اينچنين كرده اند — وزايشان چنين قصه گسترده اند
كه چون روزگار براهيم بود — كه اندر وفا ايزد اورا ستود
پسر بودش اسحق پاكيزه راى — يكى ويژه مرد ورسول خداى
شنيدم كه پيغمبران دو هزار — ز پشت وى آمد در آنروز كار
نخستين پسر كش ز اسحق زاد — بد آزاده يعقوب فرخ نژاد

وهكذا بدأت القصة من عهد ابراهيم عليه السلام ، ثم تحدث عن مولد يعقوب وأخيه عيصا وما كان بين الأخوين من عداوة ، وبعد ذلك تحدث عن مولد يوسف من راحيل زوجة يعقوب وشغف يعقوب بيوسف وإيثاره بحبه على بقية أخوته ، وقيل بأن يوسف رأى ثلاثة أحلام قصها على أبيه ، وقد فسرها له أبوه وبشره بأنه سيبلغ منزلة عظيمة ولكن يجب كتمان الخبر ، وذلك حتى لا يوغر صدر أخوته ضده فيكيدوا له . ومع هذا لم يستطع يوسف كتمان الخبر ، وأبلغ أحد أخوته به ، فنقله أخوه هذا إلى باقى الإخوه ، مما جعلهم يزدادون حسداً عليه وتصميماً على الخلاص منه حتى يخلو لهم وجه أبيهم ، فاستأذنوا أباهم فى أن يصحبهم يوسف فى رحلة الرعى ولكن يعقوب أبى ،إلا أن يوسف ألح على أبيه بالموافقة بعد أن أغراه أخوته بأنه سيلعب ويمرح كثيراً ، فوافق يعقوب بعد أن أوصاهم عنه خيراً ،ولكن ما أن انفردوا بأخيهم بعيداً عن أبيهم ،حتى تغيرت معاملتهم ليوسف وزادوا من جفائهم معه ، حتى أجمعوا أمرهم على إلقائه فى البئر على الرغم من بكاء يوسف وتوسلاته بألا يفعلوا به ماهم مقدمون عليه .

ألقوه فى البئر ،ولكن جبريل أدركه وحفظه وأجلسه على حجر بقاع البئر ، بينما عاد أخوته إلى أبيهم يتباكون وقد وضعوا أمامه قميصاً ملوثاً بدم كذب مدعين أن ذئباً فتك به وهم مشغولون بالرعى ! فانهمرت دموع يعقوب وهو غير مصدق وبخاصة أن القميص لم يكن به أى آثار لتمزيق ، ولما أدرك الأبناء أن أباهم غير مصدق قولتهم ، فإذا بهم يقولون : إن كنت لاتصدق ما نقول ، فسنذهب ونحضر لك الذئب كى تسأله ، فوافقهم يعقوب ، وذهب الأخوة وصادوا ذئباً آخر ولوثوا مخالبه بدم كذب كذلك ، وإذا بيعقوب يسأل الله أن ينطق الذئب بالحقيقة ، فقص عليه الذئب كيف صادوه ولوثوه بالدماء وأتوا به إليه ، فصبر يعقوب واتخذ لنفسه بيتاً أسماه بيت الأحزان وأقام فيه وحده باكياً حزيناً حتى فقد بصره .

أما عن يوسف فقد بقى بصحبة جبريل فى البئر لمدة ثلاثة أيام ،وفى اليوم الرابع أقبلت قافلة وأدلت بدلوها فى البئر فخرج فيه يوسف ، فسارع الغلمان بالبشرى إلى رئيس القافلة الذى اعتبره بضاعة يمكن أن يبيعه ويتكسب من ورائه ، ويقول الفردوسى بأن أخوته كانوا يتابعونه ، وعندما أخرج من البئر ، ادعوا بأنه غلامهم الذى تعود على الهرب منهم ، وقد هددوا يوسف إن كذبهم فسوف يقتلونه ،وأخيراً باعوه لرئيس القافلة بعشرة دراهم ، ثم وقعوا وثيقة ببيعة !

واصلت القافلة رحلتها بعد ذلك حتى وصلت أرض مصر حيث تم بيع يوسف لعزيز مصر ، فتولت زليخا أمرأة العزيز تربيته حتى بلغ رشده فعشقته ، وكان يوسف يحاول أن يتلمس أخبار أبيه ،وقد بلغه بأنه مازال على قيد الحياة ، وأنه يقيم فى بيت الأحزان وقد كف بصره ، فسيطر الهم والحزن على يوسف وعاد إلى داره يبكى أباه ، وإذا بزليخا قد تزينت وأقبلت عليه متوددة متلاطفة مواسية ، وأخذت تطرى صفاته وتصارحه بهواها ، ولكن يوسف ينكر عليها ذلك ويخرج ولكنها تحاول اللحاق به ضارعة راجية الوجد ، ولكنه يعتذر عن الإنسياق معها فى هواها ، لأنه لايقبل أن يخون ولى نعمته .

سيطر الهم والحزن على زليخا ، وقد لاحظت جاريتها ما ألم بها ، فطلبت منها أن تقص عليها ما يحزنها فقد تساعدها فى الخلاص من همها ، فأخبرتها بأنها تهيم حباً بيوسف ولكنه يتمنع ويرفض حبها .

فأشارت الجارية عليها بالصبر عاماً تبنى خلاله بيتاً كله مرايا ، حتى إذا جلست فى أى ركن منه مع يوسف انعكست صورتها أمامه فى كل ركن ، فلا يستطيع مقاومة إغرائها بعد ذلك. ، ولما أنتهى بناء البيت ، دعت زليخا يوسف ليقابلها وقد لبست ثوباً شفافاً يظهر كل مفاتنها وتعطرت وبدت فى أبهى زينة ودعته للجلوس بجانبها ،وأخذت تكرر على مسامعه حبها وعشقها وعدم قدرتها على التخلص من حبه، ولكنه كرر عليها خوفه من الله واحترامه لسيد الدار ، ولكنها لم تكف عن مغازلته بل ضمته إلى صدرها وأمطرت وجهه بقبلات حارة ، جعلته يكاد يفقد المقاومة ، ويجاريها فى هواها، وإذا بيد تظهر من أحد الأركان وتشد أذنه وقد كتب عليها « إن الله يراك » ولكنه لم يفق ، فتظهر اليد مرة أخرى من ركن آخر وقد كتب عليها : « إن هذا العمل القبيح يحرمك من الجنة السعيدة » ولكنه مازال متأثراً بالرغبة والشهوة ، وأخيراً يظهر جبريل عليه السلام فى صورة يعقوب وأخذ يحذره عقاب ربه ، فغشيته رعدة من خوف الله والحياء من أبيه ،فقفز نحو الباب وجرت زليخا خلفه ممسكه بقميصه، فقد من دبر!

هنا يدخل العزيز كالريح ، وإذا زليخا تدعى الغضب وتتهم يوسف بمحاولة الاعتداء عليها ، ولكن يوسف قال بأنها هى التى راودته وأنه برئ ، وانطق الله طفلاً رضيعاً فى المهد شهد الواقعة؛ قائلاً : إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من

الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر ، فصدق وهى من الكاذبين ، وهنا تثبت براءة يوسف حيث قد قميصه من دبر ، وأنحى العزيز باللائمة على زليخا قائلاً : « إنه من كيدكن ، إن كيدكن عظيم» .

ذاع الخبر ، ولاكته الألسن ،وتناقلته النسوة متهمات زليخا بأنها تراود فتاها عن نفسها ، قد شغفها حباً فلما سمعت بمكرهن أعدت لهن وليمة وآتت كل واحدة منهن أترجة وسكيناً ، ثم خرج يوسف عليهن فبهرن بجماله ، وإذا بهن قد قطعن أيديهن بدلاً من الأترج ، « وقلن حاش لله ، ما هذا بشر ، إن هذا إلا ملك كريم !»(١) فقالت لهن هذا الذى لمتننى فيه ، أرجو مساعدتكم وإقناعه بمبادلتى حباً بحب .

فذهبت النسوة إلى يوسف يتوسلنه ، ولكنه رفض توسلاتهن لوصال زليخا ،وهنا بدأت كل واحدة منهن تعرض نفسها عليه ، فإذا به يسخر منهن ، إذ كيف يرفض حب زليخا الأكثر منهن جمالاً وجاهاً ، ويقبل حب إحداهن ؟!

بعد أن أدركت النسوة بأنه لاجدوى من محاولات زليخا ومحاولاتهن ، نصحنها بأن تكف عن مطاردته ،ومن الأفضل أن تبعده عنها وذلك بوضعه فى السجن عقاباً على رفضه حبها ، ولعل فى بعده السلوى من هذا الهوى وذلك العشق المتأجج فى قلبها!

أرسلت زليخا يوسف إلى السجن ، وهناك مالت قلوب جميع المسجونين إليه ،وكان من بينهم اثنان من بلاط الملك ،كان أحدهما ساقيه ، والآخر صاحب طعامه ،وقد رأى الأول فى منامه أنه يعصر خمراً والملك يشرب من يده ، بينما رأى الآخر رؤية مفادها أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، فبشر يوسف أولهما بأنه سيعود إلى سابق عمله ويسقى الملك ، أما الآخر فإنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه ، وفى الغد صدر أمر الملك بعودة الأول إلى سابق عمله ، وقتل الثانى وصلبه !

وبعدها جاء جبريل إلى يوسف وبشره بقرب خروجه من السجن ، فقد حدث أن رأى الملك رؤية عجز جميع المفسرين عن تأويلها ، بينما طلب ساقى الملك الذى كان مع يوسف فى السجن فى استشارة يوسف فى هذه الرؤية ، فما كان من يوسف إلا أن فسرها ـ كما جاء ذلك فى القرآن الكريم ـ لذا سارع الملك بإخراجه من السجن وولاه الإشراف على خزانة المملكة ،وأصبح يوسف رفيع القدر، لايعلوه مكانة إلا الملك ، وقد أمر يوسف باطلاق سراح جميع السجناء ، وسرعان ماأسلم الملك وجيشه ورعاياه على

(١) يوسف ، أيه : ٣١

يد يوسف!

ثم بدأت سنوات القحط كما جاء فى رؤيا الملك ، وتبع ذلك وفاة الملك وخلفه يوسف حيث مالت قلوب جميع المصريين نحوه . وفى العام السادس من أعوام القحط هرع إليه الناس من كل صوب يشكون شدة المجاعة ، وحار يوسف فى امر تموينهم وتموين الوافدين من البلاد الأخرى ، فنزل عليه جبريل وأوصاه بأن يظهر للناس مرة كل يوم ويريهم وجهه فيرجعون راضيين شبعين .

ثم عم القحط ديار كنعان كذلك ، فأرسل يعقوب أولاده يمتارون من مصر ، فلما قدموا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فأكرمهم وزودهم بما يحتاجون، ثم طلب منهم أن يعودوا ، و أن يأتوه بأخيهم بنيامين ، وبعد فترة عاد الأخوة ومعهم بنيامين وقد دبر يوسف حيلة لاستبقاء بنيامين فجعل السقاية فى رحله كما جاء فى القرآن ، وانتهى الأمر برجوع الأخوة إلى كنعان واحتجاز بنيامين فى مصر نتيجه لاتهامه بسرقة صواع الملك.

وبعد فترة عاد الأخوة إلى مصر برسالة من يعقوب يشكو فيها فقده يوسف، ويرجو من عزيز مصر استرجاع بنيامين ؛ حتى لايكون عزيز مصر ذئباً آخر وأخا لذئب يوسف !

فوعدهم يوسف خيراً على أن يقصوا عليه قصة أخيهم يوسف دون نقص أو زيادة ، فأعاد أخوه شمعون على سمعه فرية الذئب ، فأجابه يوسف بأنه لايصدق روايته ، وإن لديه جاما ذهبياً يبوح بحقيقة كل ما يسأل عنه ، ثم وضع الجام فى يده وضرب عليه بقضيب باليد الأخرى ، فصدر عنه صوت استمر طويلاً ، ثم قال يوسف : إن الجام يتهم شمعون بالكذب ويقول إنكم يا أخوه يوسف قد ملأ الحسد قلوبكم ضد أخيكم وألقيتموه فى البئر ثم بعتموه ، وأن الذئب برئ من دمه . فتملكتهم الدهشة جميعاً ، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى إنكارهم وهنا ألقى يوسف إليهم بوثيقة بيعه لرئيس القافلة التى حملته إلى مصر ووقعوها بخطهم ؛ وذلك بحجة أنها مكتوبة بالعبرية ويريد منهم أن يترجموها له؛ فأدرك الإخوة أنه يوسف ، فقال يوسف : نعم أنا يوسف وهذا أخى بنيامين ، فخروا له ساجدين وعفا عنهم وأحسن إليهم وأرسل معهم قميصة فألقوة على وجه أبيهم؛ فارتد بصيراً ، ثم أرسل يوسف قافلة إلى أرض كنعان

عادت إلى مصر بأبيه وأهله أجمعين .

ثم يموت يعقوب ويذهب يوسف إلى أرض كنعان كى يوارى جثمان أبيه التراب هناك كوصية أبيه له ! وقبل أن يموت يعقوب استثمر الفردوسى مقدمه إلى مصر فى اتمام الوصال بين يوسف وزليخا ، حيث أضاف الفردوسى فصولا وأحداثاً لا وجود لها فى رواية القرآن أو التوراة ، بل هى من نسج خيال الشاعر الذى حرص على أن يجمع العاشقين ، فكيف تم ذلك ؟

دارت الأيام دورتها على زليخا وألم بها العجز وكف بصرها ، بينما أصبح يوسف عزيز مصر وكبيرها ، وذات يوم سمعت زليخا ضجيجاً ودقات طبول فسألت جارتها عن السبب، فأخبرتها إنه موكب يوسف وقد عاد من كنعان مع والده وأهل بيته، فهمت بالخروج إلى الموكب لعلها تحظى بلقاء يوسف الحبيب ، ولكن قبل أن تخرج كان لديها صنم تعبده ، فتحدثت معه وطلبت منه أن يحقق لها ثلاثة أشياء : أن يعيد إليها بصرها ، وأن يعيدها شابة عذراء ، وأن يهبها جمالا وطهراً ، وقالت :إن لم تحقق لى هذه الأشياء فلست جديراً بأن تعبد ، ولما لم يتحقق لها ما أرادت ، هوت على ذلك الصنم وحطمته .

ثم خرجت إلى الموكب بمصاحبة أمتها ، وعندما مربها الموكب نادت يوسف ولكنه لم يسمعها لشدة الضجيج وارتفاع صوت الطبول ، ولكن الله أمر الريح فحملت صوتها إلى أذنى يوسف فلما سمعها ورآها على هذه الحال رق لها قلبه ، وأمر حجابه بحملها إلى قصره حتى يعود .

وبعد أن عاد إلى القصر أمر بادخالها عليه فى خلوته وكان معه أبوه يعقوب ، فتحدثوا جميعاً وتذكر كل منهم ما مر به من مصائب وكوارث ،حتى رق قلب يعقوب لحالها ، ثم أخبرتهما بكفرانها بصنمها وتحطمها له ، وأنها تشهد الآن بوحدانية الله ونبوة يوسف ، ثم سألت يعقوب أن يدعو الله ليحقق لها أمنيات أربعاً وهى : أن يمن الله عليها بالاسلام ، وأن يعيدها جميله كماكانت ، وأن يجعلها عذراء طاهرة ، وأخيراً أن يصبح يوسف زوجها ومحباً لها . فدعا لها يعقوب بماطلبت فعادت فتاه عذراء فى السادسة عشرة من عمرها ، وانتهى الأمر بزواج يوسف منها بعد أن أقنعه أبوه بذلك.

ولكن الأمر بينهما لم يكن كسابق عهده ، فقد أصبح يوسف العاشق الولهان،

وأصبحت زليخا المعشوقة المتمنعة ، وقد عاتبها يوسف فى ذلك ، وإذا بملك ينزل على يوسف قائلاً له : لا تحسبن هذا الإعراض من زليخا ، فإن الله فى يوم عقدك عليها أمرنى أن أضرب بجناحى على قلبها فما أن فعلت حتى زايله حب الدنيا كلية فى لحظة، وقد أصبحت الآن عفيفة فاضلة كما كنت أنت من قبل ، وكذلك قضى ربك ان يستيقن قلبك بأن الأمر لايكون كما تريد بل مرده إلى الله وحده ، فامض إلى يعقوب وسله أن يدعو الله بأن يصلح ما بينك وبين صاحبتك ، واستجاب الله لدعاء يعقوب وعاد هوى يوسف إلى قلب زليخا ، ونعما معاً بحياه كلها حب وسعادة ، وأخيراً يختم الشاعر قصته بموت الزوجين العاشقين فى يوم واحد !!

* * *

إلى هنا تنتهى القصة المنسوبة الى الفردوسى ، ونلاحظ أنها جاءت على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : مأخوذ عن التوراة ، وقد أشار الفردوسى إلى هذا الأمر فى بداية نظمه للقصة حيث أشار إلى مارواه كعب ووهب اليهوديين للقصة وتناقل روايتهما بين المؤرخين ، لذا بدأ الفردوسى قصته منذ عهد سيدنا ابراهيم وولده اسحق ، ثم تحدث عن ولادة يعقوب وأخيه عيصا، وما كان بين الأخوين من صراع وعداء ، وهو قسم صغير إذا قيس بالقسمين التاليين .

القسم الثانى : وهو مستمد فى معظمه مما ورد فى القرآن الكريم وبخاصة سورة يوسف . وقد بدأ بمولد يوسف وتعلق أبيه به مما أو غر صدر إخوته ضده وتفكيرهم فى الخلاص منه إلى باقي الأحداث الرئيسية حتى رحل يعقوب وأهله إلى مصر للاقامة مع يوسف بعد أن تكشفت كل الحقائق وأدرك أخوته شناعة ما فعلوه بيوسف ، مع التركيز على ماكان بينه وبين زليخا من أحداث وأقوال ، ولكن لم يخل هذا القسم من خيال الشاعر وعلى سبيل المثال ما ذكره عن الجام الذى ينطق بالحق كلما طرقه ، ولعل هذا يذكرنا بجام جمشيد الذى تحكى الأساطير الايرانية القديمة أنه كان ينظر من خلاله فيرى العالم كله وهو جالس فى قصره.

القسم الثالث : من نسج الخيال عند الشاعر ، حيث نظمه على منوال القصص الرومانسية التى يزخر بها الأدب الفارسى والتى تنتهى عادة باللقاء بين الحبيبين بعد

طول فراق .

وقد بدأ هذا القسم بعد وصول يعقوب إلى مصر ،ورفع يوسف له كى يجلس إلى جواره على العرش ، فكل الأحداث التى ذكرها الفردوسى من سيطرة الكبر والعجز على زليخا وسعيها إلى موكب يوسف بعد أن حطمت صنمها وقبولها الإسلام ، ثم تحولها من عجوز شمطاء إلى يافعة فى سن السادسة عشرة وتزويجها بيوسف حتى موتهما معاً فى يوم واحد . كل هذه الأحداث دخيلة على القصة فى القرآن الكريم ، ومن نسج الخيال عند الفردوسى وربما جاءت نقلاً عن الروايات المختلفة التى ذكرها بعض المفسرين !

وإذا قارنا القسمين الأول والثالث بالقسم الثانى ، فإن القسم الثانى وهو المستمد من القرآن الكريم فى قصة يوسف هو العنصر الأساسى لبناء القصة عند الفردوسى ، أما القسم الأول فهو مجرد تمهيد للقصة ، بينما القسم الثالث فيمثل الحبكة الرومانسية للقصة ، والذى أراد به الفردوسى، بيان قدراته كشاعر ، النظم دابته والخيال وسيلته للتعبير والإبداع ! وقد نظم الكثير من هذه القصص العاطفية في الشاهنامة وأشهرها قصة (خسرو وشيرين) .

* * *

يوسف وزليخا عند عبد الرحمن الجامى

استهل عبد الرحمن الجامى قصته بمقدمة متعارف عليها فى المنظومات الفارسية ؛ شملت الابتهال إلى الله عز وجل ، ونعت للرسول الكريم عليه السلام وعن معراجه إلى السماء ،وكذلك التضرع إلى الله طلباً لشفاعة محمد عليه السلام ، وكذلك الحديث عن سبب نظمه لهذه القصة الدينية التى حظيت باهتمام المفسرين وكذلك الرواة والأدباء فى شتى العصور ومختلف اللغات ، والتى كان لها نصيب الأسد من القصص الدينى فى الأدب الفارسى ، ويكاد جميع النقاد القدامى منهم والمحدثون يجمعون على أن هذه القصة من أفضل ما خلف الشاعر عبد الرحمن الجامى من أعمال ، وأعظم ما نظم فى الأدب الفارسى كله حول هذه القصة ، وقد قال فى حقها دينسون روس :

« تعتبر منظومة الجامى هذه خير ما نظم فى هذا المجال ،وقد نالت شهر واسعة ،

هذه المنظومة من أشهر ما كتب فى هذا المجال، وأنها أفضل أعمال الجامى قاطبة.(١)

وقد حرص نور الدين الجامى على أن يبدأ قصته من حيث بدأها القرآن الكريم، حيث تحدث عن مولد يوسف ، وكم كان غاية فى الجمال الآسرللألباب والعقول ، والذى لم يحظ به مخلوق قبله قط ، ومما قاله ما ترجمته :

– حينما بدأ مفسرو القرآن ، وقارئو صحف السماء
– كتابة تاريخ الدنيا ، فقد حكوا عن آدم هذا الأمر
– قائلين : لما أضاء الله عينيه ، عرض عليه صورة أولاده
– حيث وقفت صفوف الأنبياء، ووقف كل صف فى مرتبته
٥– واتخذت صفوف الأولياء مكاناً آخر ، فوطئت بأقدامها مقام التبعية
– ومن خلفهم وقفت مجموعة يتباهون بتاج عظمة الملك
– ثم وقف بقية الخلائق صفاً ، صفاً ، وقفوا بترتيب حسن ونظام بديع
– وحينما نظر آدم إلى ذلك الحشد ، وأعاد النظر مرة أخرى فى كل مجموعة .
– بدا يوسف أمام عينية بدراً ، لا ، بل شمس العزة والحياة فى أوجها
١٠– فهو يمتاز عن ذلك الحشد كشمع المجالس شامخ برأسه بين الجميع
– يتلاشى أمام حسنه جمال الحسان ؛ كما يتلاشى ضوء النجم أمام ضوءالشمس
– فكمال حسنه خارج نطاق الفكر ، وأبعد مدى من حدود العقل
– تعجب آدم من ذلك الجلال والجاه ، وقال متعجباً !
– من أى دوحة هذا الغصن ياإلهى ! ومن أين له هذا الجمال والجاه الزائد ؟
١٥– فأتاه الرد : إنه نور عينيك ،ومدخل السرور على قلبك الحزين
– فهو غصن من روضة يعقوب ، وغزال فى صحراء خليل الله .
– يتجاوز ايوان جاهه السماء ، ويكون له عرش مصر
– كا يكون مثار غيرة حسان الدنيا ، من شدة الحسن البادى على وجهه

---

(١) راجع مقدمة الترجمة العربية لهذه المنظومة ، للدكتور عبد العزيز بقوش بمجلة أخبار الأدب ، كما يمكن الرجوع إلى : القصة فى الأدب الفارسى للدكتور أمين عبد المجيد ص ٢٥١ – ٢٥٧ ، وبالرجوع كذلك إلى الأصل الفارسى طبعة نادرى : بومباى ، عام ١٣٣٢هـ – ١٩٢٣م.

- ثم ضمه إلى صدره ، وباركه بقلبه الخالى من الأحقاد
٢٠ - وأخبره بحبه له ، وطبع قبلة أبوية على جبينه (١)

وكما وصف جمال يوسف ، فقد تحدث عن زليخا ، وقال إنها ابنه الملك طيموس ببلاد المغرب ، وقد أفاض الجامى فى وصف جمالها عضواً عضواً ومع هذا فقدوقعت فى حب يوسف دون أن تراه ؛ ومما قاله فى حقها ما ترجمته :

- أما زليخا التى كانت مثار غيرة الحور العين ، فقد كانت محتجبة خلف ستار العصمة ببلاد المغرب
- لقد أصبحت أسيرة طيفه فى نومها ، دون أن ترى شعاعاً من نور طلعته
- كان ببلاد المغرب ملك مشهور ، دقت له الطبول ، واسمه (طيموس)
- اكتملت له كل أسباب الملك ، ولم يبق بقلبه أمنية لم تتحقق
- وكانت له ابنة جميله تدعى (زليخا) ، كانت سميرته من بين كل الخلائق
- يجل وصفها عن مقدرة البيان ، وأجرب الطبع مع خيالها (٢)

بعد ذلك انتقل الجامى للحديث عن رؤية زليخا ليوسف لأول مرة فى منامها ، وكيف أنها تعلقت به منذ الوهلة الأولى ، وكيف هبت نسائم السحر فأيقظتها من نومها وهى مشدوهة مبهورة بجمال من رأت ، حيث أن ما طالعته من جمال يوسف لم تر مثله قط بين بنى البشر ، ولهذا بدأ الاضطراب يبدو على تصرفاتها مماجعل الجوارى من حولها يتساءلن عن سبب هذا التغيير المفاجئ فى سلوك ابنة مليكهن .

وفى الليلة الثانية رأت زليخا يوسف للمرة الثانية فى منامها ، فزادتها رؤيته هذه تعلقاً به ؛ حتى وصل عشقها وهيامها بيوسف إلى درجة تكاد تقترب من حافة الجنون ، وفى الليلة التالية عاود الحلم زليخا ، حيث رأته للمرة الثالثة وقد كانت أكثر تماسكاً إدراكاً لما يحيط بها ، وهنا عرفت من هو يوسف وأنه يعيش فى مصر ، وأن مكانته رفيعة القدر حيث يحظى بتقدير وحب الجميع فى مصر كلها

وقد حدث وزليخا فى هذه الحال من وجد وهيام بيوسف القاطن مصر، أن تقدم إلى خطبتها العديد من الأمراء والملوك من كل أنحاء المعمورة دون أن يتقدم إلى

---

(١) المرجع السابق (أخبار الأدب) .
(٢) المرجع السابق (أخبار الأدب) .

خطبتها أحد من مصر ، لذا سارعت زليخا برفضهن جميعاً ؛ لأن قلبها قد تعلق بمصر وهو ائها وبحبيبها القاطن هناك والذى رأته فى منامها ثلاث مرات ، وفى هذا الأمر قال الجامى ما ترجمته :

أقبل العديد من أمراء الشام والروم وكل الديار لخطبة زليخا ، فما كان منها إلا أن سألت هل جاء أحدهم من مصر ، فقالو لا ؛ فكان ردها الرفض!

- حينما وقفت زليخا على هذا الأمر ، اضطرب قلبها من الحيرة
- وقالت : أمن بينهم رسول من مصر ؛ فإن عشق المصريين قد قصم ظهرى
- إن قلبى لينجذب نحو المصريين ، وإذا لم يكن بينهم رسول من مصر ، فلست أدرى ما سيحدث
- إذ أن النسيم الذى يهب من مصر ، ويكحل عينى بغبارها ،
- خير لى مائة مرة من تلك الريح التى تحمل المسك من صحراء التتار (١)

وأمام هذا الصد والتمنع من زليخا ، ما كان من أبيها الحريص على تزويجها إلا وأرسل إلى عزيز مصر رسولاً من قبله عارضاً عليه الزواج من ابنته زليخا ، وقد قبل عزيز مصر العرض لما يعرفه عن جمال زليخا ورقتها وحسنها .

نقل الخبر إلى زليخا ، فأبدت موافقتها على الزواج من عزيز مصر ، فجهز أبوها قافلة لتقل زليخا إلى مصر كى يتم زفافها إلى عزيز مصر ، وعندما وصل ركبها إلى مشارف مصر، حطت الرحال فى انتظار مقدم عزيز مصر لاصطحابها إلى قصره، واتمام الزفاف وعندما وصل يوسف إلى المكان الذى نصب فيه مرافقو زليخا خيامهم ، سارعت زليخا بالنظر من خلال خيمتها لكى تتعرف على عريسها ، ولكن ما أن رأته حتى صاحت قائلة : ليس هذا ذاك الشخص الذى رأيته فى المنام عدة مرات وتحملت من أجله طوال عام كامل تباريخ الهوى ، ومع هذا فقد واصلت الرحلة وبرفقتها عزيز مصر ، وقد أحسن المصريون استقبالها ونثروا الجواهر على موكبها ، وقدواصلت الرحلة كى تبحث عن يوسف، وكم كانت تتلهف إلى لقائه ، حزينة على تلك الليالى والأيام التى تمر دون أن تحظى بوصاله .

---

(١) راجع الترجمة العربية لمنظومة يوسف وزليخا للدكتور عبد العزيز بقوش بمجلة أخبار الأدب.

وينتقل الجامى إلى جانب آخر من القصة حيث بدأ يتحدث عن علاقة يوسف بأخوته ، وكيف كانوا يحسدونه لفرط اهتمام يعقوب به ، ثم تحدث عن الرؤية التى رآها يوسف وهى سجود الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً له ، وقصه هذه الرؤية على والده طالباً منه تفسيراً وتوضيحاً ، ففسرها له وطالبه بألا يخبر أحداً من أخوته بهذه الرؤية، ولكن الخبر تسرب إلى الأخوة فزادهم حسداً على يوسف وضيقاً به ، فتشاوروا معاً ليدبروا حيلة يبعدون بها يوسف عن أبيه ، لذا ذهبوا إلى أبيهم يستأذنونه فى أن يذهب معهم يوسف إلى الصحراء، وهناك ألقوه فى غياهب بئر الضلالة والخيانة ، ولكن الله أنجاه بوصول القافلة وإخراجه من البئر . ثم وصلت القافلة بيوسف إلى مشارف مصر، وسماع ملك مصر بمقدم القافلة ومعها يوسف ، فأرسل عزيز مصر لاستقبالهم وإحضار يوسف إلى القصر، وما أن وصل يوسف أرض مصر حتى توجه إلى النيل واغتسل من غبار السفر ، ثم ركب هودجاً قاصداً بلاط ملك مصر ، وذلك بصحبة مالكه الذى أخرجه من البئر واشتراه من أخوته !

لما علمت زليخا بما أحدثه وصول يوسف أرض مصر وبلاط الملك من ضجة وضجيج وتجمع الناس حول القصر ، سارعت بالذهاب إلى القصر لاستطلاع الأمر ، وما أن رأت يوسف وجماله حتى تعرفت عليه ، وما أن عرض مالك يوسف بيعه، سارعت زليخا بشرائه عارضة ثمناً يفوق بكثير كل ما عرضه الآخرون .

انتقل يوسف للعيش فى قصر العزيز ، وتحت إشراف زليخا ،وحرصت ربة الدار أن توفر له كل أسباب السعادة وفراغ البال ، ثم طلبت من يوسف أن يقص عليها قصته ، وكم عانى فى البئر من آلام وأحزان وهنا أدركت زليخا أن الحزن الذى كانت تعانية ذلك اليوم وتلك الليلة كان سببه آلام يوسف بالبئر فى ذلك الوقت . بعد ذلك طلب يوسف الاشتغال بالرعى لأنه لم يكن نبى قط لم يشتغل بالرعى ،واستجابت زليخا لما طلب .

بعد أن أدرك يوسف بلوغه ثم رشده ، بدأت زليخا تعبر له عن حبها وطلبت وصاله ، ولكنه تعفف عن ذلك ، مما جعلها تصاب بالاكتئاب والشحوب ، فسألتها مربيتها عن السبب ، فأخبرتها بعشقها ليوسف وتمنعه عليها ، فحاولت المربية الوساطة بينها وبين يوسف، ولكنه ظل على إبائه وتعففه ،مما اضطر زليخا للذهاب إلية مرة

أخرى عارضة نفسها عليه متضرعة أن يستجيب لتوسلاتها ، ولكنه اعتذر ثانية عن تحقيق مرادها ، فحاولت زليخا أن تهيئ جواً شاعرياً حيث أرسلت يوسف إلى البستان وحوله العديد من الجوارى العارضات لحسنهن وجمالهن، ولكن يوسف ظل على عفافه وطهره ، وهنا بدأت ومربيتها فى البحث معاً عن وسيلة أخرى لتحطيم رفض يوسف وتمنعه ، حيث شيدت المربية بيتاً جديداً صورت فى كل أرجائه جمال يوسف وزليخا بأوضاع مختلفة ، ثم دعت يوسف إلى ذلك البيت ومعه زليخا التى حاولت وصاله دون جدوى ، ثم إدخاله إلى المقصورة السابعة ومحاوله إجباره على تحقيق مقصودها ، فما كان من يوسف إلا أن فر ، وترك زليخا حائرة !

فى نفس اللحظة التى جرى فيها يوسف خارجاً ،وصل العزيز إلى البيت ، وسأل يوسف عما يجرى، فلم يخبره يوسف بشئ ، بينما سارعت زليخا باتهام يوسف بأنه كان يراودها عن نفسها ويحاول الاعتداء عليها ، فما كان من العزيز إلا أن أمر بإيداع يوسف السجن على الرغم من شهادة طفل رضيع ببراءة يوسف . وقبل إيداعه السجن انتشر الخبر فى المدينة ، ولاكت ألسن النسوة سيرة زليخا ، ولكنها كى تخرس ألسنتهن هيأت لهن جلسة مشاهدة ،وأمرت يوسف بالدخول عليهن فأكبرن جماله ، والتمسن لزليخا العذر فيما فعلته ، وقد حاولت النسوة تشجيع يوسف على قبول غواية زليخا ، ولكنه صمم على الاحتفاظ بعفته وطهره ، فاقترحت النسوة تنفيذ أمر العزيز وإرسال يوسف إلى السجن ، وفعلاً تم ارساله إلى السجن مع ندم كبير من زليخا لإقدامها على تنفيذ هذا الأمر الذى سيحرمها من رؤية يوسف !

ولم يمض وقت طويل على إرسال يوسف إلى السجن ، حتى ألهب العشق عاطفة زليخا ولم تستطع تحمل فراقه ، فكانت تذهب ليلاً مع مربيتها إلى السجن لمشاهدة يوسف والتمتع بالنظر إلى جماله وحسنه ، بل إنها كانت تصعد إلى سطح قصرها نهاراً لمشاهدة السجن من هناك وكانت فى كلتا الحالتين تنخرط فى البكاء والانتحاب لفراق يوسف عليه السلام .

ثم ينتقل الجامى لشرح حال يوسف فى السجن وكيف استطاع أن يحوز رضا وحب واحترام كل من كانوا فى السجن ، حتى أنهم كانوا يعرضون عليه أحلامهم ليفسرها لهم .

وكان من بين هؤلاء السجناء أفراد من خاصة الملك وخدامه ، وكان يوسف يطلب منهم ذكره عند الملك إذا خرج أحدهم ، وما كان من أمر رؤية الملك وتفسير يوسف لها، فتم الإفراج عنه كى يشرف على خزانة الملك . وما أن وصل إلى القصر ، حتى سأله الملك عن قصته مع النسوة ، فتيقن من براءة يوسف مما اتهم به .وقد حدث بعد ذلك أن مات عزيز مصر ، وابتليت زليخا بالوحدة والفراق واستيلاء محبه يوسف على قلبها ، وأملاً فى لقائه فقد أقامت كوخا لها فى طريق يوسف لعله يدرك حالها ويرق قلبه لها ، ولكنه لم يلتفت إليها ولم يعرها اهتماماً ، مما جعلها تسارع إلى بيتها ثائرة فتحطم صنمها ، وإعلانها الأيمان برب يوسف عليه السلام ، ثم عودتها إلى الطريق مرة ثانية، وهنا حظيت بالتفاته إليها واهتمامه بها .

بعد ذلك نقلت زليخا إلى خلوة يوسف بالقصر ، وقد عاد إليها بصرها واستعادت جمالها وشبابها وذلك بفضل دعاء يوسف لها ، كما جاء الوحى وأمر يوسف بالزواج من زليخا ، فتزوجها وغلب عشقها على قلبه ، مما دعاه إلى بناء معبد لها ، وأخيراً يرى يوسف عليه السلام أبويه فى المنام ، وما صحب ذلك من دعائه الله عز وجل أن يعجل بموته للحاق بوالديه ، وجزعت زليخا من هذا الدعاء ، وأخيراً يموت يوسف عليه السالم فتهلك زليخا أسى على فراقة !

* * *

وهنا تنتهى القصة عند الجامى ، ونلاحظ أنه بدأها من حيث بدايتها كما وردت فى سورة يوسف بالقرآن الكريم ، وكان أكثر التصاقاً بأحداث القصة كما جاءت فى القرآن من تلك القصة التى نظمها الفردوسى قبله ، ومع هذا لم تخل قصته من بعض الإضافات التى لم ترد فى القرآن ، وذلك إتماماً للحبكة القصصية وزيادة التشويق ، ومن هذه الإضافات أن الجامى أدخل إلى شخوص القصة عنصراً جديداً متمثلاً فى وجود فتاه اسمها (بازغة) وقد رأت يؤسف بعد وصوله مصر ووقعت فى حبه وعرضت عليه جمالها ومالها ، ولكنه رفض غوايتها مما جعلها ترجع يائسة وتتخلى عن كل ما تملك ، وتعيش وحيدة منقطعة للعبادة بعد ذلك ، كما أنه تأثر بقصة الفردوسى فى بناء ذلك البيت الذى شيدته مربية زليخا ، وزينته ، ولكن بالعديد من الصور التى تظهرجمال زليخا ويوسف فى كل وضع ، على عكس الفردوسى الذى جعل جدران

القصر كله من المرايا حتى تنعكس صورة زليخا على أى ركن ينظر إليه يوسف عند لقائه بها داخل هذا القصر ، وسواء زين القصر بالصور عند الجامى أو بالمرايا العاكسة عند الفردوسى ، فالغرض هو توفيرجو رومانسى يؤثر فى عقل وقلب يوسف ، فيقبل على زليخا ويحقق لها الوصال ، ولكن يوسف لم يتأثر بهذا أو بذاك وظل على تعففه وطهره .

كما وافق جامى رواية الفردوسى فى عودة زليخا إلى شبابها وجمالها واقترانها بيوسف بعد طول انتظار، وقد تم هذا الاقتران مصداقاً لأمر إلهى . ولكن الجامى اختلف مع الفردوسى فى توقيت الوفاة ، فقد ذكر الفردوسى بأنهما ماتا فى وقت واحد، بينما ذكر الجامى بأن يوسف ودع الحياة قبلها ، فتملكها الحزن والأسى لفراقه، ثم لحقت به بعد ذلك .

* * *

وهكذا كانت قصة يوسف لزليخا نبعاً فياضاً للشعراء الفرس ،وكانت أكثر القصص الدينى نظماً فى الأدب الفارسى، سواء فى صورة قصص كاملة أو حتى فى حكايات وردت فى منظومات أخرى ، كما حدث وورد اشارات إليها فى العديد من دواوين كبار الشعراء فى إيران ، ولعل ولع الأدباء الإيرانين بنظم القصص وبخاصة العاطفية منها ، هو الذى دفع هؤلاء الشعراء وغيرهم للآدلاء بدلوهم فى نظم هذه القصة القرآنية . مضيفاً إليها كل ناظم أو قاص من عنده بعض الأحداث والشخصيات التى تثرى عمله الأدبى ، دون المساس بقدسية ما ورد فى القرآن الكريم ، ودون الإساءة إلى سيدنا يوسف عليه السلام واتهامه بالخضوع إلى الغواية والهوى، بل كان فى كل القصص مثالاً للطهر والعفاف والحفاظ على كرامة البيت الذى آواه ورباه ، إنه الرسول المعصوم بفضل الله وبركته ، فكيف يخطئ أو ينحرف مهما كانت الغوايات ومهما تعددت محاولات الإثارة، وتنوعت أساليبها ومرتكبوها !!

* * *

قصة المعراج

حفلت الآداب الإسلامية العربية والفارسية والتركية والأردية بالعديد من القصص الموحاة من معراج الرسول الكريم محمد عليه السلام . لعل أشهر هذه القصص فى الأدب العربى رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، أما إذا انتقلنا إلى الأدب الفارسى ، فسنجد أن كثيرا من الأدباء قد تناولوا الإسراء والمعراج بالحديث والشرح والإشادة فى كثير من كتاباتهم وأشعارهم ، ومع هذا فإن أهم عمل أدبى استوحاه صاحبه من معراج الرسول الكريم عليه السلام ، يتمثل فى منظومة فريد الدين العطار « منطق الطير » .

ولكن قبل أن نفصل الحديث عن هذه المنظومة بعض الشئ ، يجمل بنا أن نشير إلى ما أورده عبد الرحمن الجامى عن حادثة الأسراء والمعراج فى مقدمه منظومته « يوسف وزليخا » إذ تناول هذا الأمر بطريقة مباشرة ، وما حدث فى تلك الليلة ، حيث ذكر أن محمداً عليه السلام كان يبيت فى هذه الليلة المباركة الشبيهة فى مكانتها بليلة القدر فى بيت أم هانئ كرم الله وجهها .

وكانت كل الخلائق تعيش فى وئام وسلام فى هذه الليلة ببركة ذلك الحدث الكبير الذى سيحدث فيها، ويكون ذا أثر كبير فى سيرة الدعوة الاسلامية ، بل إن الحيوانات قد أعلنت الوئام والسلام فيما بينها ، ولم يعد الذئب يطارد الحمل ، كما استراحت المها إلى جوار الأسد دون خوف على حياتها .

فى هذه الليلة افترش الرسول الكريم الأرض واتخذها مهداً لروحه الرقيقة نامت عيناه ولكن قلبه ظل يقظاً ؛ وفجأة دخل عليه جبريل عليه السلام موفداً من الحق سبحانه وتعالى ، ثم أخذ جبريل يوقظ محمداً المصطفى بكل رقه وحنان ، مبلغاً إياه لماذا جاءه فى هذه الساعة ، حيث قال ما ترجمته :

- ربت بجناحيه عليه قائلاً : انهض أيها السيد ، فإن نومك الليلة قد هيأ لك السعادة
- هيا احمل إلى الخارج متاع وجودك ، فأنت سعادة الدنيا الدائمة أبداً
- ما مقصدى إلا حملك إلى حيث العرش ، لذا أحضرت من أجلك البراق

السريع

– إنه ينساب على الأرض كالجواد السريع ، ويسبح فى الفضاء كطائر الهما السعيد

٥ – ما امتلكت يد إنسان عنانه ، وما لامست قدم بشر ركابه

– وسلك ذلك البراق السريع الطريق من مكة إلى الأقصى

– وفى نصف لحظة أو أقل ، دق بحافره حلقة باب المسجد الأقصى

– وهناك صار النبى عليه السلام إماماً للأنبياء فى ذلك المسجد ، كما أصبح قدوة للسابقين. (١)

وبعد أن أم الرسول عليه السلام جميع الأنبياء فى المسجد الأقصى ، بدأ رحلة المعراج حيث صعد به البراق إلى السموات ، وكان القمر يحيط به وكأنه الهالة حوله ، لذا فإن الرسول الكريم قد خط بيده الكريمة خطاً على جبين القمر ، وصار هذا الخط وسما للعبودية ، لذا فاز القمر من تلك اللحظة باسم « التمام» وبعد ذلك واصل الرسول عليه السلام صعوده حيث مر بكل من عطارد والزهرة وغيرهما من الأبراج السماوية كالمريخ والمشترى وزحل إلى أن وصل إلى السماء الثامنة، فاستراح قليلاً حيث أقبلت بنات النعش والثريا ما دحة إياه بنظمها ونثرها .

وبعد ذلك واصل المسير إلى سدرة المنتهى، وهنا وهن جناح جبريل عن الطيران، وفى ذات اللحظة وثب إسرافيل من مكمنه وجعل الرفرف هودجاً، وكم تشرف الرفرف بوجود محمد عليه ، ثم سرعان ما استقبله العرش ، حيث حملوه يداً بيد كالوردة من إيوان الدنيا الوضيع إلى ذلك البلاط المقدس ، حيث وجد مكاناً خالياً فى هذا المكان ،

---

(١) نقلا عن ترجمة الدكتور عبد العزيز بقوش بمجلة أخبار الأدب العدد ٣٩ ومابعده والأبيات الفارسية هى : (يوسف وزليخا لجامى ، طبعة ١٣٤٧ هـ .ق ، ص : ٩ ، ١٠) .

براو ما ليد پر : كاى خواجه بر خيز	كه امشب خوابت آمد دولت انگيز
برون بر يكزمان زين خوابگه رخت	تو بخت عالى بيدار به بخت
بسيج راه عرشت كردم اينك	براق سير بر آوردم اينك
جهنده پرزمين خوش باد پائى	پرنده برهوا فرخ جائى
٥ – نه دست كس عنان او بسوده	نه از پائى ركابش گشته سوده
زد از سم براق آن برق رفتار	ز مكه كه بر أقصى درم دار
زدش درنيم لحظه بلكه كمتر	ز دور كاسهٔ سم حلقه برور
در آن مسجد امام انبيا شد	صف پيشينان را پيشوا شد

غير مسموح لجسد أو روح بالوجود هناك .. وهنا بقى مع الواحد محرراً من قيد العدد بعيداً عن الكثرة ، مبرأ من القلة ، وهنا يتوقف الجامى عن مواصلة الحديث معلناً عجزه عن وصف ما حدث بعد ذلك ، ومما قاله فى ذلك ، ما ترجمته:

- رأى ماهو خارج نطاق الرؤية ، ولكن لاتسلنى كيف كان ذلك
- حيث أن المجال هناك لايتسع للكم أو الكيف ، فأمسك لسانك عن القلة والكثرة
- لقد سمع فى ذلك الوقت كلاماً بغير صوت ، كلاماً كله أسرار فى أسرار، ومعان فى معان
- لاعلم به للفم أو اللسان ، لا يصاحبه نطق أو بيان

٥ - تعجز آذان الروح عن إدراكه ، ويقصر القلب عن فطنته

- لذا ينبغى كف اللسان عن الخوض فى هذا الحديث فإنه أسمى من القول والسماع
- فلا تتجاوز حدك ياجامى ، وانج بنفسك من هذا البحر المهلك للروح
- ولاتنبس ببنت شفة فى هذا المشهد ، واختم الكلام ، والله أعلم !(١)

* * *

هكذا كان الشاعر الكبير عبد الرحمن الجامى مباشراً فى حديثه عن حادثة الإسراء و المعراج ، حيث جاء نظمه متسقا مع ما ذكرته كتب السيرة المحمدية ، أمافريد الدين العطار ، قد استلهم حادثة المعراج و نظم قصة رمزية تعبر عن عروج

---

(١) لمعرفة المزيد عما نظمه الجامى فى هذا المضمار يرجى الرجوع إلى الترجمة العربية لمنظومة يوسف وزليخا المنشورة بمجلة أخبار الأدب العدد ٣٩ ومابعده ، أما نص الأبيات نقلا عن نسخة ١٣٤٧ هـ.ق ، ص ١١ ، فهو :

بديد آنچ از حد ديدن برون بود — مپرس از ماز كيفيت كه چون بود
ز چندى گنجد آنجا ونه چونى — فروبند ازيكى لب وز فزونى
شنيد آنكه كلامى نه باآواز — معانى در معانى راز در راز
نه آگاهى از آن كام وزبان را — نه همراهى بآن نطق وبيان را
٥ - نه دركش گوش جان را بادور مشت — زحرفش دست دل را گونه انگشت
- ز گفتن برتراست واز شنيدن — زبان زين گفتگو بايد بريدن
- منه جامى ز حد خود برون پاى — وزين درياى جان فرسا برون آى
- درين مشهد ز گويائى مزن دم — سخن را ختم كن ، والله اعلم

الخلق إلى الله عز وجل ، وترفعهم عن دنيا هذه الحياة الأرضية وتطلعهم إلى الارتقاء إلى السموات العلا ، أملاً فى الحظوة بالقبول لدى الخالق البارئ ، ولكن بعد أن تتطهر الأبدان والأرواح من كل العـلائق الدنيـوية والآثام والخطايا ، كل هذا فى أسلوب قصصى رفيع وعرض أدبى شيق فى كتابه الشهير منطق الطير والذى يعد أفضل كتاب فارسى فى هذا المضمار !

منظومة منطق الطير لفريد الدين العطار (١)

تعد منظومة منطق الطير أعظم وأشهر منظومات الشاعر فريد الدين العطار ، ولايمكن أن يذكر اسم العطار إلا وتذكر منظومته منطق الطير معه ، حتى أصبح فريد الدين العطار علماً على منطق الطير، وأصبح منطق الطير علماً على فريد الدين العطار.

وقد أخذ فريد الدين العطار عنوان منظومته من القرآن الكريم ، حيث قال الله تعالى فى سورة النمل : « وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ، إن هذا لهو الفضل المبين » .(٢)

وهكذا عنون العطار منظومته بعنوان قرآنى ، كما أنه جعل أبطال منظومته جميعاً من الطير ؛ حيث أنطق الطيور وتحدث كل منها بلسانه ، وهذا أمر مستمد كذلك من القرآن الكريم ، وقد أفاد العطار فى هذا المضمار من قصة سيدنا سليمان عليه السلام وحديثه مع الطير ، وفهمه للغة الحيوان عندما أدرك ماقالته النملة محذرة جماعة النمل من أن تطأهم بالأقدام جيوش سليمان من إنس وحيوان وجن ، حيث قال الله تعالى : « حتى أتوا على وادى النمل ، قالت نملة ؛ أيها النمل ادخلو مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال رب

---

(١) لمعرفة المزيد عن منظومة منطق الطير يرجى الرجوع إلى الترجمة العربية التى قام بها الدكتور بديع محمد جمعة فى احدى طبعاتها الخمس بالقاهرة وبيروت ، أو للأصل الفارسى للمنظومة ، نسخة باريس ١٨٥٧م ، أو اصفهان ١٣١٩هـ ، ١٣٣٤هـ ، أو نسخة طهران : ١٣٤٧ ش.

(٢) سورة النمل ، آية : ١٦.

أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ... » .[١]

كما أنطق الله سبحانه وتعالى الهدهد ، حيث قال موجهاً حديثه إلى سليمان عليه السلام : «فقال : أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين » [٢]

إلى غير هذه الآيات التى أنطقت الطير ، بإذن الله ، وبذلك وجد العطار فى القرآن الكريم مادة صالحة لمنظومته منطق الطير .

وإذا كان العطار قد أنطق الطير بدلاً من الإنسان ، وجعلها تسعى جاهدة فى مسيرتها نحو الله سبحانه وتعالى وتقربها منه ، فهذا ليس بغريب ، فإن جميع مخلوقات الله تسبح بحمده ، وكل صنف له تسبيحه ، حيث قال تعالى :

« ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » [٣]

ومن الجدير بالذكر أن فريد الدين العطار قد أنهى نظم هذه القصة المعراجية عام ٥٨٣ هـ على أرجح الأقوال ، وقد بلغ عدد أبياتها ٤٦٤٧ بيتاً ، وقدم للمنظومة بمقدمة تقليدية شملت الحمد والثناء لله عز وجل ونعت الرسول الكريم ومدح الخلفاء الراشدين ، وقد سبق ايراد بعض الشواهد من هذه المقدمة خلال الفصل الثانى الخاص بالحمد والنعت ومدح الخلفاء .

كما يجب الاعتراف بأن فريد الدين العطار قد نظم قصته هذه متأثراً فى ذلك إلى جانب القصص القرآنى ، برساله صغيرة لأبى حامد الغزالى عنوانها رسالة الطير[٤] وهى مؤلفة باللغة العربية ، وفيها تحدث الغزالى عن رحلة معراجية للطيور وصولاً إلى الحقيقة ، فأخذ العطار هذه الرسالة الصغيرة والتى لاتزيد عن ست أو سبع صفحات ونظمها فى رحلة طويلة بلغ عدد أبياتها ما يزيد عن الأربعة آلاف

---

(١) سورة النمل ، آية : ١٨ ، ١٩.

(٢) سورة النمل ، آية : ٢٢.

(٣) سورة النور ، آية : ٤١.

(٤) الجواهر الغوالى من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالى. القاهرة ١٩٣٤م ص ١٤٣ – ١٥١.

وخمسمائة بيت كما سبق القول (١) .

ولكن كيف عالج العطار رحلته المعراجية ؟

اجتمعت طيور العالم جميعاً ، ما كان منها معروفاً وماهو غير معروف ، وقالوا جميعاً فى هذا العصر وذاك الأوان لاتخلو مدينة قط من ملك أو سلطان ، فكيف يخلو عالمنا من ملك ؟ ربما لو يساعد بعضنا البعض ؛ لتمكنا من السعى فى طلب هذا الملك، لأنه إذا خلا اقليم من الملك ، فما بقى فيه نظام أو استتباب لدى الجند !

سارعت جميع الطيور إلى الاجتماع بحثاً عن ملك أو سلطان ينظم الأمور ، وأقبل الهدهد مضطرباً لكثرة الانتظار ، أقبل بين الجميع لايقر له قرار ، وقال : أيتها الطير ؛ إننى بلا أدنى ريب رسول الغيب، جئت وقد فطرت على أن أكون صاحب اسرار ، جئت ولاصلة لى بأى إنسان ، إذ عندما أكون مشغولاً بالملك ، فإنه لا يمكن أن يصيبنى من الجند أى ألم ، إننى تحدثت مع سليمان كثيراً ، فلا جرم أن أكون مقدماً على الجميع ، لقد حملت رسالته ورجعت إليه ثانية ، كما أطلعنى على أسراره الخفية ... لقد سافرت كثيراً مع سليمان ، كما جبت عرصات العالم ، وأظن أننى عرفت ملكنا ، ولكننى لا استطيع السير إليه وحدى ، فإذا صحبتمونى فى سفرتى، أصبحتم أصفياء ذلك الملك ، فهيا اطرحوا عنكم معرة الغروروالهوى وتخلصوا كذلك من آلام كفركم وهمومه .. إن لنا مليكاً بلا ريب هو منا قريب ونحن منه جد بعيدين ، وليس لفرد فى كلا العالمين مقدرة حتى يحيط بشئ من كنهه ، إنه الملك المطلق ، .. ولكن كيف يطير الفهم إلى حيث يوجد؟ وكيف يصل العلم والعقل إلى حيث يوجد ؟ لا طريق إليه ، حتى ولو كثر المشتاقون من الخلق إليه ، وإذا كان وصفه بعيداً عن قدرة الروح الطاهرة نفسها ، فليس للعقل قوة على إدراكه ، وإذا كانت الروح تحار فى إدراك صفاته ، فأنى للعقل أن ، يدرك ذاته ! ولسلوك الطريق إليه تلزم الشجاعة والتضحية بالروح ، فليكن كل منكم شبيهاً بالرجال كى ينثر روحه الغالية تقرباً إلى الله عز وجل !

---

(١) لمزيد من المعلومات يرجى الرجوع إلى منطق الطير ، الترجمة العربية.

وعندما عرفت الطير عزة هذا السلطان ، لم يعد يقر لها قرار فى هذا المكان ، وبدأ الشوق يؤتى ثماره فى أرواحهم ، وعزموا على المسير ، ولكن سرعان مادب الضعف (الإنسانى) فى كل واحد ، وحاول الكثيرون منهم تقديم مختلف الأعذار خوفاً من عدم القدرة على مواصلة الرحلة المعراجية نحو المليك الأكبر .

وقد تحدث العطار عن العديد من الأعذار الواهية التى يسوقها المتقاعسون عن المسير ، وهذه الأعذار هى التى يرددها عادة أولئك الذين لا يخلصون العبادة لله عز وجل ، وتكون أعذارهم مجرد حجج واهية يحاولون بها تبرير تقصيرهم وبعدهم عن طريق الإيمان الخالص لله تعالى ، فمنهم من يعتذر - كالبلبل - بأنه لايستطيع مفارقة الوردة الحبيبة إلى نفسه ، شأنه فى ذلك شأن من يتيم بمعشوقة آدمية تشغله عن الإيمان الخالص وعن أداء العبادات أداءً صحيحاً ، ومنهم من يعتذر بسبب قربه - كالطاووس - من الملك ، فلا يستطيع أن يغادر قصر السلطان بعد أن تعود على هداياه وعطاياه ، وهذا شبيه بمن يتقرب من ملوك الأرض مهما كانوا على غير صلاح ، ناسياً أن المليك الأعظم هو الله عز وجل ، وهو الأولى بأن يتقرب العبد إليه إيماناً وتسليماً واعترافاً بجميل أفضاله التى لاتعد والا تحصى .

إلى غير ذلك من الأعذار التى ساقها العطار على ألسنة الطير ، وكان العطار فى كل مرة يفند زيف هذه الأعذار وضلال أصحابها وضعف إيمانهم ، وذلك عن طريق الهدهد الذى كان يمثل حادى الطريق ، والذى كان يبصّر كل معتذر بخطأ مسلكه وضعف حجته ، وقد عبر العطار عن هذه الأعذار ورفضها بما ترجمته :

بعد ذلك توالت الطيور واحداً واحداً ، لتقدم أعذار واهية ، وقد قدم كل طائر عذراً يقطر جهلاً، وما قال أحدهم عذراً لائقاً ، بل قال الكل هراءً وهزلاً ، لذا لن أسرد عليك أعذارهم عذراً عذراً .. ومن كان عذره واهياً ، أنى له الوصول إلى هذا المليك ؟ أما من يفضل المليك على روحه ، فإنه يخاطر بالروح كالرجال من أجله !

بعد أن سمعت الطيور كلام الهدهد وتفنيده لأعذارهم الواهية ، تولدت لديهم الرغبة فى المسير إلى المليك الأعظم فقد عادوا جميعاً متحابين ، وبدا بينهم الوفاق، ولكى يواصلوا الرحلة لابد لهم من معرفة رسومها ، فطلبوا من الهدهد أن يعتلى المنبر كى يجيب على استفساراتهم وأسئلتهم ، حتى يكون مسيرهم عن بصيرة

واقتناع !

وما أن أعتلى الهدهد المنبر ، حتى توالت أسئلة الطير ، جلباً لمزيد من المعرفة ودرءاً للعديد من الشبهات ، وحتى يكون المسير على بينة وعزم أكيد .

ومن بين ما سألوا الهدهد عنه ، هل المسير إلى المليك مرتبط بالقوة البدنية ، فقال بل مرتبط بقوة العزيمة وبذل الروح مهما كانت الأجساد والأبدان هزيلة نحيلة ، كما سأله أخر بأنه ارتكب العديد من الآثام ، فكيف يستطيع السير بهذه الآثام والخطايا ، فأخبره بأن الله عز وجل قابل التوب، رافع الآثام ما دامت التوبة صادرة عن قلب صادق ونية أكيدة .

وبعد أن توالت الأسئلة وتوالت إجابات الهدهد عليها ، بدأت الرحلة وطارت جميع الطيور صغيرها وكبيرها وكلها أمل فى الوصول إلى الغاية المنشودة ، ولكن بعد فترة من المسير بدأ ضعاف الإيمان يتساقطون طائراً طائراً ، وتقل الأعداد تدريجياً ، وبعد أن كان أعداد الطيور تصل إلى مئات الألوف لم يصل إلى نهاية الرحلة إلا ثلاثون طائراً فقط هم الذين أخلصوا النيات وأكدوا العزم وتحملوا الآلام مضحين بأرواحهم ونفوسهم ، وتخلوا عن كل ملذات الدنيا ، أملا فى الظفر برضاء الله عز وجل والوصول إلى حيث يوجد المليك الأعظم .

وما أن وصلوا حتى طلبوا المثول أمام المليك الأعظم ، ولكن قيل لهم هيهات ، هيهات أن يتم لكم المثول فى حضرته !، فقالوا لقد جئنا ليكون مليكاً علينا، فقال لهم حاجب الحضرة : أيها العجزة ، إن تكونوا أو لاتكونوا فهو السلطان المطلق الدائم ، ومائه ألف عالم مليئة بالجند والحشم ، ليست إلا نملة على باب هذا السلطان الأعظم .

وأخيراً قدم حاجب الحضرة وثيقة للثلاثين طائراً ، وما أن رأت الطيور هذه الوثيقة حتى تملكهم الفزع ، إذ أن الوثيقة قد سجل فيها كل ما فعلوه ، وحين أمعنوا النظر وجدوا فيها كل ما ارتكبوه من أخطاء ، ولكن رحمة الله واسعة ، فقد شملهم بعطفه ومحا كل ذنوبهم ، وعفا عن كل ما ارتكبوه من المعاصى والآثام ، وتغمدهم بواسع رحمته وعظيم عطفه ، وتقبلهم فى فسيح جناته .

* * *

إلى هنا تنتهى هذه القصة المعراجية ، والتى نظمها العطار بتأثير من ثقافته الدينية ، فاختياره اسم المنظومة مأخوذ من سورة النمل ، وكذلك تحريكه للطير ومنها القدرة على الكلام مستمدة من قصه سليمان عليه السلام مع الطير ، كما أن إدراك الطير بالفطرة أن لهم مليكاً لابد من السير إليه لكى تستقيم الحياة ، وأنه لاحياة لأى جماعة دون مليك ينظم شئونهم ، هى نفس الفطرة التى حركت وهدت سيدنا ابراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده بعد أن رفض عبادة القمر أو الشمس وأدرك أن الحياة ، لايمكن أن تستقيم إلا بوجود هذا الإله المدبر لأمور الكون كله ، وقد قال الله عز وجل فى محكم تنزيله وذلك على لسان ابراهيم عليه السلام : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً »(١) وقال تعالى : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون»(٢) وقال تعالى:«فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » (٣) وهكذا أراد العطار أن يدعو الناس إلى أن يعودوا إلى فطرتهم التى فطرهم الله عليها ،وهنا سيكون الإيمان والصلاح ، والتقوى لأن الفطرة السليمة متجهة صوب بارئها على الدوام .

واختيار العطار للهدهد ليكون حادى الطريق بالنسبة لجماعة الطير ، وقد أطلق على نفسه تعبير (رسول الغيب)، مستمد من القرآن أيضاً؛ حيث حظى الهدهد بالذكر فى القرآن ويحمل رسالة سليمان إلى ملكة سبأ ، لذا فهو مقدم على جميع الطيور ، ويمكن أن يكون رمزاً لكل رسول أرسل لهداية الناس ، ويجب على الخلق السير على هدى رسالته .

وحديث العطار عن الصلة بين الخالق والمخلوق وقوله على لسان الهدهد : ان لنا مليكاً لاريب هو منا قريب ونحن منه جد بعيدين ، يتفق والآية الكريمة « لقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ،ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .(٤)

وعندما سأل طائر الهدهد بأنه قد أسرف على نفسه بكثرة الذنوب والمعاصى ،

---

(١) الأنعام ، آية : ٧٩.
(٢) سورة يس آية : ٢٢.
(٣) سورة الروم ؛ آية : ٣٠.
(٤) سورة ق ، آية : ١٦.

فهل سيقبل الله توبته، أجاب الهدهد بالإيجاب وأن رحمة الله واسعة ، وأن الله يتقبل توبة التائبين ما داموا مخلصين فى توبتهم مهما كان حجم أخطائهم ومعاصيهم وهذا مصداق لقوله تعالى : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » (١)

وعندما وصلت الطير إلى الحضرة طلبوا المثول أمام الحق ، ولكن قيل لهم هيهات ! هيهات ! هذه تذكرنا بمطلب موسى عليه السلام عندما طلب أن يرى الله فكان الرد عليه ماثلاً فى هذه الآية الكريمة: « قال ربى أرنى أنظر إليك ، قال لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » (٢) .

هذه بعض الإشارات السريعة التى تضمنتها رحلة العطار المعراجية من خلال منظومته منطق الطير ، والتى صاغها قصة غاية فى الدقة ، فحازت اهتماماً كبيراً بين جميع المهتمين بالأدب الفارسى بخاصة ، والمهتمين بالفكر الإسلامى بعامة ، لذا أقدم الكثيرون على ترجمتها إلى العديد من اللغات الإسلامية والعربية بل إلى معظم لغات العالم شرقه وغربه (٣) .

---

(١) سورة الزمر ، آية : ٥٣.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٤٣.

(٣) لمزيد من المعلومات ، يرجى الرجوع إلى الترجمة العربية لمنطق الطير ، إعداد : بديع جمعة.

الفصل الخامس

الأدب الأخلاقى



الأدب الأخلاقى

١- الأخلاق فى كتب النثر الفارسى :

تعتبر الأخلاق الفاضلة أسمى أهداف الدين الإسلامى الحنيف ، ومن هنا بعث الله رسوله الكريم (صلعم) ليعلم الناس الأخلاق الفاضلة ويهديهم سواء السبيل ، ووصفه جل وعلا بقوله : «وإنك لعلى خلق عظيم » (١) ، فكان خلقه القرآن . وتعتبر القضايا الأخلاقية التى تناولها قدماء المفكرين فى مولفاتهم قبل ظهور الإسلام جزءاً يسيراً بجانب ما قدمه القرآن الكريم والسنة النبوية .وقد قال الرسول الكريم عن نفسه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقال أيضاً : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » (٢) . وقد فجر الإسلام وتعاليمه السامية ينابيع الفكر والحضارة فى كل الشعوب التي دخلت فيه ، فبرز كثير من المفكرين يؤلفون الكتب وينظمون الشعر فى موضوع الأخلاق المستمدة من تعاليم الإسلام ، ومن هؤلاء الفرس الذين إنقسمت مؤلفاتهم فى هذا الصدد إلى قسمين :

أ - مؤلفات تتناول الأخلاق فى ثناياها .
ب - مؤلفات تختص بالحديث عن الأخلاق .

ومن النوع الأول كتاب « قابوسنامه » (مؤلف سنة ٤٦٢ هـ) وهو كتاب فى النصحية ألفه الأمير عنصر المعالى كيكاوس بن إسكندر بن وشمگر بن زيار ، ويشتمل علي أربعة وأربعين باباً يعالج المؤلف فى كل منها موضوعاً خاصاً .وتتضمن بعض أبوابه نصائح ذات طابع دينى يوجهها المؤلف لإبنه گيلا نشاه ، ومن ذلك الباب الخامس فى معرف حق الوالدين ، والباب الثانى والعشرين عن الأمانة والباب الرابع والأربعون عن المروءة ، ومن خلال أبواب الكتاب نجد مجموعة كبيرة من الأخبار والحكم والحكايات التمثيلية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر التى إستعان بها المؤلف على تقوية عبارته وتوضيح فكرته .

---

(١) سورة القلم ، أية ٤ .

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - أبو زكريا يحيى بن شرف النووى - مكتبة التراث الإسلامى - سوريا - حلب . ص ٢٧٣ .

نماذج من كتاب « قابوسنامه »

النموذج الأول : فى خلق الأنبياء ورسالتهم (١)

« اعلم يابنى أن الله تعالى ما خلق هذه الدنيا من أجل حاجته ولاخلقها عبثاً ، بل فطرها على موجب العدل، وزينها على اقتضاء الحكمة ، لأنه علم أن الوجود خير من العدم ، والكون خير من الفساد والزيادة خير من النقصان ، والحسن خير من القبيح ، وكان على كليهما قادراً وبهما عالماً ، ولم يعمل مالا يليق أن يكون ، أو كان على خلاف علمه ، وعمل فى ميقات ، وكان ماعمله على موجب العدل ولم يكن من الجائز أن يكون على موجب الجهل ، فجاء وضعه على مقتضى الحكمة ، حيث صوره على أبدع ما كان. كذلك كان قادراً على أن يعطى الضوء بغير الشمس والمطر بغير السحاب، ويركب الأشياء بغير الطبائع ويوجد التأثير بالخير والشر فى العالم بغير النجوم ، ولكنه لما كان الأمر على أساس الحكمة ، لم يوجد شيئاً بغير الواسطة وصير الواسطة سبب الكون والفساد ، لأنه إذا زالت الواسطة زال شرف الترتيب ومنزلته وإذا لم يكن الترتيب لم يكن النظام ولابد للفعل من نظام ولابد أيضاً من واسطة ، فأوجد الواسطة كذلك ليكون ثمة قاهر ومقهور ، ورازق ومرزوق ، وهذه الإثنينية شاهد على وحدانية الله تعالى ، ولما كنت ترى الواسطة ولا ترى الغرض ، فإياك أن تنظر إلى الواسطة أو ترى القليل أو الكثير من الواسطة بل من رب الواسطة ، فإذا لم تنبت الأرض ، فلاتضع الغرم على الأرض ، وإذا لم ينصف النجم فلا تضع الغرم على النجم ، فإن النجم يعرف عن الإنصاف والجور بقدر ما تعرف الأرض عن الإنبات ، وكما أن الأرض ليس لها القدرة على أن تبذر فيها البذر الطيب فتنبت الخبيث ، فإن للنجم هذا الحكم عينه ولايستطيع عمل الخير والشر، ولما كانت الدنيا قد زينت بالحكمة كان لابد للمزينة من التزيين . فانظر فى هذه الدنيا لترى زينتها من النبات والحيوان والمأكولات والملبوسات وأنواع الطيبات ، إذ كل هذه زينة قد أوجدت بموجب الحكمة . كمايقول فى كتابه (ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهم إلا بالحق) ، فإذا عرفت أن الله لم يخلق نعمة فى هذه الدنيا عبثاً ، فمن العبث أن لايؤدى حق النعمة والرزق، وحق

---

(١) ترجمة كتاب قابوسنامه - الباب الثانى ص ٥٢ - تعريب محمد صادق نشأت والدكتور أمين عبد المجيد بدوى - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م .

الرزق أن تعطيه للمرزوق ، ولما كان العدل كذلك ، فقد خلق الناس ليأكلوا ، ولما أوجد الناس ، كان تمام النعمة بالناس، وكان لابد للناس من سياسة وترتيب ، والسياسة والترتيب بغير إرشاد فجان مبتسران ، لأن كل مرزوق يأكل مرزقه بغير ترتيب وعدل ، لايعرف شكر الرازق ، ويكون هذا عيب الرازق، إذ أعطى الرزق للجاهلين والجاحدين ، ولما كان الرازق منزهاً عن العيب ، لم يترك المرزوق جاهلاً ، كما ذكر في كتابه (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فأرسل الأنبياء بين الناس فعلموهم أسلوب المعرفة وطريق الارتزاق ، واداء شكر الرزق ، لكي يكون خلق الدنيا بالعدل ، وتمام العدل بالحكمة ، وتمام الحكمة بالنعمة وتمام النعمة بالمرزوقين ، وتمام المرزوقين بالأنبياء الهادين ، إذ لايجوز نقصان شئ من هذا الترتيب ، ليكون إرشاداً حقاً ، فإذا نظرت من ناحية العقل فإن كثيراً من الحرم والفضائل التي للمرزوق بسبب النعمة والرزق تستوجب أن يعرف حق هاديه ويشكر رازقه ، ويعترف بحق رسله ويتبعهم ، ويعتقد صدق الأنبياء جميعاً ، من آدم إلى نبينا (صلعم) ، وأن يكون مطيعاً في الدين ولا يقصر في شكر المنعم ويراعي حق فرائض الدين ليكون حميد الذكر ومحموداً».[١]

---

(١) باب دوم

در آفرينش پيغمبران ورسالت ايشان

بدان اى پسر كه ايزد تعالى اين جهانرا نه از بهر نياز خويش آفريد ونه بر خيره آفريد بلكه بر موجب عدل آفريد وبيار است بر موجب حكمت چون دانست كه هستى به از نيستى وكون به از فساد وزيادت به از نقصان ونيكو به از ز شت وبر هر دو نوع توانا ودانا بود وآنچه نشايد بود نكرد وبر خلاف دانش خود نكرد وبهنگام كرد وآنچه كرد بر موجب عدل بود بر موجب جهل نشايد كه بود پس نهادش بر موجب حكمت آمد تا چنانكه زيبا تر بود بنگاشت چنانكه توانا بود كه بى آفتاب روشنائى وبى ابر باران دادى وبى طبايع تركيب كردى وبى ستاره تأثير نيك وبد در عالم پديد آوردى ، اما چون كار بر موجب حكمت بود بى واسطه هيچ پيدانكرد واسطه را سبب كون وفساد گردانيد زيرا چون واسطه بر خيزد شرف ومنزلت ترتيب بر خيزد وچون ترتيب نبود نظام نبود وفعل را از نظام لابدست وواسطه نيز لابد پس واسطه نيز پديد كرد تا يكى قاهر بود ويكى مقهور ويكى روزى خوار ويكى روزى ده ، واين دوئى بر يكى بودن ايزد تعالى گواه است . پس چون تو واسطه بينى وغرض نه بينى نگر تا بواسطه ننگرى وكم وبيش از واسطه نه بينى از خداوند واسطه بينى اگر زمين از بر دادن چون زمين را توان نيست كه تخم نوش در وى افگنى ز هر بار آورد ستاره همين حكم دارد نيكى وبدى نتواند نمودن چون جهان بحكمت اراسته شد آراسته را از زينت دادن لابد بود ، پس نگر در ين جهان تا زينت =

النموذج الثاني : في معرفة حق الوالدين [(١)]

« إعلم يابني أن الخالق حين أراد عمارة الدنيا ، أوجد أسباب النسل ، وصير شهوة الوالدين البهيمية سبب وجود الأبناء ، فأداء حقهما واجب على الأبناء بموجب الوجود . وإياك أن تقول أي حق للوالدين علي ؟ لقد كان غرضهما الشهوة ، ولم أكن أنا المقصود . فإن لهما فضلاً عن الشهوة شفقه بالغة ، وقد احتملوا كثيراً ، وأقل حق الأبوين أنهما الواسطة بينك وبين خالقك ، فينبغي بقدر احترامك لخالقك أن تحترم الواسطة احتراماً يليق بهما ، والوليد مادام صغيراً لايحرم من حق الإرشاد وحب الأبوين والله عز وجل يدعوهما بأولى الأمر . وكذلك قرأت في التفسير أن أولي الأمر - على قول - هم الأباء والأمهات ، إذ أن حقيقة الأمر في العربية إثنان ، الأمر والعمل كلاهما و أولوا الأمر من يكون لهم الأمر والقدرة على السواء ، وللأبوين قدرة في

= بيني از نبات وحيوان وخورشها وپوششها وانواع خوبى كه اين همه زينت است از موجب حكمت پديد كرده چنانكه در كتاب خود ميفرمايد . ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق. چون دانستى كه ايزد در جهان هيچ نعمتى به بيهوده نيافريد بيهوده آن باشد كه داد نعمت وروزى نا داده ماند وداد روزى آنست كه بروزى خوار دهى چون داد چنين بود مردم آفريد تا بخورند چون مردم پديد كرد تمامى نعمت بمردم بود ومردم را لابدست از سياست وترتيب بى رهنمائى خام بود كه هر روزى خوارى كه روزى بى ترتيب وعدل خورد بى رهنمائى خام بود كه هر روزى خوارى كه روزى بى ترتيب وعدل خورد سپاس روزى دهنده را نداند واين عيب روزى دهنده را بود كه روزى بى دانشان ونا سپاسان را داده باشد وچون روزى ده بى عيب بود روزى خوار را بى دانش نگذاشت چنانكه در كتاب خود ياد كرده است : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ودر ميان مردم پيغمبران فرستاد تا راه دانش وترتيب روزى خوردن وشكر روزى گذاردن بمردم آموختند تا آفرينش جهان بعدل باشد وتمامى عدل بحكمت وتمامى حكمت بنعمت وتمامى نعمت بروزى خواره وتمامى روزى خواره به پيغامبران را هنماى كه ازين ترتيب هيچ كم نشايد تا بحقيقت راهنمائى باشد پس چون از سر خرد نگرى چندان حرمت وفضيلت كه روزى خواره را بنعمت وروزيست واجب كند كه حق راهنمائى خوش بشناسد واز روزى ده خويش منت دارد وفرستادگان او را حق شناس باشد ودست بديشان زند وهمه پيغامبران را براست گوئى داند از آدم تا پيغامبر ما محمد صلعم وفرمانبر دار باشد در دين ودر شكر منعم تقصير نكند وحق فرايض دين نگا هدارد تا نيكنام وستوده باشد .

(قابوسنامه - امير عنصر المعالى كيكاووس بن اسكندر بن قابوس بن وشمگير زيارى - زير نظر على حصورى - مهرماه ١٣٤٣ ص ١١)

(١) ترجمة كتاب قابوسنامه - الباب الخامس - ص ٦٠ .

تربيتك وأمر فى تهذيبك .

أى بنى لاتستهن بإيلام قلب أبويك ، فان الخالق عز إسمه يأخذ بحق الوالدين ويقال إنهم سألوا امير المؤمنين علياً رضى الله عنه عن حق الوالدين فقال : إنه هذا الأدب الذى جعله الله تعالى فى موت أبوى النبى (صلعم) ، فقالوا : ماهو ؟ قال إنهما لو آدركا زمن النبى (صلعم) ، لكان لزاماً عليه أن يقدمهما على نفسه ، وأن يتواضع لهما ويراعى آدب النبوة . ومن ثم كان يأتى هذا الكلام ضعيفاً حيث قال (أنا سيد ولد آدم ولافخر) فإذا لم تنظر إلى الأبوين من وجهة الدين فانظر إليهما من وجهة إنسانيتك ، إذ أن الأبوين سبب خيرك وأصل تربيتك ، وعندما تقصر فى حقهما فإنه يتضح كذلك أنك لست أهلاً لأى خير ، لأن من لايعرف حق إحسان الأصل لايعرف قدراً لإحسان الفرع أيضاً، وكيف يكون من الخير الإحسان إلى غير الشاكرين ؟ فلا تطلب أنت كذلك خير نفسك وكن مع والديك كما تطمع من أولادك ، لأن من يولد لك يطمع فى نفس ما تطمع فيه من أبيك ، إذ مثل الآدمى كمثل الفاكهة والأبوين كالشجرة ، فكلما أثرت تعهد الشجرة آتت ثمراً أطيب ، وكلما زدت تكريم أبويك كان دعاؤهما وإبتهالهما من أجلك سريع الإجابة ، وكنت أقرب إلى رضا الله عز وجل ، وإياك أن تتمنى موت أبيك من أجل الميراث ، فإن ما يكون من رزقك ، يصل إليك بغير موت الأبوين ، لأن الرزق مقسوم وكل إنسان يصل إليه مايكون قد قسم له فى الأزل ، ولا تشق على نفسك كثيراً من أجل رزقك ، لأن الرزق لايزيد بالسعى ، فقد قيل (الرزق بالجد لا بالكد) وإذا أردت أن تكون راضياً عن الله عز وجل من أجل الرزق فانظر فى الصباح إلى من يكون حاله أسوأ من حالك لترضى دائماً عن الله عز وجل ، وإذا كنت فقيراً فى المال فاجتهد فى أن تكون غنياً بالعقل لأن العقل خير من الغنى ، إذ يمكن تدبير المال بالعقل ، ولايمكن تكوين العقل بالمال ، والجاهل يفلس سريعاً من المال ، ومال العاقل لايستطيع اللص أن يسرقه ، ولايستطيع الماء والنار أن يهلكاه ، فاذا ملكت العقل ، فتعلم الفضل ، لأن العقل بغير الفضل كرجل بغير ثياب ، وشخص بغير صورة ، وجسم بغير روح ، وقد قيل (الآدب صورة العقل).[1]

---

(١) باب پنجم
در شناختن حق مادر وپدر
بدان اى پسر كه آفريد گار چون خواست كه جهانرا آبادان دارد اسباب نسل پديد كرد

هذه المعانى التى أوردها المؤلف فى هذا الباب مأخوذة جميعها من تعاليم الإسلام الحنيف الذى يحض المسلم علي بر الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما ، لا

وشهوت جانور پدر ومادر را سبب وجود فرزند گردانید پس بموجب وجود بر فرزند واجب است بجای آوردن حق ایشان وتا نگوئی پدر ومادر را بر من چه حق است ایشانرا غرض شهوت بود ومقصود نه من بودم که بیرون از شهوت ایشان را بسیار شفقت است وبسیار تحمل کرده اند حق کمتر مادر وپدر آنست که واسطه اند میان تو وافریدگار تو پس باید که همچندانکه آفریدگار خود را حرمت داری واسطه را در خورد آن حرمت دار وفرزند مادام که خورد باشد از حق راه نمودن واز مهر مادر وپدر خالی نباشد وخدای عز وجل اینها را أولو الأمر میگوید وبیك قول در تفسیر چنین خوانده ام که اولو الأمر مادران وپدران اند که حقیقت امر بتازی دواست هم فرمانست وهم کارست واولو الأمر آن بود که اورا هم فرمان بود وهم توان وپدر ومادر را توانست به پروردن تو وفرمان است به نیکی آموختن تو . ای پسر رنج دل مادر وپدر خوار مدار که آفریدگار عز إسمه بحق پدر ومادر بگیرد ، میگویند که از امیر المؤمنین علی رضی الله عنه از حق مادر وپدر پرسیدند گفت که این ادب که ایزد تعالی در مرگ پدر ومادر پیغمبر صلعم نهاده گفتند چه نوع فرمود که اگر ایشان روزگار پیغمبر صلعم در یافتندی بر پیغمبر صلعم واجب بودی ایشان را برتر از خود نشاندن وتواضع کردن وفرزندی بنمودن آنگاه این سخن ضعیف آمدی که گفت : أنا سید ولد آدم ولا فخر . پس پدر ومادر را اگر روی دین ننگری از روی مردمی خود نگر که پدر ومادر سبب نیکی واصل پرورش تواند چون در حق ایشان مقصر باشی چنان نماید که تو سزای هیچ نیکی نیستی که آن کس که او حق شناس اصل نباشد نیکی فرع را هم قدر نداند با ناسپاسان نیکی کردن از خیرگی باشد تو نیز خیر خود مجوی وبا پدر ومادر خود چنان باش که از فرزندان خود طمع داری زیرا که آنکه از تو زاید همان طمع دارد که تو از پدر داری که مثل آدمی چون مثل میوه است ومادر وپدر چون درخت هر چند درخت را تعهد بیشتر کنی میوه نیکوتر دهد چون مادر وپدر را آزرم بیشتر داری دعا وآفرین ایشان در حق تو زود مستجاب گردد وبخو شنودی خدای عز وجل نزدیکتر باشی وزینهار که از جهت میراث مرگ پدر نخواهی که بی مرگ مادر وپدر آنچه روزی تو بود بتو رسد که روزی مقسومست بهر کس آن رسد که در ازل قسمت شده است تو از بهر روزی خود رنج بر خود بسیار منه که بکوشش روزی افزون نگردد که گفته اند ؛ الرزق بالجد لا بالكد . واگر خواهی که از بهر روزی از خدای عز وجل خوشنود باشی بامداد بکسی نگر که حال او از حال تو بتر باشد تا دایم از خدای عز وجل خوشنود باشی اگر بمال درویش باشی در آن کوش تا بخرد توانگر باشی که خرد از توانگری بهتر باشد که بخرد مال توان ساخت واز مال خرد نتوان ساخت وجاهل از مال زود مفلس شود ومال خرمند دزد نتواند برد وآب وآتش هلاك نتواند کرد پس اگر خرد داری هنر آموز که خرد بی هنر چنان باشد که مردی بی جامه وشخصی بی صورت وکالبدی بود بی جان وگفته اند الأدب صورة العقل .
(قابوسنامه ص ١٩).

لكونهما سبب وجوده فحسب ، أو لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافـأتهمـا بالمثل ، بل لأن الله عـز وجل أوجب طاعـتـهمـا ، وكتب عن الولد برهمـا والاحسـان إليهما حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره فقال عز وجل « وقـضـى ربك ألا تعـبـدوا إلا إياه وبالوالدين إحسـانا ،إمـا يبلغن عندك الكبـر أحدهمـا أو كلاهمـا فلاتقل لهما أف ولاتنهرهما ، وقل لهمـا قولاً كريمـاً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (الإسراء ٢٣ ، ٢٤).

وقـال سبـحـانه وتعـالى : « ووصـينا الإنسـان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير »(لقمان ١٤) .

وهناك من الأحاديث النبوية الشريفة الكثير الذى يحض فيه الرسول (صلعم) على بر الوالدين ، ويعتبـر عقوق الوالدين من أكبر الكبـائر عندما قال : « ألا أنبئكم بأكبـر الكبائر ؟ قـالوا : بلى يارسـول الله ، قـال : إلا شـراك بالله ، وعقـوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور .. » (١)

والمعروف أن الدين الإسلامى يهدى إلى الأخلاق الفضلى والمثل العليا ، ومحور هذه الفـضـائل هو التقـوى التى تشـمـل طاعة الله تعـالى والرغبه فى ثوابه ، وخشـيـته سبحانه والخوف من عقابه ، ولاشك أن من يتقى ربه يحبه ويطيعه ويعمل ما يستحق عليه ثوابه ويكف عما ينزل به عقابه . ولن يكون التقى إلا كريماً شـجاعاً عـادلاً أميناً عفيفاً صـادقاً وفياً رحيماً غيوراً ، متحلياً بكل فضيله مبرأ من الجبن والبخل والفجور والغدر والكذب ومن كل رذيلة .

ولقـد شـغف النبى (صلعم) ، بمكارم الأخـلاق ، وكـان القـرآن منهل أخـلاقـه ، وكان يقول فى دعائه « اللهم كمـا حسنت خلقى فحسن خلقى ، اللهم جنبنى منكرات الأخلاق ، اللهم إهدنى لأحسن الأخلاق لايهدى لاحسنها إلا أنت » . وكان لايفتأ يحض المسلمين على التحلى بالفـضـائل ، وينفرهـم من الرذائل وله فى هذا أحـاديث كـثيرة ، منهـا قوله : « إن احبكم إلى وأقـربكم منى مـجالس يوم القـيـامة أحـاسنكم أخـلاقـاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » . وقوله : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ،

---

(١) أنظر كتاب "منهاج المسلم " لأبى بكر جابر الجزائرى – المدينة المنورة ١٣٨٤هـ ، ص ٩٩ .

فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » . وسئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : خلق حسن . وقيل له : أى المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً (١)

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من شئ أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى » (٢)

وهكذا نرى أن الرسول (صلعم) قد حث المسلمين على التحلى بالخلق الحسن ، وبين لهم ماينتظر صاحب الخلق الحسن وما ينتظر صاحب الخلق السئ فى الآخرة .

- كتاب « گلستان » والأخلاق :

ومن الكتب التى تناولت الأخلاق فى ثناياها أيضا كتاب « گلستان » أو الروضة، الذى ألفه سعدى الشيرازى أحد النجوم اللامعة فى سماء الآدب الفارسى (متوفى ٦٩٤ هـ) ،ويتناول الشاعر فى أبواب الكتاب الثمانية : سيرة الملوك وأخلاق الفقراء ، وفضل القناعة ،وفوائد السكوت، والضعف والشيخوخة ، والتربية وآداب الصحبة ، وغير ذلك . والكتاب بصفة عامة عبارة عن مجموعة من الحكايات النثرية التى أضفى عليها مؤلفها مثلاً أخلاقية وحكماً عملية ، ومزجها بأبيات من الشعر الفارسى والعربى والحكم والامثال والآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ومن نماذجه الباب الثالث فى فضل القناعة والذى يقول فيه : (٣)

حكاية : كان سائل مغربى ينادى فى سوق البزازين بحلب : يا أرباب النعمة لو أنكم كنتم منصفين وكنا نحن قانعين لإرتفع رسم السؤال من الدنيا .

قطعة

دعوتك ياكنز القناعة فاغننى	أيا بلسما ما مثله لكليم
قد اختار كنز الصبر لقمان حكمة	فمن ليس ذا صبر فغير حكيم

---

(١) انظر كتاب "من اخلاق النبى " تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفى - القاهرة ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ، ص ٣٥ - ٦٢ .

(٢) رياض الصالحين ، ص ٢٧٣ .

(٣) الترجمة العربية لكتاب "گلستان" ص ١٣٣ - ترجمة محمد الفراتى - دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م.

حكاية : كان فى مصر ولدا أميرعكف أحدهما على طلب العلم والآخر على جمع المال ، فذاك أصبح علامة الدهر وهذا صار عزيز مصر ، وكان الغنى ينظر إلى الفقير بعين الاحتقار ويقول : أنا وصلت إلى السلطنة وأنت بقيت فى الذل والمسكنة ، فقال له الفقير : أيها الأخ هذه نعمة من الله تعالى يجب على شكرها حيث وجدت ميراث الأنبياء - يعنى العلم - ووجدت أنت ميراث فرعون وهامان ، يعنى ملك مصر .

قطعة

كنملة أنا تؤذى وهى غافلة ولم أكن عقرباً تؤذى فتنجحر
فكيف لى أن أوفى شكر ربى نعم إن لم أطق حمل ما تؤذى به البشر

حكاية : سمعت أن درويشاً إحترق بنار الفاقة وخاط ثوب خرقة على خرقة ، وكان على الدوام يسلى نفسه بهذا البيت :

بالدلق مع يابس الخبز إقتنع ابدا وأجمل جفاك ولا تحمل جدا بشر

فقال له شخص : ما قعودك على ما أنت فيه وفلان فى هذه البلدة ذو طبع كريم وفضل عميم قد شد وسطه لخدمة الأحرار وجلس على باب إرادتهم ، فلو إطلع على حقيقة حالك لما تأخر عن مراعاة خاطرك العزيز قبل سؤالك ، فقال له : أسكت فإن الموت بالفقدان خير من عرض الحاجة أمام إنسان لأنهم قالوا :

قطعة

خط رقعة فوق أخرى إن عريت ولا تخط يوماً لملك رقعة أبداً
فكالجحيم عقاباً لا نظير له بأن تمد لجار فى النعيم يدا

حكاية : ورد فى سيرة اردشير بن بابك أنه سأل طبيباً عربياً : ما مقدار الطعام الذى يلزم للتغذية فى اليوم الواحد ، فقال الطبيب : يكفى وزن مائة درهم ، فقال اردشير : هذا المقدار ماذا يعطى من القوة فأجابه الطبيب : هذا المقدار يحملك ومازاد على ذلك فأنت حامله .

حكاية : نهى أحد الحكماء إبنه عن كثرة الأكل قائلاً : إن الشبع يوقع الإنسان بالمرض ، فقال الولد : والجوع يا أبت يهلك ، ألم تسمع قول الظرفاء : الموت بالشبع خير من الحياة بالجوع ، فقال الأب : حسنا ولكن تمسك بالاعتدال قال الله تعالى : كلوا واشربوا ولا تسرفوا .

قطعـة

أشهـى المأكـل مما قد تسـر به　　　لو زاد عن حده يؤذيك من جشع
يضـرك العسـل الماذى متخمـا　　　ويابس الخبـز لا يـؤذى بلاشبع

حكاية : قال ناس لحاتم الطائى : أرأيت أو سمعت بمن هو أعلى منك همة فى هذه الدنيـا ، فقـال : نعم ، نحـرت يومـاً أربعين جـمـلاً وخـرجت إلى البـادية لأدعـو أمراءالعرب ، فرأيت حاطباً يحمل على ظهره حزمة شوك يريد بها المدينة فقلت له : لماذا لم تذهب إلى ضيافة حاتم فإن خلقاً كثيراً قد إلتفوا حول مائدته فالتفت إلى وأنشد :

أرى كل من بالكدح يـدرك خبـزه　　　فليس بمحتـاج لمنـة حاتـم

فالحق أقول لقد رأيت ذلك الرجل أعلى منى همة وأكرم ..... » (١)

---

(١) در فضيلت قناعت

حكايت

خواهندهء مغربى در صف بزازان حلب ميگفت ايخداوندان نعمت اگر شمارا انصاف بودى وما را قناعت رسم سؤال از جهان برخاستى.

اى قناعت توانگرم گـردان　　　كه وراى تو هيـچ نعمـت نيـست
كنج صبر اختيار لقمانست　　　هر كرا صبر نيست حكمت نيست

حكايت

دو امير زاده در مصر بودند يكى علم آموخت وديگرى مال اندوخت عاقبت الأمر آن يكى علامه مصر گشت واين يكى عزيز مصر شد پس اين توانگر بچشم حقارت از فقيه نظر كردى وگفتى من بسلطنت رسيدم واين همچنان در مسكنت بمانده است گفت اى برادر شكر نعمت بارى عز اسمه همچنان افزونتراست بر من كه ميراث پيغمبران يافتم يعنى علم وتو ميراث فرعون وهامان يعنى ملك مصر .

من آن مورم كه در پايم بمالنـد　　　نه زنبورم كه از دستم بنالند
كجا خود شكر اين نعمت گذارم　　　كه زور مردم آزارى نـدارم

حكايت

درويش را شنيدم كه در آتش فاقه ميسوخت وخرقه بر خرقه هميد وخت وتسكين خاطر مسكين را هميگفت :

بنان خشك قناعت كنيم وجامهء دلق　　　كه بار محنت خود به كه بارمنت خلق

كسى گفتش چه نشينى كه فلان در اين شهر طبعى كريم دارد وكرمى عميم ميان بخدمت =

ومن الكتب التى كتبت فى الأخلاق أيضاً كتاب « تحفة الملوك » وهو يتضمن بالاضافة إلى الأخلاق موضوعات أدبية وتاريخية كثيرة ، إلا أن مؤلفه مجهول ، ويوجد من هذا الكتاب نسختان خطيتان إحداهما فى المتحف البريطانى ضمن مجموعة مؤرخه بتاريخ ٧٦١ والآخرى بمكتبة ليدن ،وطبع هذا الكتاب فى طهران عام ١٣١٧ هـ .ش وحققه سيد حسن تقى زاده معتمداً على النسخة الأولى ، وقد ذكر فى مقدمتة على الكتاب أنه ألف عام ٦١٨ هـ .

= آزادگان بسته وبر دردلها نشسته اگر بر صورت حال تو چنانكه هست مطلع گردد وپاس خاطر عزيزان منت دارد ، گفت خاموش كه در پستى مردن به كه حاجت پيش كسى بردن .

هم رقعه دوختن به والزام كنج صبر — كز بهر جامه رقعه برخوابگان نبشت
حقا كه با عقوبت دوزخ برابر است — رفتن بپايمردى همسايه در بهشت

حكايت

در سيرت اردشير بابكان آمده است كه حكيم عرب را پرسيد كه روزى چه مايه طعام بايد خوردن گفت صد درم سنك كفايت است گفت اين قدر چه قوت دهد گفت : (هذا المقدار يحملك ومازاد على ذلك فأنت حامله) يعنى اين قدر ترا بر پاى همى دارد وهرچه بر اين زيادت كنى تو حمال آنى .

حكايت

يكى از حكما پسر را نهى كرد از بسيار خوردن كه سيرى مردم را رنجور كند گفت اى پدر گرسنگى خلق را بكشد نشنيده اى كه ظريفان گفته اند بسيرى مردن به كه گرسنگى بردن گفت اندازه نگه دار : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا).

نه چندان بخور كز دهانت برآيد — نه چندان كه از ضعف جانت بر آيد
با آنكه در وجود طعامست حظ نفس — رنج آورد طعام كه بيش از قدر بود
گر گلشكر خورى بتقلب زيان كند — ور نان خشك دير خورى گلشكر بود

حكايت

حاتم طائى را گفتند : از خود بزرگ همت تر در جهان ديده اى يا شنيده اى. گفت : بلى روزى چهل شتر قربان كرده بودم امراى عرب را پس بگوشه صحرائى بحاجتى برون رفته بودم خاركنى را در رسيدم پشته فراهم آورده گفتمش بمهمانى حاتم چرا نروى كه خلقى بر سمات او گرد آمده اند گفت :

هر كه نان از عمل خويش خورد — منت از حاتم طائى نبرد

من اورا بهمت وجوا نمردى از خود برتر ديدم .

(كليات شيخ سعدى ص ١٣٣ ومابعدها)

أما عن أسلوب الكتاب فهو فى غاية التناسب ، وقد إعتمد المؤلف على كثير من أشعار الشعراء القدامى والأمثال ، وخاصة من منظومة كليلة ودمنة للشاعر الرودكى ومنظومة « آفرين نامه » للشاعر أبى شكور البلخى ، وشا هنامة الفردوسى وغير ذلك من المنظومات (١)

ومن نماذج ما جاء فى هذا الكتاب حديث المؤلف عن العلم وأهميته ودور العلماء فى نصيحة الملوك والأمراء ، يقول تحت عنوان « مدح العلم » :

« يعرف أهل الدنيا أن العلم هو أفضل الأشياء .. ويقول الرودكى فى منظومة كليلة ودمنة ، شعر :

- منذ أن خلق الله الدنيا من عهد آدم ، لم يكن هناك من يستغنى عن العلم .
- والعقلاء فى كل زمن ، يسعون لمعرفة أسرار العلم بأى لغة .
- فالعلم فى القلب كالمصباح المضئ ، وهو حماية لك من كل سوء .

وقال أنو شيروان العادل : العلم فى مقدمة كل المحاسن ، والشرف الكبير يتأتى من العلم ، وسعيد الحظ من كان العالم صديقاً له . شعر :

- يقول العاقل إن التأييد والعظمة ، يلا زمان الناس بالعلم وليس بالذهب .
- وعندما يكون العالم رجلاً كريماً ، فإن الشرف يسعى إليه بكل تأكيد .

وقال منو چهر : إن العلم كالمصباح المضئ ، ورغم أنهم يشعلون منه مصابيح كثيرة إلا أن هذا لاينقص من ضوئه . وقال الصينيون : إن العلم زينة الدين والدنيا ، وكل الأشياء تقل قيمتها عندما تكثر ، إلا العلم فإنه كلما زاد كلما زادت قيمته .

حكاية : أمر سليمان عليه السلام الرياح بأن تحمل عرشه وتهبط به على بوابة مدينة كتب على بابها : إن أجر سعى يوم درهم واحد ، ومكافأة الوقت الحسن مائة درهم ،وعلم ساعة واحدة لايقدر بثمن .

وقال بطليموس : إن العلم فى مقدمة كل الآراء والتدابير ، وقالوا إنه إذا لم يكن للعلم فضل وشرف كبير لما نفذ أمر العلماء على الخاصة والعامة والدماء والأموال بهذه

---

(١) گنجينهء سخن - تأليف دكتر ذبيح الله صفا - جلد سوم - تهران ١٣٥٣ ، ص ٢٦٤ ومابعدها .

الصورة ، ولما بقى اسم العلماء مكرما فى الدنيا ، ولما أخذ الملوك بآراء أهل العلم وأفكارهم .

يقول أبو شكور : شعر

– مع أن الأصل رفيعاً ، إلا أنه لايعلو على العلم ،
وإنما أصبح الأصل عزيزاً بسبب العلم .

وقال الحكماء : إن العلم معين للمرء فى الشدائد ، ورفيق ومعاون ومظاهر له عند العجز .

حكاية : كان حديث العلم مفيدا إلى حد أن الخليفة المعتصم كان قد غضب على أهل مدينة البصرة ، وقاد جيشه ووصل من بغداد إلى أبواب البصرة واراد الإغارة عليها ، فخرج شيوخ البصرة وأعادوا شراء البصرة بثلاثمائة ألف دينار ، ولم يرض الخليفة . وكان فى البصرة عالم يدعى عبد الرازق صنعائى ، من مشاهير علماء ذلك العصر ، وكان نديماً لهارون الرشيد ؛ فذهب إلى الخليفة المعتصم وتشفع عنده ، فلم يستجب له ، وقال : أخرج من البصرة أنت ورجالك والتحق بمعسكرنا لتنجو . فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، لقد قضيت فى هذه المدينة عشرين عاماً ، وكنت مع سكانها فى وقت الراحة والأمان ، ولا أستطيع الآن الإنفصال عنهم فى وقت الشدة .شعر :

– كل من يساعد صديقه ، لابد أن يكون صديقاً له حتى لو كان كافراً
– فعند الشدة يمكن معرفة الصديق ، بينما يوجد فى وقت السعادة مائة ألف .

ونهض ليعود أدراجه .وكان من جملة مريديه شاب عالم يتسم بإمارات الطيبة ويدعى (حريف)، فنهض وقال : يا أمير المؤمنين أعف عنهم ، لأنك لو ندمت على عدم معاقبتهم ، فسيكون ذلك دليلاً على أن لديك القدرة على العقاب وتلافيه ، أما إذا عاقبتهم وندمت بعد ذلك على عدم عفوك عنهم ، فلن يفيد الندم ، ولن يتيسر لك ذلك ، لأنهم قالوا : أربعة أشياء لايمكن الرجوع عنها : قول الكلام ، ورمى السهام ، والحزن على مامضى وماجرى به القضاء ؛ فأثر هذا الكلام فى المعتصم لأنه كان كلاماً عظيماً صدر من عالم ، وخلع على ذلك الشاب ، وعفى عن أهل البصرة .

وهكذا كان كلام العلماء مفيداً . شعر :

- كل من يقضى الزمن فى العلم ، لن يضيع وقته هباء ولا وقت معلمه ،
- إذ يمكن فهم الدنيا بالعلم ، ويمكن حل الأمور بواسطته .

ويقول بقراط : إن ثمرة العلم هى أنه يرفع منزلة المرء الذى يحصله . وقال الهنود : من لايكون العلم شعاراً ودثاراً له ، يكون فى منزلة العوام . وقال شهربان (أحد حكماء إيران القدماء) : إن العلم كالمطر المنهمر ، إذا طلبته لابد وأن يمطر عليك ذات يوم . شعر

- إجتهد حتى تصبح عالماً بسرعة ، لأنك عندما تصبح عالماً تصير عظيماً .
- فليس الأكثر رفعة هو الأكثر علماً ، بل الأكثرعلماً هو الأكثر رفعة ،
- ألا ترى الملوك على مالهم من عروش ومكانة ، يستفسرون من العلماء عن الطريق ،
- ومهما عمروا وبقوا فى أماكنهم ، لايستغنون عن العلماء دوماً ..

حكاية : قدم السلطان ملكشاه إلى نيشابور ، وقد مضى من شهر رمضان تسعة أيام . وكان المسئولون فى الولاية قد غفلوا عن استطلاع رؤية الهلال ، وذهبوا عند بعض العظماء وأخبروهم أنهم رأوا الهلال ، وأطلعت جماعة فى الخدمة الخاصة السلطان على أنه يجب أن يكون العيد غداً ، فلما صدر الأمر من السلطان سار منادى فى مدينة نيشابور ينادى بأن السطان يأمركم بأن تعيدوا غداً . فأخبروا الإمام أبا المعالى الذى كان قدوة عصره ، فسار منادى ينادى فى المدينة بأن أبا المعالى يقول بأنه سوف يصوم غداً ، وكل من يأخذ بفتواه لابد أن يصوم غداً ، فأوصل المغرضون هذا الكلام بصورة سيئة إلى السلطان ، وقالوا إن أبا المعالى يخالفك ، ولا شك أن الناس سيعملون بفتواه أكثرمما يعملون بما يقوله مناديك ، وسوف يضر هذا بنظام المملكة ، فتغير السلطان ملكشاه ـ رحمة الله عليه ـ تغيراً كبيراً ، ولكنه كان حسن العقيدة ، يخشى الله ، ويكن إحتراماً كبيراً لأهل العلم . ومع ذلك فقد تغير فكره، وأمر بعض خاصته قائلاً : إذهبوا وإستدعوا أبا المعالى بلطف وأدب . فقالوا : أيها السلطان ، أتحترمه بعد ما فعل من إهانة أمرك ؟ فقال السلطان : طالما أننى لم أسمع كلامه ، فلا يمكننى إنتهاك حرمة أهل العلم بناء على كلام الآخرين .

وعندما إستدعوا أبا المعالى نهض ولبس عمامته التى كان يرتديها فى المنزل ولبس حذاءه وجاء إلى قصر السلطان . فعندما رأوه وقد ارتدى هذه العمامة الصغيرة، ولم يربط حذاءه . قالوا للسلطان : أبا المعالى لم يقتنع بتنفيذ أوامرك ، وزاد فى عناده الآن لأن الذهاب إلى الملوك على هذا النحو نوع من قلة الأدب . فغضب السلطان من ذلك ، وأرسل الأمير الحاجب يعاتبه على مجيئه بهذه الملابس وهذا الحذاء . فرفع أبو المعالى صوته قائلاً : لابد أن يستمع السلطان إلى كلامى ، فالأمير الحاجب لن يفهم الكلام جيداً. وعندما أذن له قال : إعلم ياسلطان الإسلام أننى أصلى بهذه الملابس ، والملابس التى تليق بالوقوف بين يدى الله عز وجل تليق بالوقوف بين يدى السلطان أيضاً . إلا أن أهل الدنيا وسلاطين الزمان قد سنوا سنة وقاعدة بألا يذهب أحد إلى الملوك والسلاطين على هذه الشاكلة ، وقد أردت الحفاظ على هذه العادة ، إلا أنه عندما وصل إلى أمر السلطان وكنت أجلس بهذه الملابس خشيت إذا ماقمت بتغيير ملابسى أن يكتب اسمى فى صحيفة المتأخرين الذين يعصون السلطان ، وإذا كنت جالساً مرتدياً سروالاً لجئت به حتى لاتكتب الملائكة أن أبا المعالى قد قصر فى طاعة السلطان . فسر السلطان من هذا الكلام ، وقال له : إذا كانت طاعة السلطان واجبة بهذه الكيفية فلماذا فعلت خلاف ما نادى به المنادى ؟ فقال أبو المعالى : يجب علينا أن نطيع كل الأوامر التى تصدر عن السلطان ولكن ما يتعلق بالفتوى لابد أن يسأل فيه السلاطين العلماء ، وهل تطابق أوامرهم حكم الشرع أم لا ، وأما بالنسبة للصيام والعيد ، فهذا أمر يتعلق بالفتوى لا بالأوامر السلطانية . وعندما سمع السلطان ملكشاه رحمه الله هذا الكلام ، أعاد أبا المعالى إلى منزله معززاً مكرماً . بيت :

– عندما يطهى الشئ المر يصير حلواً ،
وبالعلم يصبح الكلام مليئاً بالجواهر .

ومن الذين كتبوا عن الأخلاق أيضاً فى الفارسية نذكر سراج الدين أبا الثنا محمود بن أبى بكر بن أحمد الأرموى من علماء وكتاب القرن السابع الهجرى المعروفين . ولد الارموى عام ٥٩٤ هـ فى مدينة اورمية (رضائيه الحالية) ، ودرس بها ثم انتقل إلى الموصل ثم دمشق وعاش بهما فترة ، ثم إنتقل إلى آسيا الصغرى حيث كان يحكم السلاجقة وإختار العيش فى مدينة قونية ، وأصبح قاضى القضاة بها ،

وكان يقوم بالتدريس كذلك . واحتل مكانة بارزة لدى عز الدين كيكاوس الثانى (متوفى ٦٥٥ هـ) وركن الدين قلج ارسلان الرابع (متوفى ٦٦٦ هـ) وغياث الدين كيخسرو الثالث (متوفى ٦٨٢ هـ) ولهذا الكاتب مؤلفات باللغة العربية والفارسية فى المنطق والحكمة والفقة والتفسير والحديث والأخلاق ، ومن أهمها كتابان بالفارسية أحدهما يسمى « لطائف الحكمة » والثانى يسمى «مجمل الحكمة » ، والكتاب الثانى ترجة وتلخيص لرسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، وقد توفى المؤلف عام ٦٨٢ هـ فى مدينة قونية . (١)

ومن نماذج ما كتبه فى كتابه « لطائف الحكمة » ماجاء تحت عنوان « حسن الخلق » يقول فيه : « إعلم أن العاقل يجب أن تكون أفعاله وأخلاقة مطابقة لمصلحة نفسه ومصلحة العالم . وذلك يتحقق بالإسراع إلى عمل كل فعل مستحسن واجتناب كل فعل مستقبح ، وأيضاً بالتحلي بكل خلق مستحسن حتى يصبح ملكة لأخلاقة كالحلم والسخاء والمروءة والإنصاف وما شابه ذلك ، والبعد عن كل خلق ردئ مستقبح حتى يثبت فى ذاته ما يقابله من أخلاق حسنة بقدر الإمكان . وكلما فعل ذلك يكون حكمه على ذاته عادلاً ، وتتحقق المصلحة الشخصية ومصلحة العالم المنوطة به » .

ويقسم المؤلف حسن الأفعال والأخلاق وقبحها إلى ثلاثة أقسام هى :

« القسم الأول : وفيه يكون حسن وقبح الأفعال والأخلاق ظاهراً مثل حسن العلم وقبح الجهل ، وحسن العدل وقبح الظلم ، وحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار ، إذ أن الناس جميعاً يعلمون أن العلم والعدل والصدق النافع أمور حسنة ، وأن الجهل والظلم والكذب الضار أمور قبيحة .

القسم الثانى : وفيه يكون حسن وقبح الأفعال والأخلاق ليس ظاهراً ، إلا أن العاقل يمكنه إدراك حسنها وقبحها عن طريق النظر والتفكر مثل حسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، لأن كل واحد منهما يشتمل على وجه من وجوه القبح ، فالصدق حسن من جهة أنه صدق ، وهو قبيح من جهة أنه ضار ، والكذب النافع قبيح من جهة أنه كذب ، وهو حسن من جهة أنه نافع . ومن ثم فإن العاقل عندما يدقق النظر يرى أن جهة الحسن ترجح على جهة القبح ، فيحكم بحسنه ويمارسه ، وإذا رجح جانب القبح

---

(١) گنجينهٔ سخن - جلد پنجم - ص ١ ومابعدها .

على جانب الحسن يحكم بقبحه ويتجنبه .

القسم الثالث : وفيه يكون حسن الأفعال والأخلاق وقبحها ليس ظاهراً ، ولا يتمكن العاقل من معرفة حسنها وقبحها ، بينما يعرف الشرع حسنها وقبحها مثل حسن صوم آخر يوم فى رمضان وقبح صوم أول يوم من شوال ، ذلك أن اليومين متصلين ببعضهما ، ومتساويين فى الماهية الزمانية ، ولكن عندما أوجب الشرع صوم اليوم الأخير من رمضان وحرم صيام اليوم الأول من شوال ، أصبح معلوماً أن ذلك حسن وهذا قبيح .

وإذا كانت هذه المقدمة قد فهمت فإننا نقول : إعلم أن كل ماجاء به الشرع فهو حسن ،وكل ما منعه الشرع فهو قبيح . والشرع لايمنع مطلقاً مايحكم العقل بحسنه ، إلا إذا كان شيئاً له وجهان : وجه حسن وآخر قبيح .. وإعلم أن الأفعال المكلفة طبقاً لأحكام الشرع خمسة أقسام : الواجب ، والمحرم ، والمندوب ، والكروه ، والمباح .

ويرى المؤلف أن الخلق على قسمين : أولهما الخلق الحسن ،وثانيهما الخلق السئ . وتصدر الأفعال الحسنة عن الخلق الطيب ، وتصدر الأفعال السيئة عن الخلق السئ ، ويعرف الخلق بأنه «هيأة راسخة ثابتة فى النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة دون حاجة للتفكير ، ويكمن مبدأ الأخلاق فى أربع قوى هى : قوة العقل ، وقوة الغضب، وقوة الشهوة ، وقوة العدل .

وهذه القوى الأربع هى أصل جميع الأخلاق الحسنة والسيئة ، ونتيجه كمال قوة العقل تكون الحكمة ، ونتيجة كمال قوة الغضب تكون الشجاعة ، ونتيجة كمال قوة الشهوة تكون العفة ، وكل من تتوفر فيه الحكمة والشجاعة والعفة والعدل يكون قريباً من درجة الملائكة ، وبعيداً عن منزلة الشياطين، وقدر ما يبتعد الإنسان عن منزلة الملائكة بقدر ما يقترب من منزلة الشياطين » .

ويذكر المؤلف عدة براهين على حسن الخلق ، منها ما جاء فى القرآن الكريم فى معرض الثناء على الرسول (صلعم) فى قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم» . وقول المصطفى (صلعم) : أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن. وقوله عليه الصلاة والسلام: « سوء الخلق يفسد العمل ما يفسد الخل العسل» . وقوله أيضاً : أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق . وقوله أيضاً : إن أحبكم

إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة احاسنكم اخلاقاً .

ويذكر المؤلف من هذه البراهين أيضاً ما قاله لقمان الحكيم عندما سأله إبنه : أى الخصال أفضل ؟ فقال له : الدين ، فقال : فإن كانت خصلتان . قال : الدين والمال. وقال : وإن كانت ثلاث خصال . قال : الدين والمال والحياء . قال : إن كانت الخصال خمس . قال : الدين والمال والحياء والخلق والسخاء . قال : وإن كانت ست خصال ، قال : أى بنى ، من تجتمع فيه هذه الخصال الخمس فهو نقى تقى ، لله ولى ، من الشيطان برئ . (١)

ومن الذين كتبوا عن الأخلاق نذكر أيضاً « شجاع » ، وهو من كتاب القرن التاسع الهجرى، وقد ألف كتاباً باسم « أنيس الناس » فى الأخلاق والآداب الإجتماعية، مستفيداً فى ذلك من الكتب السابقة عليه فى هذا الصدد ، وذلك عام ٨٣٠ هـ ، وأهداه إلى أبى الفتح إبراهيم السلطان التيمورى الذى حكم فى فارس من عام ٨١٧ إلى عام ٨٣٨ ، ويعد نثر هذا الكتاب ضعيفاً فى المواضع التى لم ينقل فيها من كتب القدماء السابقين عليه . (٢)

ومن الموضوعات التى تناولها المؤلف فى كتابه موضوع إختيار الأصدقاء وضرورة أن يكون للإنسان أصدقاء ، يقول : « إعلم أنه طالما بقى الناس على قيد الحياة فلا مناص من أن يكون لهم أصدقاء ، فالإنسان الذى لا أخ له أفضل من الإنسان الذى لاصديق له . فقد سألوا حكيماً : هل الأخ أفضل أم الصديق ؟ قال : الأخ الصديق أفضل .

وإعلم أن استحكام الأخوة والقرابة يكون بالصداقة ، كما هو الحال بالنسبة لاستحكام العقل بالتجربة ، واستحكام النسب بالحسب ، واستحكام العظمة بالكرم ، والأخ الذى يعمل لصالحه فقط ليس أخا ولا قريباً » .

ثم ينصح المؤلف بمراعاة الأصدقاء وحسن التعامل معهم حتى تظل صداقتهم

---

(١) انظر كتاب "گنجينهٔ سخن " – جلد پنجم ، ص ١ ومابعدها ، نقلا عن كتاب " لطائف الحكمة" ص ١٦٧ ومابعدها ، بتصحيح دكتر يوسفى - تهران ١٣٥١ .

(٢) گنجينهٔ سخن – جلد پنجم – ص ١٨٨ ومابعدها .

قائمة يقول : «وفكر فى حال الأصدقاء بمراعاة آداب المروءة والإنسانية ، فكل من لايفكر فى الأصدقاء ، لن يفكر الأصدقاء فيه ، فيبقى بلا أصدقاء . ومن الأمثال قولهم : المرء بلا صديق سئ الحظ .

ويدعو المؤلف الناس إلى كسب الأصدقاء وتحويل أنصاف الأصدقاء إلى أصدقاء كاملين ، وينصحهم بحسن الخلق معهم وتحملهم والصبر على أفعالهم ، حتى لا ينفروا منهم ، ويربط بين الخلق الحسن واستمرارالصداقة ، وبين الخلق السئ وانتهائها وذلك من خلال أبيات من الشعر تقول:

– كل من أعطاه الله خلقاً حسنا، يكون مع الأصدقاء حتى لو كان وحيداً

– وإذا إقترن الخلق السئ بإنسان ، يكون وحيداً حتى لو كان مع الأصدقاء .

ويرى أن طبقات الناس لاتخلو من ثلاثة أنواع ؛ فإما أن يكونوا أصدقاء ، أو يكونوا لا أصدقاء و لا أعداء ، أو يكونوا أعداء . ويعتقد أن الصنف الأول لا غنى عنه كالأكل والشرب ، أما الصنف الثانى فيمكن الإستفادة منهم عند الحاجة ، أما الصنف الثالث فيجب إجتنابهم والبعد عنهم لأنهم يضمرون الشر والعداء . ويستشهد على ذلك بقول الإسكندر عندما سألوه عن كيفية استيلائه على كل هذا الملك فى فترة قصيرة ، فأجاب : بجعل الأعداء أصدقاء باللطف واللين ، والحفاظ على الأصدقاء بالوفاء .

وينصح المؤلف أيضاً بعدم مصادقة من لا فضل ولا علم له ، لأن الفلاح لا يأتى من الصديق الجاهل ، ولابد للإنسان من مصادقة الكريم والأصيل ، وعدم مصادقة اللئيم والسفيه .

ومن نصائحه كذلك التكبر مع السفلة وسيئ الأصل ، لأن التواضع معهم يجعلهم يتكبرون ، ويسيئون إلى الأصيل بدلا من الإحسان إليه ، أما إذا إحترم الإنسان من يتميز بالأصالة فإنه يزداد تواضعاً وإحساناً .

كتاب " مكارم الأخلاق "

أما الكتب التى تناولت الأخلاق بصفة خاصة فنذكر فى مستهلها كتاب « مكارم الأخلاق» تأليف رضى الدين النيشابورى (متوفى ٥٩٨ هـ) ، وهو من علماء وشعراء

أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين . ولرضى الدين ديوان شعر ، ويقال أنه كان ينشد الشعر بالعربية أيضاً . كما ورد فى كتاب « مكارم الأخلاق » أنه الف كتاباً آخر هو «روضة الوفاء » ، ويبدو من عنوانه أنه يتحدث فيه عن الوفاء ، فقد ذكر فى الباب الثامن والثلاثين أنه يكتفى بهذا القدر من الحديث عن الوفاء لأنه فصل فيه القول قبل ذلك فى كتاب « روضة الوفاء » .

يبدأ المؤلف كتابه ببيتين من الشعر هما :

الحمد لله حمدا يجلب النعما	ويمترى من غوادى فضله الديما
ثم الصلاة على خير الورى شرفا	محمد ظل يهدى نوره الأمما

ويضم الكتاب أربعين بابا ، تناول فيها المؤلف الموضوعات التالية : الكرم والخلق أقسام الخلق وما هيته - تطهر النفس من الأخلاق الذميمة وإكتساب الخصال الحميدة - السخاء والبخل - العزة والذلة والإيذاء والإستهزاء - البطالة والكسل - التواضع والتكبر - الثبات والتردد - الجد والجهد - الحياء - الحزم - الحقد والحسد - الخلف والوعد - الدناءة وضدها - حفظ الغيب وذم الغيبة - الرحمة والقسوة - الصدق والكذب - الصمت وضده - الشجاعة والجبن - الصبر - الضرر والعناء - الطمع - العدل وضده - العتاب - العجب - العشق - العفو - العفة - الغضب والحلم - التفكر - الرفق وضده - القناعة - الشكر والكفران - كتمان السر - اللعب واللهو - المشورة - السعاية والنميمة - الوفاء - الهداية اليقين .

ويبدو أن المؤلف إقتبس اسم الكتاب من حديث الرسول (صلعم) الذى اورده عند حديثه عن فضيلة الكرم والخلق وهو : « إن الله تعالى كريم يحب مكارم الأخلاق »، أو قوله : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

والكتاب مكتوب باللغة الفارسية ماعدا بعض الجمل والعبارات والأبيات التى ترد باللغة العربية ، بخلاف الأيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية .وقد ذكر المؤلف فى كتابه مايقرب من ٣٣٦ بيتاً عربياً ، كما تخللت بعض أبواب الكتاب أبيات من الشعر الفارسى يصل عددها إلى حوالى سبعين بيتاً فارسياً . وقد يؤيد الكاتب وجهة نظره ببعض أقوال حكماء الفرس القدماء، وقد يأتى ببعض أقوال حكماء اليونان أيضاً .ويدعم المؤلف رأيه دائماً ببعض الحكايات ، وهذا الأسلوب معروف فى كل كتب

الأخلاق والنصيحة الفارسية . وهو ينقل أحياناً قصصاً عربية أو بعض الحكايات التاريخية .

أما عن الأسلوب الذى إتبعه المؤلف بصفة عامة فى عرض موضوعاته الأخلاقية فهو عادة يبدأ بتعريف الفضيلة التى يتناولها ويمدحها ، ثم يذكر آية قرآنية ثم حديثاً شريفاً يشيران إلى هذه الفضيلة . فمثلاً عندما يتحدث عن الصبر يقول : الصبر هو الثبات على الإمتناع عن المفسدة التى يثيرها الطمع ، وفضيلته كبيرة ، قال تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (الزمر ١٠) ، ويذكر بعد ذلك آية أخرى هى قوله تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » (السجدة ٢٤) ، ثم يذكر حديثاً شريفاً هو قول الرسول (صلعم) : « الصبر نصف الإيمان » . ويأتى المؤلف بعد ذلك ببعض الحكايات التى تؤيد مقولته ، ويستشهد على ذلك بعدة أبيات من الشعر ، فيورد مثلاً عن الصبر قول الشاعر :

الصبر أوله مر مذاقته   لكن آخره أحلى من العسل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة   وأفضل أخلاق الرجال التفضل [(١)]

ثم يذكر فى ثنايا حديثه عن الصبر بيتين بالفارسية معناهما :

- إن قدر المرء ومكانته ليست بالادعاء ،
  بل إن قيمته تكمن فى قدرته على الصبر
- ولربما رأيت فى المرء العلم والشوكة والبأس ،
  ولكن عليك أن تعرفه من صبره .

وقد تأثرت بعض كتب الأخلاق بهذا الكتاب كثيراً ، نذكر منها على سبيل المثال كتاب « أخلاق محسنى » [(٢)] لملا حسين واعظ الكاشفى السبزوارى (متوفى ٩١٠ هـ) وقد نقل مؤلفه كثيراً من الحكايات والشواهد الشعرية من « مكارم الأخلاق » .

---

(١) انظر كتاب مكارم الأخلاق ص ١٠٥ - رضى الدين الينشابورى - تهران ١٣٤١ .

نه بدعويست قدر وقيمت مرد   قيمت مرد صبر داند كرد
علم بينى وشوكت وبأس   ليك تو مرد را بصبر شناس

(٢) اخلاق محسنى - لكهنو - يوليو ١٩١٢م - ١٣٣٠هـ .

ولا شك أن كتاب «مكارم الأخلاق » إعتمد فى كل ما ذكره عن الأخلاق على تعاليم الدين الأسلامى ، وإستند على ما جاء فى القرآن والسنة ، وما تشابه معها من أقوال القدماء . ولم ينحو فى كتابه منحنى فلسفياً فى الأخلاق كما فعل غيره من كتاب الفرس . والمؤلف يقدم مكارم الأخلاق بأسلوب سهل مبسط بعيد عن التكلف والزخرف، ويخلط ذلك بالحكايات التى تعبر عن المضامين الخلقية ، فلا يجد القارئ مللاً عند قراءته ، وهذا الأسلوب هو الذى إتبعه فى الفارسية كثير من كتاب كتب الأخلاق والنصائح والتربية .

نموذج من كتاب " مكارم الأخلاق " :

الباب الثالث والعشرون : فى العدل وضده

قال الله تعالى : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، عندما أراد الله تعالى وصف الشرك بغاية القبح سماه بالظلم ، قال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » .

لما كان أنوشيروان العادل ـ خفف الله عنه العذاب ـ عادلاً رغم كفره ، فإن أفضل خلق الله عليه الصلاة والسلام ذكره فقال : « ولدت فى زمن الملك العادل أنو شيروان » بيت :

– لايوجد عمل أفضل من العدل فى العالم ،

ولانار لملك طالما كان عادلاً .

قال الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، وقال أرباب الحقائق أن كل الشرائع متضمنه فى هذه الآية ، فإذا لم يرافق العدل الحماية ، أوقع أصحاب القوة والشوكة الدمار والأذى بضعفاء الخلق، وعندما يهلك الضعفاء لن يبقى الأقوياء ، لأنهم ليسوا مستقلين فى معيشتهم .

وقد جاء فى الحديث النبوى : « الملك يبقى مع الكفر ولايبقى مع الظلم » .

عندما جاء نصر بن سيار إلى سمرقند ، أرسل ملك تركستان أمه ومعها الهدايا الكثيرة والتحف الوفيرة إلى نصر ، وطلب الصلح . فأجابه نصر إلى ذلك . وفى المجلس الذى حضرت فيه أم ملك تركستان جرى حديث على لسانها كانت كل عبارة فيه واسطة عقد الحكم ، وختمته بقولها : « لا ملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعمارة ، ولاعمارة إلا بالعدل والسياسة » .

وقال أحد الزهاد ينصح المنصور : إننى وصلت فى رحلاتى إلى بلاد الصين ، وكان ملك الصين قد فقد حاسة السمع ، فجمع الوزراء وقادة الجيش ، وأخذ يبكى إلى درجة جعلت الحاضرين لايستطيعون الكف عن البكاء معه ، وأخذوا يواسونه بكل العبارات لمساندته ، فقال الملك : إننى أبكى على حاسة السمع ، العاقل يعلم أن الفناء هو عاقبة الوجود ، وأن خاتمة الحياة هى فتور القوى والحواس وضعفها ، أنا لا أبكى على فقدان بعضها ، ولكن أبكى لأن مظلوماً يصيح طالباً للعدل ولايصل صوت إستغاثته إلى مسمعى . ثم أمر منادياً ينادى فى تلك الديار بأن يرتدى المظلومون أردية حمراء اللون حتى يتعرف عليهم وينصفهم .

عاد ملكشاه ذات مرة من الصيد إلى أصفهان ، ونزل فى مزرعة تقع على أطراف قرية ، وعثر عدة غلمان فى أطراف تلك القرية على بقرة لم يستدل على مالكها وذبحوا البقرة وتناولوا جزءاً من لحمها ، وكانت تلك البقرة لعجوز تتقوت بلبنها هى وأربعة يتامى ، وعندما علمت العجوز بتلك الحادثة وقعت مغشياً عليها . شعر عربى :

ما حال من كان له واحد   غيب عنه ذلك الواحد .

فذهبت فى جوف الليل إلى جسر (زنده رود) حتى يمر ملكشاه فى الصباح من هناك ، وجلست تنتظر إلى أن وصل موكبه ، فقامت وأمسكت بعنان جواده وقالت : يا ابن الب ارسلان ، إذا لم تنصفنى على جسر (زنده رود) فبجلال الله لن أتوانى عن مخاصمتك حتى آخذ حقى منك وأنت على الصراط ، فكر جيداً أى الجسرين تختار . ولما كان حديث العجوز من أعماق قلبها المتألم ومؤثراً، فقد وقعت الهيبة فى قلب ملكشاه ، ودب فيه الخوف فقال : يا أماه ليست لدى القدرة على أداء ذلك على الصراط، من ظلمك ؟ حددى من هو حتى أعيد لك حقك ، قالت العجوز إن الظلم قد وقع على منك ، لأن ما يفعله غلمانك يضاف إلى أعمالك ويكون نتيجة غفلتك . فبكى ملكشاه وأمر بأن يخصص لها فى الحال سبعون بقرة من طريق حلال بدلاً من تلك البقرة ، وعنف غلمانه وعاقبهم عقاباً شديداً .

وبعد أن إنتقل ملكشاه من دار الفناء إلى دار البقاء ظلت العجوز على وفائها لحق إنعامه ، فاغتسلت فى منتصف الليل وصلت ركعتين وسجدت على الأرض وقالت تناجى ربها وعيناها تذرفان الدمع : ربى لما كان ابن الب ارسلان قد أنصفنى وأقام

العدل وأدى الفضل ،فتفضل عليه يا أكرم الأكرمين برحمتك .

والخلاصة أن حسن عاقبة الإنصاف غنى عن الشرح ، وسوء عاقبة الظلم غنى عن البيان . يقول بزرجمهر : « لاتدع ظالماً على ظلمه ، فإن ظلمه يكفيك ما تحبه ينزل به من عقوبة » ونعوذ بالله أن ترد دعوة مظلوم من الحضرة الإلهية ، قال عليه الصلاة والسلام : « إتقوا دعوة المظلوم فإنها لاترد » **بيت عربى :**

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً　　فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه　　يدعو عليك وعين الله لم تنم

بيت :

– عندما يأتى اليوم الذى تكون فيه قادراً على أهل زمانك ،
أنظر إلى العاقبة ، وقصر يد الظلم عنهم .
– ولا تمد يد الظلم بهذا القدر ، واعلم
أن الله لايغلق بابه أمام دعوة مظلوم .

شعر عربى

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم　　فإن مرضت فنحن السالمون غدا
دعت عليك القطان ما ظلمت　　ولن ترد يد مظلومة أبداً

ويقول ابو الفتح السبتى : **شعر عربى**

يا ظالماً مرحا بالعز ساعده　　إن كنت فى سنة فالدهر يقظان

وجاء فى أمالى السيد الإمام الخطيب المدنى فى سمرقند أنه كان فى بلاد الصغد ظالم تأذى الناس من ظلمه وتعذبوا من تعديه عليهم . وعندما كثرت الشكوى من ظلمه وعدوانه على أعتاب الخالق عز إسمه ، وكان ينام ذات ليلة على سريره فوق سطح منزله ، إذ إنطلق سهم ناحية صدره ونفذ من ظهره ، فمات . وفى اليوم التالى وجدوا كتابة على السهم تقول :

شعر عربى :

تبغى وللبغى سهام تنتظر　　دموع عينى باكيات فى السحر
أصابع المظلوم فى وقت السحر　　أنفذ فى الأضلاع من وخز الإبر
تلك سهام تتقى وتحتذر

شعر :

– تجاوز ظلمك للمسلمين الحد ،
إخشى الله ، أى عدم إسلام هذا
– ليبعد الله شرك عن الخلق ،
فليس لوجه الدنيا رونق فى وجودك .

ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالعدل فى كثير من الآيات كقوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » (النساء ٥٨)

كما حض الرسول (صلعم) على العدل فقال : « لايقضين حكم بين إثنين وهو غضبان » . وقال : « الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال : « من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » (١) .

---

(١) انظر كتاب " من أخلاق النبى " ص ٩٧ ومابعدها .

باب بيست وسوم
در عدل وضد وى

قال الله تعالى : " ألا لعنة الله على الظالمين " چون آفريدگار تعالى خواست كه شرك را بنهايت قبح صفت كند ، اورا ظلم خواند ، قال الله تعالى : " إن الشرك لظلم عظيم ".
انو شيروان عادل خفف الله عنه العذاب ، باسمت كفر چون حليهء معدلت داشت ، مهتر عالم عليه السلام ازاو ياد كرد كه : " ولدت فى زمن الملك العادل انو شروان ".
بيت :
به از عدل كاندر جهان كارنيست   ملك را كه عادل بود نار نيست
قال الله تعالى : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " ارباب حقيقت گفته اند كه جملهء شرايع مضمون اين آيت آست ، چه اگر حمايت معدلت نباشد ارباب قوت وشوكت دمار از ضعفاء خلق بر آرند ، وچون ضعيف حالان هلاك شدند ، اقويا برجاى بنمانند ، چه ايشان در معايش مستبد ومستقل خويش نيستند.
ودر لفظ نبوى (ص) آمده است : " الملك يبقى مع الكفر ولايبقى مع الظلم ".
وچون نصر بن سيار بسمرقند آمد ، ملك تركستان مادر خود را باهدا ياى بيشمار وتحفهء بسيار بحضرت نصر فرستاد، وصلحى التماس كرد. ونصر آن التماس را باجابت پيش رفت.
ودر مجلسى كه مادر ملك تركستان را بار فرموده بود ، سخنانى برزبان آنزن اتفاق مى افتاد كه هريك واسطت عقد حكم را شايد ، وخاتمت برين كلمه بود كه " لاملك إلا بالرجال ، ولارجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل والسياسة " ملك بى لشكر =

....

= تمهید نیابد ، ولشکر رابی مال بر طاعت ملوك إجتماع نباشد ، ومال جزاز بلاد معمور حاصل نگردد ، وعمارت ولایت بی تاب آفتاب معدلت دست ندهد.

ویکی از زهاد در نصیحت منصور چنین گفت که در اسفار خویش ببلاد چین رسیدم ، وملك چین را حس سامعه باطل شده بود ، وزراء ونقباء لشکر را جمع کرد ، وچنان زار گریست که جملهء حاضران آب چشم را نتوانستند ضبط کردن ، واز برای سلوت پادشاه هر نوع تغذیت وتقویت می کردند. ملك گفت : بر حس سمع میگریم ، خردمند خود داند که عاقبت وجود فنا است ، وخاتمت زندگانی فتور قوی وحواس است ، بر بطلان بعضی نگریم ، بر آن میگریم که مظلومی داد خواه بر در فریاد کند ، وصداء إستغاثت او بگوش من نرسد. پس منادی را فرمود که در آن دیار ندا کردند که جامهء سرخ جز مظلوم نپوشد ، تا بدان علامت برحال مظلومان إطلاع یابد ، وداد إیشان بدهد.

وملکشاه در سپاهان از شکار باز میگشت ، در مرغزاری برلب دیهی نزول فرمود. چندتن از غلامان خود بر حوالی آن دیه گاوی یافتند ، که آن را حافظ وصاحب یدی معین نبود ، گاورا بذبح آوردند ، وپاره ای ازگوشت وی بکار بردند ، وان گاو از آن گنده پیری بود که اورا باچهار یتیم بشیراو تعیش حاصل بود. چون گنده پیررا از آنواقعه خبرشد از خود بیخود گشت.

شعر :

ما حال من کان له واحد غیب عنه ذلك الواحد

چگونه باشد حال کسی که اورا یکی باشد ، وآن یك نیز از وی غائب شود.

در دل شب بسر پل زنده رود رفت ، که بامداد گذر ملکشاه خواست بود. وچون آنجا بنشست ، منتظر می بود ، تا رکاب دولتش برسید ، برخاست وعنان اورا بگرفت وگفت : ای پسر الب ارسلان ، اگرداد من بسرپل زنده رود ندهی ، بجلال آفریدگار که بر سر پل صراط با انصاف خود از تو نستانم دست مخاصمت از دامن تو کوتاه کنم. نیك اندیشه کن ، از این دو سر پل کدام اختیار میکنی ؟ چون سخن پیرزن ازدرد دل بود وسوز رقت ، مؤثر افتاد. باطن ملکشاه مستغرق هیبت این سخن شد ، وگفت زینهار ، ای مادر من ، طاقت جواب آن سر پل ندارم ، برتو که ظلم کرده است ؟ تعیین کن ، تا انصاف بستانم. پیر زن گفت ظلم برمن تو کرده ای ، که هرچه بندگان تو کنند مضاف برتو باشد ، وثمرهء غفلت تو بود. ملکشاه بگریست وبفرمود : تا همان ساعت یکی ماده گاو را هفتاد گاو از حلالی ترین وجهی معین دادند ، وغلامان را زجری عنیف و،تعریکی بزرگ نمود.

وبعد از آن بچند گاه چون از دارفنا بدار بقار حلت کرد ، پیر زن را حق انعام ملکشاه دامن گیر شد ، تانیم شب غسل بسنت بر آورد ، ودو رکعت نما زکرد ، پس روی برخاك نهاد ودر مقام منا جات بآب دیده گفت : پادشاها ، پر ورد گارا. چون پسر الب ارسلان بالئیمی =

....

= خویش   در حق من بر عدل اقتصار نفر مود ، هم عدل اقامت نمود وهم فضل بجا آورد ، تو اکرم الأکرمین تفضل فرمای. بعد از آن یکی از در جملهء حسن عاقبت انصاف از شرح مستغنی است ، ووخامت سر انجام ظلم از بیان بی نیاز.
وبزرجمهر میگوید : " لاتدع ظالما علی ظلمه ، فإن ظلمه یکفیك ماتحبه ینزل به من عقوبة ". بر هیچ ظالم دعای بد مکن ، که ظلم او بهر عقوبت که مراد تست اورا مبتلا کرده اند. ونعوذ بالله که دعای مظلوم از سرسوز بحضرت الهی برای انتصار رجوع کند. قال علیه السلام " إتقوا دعوة المظلوم فإنها لاترد " بترسید ازدعای مظلوم ، که آن دعابر حضرت آفریدگار رد نیست.
بیت :
لاتظلمن إذا ما کنت مقتدرا   فالظلم آخره یأتیك بالندم
نامت عیونك والمظلوم منتبه   یدعو علیك وعین الله لم تنم
بیت :
روزی که دست یابی براهل روزگار   در عاقبت نظر کن وکوتاه دار دست
دست ستم دراز مکن إینقدر بدان   کایزد در اجابت مظلوم در نبست
شعر :
کنت الصحیح وکنا منك فی سقم   فإن مرضت فنحن السالمون غدا
دعت علیك القطان ما ظلمت   ولن ترد ید مظلومة أبدا
وابو الفتح بستی گوید :
شعر :
یا ظالما مرحا بالعز ساعده   إن کنت فی سنة فالدهر یقظان
ودر امالی خواجه امام خطیب مدنی نوشته آمده است در سمرقند باسناد که در سغد ظالمی بود خلایق از ظلم اودر رنج ، واز تعدی اودر عذاب. چون شکایت ظلم وعدوان او بر درگاه آفرید گار عز إسمه بسیار شد ، شبی بر بام خویش بر تخت خفته بود ، تیری بیامد بر سینهء أو که از پشت او نفوذ کرد ، ودر آن هلاك شد. روز دیگر دیدند بر آن تیرنوشته ،
شعر :
تبغی وللبغی سهام تنتظر   دموع عینی باکیات فی السحر
أصابع المظلوم فی وقت السحر   أنفذ فی الأضلاع من وخذ الإبر
تلك سهام تتقی وتحتذر.
شعر :
گذشت ظلم تو زاندازه بر مسلمانان   زکر دگار بترس این چه مسلما نیست
خدای شر تو از روی خلق دفع کناد   که با وجود تو روی جهان بویرا نیست
(مکارم الأخلاق - طهران ۱۳٤۱ ص ۱۲٥ - ۱۳۰).

كتاب " أخلاق محتشمى "

ويأتى بعد هذا الكتاب كتابان آخران هما : « أخلاق محتشمى » و « أخلاق ناصرى » لنصير الدين الطوسى (متوفى ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م) ،والكتابان يختلفان عن بعضهما من ناحية طريقة التأليف ؛ فالأول يتناول مكارم الأخلاق من وجهة نظر الآيات القرآنية وأخبار الرسول وأحاديثه وأفكار أئمة الإسماعيلية ودعاتها وأقوال الحكماء والعظماء ، والثانى يتناول الأخلاق من وجهة نظر الفلاسفة وقد كتبهما نصير الدين باسم ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور محتشم قهستان (متوفى ٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م) .

وننقل هنا نموذجاً من كتاب « أخلاق محتشمى » لنصير الدين الطوسى ، وهو فى كل أبواب الكتاب الأربعين يتبع طريقة واحدة فى حديثه عن الأخلاق وهى ذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال للأئمة والحكماء حول كل موضوع من الموضوعات مع ترجمه فارسية لها ؛ ومثال ذلك باختصار ما جاء فى الباب الرابع والعشرين فى حسن الخلق ومكارم الأخلاق [1]:

١ - « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ،إدفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » (فصلت ٣٤)

ترجمة : ويكسان نباشد نيكى وبدى ، دفع بوجه أحسن كن : تا آنكس كه دشمن تو باشد مانند دوستى شود خويشاوند ، وتوفيق ندهد درين جز صابران را وخداوندان بهره‌ء تمام را.

٢- " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى " (البقرة ٢٦٣) .

ترجمه : سخن نيكو وآمرزش گنا هى ، بهتر از صدقه ايست كه رنجانيدنى در عقب أو باشد .

٣ - « والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون » .(الشورى -٣٧)

ترجمه : در وصف مؤمنان ميفرمايد : وآنكسانى كه از گناههاى بزرگ

(١) أخلاق محتشمى - نصير الدين الطوسى - تهران ١٣٣٩ ص ٤٨ ب ومابعدها .

وزشتيها إجتناب كنند ، چون درخشم شوند عفو كنند .

٤ - « ويدرءون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم »(القصص ٥٤ ، ٥٥) .

ترجمة : ودفع ميكنند بنيكى بدى را ، واز آنچه إيشان را روزى داده ايم نفقه ميكنند ، وچون نا فرجام شنوند از آن اعراض كنند وگويند ما راست عمل ما وشمارا عمل شما ، سلامت باد شمارا .

٥ - حسن الخلق نماء . لا حسب كحسن الخلق . إن أحسن الحسن الخلق الحسن . البر حسن الخلق . من سعادة المرء حسن الخلق .

ترجمه : خوى خوش سبب فزودن باشد . هيچ حسب وهنر چون خوى خوش نبود . بهترين چيزى خوى خوش بود . نيكويى خوش خوي است . از نيكويى مرد باشد خوش خويى او .

٦ - تخلقوا بأخلاق الله ، إن اكثر الناس يدخلون الجنه بتقوى الله وحسن الخلق .

ترجمه : خلق خدا گيريد در كارها . بيشترين مردم را كه در بهشت برد پرهيزكاريست وخوش خوي .

٧ - إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

ترجمه : مرا فرستاده اند تا مكارم اخلاق باتمام رسانم، وآن را بكمال برم . شما نتوانيد كه با مردان بمالها نيكوئى كنيد ،پس بايشان نيكويى كنيد بأخلاق خويش .

٨ - لاتجلسوا على ظهور الطرق ، فإن ابيتم فغضوا الأبصار ، وردوا السلام ، وإهدوا بأخلاق الضالة ، وأعينوا الضعيف .

ترجمه : بر راهها منشينيد ، أگر لا بد خواهيد نشست چشم نگاه داريد ، وجواب سلام دهيد ، وگمراه را راه نماييد وضعيفان را يارى كنيد

٩ - من رغب فى المكارم عف عن المحارم . فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

ترجمه : هركه در مكارم راغب بود از محارم پرهيز كند . در خوش خوي گنجهاى ، روزى بود .

١٠ - قدر الرجل على قدر همته ، وصدقه على قدر مروته، وشجاعته على قدر أنفته ، وعفته على قدر غيرته .

ترجمه : قدر واندا زهء مرد بر قدر همت او بود ، وصدق او بر قدر مروت او، وشجاعت او بر قدر حميت او ، وپرهيزكارى او برقدر غيرت او .

ويأتى بعد هذين الكتابين كتاب « لوامع الإشراق فى مكارم الأخلاق » المعروف باسم «أخلاق جلالى » لجلال الدين محمد بن أسعد الدوانى (متوفى ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢م) ، وقد كتبه مؤلفه باسم السلطان خليل بن اوز ون حسن مؤسس أسرة آق قويونلو ، وطبقاً لما ذكره المؤلف نفسه فقد إقتبس موضوعاته من كتاب أخلاق ناصرى لنصير الدين الطوسى ، كما يحتوى الكتاب على موضوعات فى تدبير المنزل وسياسة المدن ، وأسلوب الكتاب يتميز بالتكلف والصنعة .

كتاب " أخلاق محسنى "

يعد كتاب « أخلاق محسنى » من كتب الأخلاق الهامة ،ومؤلفه هو ملا حسين الواعظ الكاشفى السبزوارى (متوفى ٩١٠ هـ - ١٥٠٤ م) ، يقع الكتاب فى أربعين باباً، وكتبه مولفه باسم أبى المحسن بن السلطان حسين بايقرا ، ولهذا سمى بأخلاق محسنى . ويتناول المؤلف فى كتابه مجموعة من مكارم الأخلاق كالعفو والصبر والحلم والعفة والعدل والصدق والسخاء والإحسان والشجاعة وغير ذلك .

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة (١) يمدح فيها الرسول (صلعم) ،ويذكر أن الله وصفه بأنه على خلق عظيم ، ويرى أن حسن الخلق « نور من أنوار الحكمة الإلهية ، وسر من أسرار العزة الملكية » ، وأن الهدف من بعثة الرسول هو إتمام مكارم الأخلاق ، ومن ثم قال (تخلقوا بأخلاق الله) ، وأول ما يوزن في ميزان القيامة الأخلاق الحسنة ثم الأعمال الحسنة ، وذكر أن « الحكماء قالوا إن تهذيب الأخلاق طريق مضئ ، ولايمكن الوصول إلى منزل الشرف والسيادة إلا بالنهج على هذا المنهاج ». ثم يتحدث عن ضرورة وجود المكارم لإقامة الشريعة ويذكر فى ختام مقدمته فهرساً لابواب الكتاب

---

(١) مقدمة كتاب " أخلاق محسنى " من ص ٢ إلى ص ٦ - طبعة لكهنو يوليو ١٩١٢م - ١٣٣٠هـ .

الأربعين .

ويسير المؤلف فى كتابه على نهج واحد فى عرضه لمكارم الأخلاق، فهو يضع عنواناً لكل باب، ثم يعرف كل مكرمة على حدة ، ويتبع ذلك ذكر بعض الحكايات التى تتخللها أبيات من الشعر وآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، ومثال تعريفاته هذه ما ذكره فى الباب الأول عند تعريفه للعبادة ،يقول : « المقصود بها عبادة الحق سبحانه وتعالى عن طريق أداء الفرائض والواجبات وترك المساوئ والمحرمات ، والانقياد إلى الأوامر والنواهى ، وإتباع سنن حضرة حامل الرسالة ، والمقرر أن عبادة الحق سبحانه وتعالى تؤدى إلى السلامة فى الدنيا والى النجاة والكرامة فى الآخرة » . ويذكر فى نهاية هذا الباب حكاية تدل على صحة حديثه وصدق رؤيته .

ويعرف المؤلف الإخلاص فى الباب الثانى فيقول بأنه « تطهر العمل من الرياء والغرض وسائر العلل ، واخلاص النية مع الله عز وجل » ، ويتحدث عن الدعاء فى الباب الثالث ويعرفه بأنه « عرض الحاجة علي البلاط الإلهى ، وطلب المراد من فيضه وفضله اللامتناهيين .والدعاء اما لتحصيل نفع أو لدفع ضرر ؛ ولامناص للسلاطين من كلا النوعين » . أما فى الباب الرابع فيعرف الشكر بأنه هو «شكر المنعم وحمده على انعامه ، ولما كانت نعمة السلطنة هى أعظم النعم ، فيجب على السلطان القيام بالشكر على هذه النعمة ، ويكون الشكر بالقلب واللسان والأعضاء والجوارح .. وبحكم (لئن شكرتم لازيدنكم) فإن الشكر يكون سبباً فى زيادة النعمة » .

نموذج من كتاب « أخلاق محسنى »

الباب السابع عشر (١) :

فى الحلم

« الحلم من الأخلاق الإلهية كما قال الله تعالى « إن الله غفور حليم » ، وقد كان لكل الأنبياء والأولياء نصيب من هذه الصفة ، حتى يحطموا بقوتها سورة الغضب التى

(١) أنظر ص ٤٣ - ٤٦ من كتاب " أخلاق محسنى ".
النص الفارسى :

باب هفدهم در حلم

يكى از أخلاق الهى حلم است كما قال الله تعالى (إن الله غفور حليم) وجمله أنبيا وأوليا را =

هى مفسدة للإيمان وقائدة لجيش الشيطان وقد جاء فى الحديث الشريف (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) .

لاتظن أن الرجل بالقوة والشجاعة   ولكن إعلم أنه كامل إذا تغلب على غضبه

وجاء فى الإنجيل أنه يجب على الملوك ترويض أنفسهم على الحلم وتطويعها على الإنقياد حتى لايغضبوا إذا سمعوا ما لا يرضيهم ، لأن لديهم القدرة والإستطاعة ويطيعهم كل من فى خدمتهم ، فإذا لم يتحول غضبهم عليهم إلى حلم ، ويتحكم التحمل فى الغضب ، ويغضبون لكل قول وفعل ، فإنهم بذلك يستأصلون الناس فى كل حين وآن، ولن يبقى للملك رونق، ومن أفضل ما قالوا فى هذا الصدد :

إن التحمل خزينـــة العقـل   ومن لا يتحلى بالحلم يكون شيطاناً
فالحلم لو تعلم قيد للشيطان   والغضـب يكـون ســجناً بســببه

ومثل الحليم كالجبل إذا سقط السيل فى ممره على حذر فلن يستطيع إقتلاعة ،

= ازين صفت نصيبى داده اند تا بقوت آن سورت غضب را كه مفسد إيمان وپيش رو لشكر شيطان است بشكسته اند ودر حديث آمده كه قوى ترين شمانه أنكس باشد كه مردمان را بيفگند واز پاى در آرد قوى تر آنكس كه در حال غضب خودرا بيفگند ومالك نفس خود باشد.

بيت:

مردى گمان مبر كه بزورست پر دلى   با خشم گر بر أئى دانم كه كاملى

در كتاب انجيل مذكورست كه ملوك را واجب بود كه نفس خودرا رياضت دهند بحلم ورام سازند در فرما نبردارى تا هر چه بشنوند كه خلاف رضاى ايشان باشد در خشم نشوند زيرا كه إيشان را قدرت وتوانائى هست وزير دستان مطيع ايشانند اگر خشم زير دست حلم نباشد وغضب محكوم بردبارى نبود وبهر قولى وفعلى خشم گيرند هر آنيه مردم مستأصل شوند وملك را رونق نماند وبس زيبا گفته اند : نظم

بردبارى خزينهٔ خردست   هر كرا حلم نيست او چو دوست
ديو بندست حلم اگر دانى   غضب از دست اوســت زنــدانى

مرد حليم آنست كه سيلاب غضب او با آنكه كوه شامخ اگر در ممر او افتد بر حذرست او از جاى نتواند برد ونائرهٔ خشم با وجود آنكه كرهٔ اثير از إلتهاب آن در خطر ست در وى تصرف نتواند كرد وبى مدد حلم آتش غضب هيچ سلطانى تسكين نبايد وبى معاونت بردبارى هيچ حاكمى بار گفت وگوى رعايا بر نتابد پس پادشاه عادل آنست كه حلم را زيور روزگار خود سازد وبد ستيارى او بنياد خشم عالم سوز براندازد. نظم : =

لا تؤثر فيه نيران الغضب مع أن كرة أثيره تكون فى خطر منها ، ولايمكن أن تهدأ نيران غضب أى سلطان بدون مدد وعون من الحلم ، ولايصبر أى حاكم على كلام رعيته بدون معونة من التحمل ، فالسلطان العادل هو الذى يزين عصره بالحلم ، ويقتلع أساس الغضب الحارق للعالم بمساعدته .شعر :

عندما يدخل الحلم يفر الغضب   والتحمل يكسر الغضب ويحطمه
وعمود العقل هو التحمل والصبر   ودائماً يكون خفيف العقل فى ذلة

روى عن سليمان الوراق أنه قال : كنت يوماً عند المأمون فرأيت فصاً من الياقوت طوله أربعة قراريط وعرضه قيراطين ، وكان كالشمس المضيئة . وككوكب الزهرة الساطع فى صفائه وبريقه ، فاستدعى المأمون صائغاً وقال له : إصنع خاتماً يمكن أن يكون هذا الياقوت فصاً له ، فأخذ الصائغ الياقوتة ومضى ، وبالصدفة كنت عند المأمون فى يوم آخر ، فتذكر الخاتم وأمر بإحضار الصائغ عنده ، وعندما حضر الصائغ ، رأيته وقد أصابت جسده الرعشة كشجرة صفصاف تهتز ، فسأله المأمون عن سبب تغيره ، فقال : إعطنى الأمان حتى أقص عليك ما حدث . فقال المأمون :

= چو حلم اندر آمد غضب گشت پست   غضب را همين برد بارى شكست
ستون خرد بردبارى بود   سبك سر هميشه بخوارى بود
از سليمان وراق نقل كرده اند كه گفت كه روزى در خدمت مامون بودم نگينى از ياقوت ديدم كه طول او چهار انگشت وعرض او دو انگشت ودر صفا وروشنى چون خورشيد تابان وناهيد درخشان بود پس زرگرى را خواند وگفت خاتمى بسازكه اين ياقوت نگين آن تواند بود زرگر ياقوت بر گرفت وبرفت قضارا روزى ديگر هم در خدمت وى بودم كه از ان انگشترى ياد كرد وبفرمود تا زرگر را بياوردند چون زرگر حاضر شد ديدم كه رعشه بر وى افتاده است وچون بيدى لرزد مامون پر سيد كه سبب تغير تو چيست ، گفت : مرا امان ده تا بگويم ، گفت : امان دادم. زرگر نگين بيرون كرد بچهار پاره شده ، گفت : اى خليفه انگشترى ساختم وخواستم كه نگين را به نگين دان برم از دست من بر سندان افتاد وچهار پاره شد ، مامون تبسم كرد وگفت برو واين را چهار انگشترى ساز وترادرين هيچ گنا هى نيست واين صورت كه از مامون صادر شده غايت حلم وبردباريست. نظم :
حلم سرمايهء كمال بود   سبب عزت وجلال بود
حلم شادى فزاى هر خجل ست   موميائى هر شكسته دل ست
نو شيروان از بوزرجمهر پرسيد كه حلم چيست گفت نمك خوان اخلاق است چه حروف آنرا چون بر گردانند ملح ميشود چنانكه هيچ طعامى بى ملح مزه ندهد هيچ خلقى بى حلم جمال =

أعطيتك الأمان . فأخرج الصائغ الفص وقد تحطم إلى أربعة أقسام ، قال الصائغ : أيها الخليفة لقد صنعت خاتماً وأردت أن أضع الفص بداخله ، فسقط من يدى على السندان وتحطم إلى أربع قطع . فابتسم المأمون وقال : إذهب واجعلها اربعة خواتم ، فلا ذنب لك فيما حدث على الإطلاق ، وهذا التصرف الذى صدرعن المأمون هو غاية الحلم والتحمل . شعر :

إن الحلم أساس الكمال   وهو سبب العزة والجلال
والحلم يزيد فرح كل مهموم   وهو علاج لكل حزين

سأل أنو شيروان بزرجمهر عن ماهية الحلم فقال إنه ملح مائدة الأخلاق ، لأنه عند قلب حروفه يصبح ملحاً ، وكما أنه لاطعم لأى طعام بدون الملح ، فإن الخلق لايكون جميلا قط بدون الحلم . قال أنوشيرون : ماهى علامة الحليم ؟ قال : للحليم ثلاث علامات ، أولها : إذا تحدث معه رجل عبوس عنيف الكلام بحديث مر أجابه بإجابة حلوه ، وإذا آذاه بفعل أيضاً أحسن إليه إزاء ذلك .

= ننماید ، نو شیروان گفت : علامت حلیم کدامست ؟ گفت : حلیم را سه نشانه است یکی انکه اگر ترش روی وسخت گوی با او سخن تلخ در میان آرد او بدر برابر آن جواب شیرین بر زبان راند واگر بفعل نیز اورا برنجاند بازای آن با او احسان نماید. قطعه :

با تو گویم که چیست غایت حلم   هر کـه ز هرت دهد شکر بخشش
هر که بخرا شدت جگر بجفا   همچو کان کریم زر بخشش
کم مباش از درخت سایه فگن   هر که سنگت زند ثمر بخشش

علامت دوم آنست که در عین آنکه أتش خشم زبانه گیرد وصولت غضب وسطوت آن بغایت رسد خاموش گردد واین دلیل اطمینان دل وتسکین روح ست ودر ویشان سالك علاج غضب بدین نوع کرده اند. نشانهء سوم فرو خوردن خشم ست اگر کسی فی الواقع مستحق عقوبت بود.

آورده اند که روزی آن نوزادهء بو ستان ولایت باکورهء باغستان هدایت سبط نبی ونجل ولی حسین بن علی رضی الله عنهما با جمعی مهمانان از اشراف عرب بر سرخوانی نشسته بودند خادمش با کاسهء آش گرم درآمد از غایت دهشت پایش بحاشیهء بساط در آمد وکاسه از دستش بر سر شاهزاده افتاد وآشها بر رخسارهء مبارکش فروریخت امام حسین از روی تادیب نه از راه تعذیب درو نگریست بر زبان خادم جاری شد والکاظمین الغیظ ، حسین گفت : خشم فروخوردم ، خادم گفت : والعافین عن الناس ، گفت : عفوت کردم ، خادم تتمهء آیت بر =

قطعـة

أقـول لك ما هـى غايــة الحلـم　　إمنح سـكراً لكل من يعطيك سـماً
وكل من جـرح كبـدك بجفـائه　　كن معـه كالمنجم كريمـاً تهب ذهبا
ولاتكن أقل من الشجرة الظليلة　　وإمنح الثمار لكل من يرميك بالحجر .

أمـا العلامـة الثـانيـة ، فـهى إذا مـا إشـتـعلت نيران الغـضب ، ووصلت صـولة الغضب وسطوته غايتها ، التزم الصمت ،وهذا دليل إطمئنان القلب وهدوء الروح . وقد عـالج الشـيوخ الغـضب بهذا النوع . أمـا العـلامة الثالثة فـهى كظم الغـيظ أمـام من يستحق العقوبة فعلاً .

حكى أن بكر بسـتـان الولاية وباكورة حديقـة الهـداية سـبط النبى ونجـل الولى الحسين بن على رضى الله عنهـمـا كـان يجلس ذات يوم مع جـمـع من الضـيـوف من أشراف العرب على مائدة الطعام ، فدخل خادمه حـاملا إناء إدام سـاخن ، ولدهشـته الزائدة تعـثـرت قـدمـه فى طرف البسـاط ، فـسـقط الإناء من يده على رأس الأمـيـر ، وإنسكب الادام على وجهه المبارك ، فنظر إليه الإمام الحسين على سبيل التأنيب لا على

= خـواند : والله يحب المحسنين ، حسين كفت : از مـال خـودت آزاد كردم ومؤنت مـعيشت تو بر ذمهء خود لازم كردانيدم. مثنوى :

بدى مــكافـات كـردن بــدى　　بــر اهــل صــورت بود بخردى
بمعنى كسانى كه بى پرده اند　　بدى ديده ونيــكوئــى كـرده اند

در أخبار آمده كه حضرت عيسى على نبينا وعليه السلام سوال كردندكـه سخت ترين همـه چيزها چيست جواب داد كه خشم خداى كفتند بچه چيز از غضب الهى ايمن توان شد فرمود كه ترك غضب خويش وحضرت مولوى معنوى در مثنوى إشارتى بدين معنى فرموده. مثنوى :

كفت عيسى را يكى هشــــيار سر　　چيست در هستى زجمله صعب تر
كفت اى جان صعب تر خشم خدا　　كه از آن دوزخ همى ترسد چو مـا
كفت زين خشم خدا چه بود امــان　　كفت ترك خشـم خـود اندر زمان
ترك خشم وشهوت وحــرص آورى　　هســت مـردى در ره پيغمـــبرى

وببايد دانست كه غضب در بسيار مواضع از حلم بهتر ست چه غضبى كه از جهت حرص وطمع يا بواسطهء تكبر وخويشتن دارى بود مذموم است اما براى اعلام معالم دين متين وجهت حفظ مراسم شرع مبين بسيار ستوده پسنديده است ، مثلا اكر كسى از خيانت محرمان حرم خويـش حلم ورزد عقلاً وشرعاً وعرفـاً مذمـوم بود واز نظر أهل مروت ساقط شود چـون = =

سبيل التعذيب ، فقال الخام : (و الكاظمين الغيظ) قال الحسين : كظمت غيظى ، قال الخادم : (والعافين عن الناس) ، قال الحسين : عفوت عنك ، فقرأ الخادم بقية الآية (والله يحب المحسنين) ، قال الحسين : أنت حر وألتزم بمؤونه عيشك . مثنوى :

جـزاء السـوء سـوء   وهذا معقول عند أهل الصورة
ولكنه عند أهل التقـوى   مشاهدة السـوء وفعـل الخير

وجاء فى الاخبار أن سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام سئل عن أصعب الأشياء فأجاب : إنه غضب الله . فقالوا : وكيف يمكن للإنسان أن يأمن غضبه ؟ قال : بترك غضبك ، وقد أشار المولوى فى كتابه المثنوى إلى هذا المعنى فقال :

– قال أحد الأذكياء لعيسى   ماهو أصعب شئ فى الوجود؟
– قال ياعزيزى إن أصعب شئ هو غضب الله ، الذى تخشاه جهنم مثلنا،
– قال كيف يتجنب المرء غضب الله ؟ قال عن طريق ترك غضبك فى الدنيا .
– فإذا تركت غضبك وشهوتك وحرصك ، تكن سائراً على طريق النبوة .

ويجب العلم بأن الغـضب يكون أفـضل من الحلم فى كـثـيـر من المواضع ، فـالغـضب من أجل الحرص والطمع أو بواسطة التكبر والغرور أمر مذموم ، ولكنه محمود ومقبول جداً من أجل إعلام معالم الدين المتين ، وحفظ مراسم الشرع المبين ، فمثلاً إذا تحلى شخص بالحلم إزاء خيانة محارمه ، فهذا أمرمذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً، ويكون ساقطاً فى نظر أهل المروءة ، لأن الغيرة لا تتم بدون الغضب والخشونة، وكمال المرء أن يميز بثاقب نظره بين موضع الحلم وموضع الغضب حتى يستعمل فى كل موضع ما يناسبه . بيت :

الغضب واللطف جميلان فى موضـعهما   فكن وردة فى مكان الورد وكن شوكاً فى موضع الشوك » .

غيرت بى غضبى وخشونتى دست دهد كمال مرد در آنست كه محل حلم وموضع غضب را بنظر صحيح تميز كند تا هرجا انچه مناسب بود بكار برد. بيت :

قهر ولطف اندر محل خود نكوست   جاى كل كل باش وجاى خار خار »

والمعروف أن الحلم من الفضائل الأخلاقية التى دعا إليها الإسلام ، وكان الرسول (صلعم) المثل الأعلى فى الحلم ، لأن الله أدبه فأحسن تأديبه ، وأمره بقوله : « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم . إن الذين إتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون » (سورة الأعراف ١٩٩ - ٢٠١) ، وبقوله :« سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافيين عن الناس ، والله يحب المحسنين » (آل عمران ١٣٣-١٣٤) .

ويعتبر كظم الغيظ أقل شأناً من الحلم ، لأن كظم الغيظ تحلم وتكلف للحلم ، ولايحتاج الى كظم غيظه إلا من غضب ، وكان الحلم من شمائل المصطفى ، وكان من الوسائل التى جذبت إليه النفوس وألفت حوله القلوب ، وصدق الحق سبحانه وتعالى فى قولة : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولوكنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آل عمران ١٥٩) . ومظاهر حلمه كثيرة ، ولكن كانت هناك بعض الأحداث لم يكن يستطيع الحلم فيها، وخاصة تلك التى كانت تصيب الدعوة الإسلامية ، وكيف يحلم على السفهاء الذين يتجرأون على الإسلام ويسخرون بالوحدانية والبعث [١] .

وقد جاء فى كتاب « إحياء علوم الدين » [٢] أن المصطفى (صلعم) كان يقول فى دعائة : «اللهم أغننى بالعلم ، وزينى بالحلم ، وأكرمنى بالتقوى ، وجملنى بالعافية » . وقال صلعم : « إبتغوا الرفعة عند الله ، قالوا : وماهى يارسول الله ؟ قال : تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتحلم عمن جهل عليك » وقال الله تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » (الفرقان ٦٣) ، قال العلماء إن جهل عليهم لايجهلون ، وإذا سبك إنسان أو إغتابك أو عيرك فعليك بالحلم ففيه النجاة فى الدارين ، أما فى الحال فإنه يزاد فى احترامه وهو يزيد فى الآخرة جزيل الثواب ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن إمرء عيرك بما فيك فلاتعيره بما فيه » .

---

(١) انظر كتاب «من أخلاق النبى» ص ١١٥ ومابعدها .

(٢) مختصر إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى - مكتبة مصر - القاهرة ص ١٨٧ .

وهناك من الأدباء الفرس من كتب عن الأخلاق بطريقة مختلفة عن السابقين ، أو حاول أن يبين الأخلاق الفاضلة التى كان يتصف بها القدماء ، والأخلاق الذميمة التى إتصف بها الناس فى عهده ، ومن هؤلاء عبيد الله الزاكانى القزوينى(م ٧٧١ هـ) وهو من أهم الأدباء الذين سجلوا فى أشعارهم ونثرهم نقداً للاوضاع القائمة فى عصرهم . والمعروف أن العصر الذى عاش فيه عبيد الله كان مليئاً بالمفاسد من جهل وظلم فى ظل حكم التتار . ومن أهم مؤلفاته النثرية فى هذا الصدد رسالة « أخلاق الأشراف » التى أطلق عليها هذا الإسم فى مقابل كتاب « أوصاف الأشراف » الذى ألفه نصير الدين الطوسى (م ٦٧٢هـ) ، ويبدو أن الزاكانى قد اختار إسم رسالته من باب الإستهزاء والسخرية من هؤلاء الذين تركوا مكارم الأخلاق وإتصفوا بصفات ذميمة لاتليق بالمسلمين . وقد ألف الزاكانى هذه الرسالة عام ٧٤٠ هـ ، وهو ينتقد فيها أخلاق عظماء عهده ويوضح فيها فساد المجتمع وينتقد كل العيوب الموجودة فى عصره . وتشتمل هذه الرسالة على سبعة أبواب فى مكارم الأخلاق وهى : الحكمة ، والشجاعة، والعفه ، والعدل ، والسخاء ، والحلم والوفاء ، والحياء والصدق والرحمة والشفقة. ويقسم المؤلف كل باب من أبواب هذه الرسالة إلى مذهب منسوخ وهو مذهب القدماء الذين كانوا يتحلون بهذه الفضائل ، ومذهب مختار وهو المذهب المناقض لكل فضيلة من هذه الفضائل وهو ما يتبعه المعاصرون للزاكانى ويسيرون على نهجه ،فمثلاً عندما يتحدث عن العدل [1] يرى أن المذهب المنسوخ هو أن السلف كانوا يعتبرون العدل من الفضائل الهامة وعلى أساسه يقوم المعاش والمعاد ، وأن الله يأمر بالعدل والإحسان ، ومن هنا إهتم السلاطين والأمراء بنشر العدل بين الناس والإهتمام بشئون الرعية ، أما المذهب المختار عند أهل عصره فهو أن العدل من أسوأ السير وهو يؤدى إلى خلل كبير، وأن من يقيم العدل ويتعامل مع الناس معاملة حسنة لا يهابونه ، بينما يخشون الظالم الذى لايقيم العدل ، وعندئذ ترقى دولته وتتقدم ويضرب مثالاً على ذلك هولاكو وماكان يفعله من ظلم ومذابح ، ولهذا دام الحكم لأسرته مدة تسعين سنة . وهكذا يبين المؤلف كل فضيلة من الفضائل وأهميتها وكيف كان السلف يتحلى بها ، ثم ضياع هذه الفضيلة فى عصره واعتقاد معاصريه بأن إتباعها والتحلى بها أمر غير ضرورى وغير

---

(١) أنظر كليات عبيد زاكانى – تهران ١٣٤٠ – ص ٢١ .

صحيح ، ومن هنا إتصفوا بصفات سيئة وأخلاق غير حميدة ، وهو يوضح كل هذا فى أسلوب ساخر تميز به المؤلف عن غيره من النقاد .

٢- الأخلاق فى الشعر الفارسى :

أما بالنسبة للشعر الأخلاقى الذى نظم ليحث الناس على الأخلاق الفاضلة المستوحاه من مبادئ الدين الإسلامى ، فهو يتناثر هنا وهناك خاصة فى المنظومات الصوفيه ، وقد بدأ هذا النوع من الشعر يظهر منذ أوائل القرن السادس ونراه فى منظومة «حديقة الحقيقة » لسنائى الغزنوى (متوفى ٥٢٦ هـ) مما دعا شعراء أواخر القرن السادس وأوائل السابع إلى تقليده والسير على نهجه فى نظم منظومات صوفية ممتزجة بالمواعظ والحكمة . أما المنظومات التى نظمت فى التربية والمواعظ الأخلاقية بهدف إصلاح المجتمع فهى تبدأ بالشاعر سعدى الشيرازى أعظم شاعر أخلاقى فى إيران. ومن أهم مؤلفاته فى هذا الصدد منظومته المثنوية « بوستان» التى تقع فى عشرة أبواب بعد المقدمة هى :

١ - باب العدل والتدبير والرأى   ٢ - الإحسان   ٣ - العشق
٤ - التواضع   ٥ - الرضا   ٦ - القناعة   ٧ - التربية
٨ - الشكر   ٩ - التوبة والطريق الصواب   ١٠ - المناجاة .

والمعروف أن مشرف الدين بن مصلح الدين عبد الله المتخلص بسعدى الشيرازى قد قام برحلات كثيرة تجول فيها فى أنحاء مختلفة من ديار الإسلام ما بين الهند شرقاً إلى الشام والحجاز غرباً ، فهيأ له ذلك معرفة بالشعوب وأخلاقها وعاداتها المتباينة ، ولم يرغب فى أن تكون كل هذه المعرفة والتجارب التى اكتسبها وقفاً عليه ، بل أراد أن يطلع عليها الناس ، فكان له هذا النوع من الشعر الأخلاقى التعليمى . ويشير الشاعر فى مقدمة كتابه « البوستان » إلى ذلك تحت عنوان « سبب نظم الكتاب»(١)

---

(١) كليات شيخ سعدى - طهران ١٣٣٧ ص ٢٢٠.

در اقصاى عالم بگشتم بسى   بسر بردم ايام با هر كسى
تمتع بهر گوشه اى يافتم   زهر خر منى خوشه اى يافتم
...   =

- لقد تجولت كثيراً فى أنحاء العالم ،
  وأمضيت بين الناس كثيراً من الأيام .
- وتمتعت فى كل ناحية من نواحيه ،
  وحصلت من كل بيدر على سنبلة

إلى أن يقول :

- لقد قلت لنفسى إنهم يأتون من مصر بالسكر ،
  فماذا أحمل إلى الأحباب فى عودتى ؟
- عدت آسفاً ، فإنى من كل ذلك البوستان،
  أعود خالى اليد ، لاشئ فيها للأحباب .
- لكنى قلت ، ولو أن يدك خلت مما تحمله ،
  فإنك تملك الكلام ، والكلام عندك خير من السكر .
- ليس هو ذلك السكر الذى يتناوله عامة الناس ،
  بل هو السكر الذى يدونه أرباب المعانى .

والشاعر يبدأ منظومته بمدح الذات الإلهية فى حوالى ثمانية وستين بيتاً يبدؤها بالبيت المشهور:

باسم الله خالق الروح الحكيم — الذى أجـرى اللغـة على الألسـنة

ثم يمدح الرسـول (صلعم) فى حوالى ثلاثين بيتاً ، والبيت الذى تخيره لمطلعها يدل على أن الشاعر راعى فيه براعة الإستهلال ، فإختار بيتاً عربياً هو :

كريم السجايا ، جميل الشيم — نبى البرايا ، شفيع الأمم

وكتاب « البوستان » يختلف عن كتاب « گلستان» فى أن الأول شعر كله بينما الثانى نثر فيه بعض الشعر ،كما تبدو فى البوستان الروح التعليمية الأخلاقية أكثر من

= بدل گفتم از مـصر قنـد آورنـد — بـــر دوسـتان ار مغانـى برنـد
دريغ امـدم زان همه بو سـتان — تهى دست رفتم سوى دوسـتان
مرا گر تهى بود زان قند دسـت — سخنهاى شيرين تراز قند هست
نه قندى كه مردم بصورت خورند — كـه اربـاب معنـى بكاغذ بـرند

الگلستان . ومن نماذج شعره الأخلاقى فى البوستان قوله يدعو إلى العمل الصالح(١):

- ينبغى الآن أن تحسب للعمل كل حساب ،
وليس فى الوقت الذى ينشر فيه الكتاب .
- وإجتهد الآن فإن الماء جاوز وسطك ،
ولا تتركه حتى يصير سيلا فيتجاوز رأسك .
- وإذا أفلتت من يدك خمسون عاماً،
فإغتنم الأيام الخمسة الباقية .
- ومن بذر الشعير وقت الربيع ،
كيف يجنى القمح وقت الحصاد .
- والآن - إذا إجتهدت - وقت البذر ،
وكنت ترجو الأمل بطيب الثمر .
- وإذا مضى العمر هباء فى الشر ،
فأنت كمن أشعل النار فى البيدر .
- ولا تذهب يوم القيامة ضيق ذات اليد ،
فلا وجه لأن تقعد متحسراً .
- ويوم القيامة حين تعقد سوق الجنة ،

---

(١) كليات سعدى ص ٤٠٠ ، سعدى الشيرازى شاعر الإنسانية ص ٤٥٥ تأليف دكتور محمد موسى هنداوى - القاهرة ١٩٥١م.
النص الفارسى :

كنون كرد بايد عمل را حساب ... نه وقتى كه منشور گردد كتاب
كنون كوش كاب از كمر در گذشت ... نه وقتى كه سيلاب از سر گذشت
چو پنجاه سالت برون شد زدست ... غنيمت شمر پنجروزه كه هست
يكى در بهاران بيفشان جو ... كه گندم ستاند بوقت درو
كنون وقت تخمست اگر پرورى ... گراميد دارى كه خرمن بسرى
گر ازدست شد عمرت أندر بدى ... تو أنى كه در خرمن أتش زدى
بشهر قيامت مرو تنگ دست ... كه وجهى ندارد بحسرت نشست
قيامت كه بازار مينو نهند ... منازل باعمال نيكو دهند
بضاعت بچندانكه آرى برى ... وگر مفلسى شر مسارى برى
بهشت آن ستاند كه طاعت برد ... كرا نقد بايد بضاعت برد

توزع الدرجات وفق طيب الأعمال .
– وتكسب البضاعة بقدر العمل ،
فإن كنت مفلساً فتحمل الخجل .
– والذى يكسب الجنة هو من قدم الطاعة ،
ومن قدم المال تناول البضاعة .

ويقول فى التوبة والإعتذار عن العمل السئ (١) :
– إذا أدرك المسئ نفسه ،
قبل يوم القيامة لم تحسب إساءته .
– ولا تقل إن طائر السعادة قد إنفلت من القيد ،
فإن طرف الحبل لايزال باليد .
– وان جاوزت الحد سيئاتك ،
كنت ظافراً إذا إعترفت بذنبك .
– وإذا كنت عاقلاً فاسأل الله ليلاً ،
أن يعفو عما جنت يداك فى النهار .
– وابحث عن الصلح وإتخذ طريقاً لك ،
واقصد شفيعاً وإعتذر عما قدمت يداك .
– وإذا كنت لاتزال ترجو الصلح ، فلا خوف ،
فإن الكريم لايغلق الباب فى وجه التائبين .
– وأقبل ما دمت ترى باب الصلح مفتوحاً ،
فلعل باب التوبة يغلق فجأة أمامك .

---

(١) كليات سعدى ص ٤٠٠ ، سعدى الشيرازى شاعر الإنسانية ص ٤٥٧ .

كسى گرچه بدكرد هم بد نكرد — كه پيش از قيامت غم خود بخورد
مگو مرغ دولت زقيدم بجست — هنوزش سر رشته دارى بدست
وگر رفت از اندازه بيرون بدى — چو گفتى كه بد رفت نيك آمدى
اگر هو شمندى زداور بخواه — شب توبه تقصير روز گناه
طريقى بدست آر وصلحى بجوى — شفيعى بر انگيز وعذرى بگوى
هنوز از سرصلح دارى چه بيم — در عذر خواهان نبندد كريم
فراشو چو بينى در صلح باز — كه ناگه در توبه گردد فراز
پيمبر كسى را شفاعت گرست — كه بر جادهء شرع پيغمبر ست

- والنبى الكريم هو من ترجى شفاعته ،
لمن تبعه وسلك طريق شريعته .

وفى باب التواضع يدعو سعدى إلى التواضع ويرى أن فيه الرفعة وعلو المنزلة ، وليس ما يفهمه الناس حقارة وذلة ، ولاينسى الشاعر فى مستهل هذا الباب أن يجعل المطلع مناسباً لهذا المعنى فيقول :

- خلق الله الإنسان من تراب ،
فتواضع أيها العبد وكن كالتراب .

ويردد الشاعر هذا المعنى فى مواضع مختلفة ، فيقول :

- إن التواضع يعلى رأس رفعتك ،
ويلقيك الكبرياء فى حضيض التراب .
- وحين تواضعت قطرة الماء أمام البحر ،
تربى الصدف عزيزاً فى أحضانها .
- وحين تواضع التراب خلق منه الإنسان ،
وحين تعاظمت النار خلق منها الشيطان .

ووصف المتواضع بأنه من لايغتر بعلمه ولا بماله ولا بمركزه ، فقال :

- زعمت أن عقلك ملئ بالمعرفة ،
فكيف يتسع الإناء لغير مايحتمله ؟
- ليس الغنى بماله أفضل الناس ،
فالحمارحمار ولو لبس رداء من أطلس .
- إن كنت شاغلاً منصباً جليلاً
فلاتسخر من العاجز إن كنت عاقلاً (١)

---

(١) أنظر كتاب " سعدى الشيرازى شاعر الإنسانية " ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

زخـــاك آفــــريدت خــــداوند پاك　　پس اى بنده أفـتـادگى كن چو خـاك

....

تواضع ســـر رفـــعت أفـــرازدت　　تكبـــــر بخـــــاك اندر اندازدت

چو خـود رابچـشم حـقـارت بديد　　صـــدف در كنارش بجـــان پرورید

چو آن سـرفـرازى نمود اين كـمى　　از آن ديو كــــــردند ازاين آدمى

....

=

وفى باب القناعة يدعو الشاعر إلى التحلى بهذه الخصلة الطيبة إذ يقول [١] :

– إقنعى أيتها النفس بالقليل ،
حتى ترى السلطان والفقير متساويين .
– والطمع يطردك من كل مجلس ،
فابعده ، حتى لايطردك أحد من بابه .
– والله لن يرضى عن عبده ،
الذى لا يرضى بما قسمه له .
– ولا ترهب أيها الحبيب أحداً بالشدة والظلم ،
فلعله يرجى أن يكون فيه ماء الحياة .
– ولا تحرق قلبك يائساً بالفكر ،
فإن الليلة حبلى بالنهار .
– والله الذى خلق الناس من تراب ،
عجباً لو ضيع آدميتهم .
– والذى صور الطفل فى الأرحام ،
هو من كتب العمر وكفل الطعام .

=

تو خود را گمان بردهء پر خرد — انائى كه پرشد دگر چون برد ؟
نه منعم بمال ازكس بهتر ست — خر أرجل أطلس بپوشيد خراست
چو استادهء برمقامى بلند — بر افتادهء گر هوشمندى مخند

(١) المصدر السابق ص ٤٢٩ .

قناعت كن إى نفس بر أندكى — كه سلطان ودرويش بينى يكى
توقع براند زهر مجلست — بران ازخودش تا براند كست
خداوند ازآن بنده خرسندنيست — كه راضى بقسم خداوند نيست
ز ظلمت مترس اى پسنديده دوست — كه ممكن بود كاب حيات دروست
دل أز بى مرادى بفكرت مسوز — شب أبستنست اى برادر بروز
خدائى كه ازخاك مردم كند — عجب دارم ار مردمى گم كند
نگارندهء كودك اندر شكم — نويسندهء عمر وروزيست هم

ويقول الشاعر في تدبر صنع الخالق وشكره على النعم التى أنعم بها على الإنسان (١) :

- أنظر لذى الأصبع الواحدة مكونة من كم سلامى ، ووصلها وركبها الله معاً بالصنع الإلهى .
- ومن ثم يكون هوساً وبلاهة أن تضع إصبعك على كلمة صنعه معترضاً .
- تأمل كم عظمة ركبها ووصلها من أجل سير الإنسان .
- إذ بغير دوران الكعب والركبة والقدم ، لايمكن رفع القدم من مكانها .
- السجدة ليست صعبة على الآدمى ، لأن الفقرات فى صلبه ليست قطعة واحدة .
- لقد عمل مائتى قطعة بعضها فوق بعض ، حتى أتم قطعة طين مثلك .
- العروق على جسدك ياحميد الخلق ، أرض بها ثلاثمائة وستون نهراً .
- البصر والرأى والفكر والتمييز فى الرأس ، والجوارح بالقلب ، والقلب عزيز بالعلم والمعرفة .
- البهائم مكبة على وجهها ذليلة ، وأنت قائم على قدميك مثل ألالف .
- لقد نكست رؤوسها من أجل تناول الطعام وأنت تأتى بالطعام أمام رأسك بعزة .

---

(١) أنظر ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوى للبوستان تحت عنوان " أريج البستان " دار الشروق - القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ص ٢٢٨ .

ببين تا يك انگشت از چند بند — بصنع الهى بهم در فكند
پس آشفتگى باشد وأبلهى — كه انگشت بر حرف صنعش نهى
تأمل كن ازبهر رفتار مرد — كه چند استخوان پى زد ووصل كرد
كه بى گردش كعب وزانو وپاى — نشايد قدم بر گرفتن زجاى
از آن سجده برآدمى سخت نيست — كه در صلب او مهره يك لخت نيست
دو صد مهره بر يكديگر ساختست — كه گل مهره اى چون تو پرداختست
رگت برتنست اى پسنديده خوى — زمينى در او سيصد وشصت جوى
بعد درسر ورأى وفكر وتميز — جوارح بدل دل بدانش عزيز
بهايم برو اندر افتاده خوار — تو همچون الف بر قدمها سوار
نگونى كرده ايشان سراز بهر خور — تو آرى بعزت خورش پيش سر
=

- لا يجمل بك مع مثل هذه السيادة ، أن تخفض رأسك إلا للطاعة والعبادة .
- بإنعامه أعطاك الحب لا التبن ، ولم يجعل رأسك فى العشب مثل الأنعام .
- ولكن لا تخدع بهذه الصورة المحببة إلى القلب ، وخذ السيرة الطيبة .
- يلزم الطريق المستقيم لا القامة المستقيمة ، لأن الكافر من حيث الصورة مثلنا .
- الذى أعطاك العين والفم والأذن ، لاتجد ولاتسع فى مخالفته إذا كنت عاقلاً .
- فلأ فرض أنك تدق العدو بالحجر ، لاتحارب الصديق على أى حال بالجهل .
- نوو الطباع العاملة الذكية العارفو الجميل والمنة ، يسمرون النعمة بمسمار الشكر .

=

نزيبـــــد ترا باچنين ســـــروری	کـــه ســـر جـــز بطاعت فـــرود آوری
به انعـــام خـــود دانه دادت نه کـــاه	نکردت چو أنعـــام ســـردرکـــيـــاه
وليکن بدين صـــــــورت دل پذير	فـــريبـا مـشـو سيـرت خـوب کـيـر
ره راســت بـايـــدنـــه بـالای راست	که کافر هم از روی صـورت چو ماست
ترا آنکه چشم ودهان داد وکـــــوش	اگـــر عـــاقلی در خـــلافش مکوش
کـــر فـــتم کـــه دشـــمن بکوبی بسنگ	مکن باری از جـــهل بادوست جنگ
خـــرد مند طبـــعـــان منت شناس	بدوزنـــد نعـــمت به مـــيخ ســـپـــاس

الفصل السادس
أدب النصيحة والحكمة



أدب النصيحة والحكمة

١- النصيحة والحكمة فى الشعر :

إهتم الفرس القدماء بالكتابة فى الحكمة وإسداء النصح ، ويضم التراث الأدبى البهلوى قبل الإسلام كتبا ورسائل فى الحكمة النصيحة ، وقد نقل العرب فى مؤلفاتهم كثيرا من حكم الفرس وأقوالهم وتقبلوها بقبول حسن .

ومن أوائل الشعراء الذين نظموا فى الحكمة والنصحية الشاعر أبو الحسن مجد الدين إسحق الكسائى المروزى وهو من شعراء أواخر القرن الرابع ، وقد نظم الكسائى قصائدة فى المدح وتتميز معظم قصائده بالمعانى الفلسفية ، وقد قلد بعضها الشاعر ناصر خسرو فيما بعد ، ويعد الكسائى أستاذا في الوصف وإيراد التشبيهات .

كما ينسب إلى الشاعر الرودكى نظم كتاب «كليلة ودمنه» الذى نقله من البهلوية إلى العربية ابن المقفع ، إلاأنه لم يبق من هذه المنظومة إلا أبيات متناثرة فى كتب الأدب والمعاجم مثل معجم أسدى الطوسى المعروف باسم «فرهنگ أسدى» وكتاب آخر يسمى « تحفة الملوك» (١)

وأول منظومة متكاملة فى النصحية تقا بلنا فى الأدب الفارسى الإسلامى تلك المنظومة التى تسمى «پندنامه» أى كتاب النصحية ، للشاعر سعدى الشيرازى (متوفي ٦٩٤هـ) ، وقد نظمها الشاعر فى مائة وتسعين بيتا ، مقلدا فيها كتاب «پند نامه» لفريد الدين ابى حامد محمد بن أبى بكر ابراهيم بن مصطفى العطار من كبار شعراء ايران (متوفى سنة ٦٢٧ هـ) ، وهو كتاب صغير مجمل ملئ بالمواعظ الاخلاقية .

ويمتدح سعدى فى كتابه بعد المقدمة بعض الفضائل كالكرم والسخاء والتواضع والعلم والعدل والقناعة والطاعة والعبادة والوفاء والشكر والصبر والصدق وغير ذلك، كما يذم بعض الصفات السيئة كالسخاء والتكبر والظلم والحرص والكذب . ويبدأ

---

(١) أنظر كتاب : تاريخ أدبيات ايران - دكتر صادق رضا زاده شفق - چاپ دوم - تهران ١٣٥٢ ص ١٣٧.

الشاعر منظومته بأبيات فى مناجات الله ومدح الرسول (صلعم) :(١)

- أيها الكريم إرحم حالنا ؛ فنحن أسرى شباك محبتك
- لا معين لنا غيرك ، ياغافر ذنوب المذنبين
- إبعدنا عن طريق الخطأ ، وتجاوز عن أخطائنا ، وأرنا الصواب .
- طالما إستقر اللسان فى الفم ، يكون الثناء على محمد شيئا محببا للنفس.
- فهو حبيب الله ، أشرف الأنبياء ، ومتكأه العرش المجيد .

ثم يخاطب نفسه فيقول :

- إنقضت أربعون سنة من عمرك الغالى ولم يتحول مزاجك عن حال الطفولة .
- وقضيتها كلها خاضعا لهوى النفس ورغباتها ، ولم تتصرف لحظة بما فيه صالحك.
- فلا تعتمد على عمر غير مستقر ، ولا تأمن لزمن متقلب .

وإذا كان كتاب «پندمانه» للعطار تميز بالسهولة والسلامة فى التعبير ، وتقديم النصح للنفس البشرية ، فإن منظومة« پند نامه» لسعدى تتميز أيضا بالسلامة والعذوبة وتحاول تقديم النصح للإنسانية وبيان التمتع بالاخلاق الفاضلة والبعد عن الأخلاق الذميمة، ، ويستعين فى ذلك بتجاربه فى الحياة وما اكتسبه خلال رحلاته وأسفاره، ومن أبياته يصف الطاعة والعبادة وينصح بهما : (٢)

- من كان الإقبال غلاما له ، مال قلبه نحو الطاعة دائما .

---

(١) كريما ببخشاى بر حال ما — كه هستم اسير كمند هوا
نداريم غيرازتو فريادرس — توئى عاصيان را خطا بخش وبس
نگهدار مارا ز راه خطا — خطا در گذار وصوابم نما

SADI'S SCROLL OF WISDOM-A. WOLLASTON P. 31 London 1908.

(٢) كسى را كه اقبال باشد غلام — برد ميل خاطر بطاعت مدام
نشايد سراز بندگى تافتن — كه دولت بطاعت توان يافتن
سعادت ز طاعت ميسر شود — دل از نور طاعت منور شود
اگر بندى از بهر طاعت ميان — كشايد در دولت جا ودان
ز طاعت نه پيچد خرد مند سر — كه بالاى طاعت نباشد هنر
بآب عبادت وضو تازه دار — كه فردا زآتش شوى رستگار

- لايجب على الإنسان التمرد على العبودية ، فبالطاعة يمكن الحصول على السعادة والأقبال .
- فمن الطاعة تتيسر السعادة ويضئ القلب من نور الطاعة .
- فإذا عزمت على الطاعة والتزمت بها ، فتحت باب السعادة الابدية
- والعاقل من لايتمنع عن الطاعة ، إذ لا فضل يفوقها .
- جدد الوضوء بماء العبادة ، لكى تنجو غدا من النار .
- وأقم الصلاة بنية مخلصة ، لكى تحصل على السعادة الأبدية .
- فضياء الروح يأتى من الطاعة ، مثلما تضئ الدنيا بنور الشمس .
- كن عابدا للخالق ، وكن ملازما لايوان الطاعة .
- واذا اخترت عبادة الحق ، فستستقر اخيرا فى اقليم السعادة .
- إرفع رأسك من داخل رداء العفة ، فالجنة مقر المتعفف الزاهد .
- أنر مصباح الروح بالتقوى ، لكى تفوز كالمحظوظين .
- إن من يكتسى برواء الشرع ، لايخاف عذاب يوم الحساب (١) .

ويقول فى بيان الصبر : (٢)

- إذا كان الصبر ملازماً لك ، ستحصل على السعادة الابدية
- لآن الصبر من خصائص الانبياء ، ولايلوى المتدينون وجوههم عنه

---

(١) نماز از سر صدق برپاى دار — كه حاصل كنى دولت پائدار
زطاعت بود روشنائى جان — كه روشن زخورشيد باشد جهان
پرستندهء آفريننده باش — در ايوان طاعت نشيننده باش
آگر حق پرستى كنى إختيار — در اقليم دولت شوى شهريار
سر از جيب پرهيز گارى بر آر — كه جنت بود جاى پرهيز گار
زتقوى چراغ روان بر فروز — كه چون نيكبختان شوى نيك روز
كسى راكه از شرع باشد شعار — نترسد ز أسيب روز شمار

(٢) ترا گر صبورى بود دستيار — بدست آورى دولت پائدار
صبورى بود كار پيغمبران — نه پيچند زين روى دين پرو ران
صبورى كشايد در كام جان — كه جز صابرى نيست مفتاح آن
صبورى بر ارد مراد دلت — كه از عالمان حل شود مشكلت
صبورى كليد در آرزوست — كشايندهء كشور آرزوست
صبورى بهر حال اول بود — كه در ضمن آن چند معنى بود

- والصبر يحقق للنفس أمانيها ، ولا يوجد مفتاح لهذا سواه .
- الصبر يحقق مراد قلبك ، ويحل مشاكلك فى العالمين .
- الصبر مفتاح باب الأمانى ، وفاتح مملكة الآمال
- والصبر أول باى حال من الأحوال وفيه المعانى الكثيرة.

ويمتدح الشاعر فى منظومته الكرم ويعتبره سببا للشهرة والسعادة فى الدنيا كما يرى أن فى السخاء دواء لكل الآلام والعلل وينصح بالتواضع لأنه يزيد الجاه كما يزداد ضوء القمر من الشمس ، ويرفع من شأن الإنسان ويوصله للجنه ويرى أن الإنسان عليه أن ينوب فى طلب العلم كالشمعة ويعتبر طلب العلم فريضة عليه وينصح بالعدل ويضرب مثلا على ذلك بعدل أنوشيروان ويرى أن عمران الدنيا يقوم أساسا على العدل . والقناعة من الصفات المحببة التى ينصح الانسان بالتحلى بها، كما أن شكر الله على نعمائه عمل وفضيلة يجب التحلى بها ومهما شكر الإنسان ربه على النعم فإنه لن يوفى حقه .

وهناك صفات ذميمه نصح الشاعر بالابتعاد عنها كالبخل ، ويتحدث عن البخيل ويصفه بالذليل مهما كان مقدار ماله ، ويرى أن الكرماء والاسخياء يتمتعون باموالهم بينما يشقى البخلاء بذهبهم ، ويذم التكبر ويجعله من عادات الجهلاء والذين لايتصفون بالورع والتقوى ، ويذم الظلم ويصف الخراب الذى يحيق بالدنيا على يد الظالم بالخراب الذى يحيق ببستان مزدهر على يد رياح الخريف، والكذب من الأمور المذمومة أيضا عنده وينصح بالابتعاد عنه لأنه يسئ للإنسان ويوصله للخراب .

ويختم الشاعر مظومته بابيات تحت عنوان « فى عدم الامل فى المخلوقات » يقول فيها : (١)

---

(١) در منع اميد از مخلوقات

ازين پس مكن تكيه برروزگار	كه ناگه ز جانت بر آرد دمار
مكن تكيه بر لشكر بيعدد	كه شايد زنصرت نيابى مدد
مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم	كه پيش ازتو بودست وبعدازتوهم
مكن بد كه بد بينى ازيار نيك	نمى رويد از تخم بد بار نيك
مكن تكيه بر ملك وفرما ندهى	كه ناگه چو فرمان رسد جاند هى =

- لاتعتمد على الزمن من الآن فصاعدا ، ففجأة سيدمر روحك .
- ولا تعتمد على جيش جرار ، فربما لا يعينك على الانتصار .
- ولاتعتمد على الملك والجاه والحشم فقد كانوا جميعا موجودين من قبلك وسيكونون من بعدك
- لاتخطئ فتسئ إلى صديق حميم ، فالبذرة السيئة لن تثمر ثمرا طيباً .
- لا تعتمد على الملك والحكم ، ففجأة ستسلم الروح عندما يصدر الامر .
- فكم من ملوك ذوى مكان رفيع ، وكم من أبطال استولوا على الممالك .
- وكم من محاربين حطموا الجيوش ، وكم من رجال كالأسود ضربوا بالسيوف.
- وكم من جميلات ممشوقات القد ، وكم من لطيفات وجناتهن كالشمس،
- وكم من حسناوات فى ريعان الشباب ، وكم من عرائس فى أبهى الزينات،
- وكم من مشاهير وملوك سعداء ، وكم من ممشوقات القوام كالسرو ورديات الوجنات.
- مزقوا جميعا ثياب العمر ، وارتدوا ثوب التراب .
- وذهب محصول عمرهم أدراج الرياح ، ولايستطيع أحد العثور على أثر لهم.
- فلا يتعلق قلبك بهذه الدار الفانية ، فإنك لاترى فيها قلبا سعيدا
- ولا يتعلق قلبك بهذا القصر الطيب الهواء ، فمن سمائة يمطر البلاء،
- وليس للدنيا ثبات يابنى ، فلا تقضى العمر فى غفلة.
- ولا يتعلق قلبك بهذا المنزل غير المستقر وتذكر قول سعدى هذا. (١)

= بسا پادشاهان سلطان نشان — بسا پهلوانان كشور ستان
بساتند گردان لشكر شكن — بساشير مردان شمشير زن
(١) بسا ماهرويان شمشاد قد — بسا نازيننان خورشيد خد
بسا دلربايان نو خاسته — بسانو عروسان آراسته
بسانا مدار وبسا كا مگار — بسا سرو قد وبسا گلعذار
كه كردند پيراهن عمر چاك — كشيدند سر در گريبان خاك
چنان خر من عمر شان شد بباد — كه هر گز كسى زان نشانى نداد
منه دل برين منزل جانستان — كه دروى نه بينى دل شادمان
منه دل برين كاخ خرم هوا — كه مى بارد از آسمانش بلا
ثباتى ندارد جهان اى پسر — بغفلت مبر عمر در وى بسر
منه دل برين دير ناپائدار — ز سعدى همين يك سخن ياد دار

واذا بحثنا عن شعر النصيحة بعيدا عن المنظومات والكتب وجدناه فى بعض القصائد ومن ذلك مانراه فى قصيدة للشاعر الخاقانى (متوفى ٥٩٥ هـ) عنوانها «بحر الابرار » وقد تأثر هذا الشاعر بالشاعر الصوفى سنائى، وينصح فى مقدمة قصيدته هذه بالقناعة وعدم التمسك بمفاتن الدنيا، ويذم الظلم وما يفضى اليه من سوء المنقلب، وينتقل إلى الترغيب فى الدين والأئتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه ، وها هو ينصح الظالم بالانتباه من غفلته والكف عن أفعاله حتى ينجو فى الدنيا والآخرة ، يقول :(١)

– إرهب سهام الضعفاء تنطلق من كمين الليل، فبقدر ما تكون شكواه تكون طعناته.

– واحذر آهات المظلوم فهو يقظ متأهب ، وقد يأتيك وابله وأنت نائم على وسادتك.

واذا كنا قد تحدثنا عن كتاب «بوستان» للسعدى الشيرازى على أنه كتاب فى الأخلاق فإننا نستطيع أيضا ضمه الى كتب النصيحة المنظومة شعرا؛ ويضم كتابه عشرة أبواب يتناول فيها موضوعات عديده فى العدل والإحسان والتواضع والرضا والقناعة والشكر والتوبة وغير ذلك ، يقول فى الباب الرابع من كتابه عن التواضع ناصحا به : (٢)

---

(١) بترس از تيرباران ضعيفان در كمين شب   كه هركز ضعف نالان تر قوى تر زخم پيكانش
حذركن زآه مظلومى كه بيدارست وخون باران   تو شب خفته ببالين تو سيل آمد زبارانش
(أنظر : بين الأدب العربى والفارسى والتركى – دكتور حسين مجيب المصرى – القاهرة ١٩٨٥م ص ١١٢).

(٢) ترجمة البوستان للدكتور أمين عبد المجيد بدوى ص ١٤٣.

بزركان نكردند در خود نگاه	خدا بينى از خويشتن بين مخواه
بزركى بناموس وكفتار نيست	بلندى بدعوى وپندار نيست
تواضع سر رفعت افرازدت	تكبر بخاك اندر اندازدت
بگردن فتد سركش تند خوى	بلنديت بايد بلندى مجوى
ز مغرور دنياره دين مجوى	خدا بينى از خويشتن بين مجوى
گرت جاه بايد مكن چون خسان	بچشم حقارت نگه در كسان
گمان كى برد مردم هوشمند	كه در سركر انيست قدر بلند
ازين نامورتر محلى مجوى	كه خوانند خلقت پسنديده خوى
نه كر چون توئى برتو كبر آورد	بزر كش بينى بچشم خرد ؟
تو نيز آر تكبر كنى همچنان	نمائى ، كه پيشت تكبر كنان =

- العظماء لم ينظروا إلى أنفسهم بإعجاب، لا تطلب مراقبة الله من المغرور.
- ليست العظمة بالكبر والادعاء والكلام ، والرفعة ليست بالدعوى والغرور .
- التواضع يرفع رأس رفعتك والتكبر يلقيك فى التراب .
- المتمرد الحاد الطبع يقع على عنقه ،اذا اردت الرفعة فلا تتعالى وتتكبر .
- لاتطلب طريق الدين من المغرور بالدنيا، ولا تطلب مراقبة الله من المغرور المعجب بنفسه.
- إذا أردت الجاه فلا تفعل مثل الاسافل ، فتنظر إلى الناس بعين الاحتقار.
- متى وكيف يظن الرجل العاقل أن القدر الرفيع فى الكبر والصلف .
- لا تطلب محلا أشهر وأسمى من أن يدعوك الخلق محمود الخلق .
- أليس إذا تكبر عليك شخص مثلك ، لا تراه بعين العقل كبيرا؟
- أنت أيضا اذا تكبرت ، تبدو مثلما يبدو أمامك المتكبرون.
- حيث تكون واقفا على مقام عال ، لاتضحك على الساقط العاجز اذا كنت عاقلاً
- فكثيرا ما سقط الواقف ، فاخذ الساقطون العاجزون مكانه .
- فلأفرض انك أنت نفسك مبرأ من العيب ، فلا تتعنت معى أنا المعيب .
- شخص بيده حلقه باب الكعبة ، وشخص واقع سكران فى حانة .
- إذا دعا الله ذلك السكران فمن يمنعة ؟ وإذا طرد هذا الذى بيده الحلقة فمن يرده ؟
- لا ذلك الذى بيده الحلقة مستظهر بأعماله ، ولا هذا السكران باب التوبة مغلق أمامه

ومن الذين نظموا شعرا فى الحكمة والنصيحة أيضا الشاعر نور الدين عبد الرحمن الجامى (٨١٧ - ٨٩٨ هـ) الذى يعد من أعظم شعراء إيران ، وهو صاحب

= چواستادهٔ بر مقامی بلند ... بر افتاده گر هوشمندی مخند
بسا ایستاده در آمد زپای ... که افتاد کانش گرفتند جای
گر فتم که خود هستی ازعیب پاك ... تعنت مکن بر من عیبناك
یکی حلقهٔ کعبه دارد بدست ... یکی در خراباتی أفتاده مست
گر آنرا بخواند ؛ که نگذاردش ؟ ... ور این را براند ، که باز آردش ؟
نه مستظهر است آن بأعمال خویش ... نه این را در توبه بستست پیش
(كليات سعدى ص ٣١٠).

ثلاثة دواوين وسبع مثنويات ، بالاضافة إلى ماألفة فى تفسير القرآن وعلم الحديث وتراجم المتصوفة و الصرف والنحو العربيين والعروض والقافية وغير ذلك ، ومن كتبه النثرية كتاب « نفحات الأنس» و « شواهد النبوه» و «اللوايح» و « بهارستان» وقد الف الكتاب الاخير على غرار كتاب «گلستان» للشاعر سعدى الشيرازى (متوفى ٦٩١ هـ)، وهو يشتمل على ثمانية فصول يتحدث فيها عن كلام الحكماء وعدالة السلاطين والسخاء والكرم وأحوال الشعراء وغير ذلك من الموضوعات ، ويختلط النثر فى هذا الكتاب بالنظم.

أما عن مؤلفاته المنظومة فهى سبع مثنويات تسمى «هفت اورنگ» وهى عبارة عن : سلسلة الذهب ، سلامان وابسال ، وتحفة الاحرار ، وسبحة الاسرار ، ويوسف وزليخا ، وليلى والمجنون ، وخردنامه اسكندرى . أما دواوينه الثلاثة فيسمى الأول فاتحة الشباب ، والثانى واسطة العقد ، والثالث خاتمة الحياة. وكان الجامى على علم تام باللغه العربية وآدابها ، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته و أشعاره على السواء، ويعتبر كتابه « الفوائد الضيائية» الذى ألفه لابنه ضياء الدين يوسف وشرح فيه كافية ابن الحاجب من كتب النحو العربى الهامة. كما يظهر فى شعره تأثير الشعر العربى وأفكاره ومضامينه عليه ، وقد إقتبس كثيرا من معانى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فى مثنوياته ، وترجم أربعين حديثا نبوياً إلى اللغة الفارسية : (١)

---

(١) أنظر كتاب " از سعدى تاجامى " - ترجمة على اصغر حكمت - تهران ١٣٥١ ص ٧٤٥ ومابعدها.

چند روزى ز قوى دينان باش   در بى حاجت مسكينان باش
شمع شو شمع كه خودرا سوزى   تا بآن بزم كسان افروزى
بابد ونيك نكو كارى ورز   شيوهٔ يارى وغمخوارى ورز
ابر شو تاكه چو باران ريزى   بر گل وخس همه يكسان ريزى
چشم از لغزش باران مفكن   بملامت دل ياران مشكن
باش چون بحر ز آلايش پاك   ببر آلايش از آلايشناك
همچو ديده بسوى خويش مبين   خويش را از دگران بيش مبين
بس عمارت كه بود خانهٔ رنج   بس خرابى كه شود پردهٔ گنج
بسط كن برهمه كس خوان كرم   بذل كن بر همه هميان درم
بازكش پاى ز آزار همه   دست بگشاى باعيثار همه
هرچه بدهى بكسى باز مجوى   دل زانديشهٔ او پاك بشوى

ومن أمثلة شعره الذى يتضمن نوعا من النصح تلك الأبيات التى يتحدث فيها عن فعل الخير ومساعدة الناس ، وهى من منظومة «سبحة الأبرار » يقول :

- كن قوى الدين زمنا ، واسع وراء حاجة المساكين .
- كن شمعة تحترق لتضئ مجالس الأخرين .
- كن حسن الفعال مع الطيب والشرير ، واسلك طريق المحبة ومواساة الآخرين.
- كن كالسحاب عندما يمطر ، فهو لايفرق بين الورود والأشواك .
- لا تسلط نظرك على زلل الآخرين وعيوبهم ، ولا تؤلم قلوب الأصدقاء باللوم .
- كن طاهراً خالياً من التلوث كالبحر ، وأزل تلوث الملوثين .
- لاتنظر إلى نفسك بعينك ، ولا تنظر إلى نفسك على أنك أفضل من الآخرين .
- فكم من المنازل ما تكون موطناً للآلام ، وكم من الخرابات ما تخفى الكنوز الثمينة .
- إبسط مائدة الكرم للجميع ، وابذلك عطاياك لهم .
- إمتنع عن أذية الخلق ، وامدد يدك لمساعدتهم .
- لا تسترد ما تعطى من أحد ، ولا تفكر فيه مرة ثانية .

ويقول فى بعض أبيات له يذم فيها الطمع وينصح بالابتعاد عنه والتخلص منه [١] :

- كل من يميل قلبه للعدل ، قل له : لاتطمع فى مال الناس .
- فالطمع والعدل كالنار والهواء ، فكيف يجتمعان فى مكان واحد ؟
- عندما يدق الطمع باب المنزل ، يفر العدل من النافذة .
- وإذا كان الطمع يجلب العار للفقير ، فكيف يليق بالسلطان أن يفعل هذا ؟

---

(١) من منظومة " سلسلة الذهب " :

هر كه را دل بعدل شد مايل — طمع از مال خلق كو بگسل
طمع وعدل آتش وآبند — هر دو يكجا قرار كى يابند ؟
چون بكوبد طمع در مسكن — عدل بيرون كر يزد از روزن
از طمع چون بود گدا را ننگ — كى سزد شاه را بان آهنگ
حيف باشد ز شاه فرخ فر — ظلم جوئى پى زر وزيور
زيور شاه وصف شاهى بس — گو مده دل بزر وزيور كس

- وا أسفاه على السلطان العظيم ، عندما يستولى عنوة على الذهب والمتاع .
- إن عظمة السلطان تكفيه فخراً ، قل له : لا تشغل فكرك بالذهب والمتاع .
- قال المأمون ذات ليلة لإبنه : يامن أنت فى السعادة والحظ موفقاً دائماً
- عندما تصل الخلافة إليك ، لا تجعل الحرص على الدنيا آفتك .
- فالشبع من الذهب والفضة يكون أمراً صعباً لمن ينتزعهما من الأيم أحياناً ، ومن اليتيم أحياناً أخرى .

ويتحدث الشاعر فى موضع آخر عن الدنيا وما يعانيه الإنسان فيها ويشبهها بالفخ الذى يقع فيه الطائر ، فيقول (١) :

- نعم نعم فى هذه الدنيا الفانية ، تختلط الراحة والمعاناة معاً .
- فالطائر الذكى عندما يرى حباً على الأرض ، يعرف أن فخاً قد نصب له ،
- فيعمل بحزم فترة ، ويختار الصبر على الحب ،
- حتى تذهب الطيور الأخرى الغافلة الى الحب قبله ،
- فإذا لم تصب بسوء من الفخ ، اتجه إلى الحب متبختراً ،
- وإذا أصابهم أذى أو ضرر من الحب ، فإنه يفر هارباً وهو فارغ البال .
- ونحن فى هذا الفخ السفاك للدماء (الدنيا) ، أقل من هذه الطيور مائة مرة ،
- لأننا لانخشى أى ضرر من هذا الفخ ، بل لانفرق بين الحب والفخ ،
- ونرى الفخ ونظنه حباً ، ولا نعتبر الفخ سوى خرافة .

---

(١) من منظومة " سلسلة الذهب " :

آرى آرى درين سراى سپنج ... باهم آميختست راحت ورنج
مرغ زيرك چو در زمين بيند ... دانه را دام در كمين بيند
يك ز مانى بحزم كار كند ... صبر از دانه اختيار كند
تا دگر مرغكان غفلت كيش ... سوى دانه روند ازوى پيش
گر نيايد گزند شان از دام ... كند او نيز سوى دانه خرام
ور رسدشان زدانه رنج وملال ... رو نهد در گريز فارغ بال
ما در اين دام گاه خو نخواره ... كم از آن مرغكيم صد باره
هيچ أز آسيب دام نهراسيم ... بلكه دانه ز دام نشناسيم
دام بينيم ودانه پنداريم ... دام را جز فسانه نشماريم

٢- النصيحة والحكمة فى النثر :

من أهم كتب النصيحة الفارسية كتاب « قابو سنامه » الذى ألفه الأمير عنصر المعالى كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمگير بن زيار ، وهو عاشر الأمراء الزياريين (٣١٥ - ٤٧٠ هـ) وسابع ولاتهم وقد حكم قهستان من سنة ٤٤١ وحتى ٤٦٢هـ . حيث أنتقل إلى رحمة مولاه . ويستفاد من كتابه هذا أنه تعلم الفروسية والآداب والفنون والسباحة . واشتغل فترة بمنادمة السلطان مودود بن مسعود كما إشترك فى غزوات الهند والروم وذهب للحج أيام القائم بأمر الله وقدرزقه الله التوبة فى سن الخمسين فعزف عن اللهو والشراب وغلب عليه الزهد والورع ، وقد إستفاد من تجاربه فى الحياة فى تأليف كتابه هذا الذى قدمه لإبنه گيلا نشاه ليعلمه كيف يعيش ويحكم . وتجمع كتب الأدب على أنه ألف كتابه هذا فى أواخر عمره وأنه توفى سنة ٤٦٢ هـ ويضم كتابه قابو سنامه واحدا وثلاثين بيتاً من شعره ، مما يدل على أنه كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه يتميز فى الكتابة عنه فى قول الشعر .

ويسمى هذا الكتاب أحياناً باسم « كتاب النصيحة » وهو يطابق موضوع الكتاب والغرض منه ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة منها الألمانية والفرنسية والتركية والإنجليزية والروسية (١).

يشتمل كتاب « قابو سنامه » على أربعة وأربعين باباً ، يعالج المؤلف فى كل باب منها موضوعاً خاصاً ، وتدل هذه الأبواب على سعة إطلاع مؤلفها وثقافته وتمكنه من العلوم والفنون التى كانت سائدة فى عصره ، كما أنه يجسد الأوضاع الإجتماعية والسياسية التى كانت تسود دولة الخلافة العباسية وحواضرها .

ومن الممكن تقسيم أبواب الكتاب من حيث الموضوع إلى أقسام ثمانية (٢) :

أولها : فى النصائح التى قل أن يخلو منها فصل منه وتستغرق الباب الثامن بأكمله فى نصائح أنوشيروان العادل .

---

(١) أنظر مقدمة ترجمة قابو سنامه - تعريب محمد صادق نشأت ودكتور أمين عبد المجيد بدوى - طبعة القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

(٢) المصدر السابق ص ٣١ ومابعدها.

ثانيها : فى العظات أى النصائح ذات الطابع الدينى وهى موجودة فى ثنايا المقدمة وأبواب أخرى متفرقه كالأبواب الخمسة الأولى .

ثالثها : فى الحياة وفن المعاشرة ، وهى موجودة فى الأبواب : العاشر وحتى الباب الثامن والعشرين .

رابعها : فى الأخلاق والتربية ، وهى موجودة فى أبواب متفرقة .

خامسها : فى طلب العلم وتحصيل الفضل ، وهى موجودة أيضاً فى أبواب متفرقة .

سادسها : فى الرياضة ، وهى موجودة فى البابين الثامن والتاسع عشر .

سابعها : فى الحرف ، وهى موجودة فى أبواب متفرقة من الكتاب .

ثامنها : فى السياسة وادارة المملكة ، وهى موجودة فى أبواب متفرقة من الكتاب .

وفى هذه الأبواب نجد مجموعة من الأخبار والحكم والحكايات والأحاديث والآيات القرآنية وأبيات الشعر إستعان بها المؤلف لتوضيح أفكاره وتأييد آرائه .

وإذا تناولنا كل موضوع من هذه الموضوعات على حدة ، وجدنا أن النصيحة تعم كل أبواب هذا الكتاب ويقتصر الباب الثامن على مجموعة من النصائح تنسب إلى أنوشروان العادل يقدمها لإبنه ، ويقول مؤلف الكتاب فى ختامها : « هذه كانت كلمات أنوشيروان العادل فإذا قرأتها فلا تختصر هذه الألفاظ فإن أريج الحكمة وعبير الملك يتضوعان من هذه الأقوال لأنها كلام الحكماء وكلام الملوك ، وتعلم الآن وأنت شاب إذ حينما تصير شيخاً لا تكون بك حاجة إلى سماع وتعلم النصيحة والحكمة ، لأن الزمان نفسه يكون قد علم الشيوخ » (١) .

---

(١) این بود سخنهای نو شیروان عادل چون بخوانی این لفظها را خوار مدار که ازین سخنان بوی حکمت وبوی ملك می آیدکه سخن حکماست وسخن ملوك واکنون آموز که جوانی چون پیر گردی تراخود بشنودن وآموختن پند وحکمت حاجت نباشد که پیرانرا خود روزگار آموخته باشد.

(قابوسنامه ص ٤٢ ومابعدها الترجمة العربية ص ٨٠ ومابعدها).

ومن هذه النصائح قول أنو شيروان : (١)

- لا تصادق الجاهل ، فإن الجاهل ليس جديراً بالحب أو البغض .
- إجتنب من يرى نفسه عالماً وهو جاهل .
- إنصف بنفسك لتستغنى عن القاضى .
- قل الحق وإن يكن مـراً ، وإذا أردت أن لايعـرف العـدو سـرك فـلا تفـشـه للصديق.
- كل عظيم يعتبر نفسه صغيراً فهو عظيم الزمان .
- إذا أردت أن تكون غنياً بلا عناء فكن حميد الأفعال .
- الموت جوعاً خير من الشبع بخبز اللئام .
- لاجرم أكبر من أن يدعى الشئ من لايعرفه فيصير كذاباً .
- إعتبر العبد الذى يشترى ويباع أكثر حرية ممن يكون عبداً لبطنه .
- لا ينبغى لأى عالم أن يتعب فى تعليم من لم يؤدبه تعليم الزمان .
- إذا أردت أن تكون بعيداً عن الأذى فلا تكن حسوداً .
- إذا أردت أن تكون محترماً فالتزم الحياء .
- إذا أردت أن تأمن طول الندم فلا تعمل بهوى القلب .

---

(١) - با مردم بى هنر دوستى مكن كه مردم بى هنر نه دوستى را شايد ونه دشمنى را.
- پرهيز از كسى كه خود را دانا داند ونادان باشد.
- داد از خود بده تا از داور مستغنى باشد.
- حق بگوى اگر چه تلخ باشد واگر خواهى كه راز تود شمن نداند بادوست مگوئى.
- هر بزرگ كه خود را خرد نگارد بزرگ زمان باشد
- اگر خواهى كه بى رنج تو انگر باشى پسنديده كار باش.
- اذ كر سنگى مردن به كه بنان فروما يگان سير شدن.
- جرمى بزرگتر از آن نبود كه بچيزى دعوى كند كه نداند وآنگاه دروغ گوى گردد.
- هر بنده كه اورا بخرند وبفروشند آزادتر از آن كس دان كه بندهء گلو باشد.
- هر كسى كه آموزش روزگاد اورا دانا نكند هيچ دانا را درآموختن رنج نبايد برد.
- اكر خواهى كه از رنج دور باشى حسود مباش.
- اگر خواهى كه بآبرو باشى آزرم را پيش گير.
- اگر خواهى كه از پشيمانى دراز ايمن گردى بهواى دل كارمكن.
- اگر خواهى كه از شمار آزادگان باشى طمع را در دل خود جاى مده.

- إذا أردت أن تكون فى عداد الأحرار فلا تدع للطمع موضعاً فى قلبك .

وفى الأبواب التى تشتمل على مواعظ دينية كالباب الأول (فى معرفة الله تبارك وتعالى) ينصح مؤلف الكتاب ابنه بأن ينظر إلى المصنوع ليعرف الصانع، ويتفكر فى آلاء الخالق ولايفكر فى ذاته كما قال النبى (صلعم) « تفكروا فى آلاء الله ولاتفكروا فى ذاته » . ويعظه فى الباب الثالث وينصحه بشكر الله ويقول له : « إعلم يابنى أن شكر المنعم واجب على جميع الخلق على قدر التكليف لا على قدر الإستحقاق ، إذ لو جعلوا جميعاً كل كيانهم شكراً ، لايكونوا قد أدوا بعد شكرهم جزء من ألف ». ويقول : « إعلم أن الصلاة والصوم خاصتان بالله ، فلا تقصر فيهما ، لأنك إذا قصرت فى الخاص ، حرمت من العام ، واعلم أن صاحب الشريعة قد عدل الصلاة بالدين كله ، فمن ترك الصلاة ، فكأنما ترك الدين كله » .

و ينصح المؤلف إبنه فى الباب الرابع بأداء الزكاة والحج وأن الله عز وجل خص ذوى النعمة واليسار بهاتين الفريضتين ، وفى الباب الخامس ينصحه باطاعة الوالدين وتأدية حقهما .

وفى الأبواب التى يتناول فيها المؤلف الحياة وفن العاشرة ينصح إبنه بخصوص ترتيب تناول الطعام فى الباب العاشر ويرى أن بعض الناس يتناولون الطعام ليلاً فيصابون دائماً بالتخمة، والأصوب عنده أن يتناول الناس قليلاً من الزاد فى الصباح ويذهبوا إلى أعمالهم حتى صلاة الظهر ، ويحضرون من يتناول الطعام معهم ويأكلون، ولاينبغى أن يأكلوا بعجلة وأن يتمهلوا ويجوز أن يتحدثوا إلى الناس على الطعام ، ولكن ينبغى على الإنسان أن يطرق برأسه ولا ينظر إلى لقم الناس. كما ينبغى أن توضع آنية الطعام أمام الضيف قبل أن توضع أمام المضيف .

وفى الباب السابع عشر ينصح إبنه بعدم النوم الكثير لأنه « عادة غير ممدوحة تخمل البدن وتذهل الطبع » كما أن قله النوم ضارة كذلك ، وينصحه بعدم النوم وحيداً فى الليل أو النهار ، وأن يتعود على الإستيقاظ مبكراً وتأدية فريضة الصلاة .

وفي الباب الحادى والعشرين (فى جمع المال) ينصح المؤلف إبنه بأهمية الحصول على المال ويقول له « أى بنى لا تغفل عن جمع المال ، ولكن لاتلق بنفسك فى الخطر من أجله ، وإجتهد فى أن يكون كل ما تحصله من خير وجه ليكون هنيئاً لك ،

وإذا حصلت عليه فاحفظه ، فإن حفظه أصعب من جمعه ، وحينما تضطر للإنفاق فاجتهد حتى تضع عوضه سريعاً فى مكانه .وإعلم أن زينة المرء فى بذله للمال .ولكن أعلم أن الإسراف عدو الله .

وفى الباب الثالث والعشرين (فى شراء الرقيق) يقول لإبنه : « إذا أردت أن تشترى الرقيق فكن فطناً لأن شراء الآدمى علم صعب .. وأعلم أن هناك ثلاثة شروط فى شراء المماليك : أحدهما معرفة عيوب وفضائل ظاهرهم وباطنهم بالفراسة والوقوف على العلل الخفية والظاهرة بالعلامات ثم معرفة الأجناس وعيوب وفضائل كل جنس ..» ثم يفصل القول فى كل شرط من هذه الشروط .

وفى الباب الرابع والعشرين (فى شراء البيت والضياع) يقول لإبنه : « أى بنى إعلم أنه ينبغى أن تراعى حد الشرع إذا أردت أن تشترى ضيعة أو بيتاً أو أى شئ تريد ، واشتر كل ما تشتريه فى وقت الكساد وبع كل ما تبيع فى وقت الرواج ، اطلب الربح ولا تأنف .. وإذا حضرت البيع والشراء وأردت أن تشترى بيتاً فاشتره فى حى صالح أهله ، ولاتشتره على حافة المدينة ولا تحت سورها ، ولا تبتع بيتاًخرباً لرخصه ، وأنظر أولاً إلى الجار ، فقد قيل الجار ثم الدار .. » .

وفى الباب الخامس والعشرين ينصحه بالنسبة لشراء الخيل ويقول « .. ومعرفه جيد الخيل ورديئها أصعب من معرفة جيد الناس ورديئهم ، لأن معنى المرء موجود مع دعواه ، ودعوى الحصان رؤيته ، ولأجل أن تعرف المعنى أنظر أولاً إلى منظره .. فينبغى أن تكون الأسنان متصلة ودقيقة وبيضاء والشفة السفلى أطول من الشفة العليا والأنف عالياً وواسعاً ومسحوباً، وأن يكون عريض الجبهة وأملس العذار وطويل الأذن وطرف أذنه مدبباً ومرتفعاً ..» ويردد المؤلف كثيراً من الأوصاف التى يجب أن يتصف بها الجواد الجيد .

وفى الباب السادس والعشرين يتناول المؤلف موضوع الزواج وينصح ابنه بقوله : « أى بنى إذا تزوجت المرأة فاحسن رعاية حرمتها ، ولا تضن بالمال على أسرتك وولدك ، .. أما إذا تزوجت فلا تطلب مال المرأة .. أما المرأة فيجب أن تكون طاهرة متدينة وربة بيت ومحبة لزوجها وحيية وتقية وقصيرة اللسان واليد ، ومحافظة على المال لتكون صالحة ...» .

وفى الباب الثامن والعشرين يتحدث المؤلف عن الصداقة واتخاذ الأصدقاء . فيقول : « أعلم يابنى أنه لابد للناس من الأصدقاء ما داموا أحياء ، لأنه إذا لم يكن للمرء أخ فذلك خير من أن يكون بغير صديق ... وأحبب الأصدقاء الذين يحبون أصدقاءك ، واحذر من الأصدقاء الذين يحبون عدوك... » .

أما فى الأخلاق والتربية ، فهناك أبواب فى الكتاب تتناول موضوعاتها هذا الجانب ، ومثال ذلك ما جاء فى الباب السابع حول الحسن والقبيح فى الكلام ، إذ يقول المؤلف لإبنه ناصحاً : « أى بنى كن لسناً ولكن لاتكن كذاباً ، ولا تجعل نفسك معروفاً بالكذب وكن معروفاً بالصدق .. وحذار أن تقول كلاماً بارداً ، فإن الكلام البارد بذر تنبت منه العداوة ، وإذا كنت عالماً فعد نفسك جاهلاً ، لكى ينفتح عليك باب التعلم ، ولا تنقض أى كلام أو تمدحه مالم تدرك عيبه وفضله ، وتكلم على نسق واحد مع الخاص والعام حتى لا تخرج عن حد الحكمة .. وانظر لمن تتحدث إليه أهو مشتر لكلامك أم لا ، فإذا وجدته مشترياً فبع ، وإلا فقل ما يعجبه ليشترى منك .. » .

وفى الباب الثانى والعشرين يتحدث المؤلف عن الأمانة وأن الإنسان إذا قبلها لابد أن يحافظ عليها ويعيدها الى صاحبها سالمة .

وفى الباب الثلاثين يتناول المؤلف موضوع العفو والعقوبة فيقول لإبنه : « أى بنى لا توجب على الناس العقوبة فى كل ذنب ، وإذا أذنب إنسان فالتمس لذنبه عذراً فى قرارة نفسك .. ولا تعاقب بالباطل حتى لا تصير مستوجب العقوبة بغير جريرة ، ولا تغضب لكل شئ وتعود كظم الغيظ وقت الضجر ، وإذا طلب منك العفو عن ذنب فاعف ... » .

أما فى طلب العلم وتحصيل الفضل ، فقد تحدث المؤلف فى الباب الحادى والثلاثين عن طلب علم الدين والقضاء وغير ذلك ، وهو ينصح ابنه بتعلم علم الدين ويرى أن « أجل علم هو علم الدين لأن أصوله على الدوام التوحيد وفروعه أحكام الشرع وحرفته نفع الدنيا والأخرة .. فيابنى در ما إستطعت حول علم الدين لتظفر بالدنيا والآخرة » .

وفى الباب الثالث والثلاثين يتحدث عن علم الطب ، وفى الباب الرابع والثلاثين يتحدث عن علم النجوم والهندسة ،وفى الباب الخامس والثلاثين يتناول علم الشعر ،

وينصح إبنه فى الباب الأخير بقوله : « إذا كنت شاعراً فاجتهد أن يكون كلامك سهلاً ممتعاً ، وتحاش الكلام الغامض ، ولا تقل ما تعرفه أنت ولايعرفه سواك فيحتاج إلى الشرح ، لأنهم يقرضون الشعر من أجل الناس لا من أجل أنفسهم ، ولا تقنع بالوزن والقوافى الفارغة ، ولاتقل الشعر بغير صناعة وترتيب .. واعرف علم العروض وتعلم الشعر والألقاب ونقد الشعر .. ويجب على الشاعر أن يكون عارفاً بطبع الممدوح ويعلم ما يروقه ، لأنك ما لم تقل ما يريد فإنه لا يعطيك ما يليق بك .. » .

وفى الباب التاسع والثلاثين يتحدث المؤلف عن الكتابة والإنشاء فيقول لإبنه : « إذا كنت كاتباً فينبغى أن تكون قوى البيان وذا خط حسن وأن لا تعتاد التجاوز فى العبارة وأن تتعود كثرة الكتابة لتصير ماهراً ... وزين كتابك بالإستعارات والأمثال والآيات القرآنية والأخبار والنبوية .. » .

ولم يترك المؤلف مجالاً من المجالات إلا ونصح إبنه فيه ، فقد تحدث عن الرياضة فى بابين من كتابه ، فتحدث فى الباب الثامن عشر عن الصيد والطرد ، وتحدث فى الباب التاسع عشر عن لعب الصولجان . أما بالنسبة للصيد فيقول ناصحاً إبنه : « إعلم يابنى أن ركوب الخيل والطرد عمل المحتشمين ، وخاصة فى الشباب ، ولكن ينبغى أن يكون لكل أمر حد ومقدار ، ولايمكن الصيد كل يوم ، والأسبوع سبعة أيام ، فاخرج يومين للصيد ، وإشتغل ثلاثة أيام بالطاعة، ويومين بتدبير شأنك.. » ثم يحدثه عن كيفية الصيد وما هى الحيوانات التى يقوم بمطاردتها والحيوانات التى يتجنبها لما تحمله مطاردتها من مخاطر . أما فى لعب الصولجان فينصحه أيضاً بألا يصبح عادة دائمة ، بل يلعبه مرة أو مرتين فى السنة .

ويحدث المؤلف إبنه عن بعض الحرف وخصائصها كالتجارة فى الباب الثانى والثلاثين، والغناء فى الباب السادس والثلاثين، والزراعة والصناعة فى الباب الثالث والأربعين، وهو فى حديثه عن كل حرفة من هذه الحرف يظهر براعة وخبرة ، ويؤيد رأيه دائماً بالحكايات .

أما فى موضوع السياسة وادارة المملكة فقد أفاض فى الحديث عنها ، فتحدث عن قتال الأعداء فى الباب العشرين، وينصح إبنه بالقضاء السريع على أعدائه فيقول له : « حينما تكون فى ميدان القتال لايجوز التراخى والتريث ، بل يجب أن تتغدى

بعدوك قبل أن يتعشى بك .. ولا تتراجع خطوة فى المعركة ما دمت تستطيع التقدم خطوة .. وإجعل الموت شهياً إلى القلب فى ذلك المكان .. وكن مقداماً ... » .

وفى الباب التاسع والعشرين يتحدث عن الحذر من العدو وينصح إبنه قائلاً : « إجتهد يابنى أن لاتعادى ، فإن يكن هناك عدو فلا تخف ، ولاتكن حرج القلب ، فكل من ليس له عدو يكون كما يشتهى العدو ، ولكن لا تغفل عن عمله فى الخفاء والعلن ، ولا تأمن شره ، واشتغل دائماً بتدبير المكر به والإساءة إليه ولا تأمن بأى حال من حيلته ومكره .. » .

وفى الباب السابع والثلاثين يتناول موضوعاً آخر هو «خدمة الملوك » وما يجب على من يقوم بهذه الخدمة أن يفعل ، يقول المؤلف : « إذا إتفق أن تكون من جملة حاشية الملك وتتصل بخدمته ، فمهما مكنك الملك لديه فلا تغتر بقربه وتباعد ، ولكن لا تهرب من الخدمة ، إذ من قرب الملك ينشأ البعد ، ومن خدمته يحصل القرب ، وإذا أمنك يوماً من نفسه فكن غير آمن ذلك اليوم ، لأن كل من يسمن على يد شخص يجب أن يتوقع منه الإسراع فى ذبحه .. ولا تقل أى كلام إلا على مراد الملك .. ولا ترشد مليكك إلا إلى عمل الخير ، وإذا علمته السوء يسئ إليك ... » .

وفى الباب الأربعين يتحدث المؤلف عن « شرائط الوزارة » ويقول ناصحاً لإبنه كيلانشاه : « أى بنى إذا إتفق لك أن تكون وزيراً فكن محاسباً واعرف المعاملة جيداً واستشعر الصدق مع مولاك ، وانصف ولى نعمتك ، ولا تطلب الكل لنفسك ، فإنك لا تعطى الكل ... » .

وفى الباب الحادى والأربعين يتناول نظام القيادة وينصح إبنه إذا كان قائداً أن يكون محسناً الى العسكر والرعية ، وأن يبعث فى يوم المعركة إلى الميمنة والميسرة بالقواد الذين مارسوا الحروب وخبروا الدنيا ، وأن يقيم أشجع القوا دمع خير طائفة فى الجناح ، ويجب ألا ينظر القائد إلى العدو على أنه ضعيف مهما كان ضعيفاً ، وأن يرسل لإستطلاع حال العدو .

أما فى الباب الثانى والأربعين يتحدث عن « آداب الملك » ويقول لإبنه ناصحاً : « أى بنى إذا صرت ملكاً يوماً ما فكن ورعاً ، وكف عينك ويدك عن حرم المسلمين ، .. وشاور عقلك أولاً فى كل عمل تريد أن تعمله لأن وزير وزراء الملك هو العقل .. ولا ترض

الجور ، وانظر إلى كل الأعمال والأقوال بعين العدل حتى تستطيع أن ترى الحق والباطل فى كل الأمور .. وكن عزيز اللقاء حتى لا تصير حقيراً فى أعين الجند والرعية .. وكن رحيماً بعباد الحق تعالى ولكن لاترحم من لا يرحمون ... » .

نموذج من كتاب « قابو سنامه » (١)

الباب التاسع : فى الشيخوخة والشباب

أى بنى مهما تكن شاباً فكن ذا عقل شيخ ، لا أقول لاتصب ولكن كن شاباً مسيطراً على نفسه . ولاتكن من الشباب الذابلين ، لأن الشاب الشاطر حسن لطيف كما يقول أرسطاطاليس (الشباب شعبة من الجنون) ، ولا تكن أيضاً من الشاب الجاهلين لأن البلاء لا ينشأ الشطارة ، ومن الجهل ينشأ البلاء ، وخذ نصيبك بقدر الطاقة من أيام الشباب ، فإنك إذا صرت شيخاً لا تستطيع أن تستجمع نفسك ، كما قال ذلك الشيخ : « لقد تحسرت وإغتممت السنين الطوال قائلاً : عندما أصير شيخاً لا يرغب فى الحسان ، والآن وقد صرت شيخاً فإنى أنا نفسى لا أرغب فيهن ، وإذا أنا رغبت فإنه لايليق » ، ومهما تكن شاباً فلا تنس الله عز وجل ولا تأمن الموت ، فإن الموت لا يعرف الشاب ولا الشيخ ،كما يقول العسجدى :

لم يكن الموت بالشيخوخة والشباب   فيموت الشيخ ويعيش الشاب

حكايــة

يحكى أنه كان بمدينة الرى خياط له دكان فى بوابة الجبانة قد علق كوزاً فى مسمار ، وكان له شغف بأن يلقى حصاة فى ذلك الكوزكلما خرجت جنازة من البوابة ، ويحصيها كل شهر قائلاً : إنه قد مات فى هذا الشهر كذا شخصاً ، ويفرغ الكوز ويلقى به الحصى ثانياً إلى الشهر التالى ، حتى إنقضى على ذلك زمن ، ومات الخياط، فجاءرجل فى طلبه ، ولم يكن يدرى أنه قد مات ، فلما رأى باب الدكان مغلقاً سأل

---

(١) ترجمة قابو سنامه ص ٨٤ ومابعدها.

جيرانه أن أين الخياط ؟ فقال الجار : إن الخياط وقع فى الكوز أيضاً .

ولكن يابنى كن فطناً ، ولا تغتر بالشباب ، واذكر الله عز وجل فى الطاعة والمعصية فى أى حال تكون ، واطلب العفو واخش الموت حتى لا تقع مثل الخياط فى الكوز فجأة موقراً بالمعاصى ، ولا تجعل كل صحبتك ومعاشرتك مع الشبان ، وجالس الشيوخ كذلك ، واجعل رفقاءك وندماءك خليطاً من الشيوخ والشباب ، حتى إذا قال شاب محالاً بسبب السكر ينبهك الشيخ ، لأن الشيوخ يعرفون أشياء لا يعرفها الشباب، ولو أن غالب الشباب يضحكون من الشيوخ لأنهم يرون الشيوخ فى حاجة إلى الشباب ، ولهذا السبب يطلبون التقدم على الشيوخ ، ويهزأون بهم ، ولئن كان الشيوخ يتمنون الشباب فإن الشبان أيضاً بغير شك يتمنون الشيخوخة وقد يبلغونها أو لا يبلغونها ، وإذا نظرت جيداً رأيت كلا منهما حسوداً للآخر ، ومهما كان الشبان يعدون أنفسهم أعلم الناس فحذار أن تكون على شاكلة هؤلاء الشبان ، وقر الشيوخ ، ولا تتحدث إليهم جزافاً فإن جواب الشيوخ والعقلاء قاس .

حكايـة

سمعت أن رجلاً عمره مائة سنة مقوس الظهر كان يسير متكئاً على عصا، فقال له شاب ساخراً منه ، أيها الشيخ بكم اشتريت هذا القوس حتى أشترى أنا أيضاً واحدة ؟ فأجاب قائلاً : إذا عمرت وهبت لك بلا ثمن وإن كنت لا تستحقها .

ولكن لاتجالس الشيوخ البله ، فإن صحبة الشبان العقلاء خير من صحبة الشيوخ البلهاء . ومادمت شاباً فكن شاباً ، وإذا صرت شيخاً فتشيخ لأن التصابى فى وقت الشيخوخة لايليق ، والشيخ الذى يتصابى كمن ينفخ فى البوق وقت الهزيمة ، كما قيـل :

بيــت

الشيخ الذى يتصابى فى وقت الشيخوخة ، كالنافخ فى البوق وقت الهزيمة .

ولا تكن شيخا أرعن ، واخش الشيوخ الدنسين الجائرين ، وأد حق الشيخوخة أكثر مما تؤدى حق الشباب ، لأنك ما دمت شاباً يكون لك أمل الشيخوخة ، وليس للشيوخ أمل غير الموت ، إذ أن الغلة إذا إبيضت ولم تحصد تناثرت . وكذلك الثمرة

التى نضجت ، إذا لم تقطف وقعت من الشجرة.

رباعـى

لو وضـعت على ناحية القمـر قوائم التخت ، أو صـرت كسليمـان فى الدولة والبخت ،

إذا نضج عمرك حزمت المتاع ، فالثمرة إذا نضجت سقطت من الشجرة .

(إذا تــم أمــر دنــا نقصــــه   تـوقع زوالا إذ قـيل تــم)

ولتعلم أنك لا تترك لتبقى هكذا ، فإذا تعطل شبابك إنسد عليك باب النطق والبصر والسمع واللمس والذوق جملة ، فلا أنت تسر بحياتك ، ولا أحد يسر بك ، ويصير وبالاً على الناس ، فالموت خير من مثل تلك الحياة ، ومثل عمر الإنسان كمثل الشمس ، وشمس الشبان فى أفق المشرق وشمس الشيوخ فى أفق المغرب كما قلت :

قطعــة

كيكاوس يامن صرت عاجزاً فى كف الشيخوخة ، تهيأ للرحيل فقد أقبلت الثالثة والستون ، لقد شارف يومك صلاة العصر على كل حال ، ويقبل الليل سريعاً ، إذا حلت صلاة العصر .

لهذا السبب لاينبغى أن يكون الشيخ شاباً فى عقله وفعله ، وكن دائماً رحيماً بالشيوخ ، لأن الشيخوخة مرض لا يذهب أحد لعيادته ، والشيخوخة علة لا يعرف أى إنسان لها دواء إلا الموت ، ولهذا لايستريح الشيخ من ألم الشيخوخة مالم يمت ، وكل علة تصيب الإنسان إذا لم يمت بها يصح منها إلا علة الشيخوخة فإنها كل يوم تزداد سوءاً ولا يرجى منها الشفاء .

ومما قرأت فى الكتاب ، أن الرجل حتى الرابعة والثلاثين يزداد كل يوم فى القوة والتركيب ، وبعد ذلك يبقى هكذا حتى الأربعين لايزيد ولا ينقص ، كالشمس وقد بلغت كبد السماء ، تكون بطيئة السير حتى الزوال ، ومن الأربعين حتى الخمسين يرى كل عام فى نفسه نقصاناً لا يكون قد رآه فى السنة الماضية ، ومن الخمسين حتى الستين يجد كل شهر فى نفسه نقصاناً لايكون قد وجده فى الشهر الماضى ، ومن الستين حتى السبعين يرى كل أسبوع فى نفسه نقصانا لايكون قد رآه فى الأسبوع المنصرم ، ومن

السبعين حتى الثمانين يرى كل يوم فى نفسه نقصاناً لم يكن قد رآه بالأمس ، وإذا جاوز الثمانين يرى فى نفسه كل ساعة ألماوعناء لا يكون قد رآه فى الساعة الأخرى .

وحد لذة العمر إلى الأربعين ، فإذا إنقضت الأربعون فقد جلس على درجة السلم العليا ، فتهبط كما صعدت من غير شك . فالبرم من يرى فى كل ساعة ألماً وعناء لم يكونا فى الساعة الماضية ، فياولدى وياقرة عينى لقد أطلت شكاية الشيخوخة إليك ، لأن منهاعنائى . ولا عجب فالشيخوخة لى عدو ، ومن العدو تحق الشكوى ، كما قلت :

إذا شكوت منها فلا تعجب منى ، لأنها بلائى ، والشكوى تكون من البلاء .

ويشتكى من الأعداء لأحب إنسان . ارجو من الله عز وجل - أن تبث هذه الشكوى لإبنك ، ولى فى هذا المعنى بيتان :

قطعة

أواه لمن أشكو الشيخوخة ؟ فإن ألمى هذا ليس له دواء أخر غير التوبة

هلم إلى أيها الشيخ حتى أبثك شكواى ، لأنه لاخبر للشباب بهذه الحال .

ولايعرف أحد ألم الشيخوخة خيراً من الشيوخ .

حكاية

كان من جملة حجاب أبى حاجب يقال له مجاهد الحاجب الكامل . وكان شيخاً جاوز الثمانين وأراد أن يشترى حصاناً ، فأحضر رائض حصاناً سميناً ، بديع اللون صحيح القوائم - فرأى الحصان وأعجبه ودفع الثمن ، فلما رأى أسنانه ألفاه عجوزاً فلم يشتره ، فاشتراه رجل آخر ، فقلت له : يا حاجب فلان اشترى الحصان فلم لم تشتره ؟ قال : إنه رجل شاب وأنا خبير بألم الشيخوخة وضعفها وآفتها ، فكيف أكون معذوراً حين اشترى حصاناً عجوزاً ؟

ولكن متى صرت شيخاً فاجتهد أن تقر فى موضع ، لأن السفر فى الشيخوخة ليس من العقل ، وخاصة لمن لايكون قادراً ، إذ أن الشيخوخة عدو والعجز عدو آخر ، فالسفر مع عدوين ليس من الحكمة ، أما إذا وقع السفر إضطراراً وابتعدت عن بيتك ولطف الله تعالى بك فى ذاك السفر وظهر فى تلك الغربة والسفر خير أفضل من ذاك الذى كان فى الحضر ، فلا تطلب العودة إلى البيت قط ، واستقر حيثما ترى عملك

واعتبر ذلك المكان الذى فيه خيرك موطناً ومقاماً . ومهما قيل إن الوطن هو الأم الثانية فلا تكن مشغولاً به ، وحافظ على رونق أيامك ، فقد قيل : الخير يطلب السعداء ، وللتعساء المولد والمقام ، أما إذا رأيت لنفسك رونقاً وظفرت بعمل مفيد ، فاجتهد فى أن تثبت ذلك العمل وتحكمه ، ولا ينبغى أن تكثر الطلب فى ذاك الثبات الذى تلقاه ، لأنك فى طلب الزيادة تقع فى النقص، فإذا كان شئ موضوعاً وضعا حسناً فلا تحاول أن تجعله فى وضع أحسن لكيلا تعجز عن ذلك بالطمع فى المحال ، ولكن لاتكن غير منظم فى تمضية العمر ، وإذا أردت أن تكون محترماً فى عين الصديق والعدو ، فيجب أن

---

(١) باب نهم

در پیری وجوانی

ای پسر هر چند جوانی پیر عقل باش نگویم که جوانی مکن لیکن جوان خویشتن دار باش واز جوانان بژمرده مباش که جوان شاطر نیکوبود وچنانکه أرسطاطاليس گوید الشباب شعبة من الجنون ونیز از جوانان جاهل مباش که از شاطری بلانخیزد واز جاهلی بلاخیزد وبهرهٔ خویش بقدر طاقت از روزگار جوانی بردار که چون پیرشدی خودرا نتوانی گرد آورد چنانکه آن پیر گفت که چندین سال حسرت وغم خوردم که چون پیر شوم خوبرویان مرا نخواهند اکنون که پیر شدم من خود ایشانرا نمی خواهم واگر خود خواهم نزیبد ، وهر چند که جوان باشی خدای عز وجل را فراموش مکن واز مرگ أیمن مباش که مرگ نه جوان داند ونه پیر چنانکه عسجدی میگوید ، بیت :

مــرگ به پیــری وجــوان نیســـتی　　　　پیــر بمــردی وجــوان زیســـتی

حکایت کنند که در شهر ری درزی بود در دروازهٔ گورستان دکانی داشت وکوزهٔ در میخی آویخته بود وهوس آن داشتی که هر جنازهٔ که از دروازه بیرون شدی او سنگی در آن کوزه انداختی وهرماه حساب آن بکردی که درین ماه چندکس مرده اند وکوزه را تهی کردی وباز سنگ افگندی تاماه دیگر تابرین روزگاری بر آمد وآن درزی بمرد ، مردی بطلب درزی آمد وخبرش نبود که درزی بمرده است ، چون در دکان بسته دید همسایگان وی را پرسید که درزی کجاست ؟ همسایه گفت : درزی نیز در کوزه افتاد.. أما ای پسر هشیار باش وبجوانی غره مشو ودرطاعت ومعصیت درهر حال که باشی خدای عز وجل را یا دکن وعفو میخواه واز مرگ می ترس تا چون درزی نا گاه درکوزه نیفتی با بار گناهان ، وهمه نشست وخاست، باجوانان مکن با پیران نیز مجالست دار ورفیقان وندیمان پیر وجوان آمیخه دار که اگر از مستی جوانی محالی گوید پیر ترا آگاه کند که پیران چیزها دانند که جوانان ندانند. اگرچه غالب جوانان بر پیران خندند از آنکه پیرانرا محتاج جوانی بینند بدین سبب بر پیران پیشی جویند وبر ایشان بیحرمتی کنند اگر چه پیران در آرزوی جوانی باشند جوانان نیز بیشك در آرزوی پیری باشند شاید که دریابند وشاید که نیابند ، وچون نیکو ، بنگری هر دو حسود =

يكون وضعك ومقامك متميزين عن عامة الناس .(١)

= يكديگر باشند. اگر چند جوانان خودرا داناترين همه كس دانند، زنهار از طبع چنين جوانان مباش ، پيران را حرمت دار وباپيران سخن بگزاف مگو كه جواب پيران وعاقلان سخت باشد.
حكايت : شنيدم كه مردى صد ساله‌ٔ كوژ پشت بر عصا تكيه كرده ميرفت ، جوانى بريش خند اورا گفت اى شيخ اين كمان بچند خريده‌ٔ تا من نيز يكى بخرم ، جواب بداد اگر عمر يابى وصبر كنى رايگان بتو بخشند ، هر چند كه بدان نمى ارزى.
أما با پيران ابله منشين كه صحبت جوانان عاقل بهتر از پيران آبله وتا جوانى جوان باش وچون پير شدى پيرى مى كن از آنكه در وقت پيرى جوانى نزيبد پيرى كه جوانى كند همچنان باشد كه كسى در وقت هزيمت بوق زند چنانكه گفته اند ، بيت :

چون بوق زدن باشد در وقت هزيمت   پيرى كه جوانى كند اندر كه پيرى

وپر رعنا مباش وبترس از پيران ناپاك وبى انصاف وانصاف پيرى بيش از ان ده كه إنصاف جوانى زيرا كه چندان كه جوانى ترا اميد پيرى باشد وپيرا نرا بجز مرگ اميد نباشد از انكه چون غله سفيد گشت اگر ندروند بريزد همچنان ميوه كه پخته شد اگر نچينند از درخت بيفتد رباعى :

گر بـر سـرماه بر نهى پايه‌ٔ تخـت   ور همچو سليمان شوى از دولت وبخت
چون عمر تو پخته گشت بربندى رخت   ميـوه چو بشـد پختـه بيفتـد زدرخت
إذا تـم امـر دنـا نقصـه   تو قـع زوالا إذا قيـل تـم

وچنين دان كه ترا چنين نگذارند تا همى باشى چون جوانى تو از كار بيفتد در گويائى وبينائى وشنوائى ولس ونوق جمله برتو بسته گردد نه تو از زند گانى خود شاد باشى ونه كس از تو وبر مـردمان وبال گردى پس مرگ از چنان زندگانى بهتر ومثال عمر مـردم چون آفتابست وآفتاب جوانان در آفق مشرق باشد وآفتاب پيران در افق مغرب چنانكه. گفته ام ، قطعه :

كيكاوس اى در كف پيرى شده عاجز   تدبير شدن سازكه شصت وسه در آمد
روزت بنماز دگـر آمد بهمـه حـال   شـب زود در آيـد چـو نماز دگر آمد

ازين سبب نبايد كه پير بعقل وفعل جوان باشد ، وبر پيران هميشه برحمت باش كه پيرى بيماريست كه كسى بعيادت او نرود وپيرى علتى است كه هيچكس داروى او نداند الا مرگ از آنكه پير از رنج پيرى نياسايد تا نميرد وهر علت كه بمردم رسد اگر از آن علت نميرد بهتر شود مگر علت پيرى كه هر روز بتر بود واميد بهترى نبود از انكه در كتاب خوانده ام كه مرد تاسى وچهار سال هر روزه زياده باشد در قوت وتركيب وبعد از آن تا چهل همچنان بماند زياده ونقصان نكند چنانكه آفتاب كه ميان آسمان رسيد بطئ السير شد تا وقت فروگشتى واز چهل سال تا پنجاه سال هر سال در خود نقصانى بيند كه در آن سال گذشته نديده باشد ، واز پنجاه سال تا شصت سال هر ماه در خود نقصانى يابد كه درماه گذشته نيافته باشد ، واز شصت سال تا هفتاد سال هر هفته درخود نقصانى بيند كه در آن هفته گذشته نديده باشد ، وازهفتاد سال بهشتاد هر روز اندر خويش نقصانى بيند كه دى نديده باشد. واگر از=

....

= هشتاد بگذرد هر ساعت درخود دردی ورنجی بیند که دران ساعت دیگر ندیده باشد ، وحد لذت عمر تا چهل سال است وچون چهل شد بر نردبان پایهٔ بالا نشست است همچنانکه بر رفتهٔ فرود آئی بیشك ، پس بخشنودی کسی باشد که هر ساعت دردی ورنجی بیند که در ساعت گذشته نبوده باشد ، پس یا ولدی ویا قرة عینی شکایت پیری دراز کردم باتو از انکه مرا ازو رنج است ، وعجب نیست که پیری مراد شمن است واز دشمن جای گله باشد چنانکه من گفته ام ، بیت :

اگر کنم گله از وی عجب مدآر از من   که او بلای منست وگله بود زبلا

ویا دوست تر کسی گلهٔ دشمنان کنند ، ارجو من الله عز وجل که تو این گله با فرزند خود کنی ومرا درین معنی دو بیت است ، قطعه :

آوخ گله از پیری پیش که کنم من   کین درد مرا دار وجز توبه دگرنیســـت
ای پیر بیا تا گله هم باتو بگویـم   زیرا که جوانانرا ازین حال خبر نیست

ورنج پیری بهتر از پیران کسی نداند ، حکایت : از جملهٔ حاجبان پدرم حاجبی بود اورا مجاهد حاجب کامل گفتندی ، پیر بود واز هشتاد در گذشته خواست که اسپی خردرا رایضی اسپی آورد فربه ونیکو رنگ ودرست قوایم اسپ را بدید وبپسندید وبها فرو داشت چون دندانش بدید پیر بود نخرید ، مرد دیگر بخرید. من اورا گفتم : ای حاجب آن اسپ فلانکس خرید تو چرا نخر یدی ؟ گفت او مرد جوان است واز رنج پیری وضعف وآفت او من خبر دارم آنگاه اسپ پیر خرم معذورگی باشم ، اما جهد کن تا چون پیر شدی بیك موضع قرار گیری که در پیری سفر کردن از خرد نیست خاصه کسی که توانائی نباشد که پیری دشمن است وناتو انائی دشمن دیگر پس بادو دشمن سفر کردن نه از دانائی باشد أما باضطرار اگر سفری افتد واز خانهٔ خود دور افتی وایزد تعالی دران سفر برتو رحمت کند ودر آن غربت وسفر نیکوئی پدید آید بهتر از آنکه در حضر بوده باشد هرگز آرزوی خانه مکن وهما نجاکه کار خودرا بینی قرار گیر وزاد وبود آن جایگاه را شناس که ترا نیکوئی باشد هر چند گفته آند : الوطن ام الثانی. أما تو بران مشغول مباش ، رونق روزگار خود نگاه دار که گفته اند نیکبختانرا نیکی آرزو کند وبدبختانرا زاد وبود ، أما چون خودرا رونق بدیدی وشغل سودمند بدست آوردی در آن کوش تا آن شغل را اثبات دهی ومستحکم دانی ودران ثبات که یابی بیش طلب نباید کرد که دران طلب بیشی بکمی افتی که اگر چیزی نیکو نهاده باشد نیکوتر منه تا بطمع محال از ان در نمانی ، اماد رعمر گذرانیدن بی ترتیب مباش ، اگر خواهی که بچشم دوست ودشمن بآبرو باشی باید که نهاد ودرجهٔ تو از مردم عام پدیدار باشد.

(قابوسنامه من ص ٤٢ حتی ص ٤٨).

رسالة « تحفة الوزراء » والنصيحة :

وردت هذه الرسالة فى كتاب يضم مناجات ومقالات خواجه عبد الله الأنصارى، والمؤلف هو أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى من مشاهير علماء القرن الخامس وكان معاصراً لألب أرسلان السلجوقى والوزير نظام الملك ، ويصل نسبه إلى أبى أيوب الأنصارى ، وكانت أمه من بلخ ، أما هو فقد ولد فى مدينة هرات عام ٣٩٦ هـ وبدأ ينظم الشعر بالفارسية والعربية فى سن مبكرة ، واشتهر فى شبابه بتمكنه فى العلوم الأدبية والدينية ، وخاصة فى حفظ الشعر العربى وعلم الحديث، وكان يتبع فى الفقه مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقد توفى عام ٤٨١ هـ .

ورغم أنه نظم شعراً بالفارسية ، إلا أنه لم يكن سبباً فى شهرته ، بل أن سبب شهرته يرجع إلى ما كتبه من رسائل وكتب ذاع صيتها ، ومن ذلك ترجمة وإملاء طبقات الصوفية للسلمى إلى اللهجة الهروية ، وتفسير القرآن المعروف بإسمه ، وعدة رسائل أخرى كتبها بنثر مسجوع مثل : مناجات نامه ، ونصايح ، وإلهى نامه ، وغيرها .

يبدأ المؤلف رسالة تحفة الوزراء بمقدمة يحمد الله فيها ويصلى ويسلم على محمد وآله أجمعين ، ويقول إن هذه الرسالة تشتمل على نصائح إختارها الحكماء من كتب القدماء ، وهى تتضمن فوائد كثيرة، وكل من يتحلى بتلك الفضائل المذكورة يصل إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، ويذكر فى نهاية المقدمة إسم الرسالة « تحفه الوزراء» وأنها مقسمة إلى أربعين بابا ، يتضمن كل باب منها أربع نصائح .

ففى الباب الأول يذكر أربعة أشياء يجب على السلطان المحافظة عليها والإحتفاظ بها، وهى الدين، والوزير الأمين المتمكن؛ والعزم، والحزم. وفى الباب الثانى يرى أنه لايمكن فعل أربعة أشياء، فلا يمكن الحكم إلا بالعدل، ولا يمكن القضاء على العداوة إلا بالمحبه، ولايمكن زيادة المحبة إلا بالتواضع، ولايمكن الوصول إلى المراد إلا بالصبر.أما فى الباب الثالث فهناك أربعة أشياء لازمة وضرورية لأربعة أشياء: السياسة للسلطان والأمانة للوزير والتربية والتدريب للجيش، والرعاية للرعية . وفى الباب الرابع يذكر أربعة أشياء تحتاج لأربعة أشياء: السلاطين للوزراء ، السلاح للشجعان، السوط للجواد، القبضة للسيف. وفى الباب الخامس يذكر المؤلف أربعة

أشياء يجب التحلى بها: إكتساب الأصدقاء، ومعاملة الناس معاملة حسنة، والسعى فى العمران، والعفو عن خلق الله. وفى الباب السادس ينهى المؤلف عن فعل أربعة أشياء حتى لايصاب الإنسان بالحسرة وهى : إرجاع الأمور إلى من لايستحقون، والإحسان إلى الوضيع والحقير، والعجلة فى الأمور، والفسق والفجور والعصيان.

وفى الباب السابع يتحدث عن أربعة أشياء حسنة لكل الناس وهى :العدالة والصدق، والعدل والعقل، والحلم والوعى والصبر والسكون والتحمل، والحياد والخجل . وفى الباب الثامن يذكر أربعة أشياء لاتليق بالخلق وهى : الحقد على الناس وحسدهم ، الكبر والزهو، والعجب والغضب ، والكسل وعدم الصلاة. وفى الباب التاسع يذكر أربعة أشياء تكون من آفات السلطان وهى : غفلة الأمراء، وخيانة الوزراء، وتجرؤ الحقراء، وحسد الأقران . وفى الباب العاشر يذكر أنه يجب مداراة أربعة أشخاص هم : السلطان الظالم، والمريض، وغير العقلاء، والصديق حسن الفعال . وفى الباب الحادى عشر يتحدث عن أربعة أشياء تؤدى إلى ثبات ورسوخ السلطنة وهى : العدالة ، والشجاعة، و المروءة والفتوة، والسخاء والعطية، والرحمة والشفقة. وفى الباب الثانى عشر يذكر أربعة أشياء تؤدى إلى حسن الحظ وهى : الأصل الطاهر ،والقلب الطاهر، واليد الطاهرة ، والرأى المستقيم مع الطبع السليم . وفى الباب الثالث عشر يذكر أن أربعة أشياء تؤدى إلى الألفة والتجمع وهى : الأمن والأستقامة والنعمة والراحة . وفى الباب الرابع عشر يذكر أن أربعة أشياء هى أصل الدولة : العظمة الإلهية ، والتأييد السماوى ، والإمام المنتخب ، والأحكام المقبولة. وفى الباب الخامس عشر يذكر أن هناك أربعة أشياء تدل على سوء الحظ وهى : العجز والجهل والغربة والوضاعة. وفى الباب السادس عشر يذكر أن أربعة أشياء تؤدى إلى السعادة وهى: رعاية السلطان، دعاء الزهاد، عطايا العظماء، رؤية الأحباب . وفى الباب السابع عشر يذكر أن هناك أربعة أشياء لايجب الغرور بسببهم وهى : القرب من السلطان ، وزهد الزهاد ، ونصيحة الحساد، ومحبة النساء. وفى الباب الثامن عشر يذكر أن هناك أربعة أشياء يشترط على الإنسان مراعاتها وهى : الطاعة ، والنصيحة ، والشفقة، والأمانة. وفى الباب التاسع عشر يذكر أن أربعة أشياء تنجز الأعمال وهى : الإرتباط بالعظماء، والتأمل فى القصص، وتدبير المخلصين ، والإستماع إلى الأصدقاء .

وفى الباب العشرين يذكر أن أربعة أشياء تدل على البلاهة وهى : الغرور والتكبر ، والبحث عن عيوب الآخرين ، والبخل، والإعتماد على السفلة . وفى الباب الواحد والعشرين يذكر أن أربعة أشياء دليل على السعادة هى : القول والعهد الصحيح، والتواضع، وحفظ السر فى كافة الأحوال ، والسعى إلى الكسب الحلال. وفى الباب الثانى والعشرين يذكر أن أربعة أشياء تدل على الشقاء وهى : الكلام مع الجهلاء، مصاحبة الأشرار ، الإستماع إلى نصائح الفضوليين ، العمل بقول النساء. وفى الباب الثالث والعشرين ينصح بالإحتراز من أربعة أشياء وتجنبها وهى : العجلة والتسرع ، والغضب والثورة، والبخل والإمساك ، والعجب والتكبر . وفى الباب الرابع والعشرين يذكر أربعة أشياء تؤدى إلى المصائب وهى : الحنث وا لغيبة ، والحسد والوقاحة ، والكبر والزهو ، والطمع والشهوة . وفى الباب الخامس والعشرين يذكر أن أربعة أشياء تؤدى إلى الرقى والثروة وهى : المروءة مع الأصدقاء ، والمداراة مع الأعداء، ترك الهوى والرغبة، والتحمل والصبر عند القضاء. وفى الباب السادس والعشرين يذكر أربعة أشياء لايمكن تغييرها هى : حكم القضاء والقدر، الحق ، سئ الطبع ، رضى الناس . وفى الباب السابع والعشرين يذكر أربعة أشياء تبدو صغيرة ولكنها عظيمة الأثر وهى : العدو ، النار ، المرض ، العلم. وفى الباب الثامن والعشرين يذكر أربعة أشياء تسبب خللاً واضطراباً فى السلطنة وهى : ظلم الأمير وغفلة الوزير، خيانة الكاتب ، إذلال الأسير واحتقاره ، ظلم الضعيف . وفى الباب التاسع والعشرين يذكر أربعة أشياء لابقاء لها وهى : الحاكم الظالم ، والكاتب غير الواعى ، المال الحرام، العمر . وفى الباب الثلاثين يذكر أربعة أشياء تنتج عن أربعة أشياء وهى : عاقبة العراك الخجل ، وعاقبة الغضب الندم ، وعاقبة البذاءة العداوة ، وعاقبة الضعف والكسل الذل والمسكنة . وفى الباب الواحد والثلاثين يذكر أربعة أشياء تتم بواسطة أربعة أشياء أخرى وهى : العلم بالعقل ، والطاعة بالورع ، والعمل بالصدق ، والنعمة بالشكر . وفى الباب الثانى والثلاثين يذكر أربعة أشياء تتحقق بأربعة أشياء : فالراحة تتحقق بالصمت ، والملل يأتى من الفضول ، والعظمة تأتى من السخاء، والكثرة تأتى من الشكر . وفى الباب الثالث والثلاثين يذكر أربعة أشياء تضعف الإنسان وهى : كثرة الأعداء ، وكبر الدين ، وكثرة النساء ، وكثرة العيال مع قلة المال . وفى الباب الرابع والثلاثين يذكر أن أربعة أشياء تزيل أربعة وهى: عدم الشكر يزيل النعمة ، والظلم يزيل

القوة ، والكسل يزيل الثروة ، والتكبر يزيل المروءة .

و فى الباب السادس والثلاثين يذكر أن أربعة أشياء لايمكن إسترجاعها أو استردادها وهى : قول الكلام ، ورمى السهام ، ومضى العمر ، وما جرى به القضاء . وفى الباب السادس والثلاثين يذكر أن أربعة أشياء تتأتى من أربعة أشياء وهى : المذلة من السؤال، الندم من عدم التدبر ، الحقارة من كثرة الهزل ، الهلاك من الجرأة على السلاطين . وفى الباب السابع والثلاثين يذكر أن أربعة أشياء تدل على الجهل وهى : التهور مع غير المجرب ، إنتظار الوفاء من النساء، الإطمئنان إلى البلهاء والإعتماد عليهم ، والتحدث مع الصغار . وفى الباب الثامن والثلاثين يذكر أربعة أشياء فيها نقصان العمر وهى : كثرة الجماع ، وكثرة الذهاب إلى الحمام ،وتناول غبار الفاكهة والقديد غير المطبوخ . والحديث مع العجائز من النساء . وفى الباب التاسع والثلاثين يتحدث عن أربعة أشيا ءلا تتوفر عند أربعة أشخاص هى : المروءة عند الكاذب ، والسعادة عند البخيل ، والراحة عند الحسود ، والعظمة عند سئ الطبع . وفى الباب الأربعين يذكر أن أربعة أشياء هى أصل السعادة فى الدارين وهى : طاعة الله ورسوله، إرضاء الوالدين والمعلم ، وخدمة العلماء والحكماء ، والشفقة على خلق الله . ثم ينهى المؤلف رسالته هذه، وهى كما نرى رسالة مختصرة إلا أنها تحتوى على نصائح كثيرة ومعانى وفيرة ، يستفيد منها الإنسان فى حياته ، وتعبر عن تجارب هذه الشعوب ، ونظرتهم إلى الحياة ، وطريقتهم فى التعامل مع بعضهم البعض .

كتاب « سياست نامه » والنصيحة :

مؤلف هذا الكتاب هو أبو على حسن بن على بن إسحق الطوسى الملقب بـ «نظام الملك » وقد كتبه بأمر ملكشاه السلجوقى عام ٤٨٤ هـ أى قبل وفاته بسنة واحدة مقتولاً، وكان نظام الملك وزير السلاجقة الأكبر ،والطريقة التى إتبعها فى كتابه هى أنه كان يتناول ناحية من النواحى الإدارية التى يلاحظ عليها الخلل أو النقص، ويبين طريقة علاجها ثم يسوق مما حفظة أو رأه أو سمعه ما يؤيد ما ذهب إليه فى طريقة العلاج، وهو بهذا يتناول الجانب العملى البحت من السياسة والإدارة . وعلى هذا فالمادة الموجودة فى الكتاب تعكس صورة طيبة لما ضم القرن الخامس من ثقافات

ومشكلات اجتماعية ودينية وملابسات إقتصادية .

وقد إحتل أسلوب هذا الكتاب منزلة سامية بين الأساليب النثرية لأنه كان يستمد جماله من بساطته ومن خلوه من الزخرفة والمحسنات البديعية .(١)

ويمكننا القول بأن ماذكره نظام الملك فى الادارة والسياسة إنما يدخل فى باب النصائح فى هذا المجال ، ويمكننا ضمه إلى كتب النصائح الفارسية . ويضم الكتاب بين دفتيه خمسين فصلاً ، يتناول فى أولها أحوال أهل العصر ومدح السلطان العادل خلد الله ملكه ، ويقصد به ملكشاه السلجوقى، ثم يتحدث فى الفصل الثانى عن معرفة قدر نعمة الله تعالى على الملوك ويقول فى مطلعه :

« إن معرفة قدر نعمة الله تعالى على الملوك رعاية مرضاته عز إسمه . ومرضاة الحق سبحانه فى الإحسان إلى الخلق وإقامة العدل بينهم . وإذا لهج الخلق بدعاء الخير دائماً إستتب أمر تلك المملكة وازداد شأنها يوماً بعد يوم وطاب ذلك الملك بإقباله وعهده نفساً وفاز فى هذه الدار بحسن الذكر وفى تلك بالنجاة وكان حسابه يسيراً .فقد قال العظماء : الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم » .

ومن الموضوعات التى يتناولها المؤلف فى كتابة : جلوس السلطان للمظالم وإقامة العدل وانتهاج السيرة الصالحة ، والعمال والسؤال عن أحوال الوزراء والكتاب ، والقضاء والخطباء والمحتسبين ورونق أعمالهم ، وأحوال أهل الأقطاع والسؤال عن سيرتهم فى الناس وأحوالهم ، ومشورة السلطان للعلماء والحكماء فى الأمور، وأحوال الرسل وترتيب أعمالهم ، وفى تعيين أموال الجند ، وترتيب عمل الحرس وأصحاب النوبة وحراس الأبواب ، وفى تأنى السلطان فى أمور الملك ، وفى اجابة المتظلمين وإنجاز أمورهم وإرضائهم ، وغير ذلك من الموضوعات التى تخص شئون المملكة والحكم .

والمؤلف فى بداية كل فصل يتحدث ناصحاً الملوك حول موضوع من هذه الموضوعات ويلحق بهذا بعض الحكايات كمثال أو شاهد على ما يقول ، وتمثل الحكايات جانباً تاريخياً ، ولما كان المؤلف رجل سياسة وبلاط ومطلع على شئون

---

(١) أنظر مقدمة ترجمة " سياست نامه " العربية للدكتور السيد محمد العزاوى ص ٣ ومابعدها طبعة دار الرائد العربى القاهرة ١٩٧٥.

الحكم، فقد ألف هذا الكتاب بطريقة أفضل من غيره وضم فيه الحكمة والنصيحة وتفسير بعض آيات القرآن الكريم وذكر طرفاً من أخبار الرسول (صلعم) ، وقسماً من قصص الأنبياء وسير الملوك وحكاياتهم . ويقول المستشرق براون فى هذا الصدد : « وكتاب سياستنامه يعتبر فى رأيى من أهم الكتب الممتعة القيمة التى كتبت نثراً فى الفارسية ؛ ذلك لأنه من ناحية يشتمل على قدر كبير من الأخبار والروايات التاريخية ، ولأنه من ناحية أخرى يشتمل كذلك على الآراء السياسية التى كان يراها واحد من أنبغ الوزراء الذين ظهروا فى المشرق . والذين بلغوا مبلغاً من القوة والحكمة لا نستطيع تقدير مداه إلا بالنظر إلى الفوضى المتصلة والحروب الداخلية المستمرة التى أعقبت مقتله .. وقد خصص نظام الملك سبعة فصول من كتابه (من الفصل ٤١ إلى ٤٧) لمحاربة الملاحدة والمظنون فى دينهم وخاصة فريق الإسماعيلية والباطنية ، وهو يشكو مر الشكوى من أن اليهود والمسيحيين والمجوس والقرامطة يوظفون بكثرة فى أعمال الدولة والديوان ، ثم يثنى على الخطة الصالحة التى إتبعها ألب أرسلان أثناء حكمه فى منع هؤلاء من تولى هذه الوظائف ومعاملتهم بشدة وغلظة بالغتين ... »(١)

ومن نصائح نظام الملك فى كتابه للملك قوله فى الفصل الثالث بضرورة جلوس السلطان للمظالم وإقامة العدل وانتهاج السيرة الصالحة ، يقول : « لا مناص للسلطان من أن يجلس للمظالم يومين من كل أسبوع يأخذ للمظلوم من الظالم وينتصف له ، وأن يستمع لرعيته دون وساطة . ويجب أن تعرض عليه بعض المظالم ذات الشأن يضرب فى واحدة منها مثلا وعبرة ، حتى إذا فشا فى المملكة أن مولى العالم يدعو بالمتظلمين وطلاب العدل بين يديه ويستمع لمقالتهم يومين من كل أسبوع ويضرب على أيدى الظالمين كبر ذلك فى الظلمة وخافوا وأقصر عدوانهم ولم يستطع أحد أن يقترف الظلم خشية عقابة » (٢)

---

(١) تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى إلى السعدى – تأليف ادوارد براون – ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربى ص ٢٦١ ، القاهرة ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

(٢) چاره نباشد پادشاه را از آنكه در هفته دو روز بمظالم بنشيند وداد از بيدادگر بستاند وانصاف بدهد وسخن رعيت بشنود بى واسطه ، وچند قصه كه مهم تر بود بايد كه عرضه كند ودر هر يك مثالى دهد ، چون اين خبر در مملكت پراگندى شود دكه خدا وند عالم متظلمان وداد خواهان پيش ميخواند ودر هفته دو روز سخن إيشان ميشنود وظالمان را شكسته ميدارد همهء ظالمان بشكو هند ودستهاى ايشان كوتاه شود وكس نيارد بيداد كردن از بيم عقوبت او. (سياست نامه – نظام الملك – بتصحيح عباس اقبال – تهران ١٣٢٠ ص ٩).

ويقول فى الفصل الرابع حول عمال الدولة : « يجب أن يوصى كل من يولون من العمال عملاً بالسيرة الحسنة فى خلق الله وألا يأخذوا منهم إلا المال الحق ، وأن يطلبوه بالإجمال والرفق ، وألا يسألوا الناس شيئاً من هذا المال إلا إذا حصل الارتفاع وحان الحصاد . لأنهم إن طلبوه قبل الارتفاع والحصاد جهدت الناس واضطرت إلى أن تبيع أموالها بنصف قيمتها ، وفى ذلك ما فيه من هلاك للخلق وشقاء لهم وإن عجز أحد من الرعية واحتاج إلى بقرة أو إلى بذور وجب عليهم أن ينسئوه وأن يترفقوا به ليظل مستقراً فى مقامه لا يتحول عنه ولا يغترب » (١)

وفى الفصل السادس يتحدث عن القضاة والخطباء والمحتسبين وأعمالهم فيقول: « ينبغى للسلاطين أن يعلموا بأحوال قضاة المملكة فرداً فرداً ، فيختارون من كان منهم أعز علماً وأزهد نفساً وأعف يداً وأقل طمعاً ويولونه هذا الأمر ويعزلون من لم يكن كذلك ويستبدلون به من كان أليق منه . وينبغى أن يجروا على كل واحد منهم الوظائف فلا تلج به الحاجة إلى الخيانة ، ولما كان هذا الأمر مهماً دقيقاً لتسلطهم على دماء المسلمين وأموالهم وجب ألا يسند إلى الجاهل الفاسد بل يفوض إلى العالم الورع . وإذا حكم الحاكم جهلاً أو طمعاً أو إغراضاً حكماً لا راد له وجب على الحكام الآخرين أن يعلموا به السلطان ليعزله ويؤاخذه ويجب على الوكلاء أن يظاهروا القاضى ويراعوا حرمة عملة ، فإذا أخذت أحد العزة وإمتنع عن الحضور إلى ساحة القضاء احضروه عنوة وإكراهاً ولو كان من ذوى الجاه والنعمة . وقد ولى القضاء صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام بأنفسهم لم يأذنوا لأحد فيه قط لكيلا يقضى فى الأمور بغير الحق . ولم يكن أحد يستطيع أن يتعدى ما حكموا به . ولقد أقام الحكام العدل فى كل عصر

---

(١) الترجمة العربية لسياستنامه ص ٥١.

عمال را كه عملى دهند ايشان را وصيت كردن بايد تا با خلق خداى نيكو زيند وازايشان جز مال حق نستانند وآن نيز بمدارا ومجاملت طلب كنند وتا إيشان را دست بارتفاعى نرسد آن مال را نخواهند كه چون پيش ازوقت خواهند رعايا را رنج رسد ودرم گانهء. ارتفاعى كه خواهد رسيدن بنيم درم بفروشند از ضرورت ، ودر آن مستأصل وآواره شوند واگر كسى از رعيت در ماند وبگاو وتخم حا جتمند گردد اورا وام دهند وسبكبار دارند تا بر جاى بماند واز خانهء خويش بغربت نيفتد.

(سياست نامه ص ٢٢).

وكل مملكة منذ أيام آدم عليه السلام وأقسطوا وسعوا فى إحقاق الحق حتى تدوم دولتهم أعواماً طوالاً .(١)

وفى الفصل الثالث عشر من الكتاب ينصح المؤلف ببث العيون وتدبير عملهم على صلاح المملكة والرعية فيقول : « ينبغى أن تذهب العيون دائماً إلى كل الأطراف فى هيئة التجار والسياح والمتصوفة والعقارين والدراويش ويرسلون عن كل ما يسمعون خبراً لكيلا يخفى شئ من الأشياء قط . وإذا حدث أمر أو جد جديد أمكن تداركه على الفور . وكم من حين خرج فيه الولاة وأصحاب الإقطاع والوكلاء والأمراء وأظهروا الخلاف وتآمروا بالملك فلما سأل الجاسوس وأخبر السلطان ركب إليهم من فوره وحشد لهم ووقع عليهم بغتة وأوقع بهم وأحبط كيدهم . أما إذا حشد له ملك من الملوك أو تجمع عليه جيش من الجيوش خفية وسار إليه يطلب مملكته فإنه يتأهب لهم ويدفعهم. وكذلك حدثت العيون بحال الرعية من خير أو شر فابتدرتها الملوك بالعلاج كما فعل عضد الدولة فى وقت من الأوقات .(١)

---

(١) الترجمة العربية ص ٧٠.

النص الفارسي : " بايدكه احوال قاضيان مملكت يگان يگان بدانند وهركه ازايشان عالم وزاهد وكوتاه دست تر وكم طمع تر باشد اورا تربيت كنند وبدان كارنگاه دارند وهركه نه چنين بوداورا معزول كنند وديگرى را كه شايسته باشد بنشانند وهريكى را ازايشان باندازهء كفاف مشاهرت إطلاق كنند تا اورا بخيانتى حاجت نيفتد كه اين كارمهم ونازك است ، از بهر اين كه ايشان برخونها ومالهاى مسلمانان مسلطند. نشايد اين شغل بجاهل ونا پاك دادن الا تفويض اين كار بعالم باورع ، وچون حاكمى بجهل وطمع يا بقصد امضاء حكمى كند وسجلى دهد برحاكمان ديگر لازم شود آن حكم بد را معلوم پادشاه گردانيدن وآن كسرا معزول كردن ومالش دادن. وگما شتگان بايد كه دست قاضى قوى دارند ورونق كار او نگاه دارند واگر كسى تعذرى كند وبحكم حاضر نشود ، واگر محتشم بود ، اورا بعنف وكره حاضر كنند كه قضا بروزگار خود ياران پيغمبر عليه الصلوة والسلام بتن خويش كرده اند وهيچ كس ديگررا نفرموده اند ازبهر آن تا جزراستى نرود وهيچكس پاى از حكم باز نتواند كشيد ، وبهمه روزگار از گاه آدم عليه الصلام تا اكنون در همه ملت ودر همه ملكى عدل ورزيده اند وانصاف داده اند وبراستى كوشيده اند تا مملكت ايشان سالهاى بسيار بمانده است.

(سياست نامه ص ٤٨).

(١) الترجمة العربية ص ١٠٧.

النص الفارسي : " با يدكه بهمهء أطراف هميشه جاسوسان روند برسبيل بازار گانان وسياحان وصوفيان ودارو فروشان ودرويشان ، واز هر چه مى شنوند جز مى آورند تا =

وفى الفصل الثامن عشر يتحدث المؤلف عن مشورة السلطان للعلماء والحكماء فى الأمور ويرى أن «المشورة من قوة الرأى وتمام العقل وبعد النظر لأنه إذا كان للرجل علم يعلم به كل الأمور فإنه لايخلو من أن يعرف شيئاً معرفة كبيرة وآخر معرفة قليلة ... وقد أجمع العالمون على أنه لم يكن بين بنى آدم من هو أقوى رأياً من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومع ما كان لسيد الأنام من علم وأنه كان يرى خلقه بقدر ما كان يرى أمامه ، وأنه قد عرضت عليه السماوات والأرضين والجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسى وما بين ذلك وأن جبريل عليه السلام كان يهبط عليه فى كل ساعة بالأخبار والوحى وينبئه بأنباء ما كان وما لم يكن ، ورغم ما كان له من الفضائل والمعجزات فإن الله تعالى يأمره بقوله (وشاورهم فى الأمر) أى يا محمد إذا جد لك أمر فدبره مع صحابتك . أمره بالمشورة ومثله غنى عن المشورة والتدبير ... إذن فالواجب يقضى على السلطان إذا آراد أمراً أوجد له مهم أن يستشير فيه الشيوخ والأنصار ليقول كل واحد منهم ما يعن له فى هذا الشأن فيقابل السلطان الأقوال برأيه. حتى إذا ما سمع رأى كل واحد ومقاله وما أدلى به وأظهره نتج عن هذا الرأى الصواب . والرأى والتدبير الصواب هو ما أجمعت عليه عقول العاملين . وأما ترك المشورة فى الأمور فمن شأن ضعف الرأى .و مثل هذا الرجل يسمى المستبد . كما أن العمل لايمكن أن يتم بدون رجل يفعله كذلك لايصح الأمر دون مشورة فيه » .(١)

= هيچگونه از احوال چيزى پو شيده نماند واگرچيزى حادث شود وتازه گردد بوقت خويش تدارك آن كرده أيد چه بسيار وقت بوده است كه واليان ومقطعان وگما شتگان وامرا سر عصيان ومخالف داشته اند وبر پادشاه بد سگاليده وچون جاسوس برسيد وپادشاه را خبر داد در وقت پادشاه بر نشسته است وتاختن برده ومفاجأ بر سرايشان فروشده است وفرو گرفته وعزم ايشان باطل كرده . واگر پادشاهى يا لشكر بيگانه قصد مملكت او كرده است او كار خويش بساخته است ودفع آن كرده واز حال رعايا همچنين چيزها خبر داده اند از خير وشر وپادشاهان تيمار آن داشته اند چنانكه وقتى عضد الدولة كرده است ".
(سياست نامه ص ٩٠).

(١) الترجمة العربية ص ١٢٥.

النص الفارسى : " مشاورت كردن أز قوى رأيى بود وازتمام عقلى وپيش بينى چه هر كس را دانشى باشد وهريك چيزى دانند يكى بيشتر ويكى كمتر ..... ،همهء جهانيان متفقند كه از آدميان هيچكس از پيغامبر عليه السلام قوى رأى تر نبوده است ، باهمهء دانش كه آن سرور را بود از پس همچنان بديدى كه از پيش ديدى و آسمانها وز مينها وبهشت ودوزخ ولوح وقلم وعرش وكرسى وآنچه در اين ميان است براو عرضه كردند وجبرئيل عليه السلام هر ساعت =

- كتاب « دستور الوزراء » والنصيحة :

إذا كانت هناك بعض الكتب الفارسية تنصح الملوك باتباع سياسة معينة فى الحكم حتى تستقيم الأمور فى البلاد ، فهناك كتب أخرى تقدم النصائح والتوجيهات للوزراء ، حتى يقوموا بعملهم على أكمل وجه ، ويؤدون دورهم الذى من أجله إختارهم السلطان أو الحكام . ونذكر من هذه المؤلفات كتاب « دستور الوزراء » لسلطان حسين واعظ الإسترابادى ، الذى كان معاصراً للشاه عباس الأول ، وأدرك كذلك عهد الشاه عباس الثانى ، وقد ألف كتابه هذا بين عامى ١٠٥٥ ، ١٠٦٤ هـ ، وأهداه إليهما وذكرهما فى مقدمته على هذا الكتاب .

ويذكر المؤلف فى مطلع كتابه حديثاً للرسول (صلعم) يقول فيه : « إذا أراد الله بالأميرخيراً جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » ، ويؤيد هذا الحديث بحكاية تروى فى كتب التاريخ مفادها أن السلطان ملكشاة السلجوقى كان ينفق مبلغ واحد وعشرين ألف دينار كل عام على الفقراء والمساكين والعلماء والفضلاء ، فاشار عليه البعض بإنفاق هذا المبلغ على الجند ، لأنه كلما قوى الجيش إتسعت المملكة وكثر دخلها ، فأمر السلطان وزيره نظام الملك الطوسى بتنفيذ هذا الأمر ، فأطاعه نظام الملك فى بداية الأمر وقال له : الأمر للسلطان ، سوف أنفذ ما تريد ، إلا أنى أود عرض رأى عليك فى الخلوة ، فقال له السلطان : لك هذا . وفى اليوم التالى طلبه السلطان فى الخلوة وقال له : قل ما تريد الآن ، فقد فرغت تواً من الصلاة وصدرى منشرح وعلى

= ميآمد وخبرها همى داد ووحى همى آورد واز بوده ونابوده خبر ميداد ، باچندين فضيلت ومعجزات كه اورا بود ايزد تعالى اورا ميفرمايد (وشاورهم فى الأمر) يا محمد چون كارى ترا پيش آيد با ياران خويش تدبير كن ، جايى كه اورا مشورت فرمود كردن وچون او بى نياز نبود از تدبير ومشورت .... پس چنان واجب كند كه چون پادشاه كارى خواهد كرد يا مهمى اورا پيش آيد با پيران وهوا خواهان مشورت كند تا هر كس را آنچه فراز آيد در آن معنى بگويد وآنچه رأى پادشاه ديده باشد باگفتار هريكى مقابلة كند وهر يكى چون گفتار ورزى يكديگر بشنوند وبراندازند رأى صواب از ميان پديد آيد ، وراى وتدبير صواب آن باشد كه عقول همگنان بر آن متفق باشد ، ومشورت ناكردن در كارها از ضعيف رأيى باشد وچنين كس را خود كامه خوانند. چنانكه هيچ كارى بى مرد آن نتوان كرد همچنين هيچ شغلى بى مشورت نيكونيايد... ".

(سياست نامه ص ١١٢ ، ١١٣).

إستعداد لسماع ما تقول . فقال له : ياسلطان الزمان ، إذا أعطيت المبلغ للجند فسوف يقومون بحمايتك ، وإذا أعطيت المال للعلماء والفقراء ، فسوف يستجاب دعاؤهم عندما يدعون لك فى وقت السحر ، بينما يكون غيرهم نائمين فى سبات عميق ، ونحن جميعاً جنوداً ورعية فى حاجة إلى هذا الدعاء .. فسر السلطان من هذا الكلام وأمر بانفاق مبلغ إثنين وأربعين ألف دينار على هذه الطائفة ، فاتسعت مملكته وعلا شأنه ببركة إحسانه على الجميع .

وينصح المؤلف الوزير بموافقة السلطان على رأيه فى بداية الأمر حتى لو كان على خلاف معه فى الرأى ، ومجاراته إلى أن تحين الفرصة لإقناعة برأيه فى لطف ولين، ويذكر رأى الحكماء فى هذا الصدد ؛ إذ يعتبرون الملوك والحكام بمثابة السيل الجارف الذى ينهمر من فوق جبل ، ولا يستطيع أحد تحويل مساره إلا بالحيلة والتدبير . وهذا ما فعله نظام الملك فى القصة سالفة الذكر .

ثم يكمل المؤلف الحديث النبوى الشريف : « وإذا أراد الله عز وجل به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسى لم يذكره وان ذكره لم يعنه » وإستشهد على ذلك بحكاية حدثت فى أيام الخليفة المعتضد عندما سمع أن جماعة من الناس تجتمع فى حانوت بائع تبن وتخوض بالباطل فى شئون الحكم ، فغضب غضباً شديداً ، وطلب وزيره عبد الله بن سليمان وقص عليه ما سمعه وسأله عن كيفية معالجة الأمر . فقال له عبد الله بن سليمان : أقبض عليهم ، فأشنق بعضهم ، وأحرق البعض الأخر ، وأحرق أوصال البقية ، لأنه كلما أختلفت العقوبات وتنوعت كلها دب الخوف والهلع فى نفوس الرعية أكثر . فقال له الخليفة : والله إن قسوة قلبك قد أطفأت نار غضبى ، وحولت خشونتى إلى رفق ولين ، فلو أمرت ببعض ما أشرت به على لمنعتنى من الحلم والشفقة وهو ما يجب أن تنصحنى به كوزير ، لا والله إن هذا الرأى ليس بالرأى السديد ، فالصواب أن تبحث أحوال هذه الجماعة ، وتفكر فى أمر معاشهم فتسند عملاً لمن لا عمل له ، وتساعد المحتاج منهم من بيت المال ، وتنصح الأغنياء بالابتعاد عن الحانوت باللطف واللين ، وتحذرهم من وصول كلامهم إلى مسامع الخليفة حتى يمتنعوا عن لغو الحديث . وقام الوزير بتنفيذ ذلك فرجعت هذه الجماعة عما كانت تقوم به .

وهكذا يقوم المؤلف بتقديم النصح للوزراء حتى تكون آراؤهم سديدة ونصائحهم

موفقة ، ويقدم المؤلف هذه النصائح والعبر لهم من خلال الحكايات والقصص التاريخية. (١)

كتاب «چهار مقاله» والنصيحة :

ولا تقتصر النصيحة عند الفرس على جوانب الحياة المختلفة كما هو الحال فى كتاب « قابو سنامه » أو على المسائل الإدارية وأصول الحكم ، بل تتعدى ذلك إلى النصح فى مجالات الأدب والفنون الأخرى ، وخير من يمثل هذا الإتجاه نظامى عروضى السمرقندى فى كتابه « مجمع النوادر » المعروف باسم «چهار مقاله » أو المقالات الأربع ، وهو من أقدم الكتب الفارسية التى عالجت جوانب من الحياة الأدبية والعلمية فى الجانب الشرقى من العالم الإسلامى منذ القرن الثالث الهجرى وحتى منتصف القرن السادس . ألف هذا الكتاب حوالى سنة ٥٥٠ هـ ، وترجع أهميته إلى إشتماله على كثير من الوضوعات التاريخية وتراجم المشاهير الأعلام الذين لم يرد ذكرهم فى غيره من كتب الأدب والتاريخ .

والكتاب كما يدل عليه إسمه عبارة عن أربع مقالات فى بيان ما تتصف به الطوائف الأربع التى يحتاج إليها الملوك وهم الكتاب والشعراء والمنجمون والأطباء ، ويذكر المؤلف ما ينبغى أن يتوفر لكل طبقة من صفات ، ثم يعقب ذلك بما يقرب من عشر حكايات تناسب الموضوع . وقد رأينا ضم هذا الكتاب إلى كتب النصيحة الفارسية نظراً لأن ما ذكره المؤلف فى مقدمة كل مقالة من هذه المقالات يعتبر نوعاً من النصيحة لكل طائفة من هذه الطوائف، كما أن الحكايات التى ذكرها فى كل مقالة كان المقصود منها هو أخذ العبرة والنصيحة فى كل مجال من المجالات التى تحدث عنها المؤلف . أما بالنسبة لأسلوب الكتاب فقد تميز بالصنعة نسبياً خاصة فى مطالع مقالاته ، وقد ألفه نظامى عروض باسم أبى الحسن حسام الدين على من الأمراء الغوريين .

---

(١) كتاب دستور الوزراء - سلطان حسين واعظ استرابادى - تصحيح وتعليق إسمعيل واعظ جوادى - إنتشارات بنياد فرهنگ إيران - تهران ١٣٤٥ (من ص ١٧ إلى ص ٢٣).

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة تتضمن عدة فصول أنهاها بما تضمنه الكتاب من مقالات هي : الأولى ، فى ماهية الكتابة وصفة الكاتب البليغ الكامل . والثانية ، فى ماهية الشعر وصلاحية الشاعر ، والثالثة ، فى ماهية علم النجوم وتمكن المنجم فى هذا العلم ، والرابعة ، فى ماهية علم الطب وهدى الطبيب وصفته . وختم هذه المقدمة بقوله: « فقد أوردنا فى رأس كل مقالة ما يليق بهذا الكتاب من الحكمة وأتبعناه بعشر حكايات طريفة من نوادر هذا الباب وبدائع هذه المقالة وقعت لهذه الطبقة ، ليتبين للملك ويعلم أن الكتابة ليست أمراً أمما ، وأن الشعر ليس شغلاً يسيراً ، وأن علم النجوم علم ضرورى ، وأن الطب صنعة لازمة ، وأن الملك العاقل لا مناص له من هؤلاء الأشخاص الأربعة : الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب » (١)

وفى المقالة الأولى يعرف الكاتب فى مقدمته عليها ماهية الكتابة فيقول : « الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطابية وبلاغية ، ينتفع بها فى المخاطبات بين الناس على سبيل المحاورة والمشاورة والمخاصمة ، فى المدح والذم ، والإحتيال والإستعطاف والإغراء ، وتكبير الأعمال ، وتصغير الأمور ، والتصرف فى وجوه الإعتذار والعتاب ، وفى إحكام العلائق ، والتذكير بالسوابق ، وترتيب الكلام وتنظيمه فى كل واقعة على الوجه الأول والمنهج الأحرى » .

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عما يجب توفره فى الكتاب وما ينبغى عليه أن يتبعه فى عمله ليصبح كاتباً جيداً ، وما هى الأسباب التى يأخذ بها حتى يصل إلى مرتبة عاليه فى هذا الفن وإذا نظرنا إلى كل هذه الشروط التى وضعها المؤلف ، أو قل كل هذه النصائح التى نصح بها الكاتب ، وجدناها تؤدى ولا شك إلى هذه المنزلة العالية فى فن الكتابة ، ويبدأ شروطه ونصائحه بشخصية الكاتب ثم ثقافته وسلوكياته فى الكتابة ، يقول : « فينبغى أن يكون الكاتب كريم الأصل ، شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، ثاقب الرأى ، وأن ينال الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر من الأدب وثمراته ، وينبغى ألا يكون بعيداً من القياسات المنطقية ، غريباً عنها ، وأن يعرف مراتب أبناء الزمان ، ومقادير أهل العصر ، وألا يشغل بحطام الدنيا وزخارفها ، ولا

---

(١) أنظر ترجمة كتاب " چهار مقالة " – عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب – القاهرة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م ص ٢١.

يلتفت إلى التحسين والتقبيح من أصحاب الأغراض وأولى الإغماض ولا يغتربهم .

وأن يصون مخدومه فى مقام الترسل عن المنازل الدنية ، والمواضع الخاملة ، ولا يشتد فى أثناء الكتابة ، وسياق الترسل على أرباب الحرمة وذوى الحشمة ، وإن كان بين المخدوم والمخاطب خصومة وجب أن يصون قلمه ولا يقع فى عرض المخاطب إلا من جاوز الحد، وخرج عن التصون ، فقد قيل : « واحدة بواحدة والبادى أظلم » .

وينبغى أن يلتزم الطريق الأوسط فى الألقاب ، ويكتب إلى كل إنسان ما يلائم أصله ونسبه وملكه وولايته وعسكره وخزائنه إلا من شدد فى هذا وتكبر وجاوز الحد وزاد فى الإنبساط إلى الدرجة التى لا يعدها العقل موافقة للمكاتبة وملائمة للمراسلة . فيجوز للكاتب ولا حرج عليه أن يأخذ القلم ويمضى قدماً ، ويبلغ فى هذه السبيل أقصى الغاية ، ومنتهى النهاية ، فإن أكمل الناس وأفضلهم صلوات الله وسلامه عليه يقول : « التكبر مع المتكبر صدقة » وعليه ألا يدع غباراً ينال مخدومه فى ميدان المكاتبة من هواء المراسلة .

وينبغى أن يلزم فى سياق الكلام نهجاً يجعل الألفاظ تابعة للمعانى ، ويوجز. ومن الحكايات التى يستشهد بها المؤلف على مهارة الكاتب وبلاغته نذكر الحكاية الرابعة فى هذه المقالة وهى على النحو التالى :

« كان الصاحب الكافى إسماعيل بن عباد الرازى وزير شاهنشاه . وكان فاضلاً كاملاً وترسله وشعره ، على هذه الدعوى ، شاهدا عدل وقاضيا صدق . وكان الصاحب عدلى المذهب ، وأصحاب العدل يتشددون فى التقوى والتنسك ويجيزون أن يخلد المؤمن فى جهنم فى شعيرة .وكان أكثر عماله وخدمه وحشمه على مذهبه .

وكان فى قم قاض من قبله . وكان للصاحب إعتقاد راسخ فى نسكه وتقواه. والأخبار عنه تتوالى بخلاف ما يعتقد الصاحب فلا يصدقها حتى شهد إثنان من ثقات أهل قم أن القاضى أخذ خمسمائة دينار رشوة فى خصومة كانت بين فلان وفلان ، فأنكر الصاحب هذا إنكاراً شديداً من وجهين ، جرأة القاضى وضعف دينه ، وكثرة الرشوة . وأخذ القلم فوراً وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها القاضى بقم ، قد عزلناك فقم .

ويعلم الفضلاء ويعرف البلغاء أن هذه الكلمات فى أى مرتبة فى باب الإيجاز والفصاحة . لاعجب أن يكتب الفصحاء والبلغاء هذه الكلمة على القلوب وينقشوها فى الأرواح منذ ذلك اليوم . (١)

ويقصر الكلام ، فقد قال عظماء العرب : خير الكلام ما قل ودل . وحيثما جاءت المعانى فى أثر الألفاظ طال الكلام ، ودعى الكاتب مكثارا (والمكثار مهذار) .

ولا يبلغ كلام الكاتب هذه الدرجة حتى ينال من كل علم نصيباً ، ويأخذ عن كل أستاذ نكتة ، ويسمع من كل حكيم لطيفة ، ويقتبس من كل أدب طرفة . فعليه أن يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب ، وكلمات العجم ، ومطالعة كتب السلف ، والاضطلاع على صحف الخلف، مثل : ترسل الصاحب والصابى وقابوس وألفاظ الحمادى والامامى وقدامة بن جعفر ومقامات البديع والحريرى وحميد وتوقيعات البلعمى وأحمد بن حسن وأبو نصر الكندرى ، ورسائل محمد عبده وعبد الحميد وسيد الرؤساء ، ومجالس محمد بن منصور ، وابن عبادى وابن النشابة العلوى . ومن دواوين العرب : ديوان المتنبى و الأبيوردى والغزى . ومن شعر العجم : أشعار الرودكى ومثنوى الفردوسى ومدائح العنصرى .

---

(١) " صاحب كافي اسمعيل بن عباد الرازى وزير شهنشاه بود ودر فضل كمال داشت. وترسل وشعر او برين دعوى أو شاهد عدل اند ودوحاكم راست. ونيز صاحب مردى عدلى مذهب بود وعدلى مذهبان بغايت متنسك ومتقى باشد ، وروا دارند كه مؤمنى بخصمى يك جا جاودانه در دوزخ بماند ، وخدم وحشم وعمال او بيشتر آن مذهب داشتندى كه او داشت ، وقاضى بود بقم ازدست صاحب كه صاحب را در نسك وتقواى او إعتقادى بود راسخ ، ويك يك بر خلاف اين از وى خبر ميدادند وصاحب را استوار نمى آمد ، تا از ثقات اهل قم دو مقبول القول گفتند كه زمان خصومت كه ميان فلان وبهمان بود قاضى پانصد دينار رشوت بستد. صاحب را عظيم مستنكر آمد بدو وجه : يكى از كثرت رشوت ، ودوم ازدليرى وبى ديانتى قاضى ، حالى قلم بر گرفت وبنوشت : بسم الله الرحمن الرحيم. ايها القاضى بقم قد عزلناك فقم . وفضلا دانند وبلغا شناسند كه اين كلمات در باب إيجاز وفصاحت چه مرتبه دارد ، لاجرم از آن روز باز اين كلمه را بلغا وفصحا بر دلها همى نويسند وبر جانها همى نگارند ".
(چهار مقاله - عروض سمرقندى - باهتمام محمد قزوينى - تهران ١٣٤١هـ.ش ص ١٨).

فكل واحد ممن عددت نسيج وحده فى صناعته ، ورصد وقته . وكل كاتب يحصل هذه الكتب ويديم مطالعتها يشحذ خاطره ، ويصقل ذهنه، وينير طبعه ، ويسمو كلامه ويستحق اسم الكاتب .

فأما معرفته القرآن فقد يخرج بأيه من عهدة ولاية .. » (١)

وإذا نظرنا إلى هذه الشروط السابقة ، نرى أن المؤلف لم يترك شاردة ولا واردة ينبغى توافرها فى الكاتب إلا ذكرها ، فالعلم والثقافة مسألتان أساسيتان بالنسبة للكاتب ، كما أن حسن التصرف والدقة فى التعامل مع الأخرين سواء كانوا من الأعداء أو من الأصدقاء مسائل هامة وضرورية ، وكذلك الإيجاز كوسيلة من وسائل حسن التعبير وبلاغة الكلام ، ولن يصل الكاتب إلى المنزلة المرجوة إلا بإطلاعه على أبرز ما ألفه أدباء عصره والعصور السابقة عليه ، ويخص بالذكر فى النهاية القرآن الكريم وأثره على الكاتب .

وفى المقالة الثانية حول ما هية الشعر وصلاحية الشاعر ، يعرف المؤلف الشعر أولاً بقوله : « الشعر صناعة بها يؤلف المقدمات الموهمة ، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيراً والكبير صغيراً، ويرد الحسن فى زى القبح ، ويجلو القبيح فى صورة الحسن . ويثير بالإيهام القوى الغضبية والشهوانية فيحدث بهذا الإبهام للطباع إنقباض وانبساط ، وتنشأ فى العالم الأمور العظام .. فلا غنى للملك عن الشاعر المجيد يخلد إسمه ، ويبقى ذكره فى الدواوين والكتب ، لأن الملك إذا نزل به القضاء لم يبق من جيشه وماله وخزائنه شئ ولكن يبقى إسمه خالداً بشعر الشعراء ...» .

ويعدد المؤلف أسماء الحكام وأسماء الشعراء الذين خلدوا ذكرهم عن طريق إنشاد الشعر فى مديحهم والثناء عليهم ، فظلت ذكراهم باقية . ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الصفات الواجب توافرها فى الشاعر وشعره ، ومن هذه الصفات ما يخص شخصية الشاعر ، وعلمه وثقافته ، يقول : « ينبغى أن يكون الشاعر سليم الفطرة ، عظيم الفكرة ، صحيح الطبع ، جيد الروية ، دقيق النظر ، متنوعاً فى أنواع

---

(١) أنظر ترجمة چهار مقاله ص ٢٢ ، ٢٣.

العلـوم ، آخذاً بأطراف الرسـوم ، لأن كل علم يتصل بالشـعر كمـا يتصـل الشعر بكل علـم .

وينبغى أن يكون الشاعر منطقياً فى مجلس المحاورة ، طلق الوجه فى مجلس المعاشـرة . وينبـغى أن يكون شـعره من الجـودة بحيث يكون فى صـحـائف الزمـان مسطوراً ، وعلى ألسنة الأحرار مذكوراً . يكتب فى السفائن ويقرأ فى المدائن . وخير ما فى الشعر تخليد الإسم ، ولا يبلغ هذا المقصد ما لم يبق مسطوراً مقروءاً . وإذا لم يبلغ الشـعر هذه الدرجة لم يبق أثره ، ومات قبل قائله وكيف يخلد غيره إن لم يخلد نفسه .

ولا يبلـغ الشـاعـر هذه المنزلة إلا أن يحـفظ فى عنفـوان الشـبـاب وريق العـمـر عشرين ألف بيت من أشعار المتقدمين ويجعل نصب عينه عشرة آلاف كلمة من آثار المتـأخرين ، ويدعم القراءة فى دواوين الأئمـة ، ويلتـقط منها ليعلم كيف تصرفـوا فى مضايق القول ، ودقائق الكلام حتى يرتسم فى طبعه صور الشعر وطرائقه ، ويتجلى له مزايا الشـعر ونقائصه فيرتقى قوله ، ويعلو طبعه . فإذا رسخ طبعه فى نظم الشعر وإنقـاد له الكلام عمد إلى علم الشـعر وقرأ العـروض ، وألم بتـصـانيف الأسـتـاذ أبى الحسن السـرخسى البـهرامى مثل غاية العروضين وكنز القـافيـة ، وقرأ نقد المعانى والألفاظ والسرقـات والتراجم وأنواع هذه العلوم على أستاذ يحذقها ، ليكون جديراً بالأستاذية ويظهر إسمه على صحيفة الزمان مع أسماء الأساتذة الآخرين الذين ذكرنا أسماءهم ، حتى يستطيع أن يوفى الممدوح حق نعمه ، بتخليد إسمه .. » (١)

وفى المقالة الثالثة يتحدث عن علم النجوم ، ويستشهد فى بداية هذه المقالة بقول أبى الريحان البيرونى (متوفى سنة ٤٤٠ هـ) فى كتابه التفهيم فى صناعة التنجيم : « لايسمى الرجل منجماً مالم يحط بأربعة علوم ، الأول الهندسة والثانى الحساب والثالث الهيأة والرابع الأحكام » . ثم يعرف المؤلف كل علم من هذه العلوم ، ويختم مقدمة هذه المقالة بالشروط التى يجب توافرها فى المنجم .(٢)

---

(١) ترجمة چهار مقاله ص ٣٤ – ٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ٦٢.

وفى المقالة الرابعة يتناول المؤلف علم الطب ، وهداية الطبيب ويعرف الطب بأنه « صناعة تحفظ الصحة فى بدن الإنسان حاصلة وتستردها زايلة ، وبها يزدان الجسم، بطول الشعر وصفاء البشرة وطيب الرائحة والنشاط » . وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الطبيب والشروط التى يجب توافرها فيه ، فيقول:«وأما الطبيب فينبغى أن يكون رقيق الخلق ، حكيم النفس ، جيدالحدس . والحدس حركة نفسية توحى بالآراء الصائبة ، أعنى سرعة الإنتقال من المجهول إلى المعلوم . ولا يكون الطبيب رقيق الخلق مالم يعرف شرف النفس الإنسانية . ولا يكون حكيم النفس مالم يعرف المنطق ، كما أنه لايكون جيد الحدس مالم يكن مؤيداً بالتأييد الإلهى ، والطبيب الذى لا يكون جيد الحدس لايصل إلى معرفة العلة .. » (١)

ويختم المؤلف كتابه فى تواضع شديد فيقول : « ليس المقصود من تحرير هذه الرسالة وتقدير هذه المقالة إظهار الفضل أو إذكاء الخدمة ، بل هى ارشاد للمبتدى وحمد لمولاى الملك المعظم المؤيدالمظفر المنصور حسام الدولة والدنيا والدين ..شمس المعالى ملك الأمراء ابوالحسن على بن مسعود بن الحسين نصير أمير المؤمنين أدام الله جلاله ، وزاد فى السعادة إقباله ... » .

كتاب « كليلة ودمنة » والنصيحة والحكمة :

أصل هذا الكتاب باللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) ، وكان يسمى فى هذه اللغة (كرتكاد منكا)، ألفه بيدبا الفيلسوف للملك الهندى دبشليم ، وظل محفوظاً فى خزائن ملوك الهند ، إلى أن علم بأمره الملك أنوشيروان الساسانى ووزيره الحكيم بزرجمهر ، فأرسلا الطبيب برزويه الذى كان يعرف اللغة السنسكريتية ، واللغة البهلوية لغة إيران ، إلى الهند . وسافر الطبيب وأحضر الكتاب وكتباً أخرى غيره، وقام بترجمته إلى البهلوية . وطلب برزويه من أنوشيروان أن يقوم بزرجمهر بإضافة باب فى بداية الكتاب يتحدث فيه عن برزويه الطبيب وذهابه إلى الهند ، وكان له ما أراد . ثم قام ابن المقفع (متوفى ١٤٢ هـ) بترجمه الكتاب من البهلوية إلى العربية ، وضاعت بعد

---

(١) المصدر السابق ص ٧٤.

ذلك النسخة البهلوية وأصبحت النسخة العربية هى الأصل الذى ترجم عنه كتاب كليلة ودمنة إلى معظم لغات العالم . وقد نظم هذا الكتاب فى ا لعربية عدة مرات : نظمه أبان بن الحميد اللاحقى ، وهو من شعراء القرن الثانى الهجرى ، ثم سهل بن نوبخت، وعلى بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر ، وأبو المكارم أسعد بن خطير بن مماتى المصرى (متوفى ٦٠٦ هـ) ،وجلال الدين حسن بن أحمد النقاش ،ونظم ابن الهبارية (متوفى ٤٩٠ هـ) كتابه « الصادح والباغم » فى ألف بيت مقلداً كليلة ودمنة ، كما صنف سهل بن هرون للمأمون كتاباً عارض فيه كليلة ودمنة فى أبوابه وأمثاله .

أما فى الفارسية فقد نظمة الشاعر الرودكى ، ولم يبق منه إلا أبيات متفرقة ، كما نظمه أيضاً الأمير بهاء الدين أحمد قانعى ملك الشعراء عام ٦٥٥ هـ باسم عز الدين كيكاوس من سلاطين سلاجقة آسيا الصغرى . وتعد ترجمه أبى المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الكاتب أقدم الترجمات الفارسية الباقية ، وقد قام بها إمتثالاً لأمر بهرام شاه الغزنو ى سنة ٥٣٩ هـ وجعلها باسمه ، فاشتهر الكتاب باسم «كليله ودمنه بهرامشاهى » . وأسلوب هذه الترجمة لا يخلو من التكلف . وقد وقع المترجم تحت تأثير الأسلوب العربى ، فكانت جمله فى كثير من الأحيان أشبه فى تركيبها بالجمل العربية ، ويستشهد الكاتب بآيات من القرآن الكريم ، وأشعار وأمثال عربية وفارسية . وفى نهاية القرن التاسع الهجرى وفى زمان السلطان حسين ميرزا بايقرا حفيد تيمور أخرج حسين الواعظ الكاشفى ترجمة أبى المعالى فى ثوب جديد، وغير فى بعض فصولها ، وذكر أشعاراً فارسية مكان الأشعار العربية ، وأهداها إلى نظام الدولة الأمير الشيخ أحمد السهيلى ، أحد أمراء السلطان حسين وسماها « أنوار سهيلى » .

وبعد مرور قرن على ترجمه « أنوار سهيلى » أمر أكبر شاه ملك الهند ، المؤرخ المعروف أبا الفضل بن مباركشاه بأن يكتب كليلة ودمنة فى أسلوب أسهل وعبارة أبسط من عبارة « أنوار سهيلى » وإعتمد فى ذلك على ترجمة أبى المعالى ، فأخرج كتاب « عيار دانش » أى معيار المعرفة .

ومع كثرة هذه الترجمات لكليلة ودمنة ، فان ترجمة ابى المعالى تظل هى الأفضل والأشهر وتقع هذه الترجمة فى ستة عشر باباً ، يذكر أبو المعالى فى مقدمتها

أن عشرة أبواب منها ذات أصل هندى ، أما الأبواب الستة الباقية فمن أصل فارسى أضيفت إلى الكتاب ، والأبواب الهندية هى :

١ - باب الأسد والثور   ٢ - باب التفحص عن أمر دمنة
٣ - باب الحمامة المطوقه   ٤ - باب البوم والغربان .
٥ - باب القرد والسلحفاة   ٦ - باب الناسك وابن عرس
٧ - باب السنور والجرذ   ٨ - باب ابن الملك والطير .
٩ - باب الأسد وابن آوى   ١٠ - باب الأشبال واللبوه .

أما الأبواب الفارسية الستة فهى :

١ - باب ابتداء كليلة ودمنة   ٢ - باب برزويه الطبيب
٣ - باب الناسك والضيف   ٤ - باب البلار والبراهمة
٥ - باب السائح والصائغ   ٦ - باب ابن الملك وأصحابه (١)

ويمتلئ كتاب كليلة ودمنة لأبى المعالى نصر الله بأبيات الشعر العربى التى تحمل معان فى الحكمة والنصيحة ، ولكنه لم يذكر أسماء قائليها ، ومن أمثلة ذلك :

- بقدر الكد تكتسب المعالى   ومن طلب العلى سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلاً   يغوص البحر من طلب اللآلى(ص ١٥)
- إذا ما كنت فى أمر مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
ترى الجبناء أن العجز حزم   وتلك خديعة الطبع اللئيم
فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم (ص ٥٦)
- إذا المرء لم يرضى ما امكنه   ولم يأت من أمره أزينه
فدعه فقد ساء تدبيره   سيضحك يوما ويبكى سنة (ص٧١)
- الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهى المحل الثانى (ص٧٣)
- ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف فى موضع الندى
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا (ص ٨٢)

---

(١) أنظر مقدمة عبد العظيم قريب على كتاب كليلة ودمنه لنصر الله بن محمد بن عبد الحميد - تهران ١٣٢٧. ص ٩.

- فلا وأبيك ما فى العيش خيـــر ولا الدنيـا إذا ذهب الحيـاء (ص ١٥٠)
- قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا (ص ١٩٦)
- إلزم السكـوت فإن فيه سلامـة وتجنب الكلام فإن فيه ندامة (ص ٣٢٩)

وتكثر فى هذا الكتاب أيضاً الأبيات الفارسية بين الحين والآخر ، لتعبر عن معنى من المعانى التى وردت فى حكايات كليلة ودمنة ؛ وتلخص فى نفس الوقت الحكمة التى أرادها مؤلف الكتاب ، والنصيحة التى أراد توجيهها ، ومثال ذلك :(١)

- يحصل كل إنسان على المال ، ولكن التعب كل التعب فى الحفاظ عليه .
- أنا كالشوك والتراب وأنت كالشمس والسحاب ، فإذا رعيتنى أخرج لك ورداً وشقائق .
- لا يستقيم أساس الملك بدون حد السيف ، فمن أراد الملك لا ينبغى له التخلى عن السيف .

فإذا لم يعمل السيف عمله بين الخلق ، فلن يستقيم عرش الملك لأى ملك .

وأحياناً ما يذكر المؤلف بيتاً بالعربية ومايساويه فى المعنى من شعر فارسى ، مثل :

يخفى العدواة وهى غير خفية نظـــر العـــدو بما أســـر يبـــوح
ازدو ديده زسر أو پيداســت آتشى كزسر عداوت ماست (ص ٨٧)

ومعنى البيت الفارسى :

تبوح عيناه بسره ، فتبدو نار عداوته لنا .

ومثال ذلك أيضاً :

وبال من آمد همه دانـش من چوروباه راموى وطـاوس راپـر

---

(١) - مـال راهـر كسـى بـد سـت آرد بخـش انـدر نگاهـد اشتن اسـت (ص ٥٣)
- من همچو خار وخاكم وتو آفتاب وابر گلها ولاله ها دهـم ار تربيـت كنى (ص ٦٢)
- بنيـاد ملك بى سرتيـغ استوارنيست اورا كـه ملك بايـد بى تيـغ كار نيسـت
تا تيـغ بى قـرار نگـردد ميان خلـق بر تخت ملك هيچ ملك پايدار نيست (ص ٨٥)

شد ناف معطر سبب كشتى آهو   شد طبع موافق سبب بستن كفتار
الصعو يصــفر آمنا فى ســربــه   حُبس الهزار لأنه يترنم (ص٩١)

ومعنى البيتين الفارسيين :

– حلت المصائب على بسبب علمى ،
كما تحل المصائب على الثعلب لفرائه ، وعلى الطاووس لريشه .
– أصبحت سرة الغزال المسكية سببا فى قتله ،
وصــار الطبع المناسـب سبـبا فى قيد الضبع .

وبالأضافة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التى إستشهد بها المؤلف فى مواضع كثيرة من كتابه ، نرى أيضاً الأمثال العربية التى إستعان بها لتأييد فكره ورأيه ، ومثال ذلك :

– من سل سيف البغى قتل به . (ص ٧٣)
– من يزرع الشوك لايحصد به عنباً .(ص ١١٠)
– والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم . (ص ١١٠)
– العافية فى ترك المجالسة مع السفهاء . (ص١١٢)
– مقتل الرجل بين فكيه . (ص ١٢٣) .

نموذج من كتاب كليلة ودمنه : (١)

« ... قال دمنة : زعموا أن غراباً كان له وكر فى شجرة على جبل وكان قريباً منه جحر ثعبان اسود فكان الغراب إذا عمد الأسود الى فراخه فأكلها ، فبلغ ذلك الغراب واحزنه ، فشكا ذلك صديق له من بنات أوى وقال له : أريد مشاورتك فى امر قد عزمت عليه ، قال له : ماهو ؟ قال الغراب : قد عزمت أن أذهب إلى الأسود إذا نام فانقر عينيه فأفقأهما لعلى استريح منه ، قال ابن أوى بئس الحيلة التى إحتلت فالتمس امرا تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغرر بنفسك وتخاطر بها ، وأياك أن تكون مثلك مثل العلجوم (ذكر البط) الذى اراد قتل السرطان فقتل نفسه ، قال

---

(١) الترجمة العربية لكتاب كليلة ودمنة لإبن المقفع – طبعة المركز العربى للنشر والتوزيع بالاسكندرية ص ١٠٧ – ١٠٩.

الغراب: وكيف كان ذلك ؟ قال ابن آوى : زعموا أن علجوماً عشش فى أجمة كثيرة السمك فعاش بها ما عاش ثم هرم ، فلم يستطع صيداً ، فأصابه جوع وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة فى أمره فمر به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن ، فدنا منه وقال : مالى أراك أيها الطائر هكذا حزيناً كئيباً ؟ قال العلجوم : وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك وإنى قد رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان ، فقال أحدهما لصاحبه أن ههنا سمكاً كثيراً افلا نصيده أولا فقال الآخر : إنى رأيت فى مكان كذا سمكاً أكثر من هذا فلنبدأ بذلك فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فأتيناه ، وقد علمت أنهما إذا فرغا مما ثم (هناك) إنتهيا إلى هذه الأجمة فاصطادا ما فيها ، فإذا كان ذلك فهو هلاكى ونفاد مدتى . فانطلق السرطان من ساعته إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك فأقبلن إلى العلجوم فاستشرنه وقلن له إنا أتيناك لتشير علينا فإن ذا العقل لايدع مشاورة عدوه ، قال العلجوم : أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لى بهما ولا أعلم حيلة إلا المصير إلى غدير قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب ، فان استطعتن الإنتقال إليه كان فيه صلاحكن و خصبكن، فقلن له : ما يمن علينا بذلك غيرك ، فجعل العلجوم يحمل فى كل يوم سمكتين حتى ينتهى بها إلى بعض التلال فيأكلهما ، حتى إذا كان يوم جاء لأخذ السمكتين فجاء السرطان فقال له : إنى أيضاً قد أشفقت من مكانى هذا واستوحشت منه فاذهب بى إلى ذلك الغدير ، فاحتمله وطار به ، حتى إذا دنا من التل الذى كان يأكل السمك فيه ، نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك فعلم أن العلجوم هو صاحبها ، وأنه يريد به مثل ذلك ، فقال فى نفسه إذا لقى الرجل عدوه فى المواطن التى يعلم أنه فيها هالك سواء قاتل أم لم يقاتل كان حقيقياً ان يقاتل عن نفسه كرما وحفاظاً ، ثم أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم فعصره فمات وتخلص السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكننى أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك ، قال الغراب : ما ذاك ؟ قال ابن آوى : تنطلق فتبصر فى طيرانك لعلك أن تظفر بشئ من حلى النساء فتخطفه ولا تزال طائراً واقعاً بحيث لا تفوت العيون ، حتى تأتى جحر الأسود فترمى بالحلى عنده فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من

الأسود ، فانطلق الغراب محلقاً في السماء فوجد إمرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل ، وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض واختطف من حليها عقداً وطار به ، فتبعه الناس ولم يزل طائراً واقعاً حيث يراه كل أحد حتى إنتهى إلى جحر الأسود فالقى العقد عليه ،. والناس ينظرون إليه أتوه أخذوا العقد وقتلوا الأسود . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة ... » (١)

---

(١) النص الفارسي من كتاب " كليلة ودمنة " (ص ٧٢ – ٧٦) :

" .... دمنه گفت آورده اند كه زاغى در كوهى بر بالاى درختى خانه داشت ودر حوالى آن سوراخ مارى بود هركاه زاغ بچه كردى مار بخوردى زاغ بوجه موعظت نزديك مار آمد وگفت اى برادر در رموز متقدمان وامثال حكيمان نخوانده كه من سل سيف البغى قتل به.

هركه تيغ ستم كشد بيرون — فلكش هم بدان بريزد خون

البته موعظت او مفيد نيامد چون از حد بگذشت وزاغ درماند شكايت بر شكال برد كه دوست او بود گفت مى انديشم كه خود را از بلاى اين ظالم جان شكر باز رهانم شكال پرسيد كه بچه طريق قدم در اين مهم خواهى نهاد گفت مى انديشم كه چون مار خفته باشد چشم جهان بين اورا بركنم تا در مستقبل نور ديده وميوهٔ دل من از قصد او أيمن گردد شكال گفت اين تدبير بابت خرد مندان نيست چه خردمند قصد دشمن بوجهى كند كه در آن خطر جان نباشد زنهار تا چون ما هيخوار نكنى كه در هلاك خرچنك سعى پيوست وجان عزيز را بباد داد زاغ گفت چگونه بود آن.

حكايت – گفت ماهيخوارى برلب أبى وطن داشت وبقدر حاجت ماهى ميگرفت وروزگار در خصب ونعمت ميگذاشت چون ضعف پيرى بدو راه يافت از شكار باز ماند باخود گفت دريغا عمركه عنان گشاده رفت وازوى جز تجربت وممارست عوضى نماند كه وقت پيرى پايمردى يادستگيرى تواند بود وامروز چون از قوت باز ماندم بناى كارخود بر حيلت بايد نهاد پس چون اند وهناك بر كنارهٔ آب نشست خرچتك اورا آز دور بديد پيش آمد وگفت ترا چون غمناك مى بينم جواب داد كه چون غمناك نباشم كه مادت معيشت من آن بود كه هر روزيگان ودوگان ماهى ميگر فتمى وبدان روزگار بسر ميبردمى مرا سد رمق حاصل ميبود ودر ماهى نقصان نميبود امروز دو صياد إينجا ميگذشتند وبايكديگر ميگفتند در اين أبگير ماهى بسيار است تدبير ايشان ببايد كرد يكى گفت فلان جاى بيشتراست چون از ايشان بپردازيم روى بدينجا نهيم اگر حال چنين باشد مرا دل از جان شيرين بر بايد گرفت وبر نج گرسنگى بلكه بر تلخى مرك دل ببايد نهاد خرچنگ برفت وماهيا نرا خبر كرد جمله نزد او آمدند وگفتند المستشار مؤتمن ما باتو مشورت مى كنيم وخرد مند در مشورت اگر چه دشمن بود چيزى پرسند شرط نصيحت فرو نگذارد خاصة در كارى كه نفع آن بدو باز گردد وبقاء ذات تو بدوام تناسل ما متعلق است در كار ما چه صواب بينى ماهيخوار گفت باصياد مقاومت صورت نبندد ومن در آن اشارت نتوانم كرد ليكن در اين نزديكى آبگيرى دانم كه أبش بصفا زدوده تر از گريهٔ =

....

= عاشق است وغماز تر از صبح صادق چنانکه دانهء ریك در قعر آن بتوان شمرد وبیضهء ماهی از فراز آن بتوان دید.

إذا علتها الصبا أبدت لها حُبُكاً		مثل الجواشن مصقولا حواشیها
لایبلغ السمك المحصور غایتها		لبعد ما بین قاصیها ودانیها

أگر بدان تحویل توانید گرد در امن وراحت وخصب وفراغت افتید گفتند نیکو رای است لیکن بی معاونت تو نقل ممکن نگردد گفت دریغ ندارم أما مدت گیرد وساعت تا ساعت صیادان بیایند وفرحت فائت گردد وبسیار تضرع نمودند ومنتها تحمل کردند تا بدان قرار داد که هر روز چند ما هی ببردی وبر بالائی که در آن نواحی بود بخوردی ودیگران در تحویل تعجیل ومسارعت مینمودند وبایکدیگر پیشدستی ومسابقت میکردند واو خود بچشم عبرت در سهو وغفلت ایشان مینگریست وبزبان عظت میگفت که هر که بلابهء دشمن فریفته شود وبر لئیم بد گوهر إعتماد روا دارد سزای او این است چون روزها بدان بگذشت خرچنگ خواست که هم تحویل کند ما هیخوار اورا بر پشت گرفت وروی بدان بالا نهاد که خوابگاه ماهیان بود خرچنگ چون از دور استخوان ماهیان بسیار دید دانست که حال چیست اند یشید که خردمند چون دشمن را در مقام خطر بدید وقصد او در جان شیرین خود مشاهدت کرد أگر کوشش فرو گذارد درخون خویش سعی کرده باشد وچون بکوشد اگر پیروز آید نام گیرد واگر بخلاف آن کاری افتد باری حمیت ومردانگی وشهامت او مطعون نگردد وباسعادت شهادت اورا ثواب مجاهدت فراهم آید پس خویشتن بر گردن ماهیخوار افکند وحلق او محکم بیفشرد چنانکه بیهوش گشت ویکسر بزیارت مالك رفت خر چنگ سر خویش گرفت وپای در راه نهاد تا بنزدیك بقیت ماهیان آمد وتعزیت یاران گذشته وتهنیت حیات باقی ایشان بگفت واز صورت حال إعلام کرد جمله شاد گشتند ووفات ما هیخوار را عمری تازه شمردند.

وإن حیاة المرء بعد عدوه		وان کان یوما واحدا لکثیر
دمی آب خوردن پس از بدسگال		به از عمر هفتاد وهشتاد سال

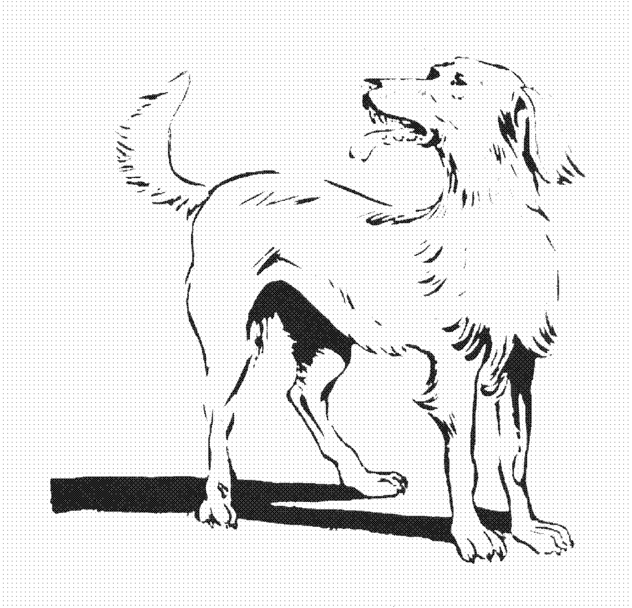
واین مثل بدان آوردم تا بدانی که بسیار کس بکید وحیلت خود هلاك شدند لیکن من ترا وجهی نمایم که اگر بر آن کار کنی سبب بقاء تو وموجب هلاك مار باشد زاغ گفت از اشارت دوستان نتوان گذشت ورأی خردمند آنرا خلاف نتوان کرد شگال گفت صواب آنست که در أوج هوا پرواز کنی وبر بامها وصحراها چشم اندازی تا نظر بر پیرایهء گشاده آفکنی که ربودن آن میسر شود فرود آئی وآنرا برداری وهموار بروی چنانکه از چشم مردمان غائب نگردی چون بنزدیك مار رسی بروی اندازی تا مردم که بطلب آمده باشند نخست ترا باز رهانند پس بپیرایه پردازند زاغ روی بأبادانی نهاد زنی را دیدکه پیرایه برگوشهء بام نهاده بود وخود بطهارت مشغول گشته زاغ پیرایه را در ربود وبدان ترتیب که شگال فرموده بود بر مار انداخت مردمان که در پی زاغ بودند در حال سر مار را بکوفتند وزاغ باز رست. دمنه گفت این مثل بدان آوردم تابدانی که آنچه بحیلت توان کرد بقوت ممکن نباشد... ".

الفصل السابع

من أدب الرحلات الدينية

الرحلة الأولى : رحــلة الحـــج

الرحلة الثانية : إلى بيت المقدس



من أدب الرحلات الدينية

كانت ديار العالم الإسلامى من مشرقة إلى مغربة خلال القرون السابقة لاتعرف الحدود ولا القيود فيما بينها ، وكان المسلم فى أى بقعة منها يستطيع السفر إلى أى ركن من أركان العالم الإسلامى دون تصريح بالدخول أو الخروج (فيزا) ، بل كان يستطيع الإقامة ما طاب له البقاء فى أى مصر من الأمصار الإسلامية دون أن يسائله أحد عن أسباب مجيئه ، ولا عن أسباب بقائه ، ولا يستفسر منه أحد عن متى رحيله ، ولهذا فإننا نرى كثيرا من علماء المسلمين وخاصتهم وعامتهم قد ساحوا فى بلدان العالم الإسلامى ، وأقاموا هنا أو هناك دون أية قيود . وكان من بين هؤلاء السائحين فى بلدان العالم الإسلامى عدد كبير من الشعراء والكتاب الفرس ، وقد حرص بعضهم على تسجيل خواطرهم وانطباعاتهم عن البلاد التى زاروها ، سواء فى عجالة أو بتفصيل وإسهاب .

ومادمنا نتحدث عن الأدب الإسلامى فسنقصر حديثنا على وصفهم للأماكن الدينية المقدسة فى العالم الإسلامى ، وعلى رأسها الكعبة المشرفة ومسجد الرسول الكريم محمد عليه السلام وثالث الحرمين بيت المقدس ، بل إننا سنقصر الحديث منعا للاسهاب والإطالة - على الرحلات التى حرص أصحابها على تسجيل مشاهداتهم وأنطباعاتهم أثناء هذه الزيارات وبخاصة خلال موسم الحج دون الحديث عن الاشارات السريعة الواردة فى الدواوين والكتب والمقالات .

وقد حظى الأدب الفارسى بكتب كاملة عن السياحة ، وكان للسياحة الدينية فيها نصيب وافر ، واذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : سفرنامه لناصر خسرو التى تحدث فيها عن رحلة استغرقت سبع سنوات بين عامى ٤٣٧ - ٤٤٤هـ زار فيها الشام ومصر والحجاز واليمن ، ووصف فى هذه الديار كل ما شاهده من مبان وعادات وتقاليد ، وقد خص الأماكن الدينية بالكثير من حديثه ، وبخاصة وصفه للأماكن المقدسة فى مكة والمدينة . أما الكتاب الثانى فهو : «سفرنامه مكه» لمهدى قلى هدايت

مخبر السلطنه (١) والتى وصف فيه رحلته التى بدأها عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) وزار فيها سيبيريا والصين واليابات وأوربا ومصر والشام والحجاز ولكنه تيمنا بالكعبة المشرفة ، فقد آثر أن يعنون رحلته هذه بكتاب السفر إلى مكة ، وكأن الغرض من الرحلة كلها زيارة مكة المكرمة والحج إلى بيت الله الشريف.

ولم يقتصر الحديث فى هذين الكتابين على وصف مكة والمدينة ، بل وصف كل منهما بيت المقدس ثالث الحرمين ، وكذلك اهتما بوصف بعض المساجد فى البلاد التى زاراها، والآن يجمل بنا أن نعرض ما سجله كل منهما فى رحلته وسياحته عن مكة والمدينة ، وما كتبه عن الأماكن المقدسة بهما والتى يتمنى كل مسلم أن يحج إليهما مرات ومرات ، والله خير معين ومجيب ؛ وسوف نعلق على كل رحلة بعد سرد ملخص واف لها ما أمكن:

الرحلة الأولى : رحلة الحج

أولاً سفرنامه (كتاب السفر) لناصر خسرو (٢)

لقد أدى ناصر خسرو فريضة الحج أربع مرات كانت أولى رحلاته إلى مكة المكرمة عام ٤٣٨ هـ ونلاحظ أنه أشار إلى هذه السفرة دون ذكر لأية تفاصيل، حيث

---

(١) الحاج مهدى يقلى خان هدايت المعروف بخان الخوانية الملقب بمخبر السلطنة ، وهو ابن عليقلى خان مخبر الدولة وحفيد رضا قليخان هدايت ، ولد بطهران عام ١٢٨٣هـ وحصل علومه الأساسية بها ثم سافر إلى ألمانيا مع اخيه لاستكمال دراسته ، فأجاد اللغة الألمانية ، كما تعلم الفرنسية والانجليزية فى حين أجاد علوم اللغة العربية ، وقد تولى عدة مناصب فى البلاط القاجارى ، وله عدة مؤلفات نثرية وشعرية.

وقد خرج فى هذه الرحلة ضمن ركب المرحوم ميرزا على أصغر خان الأتابك ، وذلك بعد إعفاء هذا الأتابك من منصبه ، وقد استأذن الأتابك مظفر الدين شاه القاجارى فى الخروج فى رحلة حول العالم تنتهى بزيارة مكة المكرمة وأداء مناسك الحج . فوافق الشاه ، وقد أصطحب الأتابك بعض أعوانه معه ، وكان من بينهم مؤلف هذا الكتاب ، وعلى هذا فقد كانت هذه الرحلة وتدوينها ، تدور فى فلك هذا الأتابك المعزول ، وما كان المؤلف رفاقه إلا تابعين ومسرين عن هذا الأتابك!

(٢) حكيم ناصر خسرو قباد يانى مروزى : سفر نامه ، باحواشى وتعليقات به كوشش : دبير سياقى سلسلة أنتشارات أنجمن آثار ملي ، شماره ١٢٠، سال ١٣٥٤ ش ، وللكتاب ترجمتان عربيتان ، أولاهما للدكتور يحيى الخشاب ، نشر دار الكتاب الجديد ، بيروت عام ١٩٧٠ ، والثانية للدكتور أحمد خالد البدلي، نشر عمادة شئون المكتبات – جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٣ (١٩٨٣م) =

اكتفى هنا بالإشارة السريعة إلى مشاق الرحلة ، أما عن وصفه للأماكن المقدسة فقد ذكر أنه سيرجئ الحديث عنها إلى رحلة أخرى، ومما قاله عن هذه الحجة الأولى ، مايلى :

عدت من مشهد الخليل إلى بيت المقدس ، وخرجب من بيت المقدس سيرا على الأقدام مع جمع من الحجاج فى طريقنا إلى الحجاز ، وكان دليلنا رجلا جلدا على السير ومن المشائين المحترفين ، وكان رجلا مهذبا يدعى « أبو بكر الهمدانى » وكان خروجنا من بيت المقدس فى منتصف شهر ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وصلنا بعد ثلاثه أيام إلى مكان يدعى «ارعز» وكان مكانا وفير الماء كثير الخضرة .

ثم وصلنا إلى مكان يقال له «وادى القرى» ، ومن هناك وصلنا إلى مكة المشرفة بعد سير عشرة ايام ، ونزلت فى سكة العطارين بمكة شرفها الله ، وهى أمام باب النبى عليه الصلاة والسلام ، وكان يوم عرفة هو يوم الإثنين ، وكان الطريق مليئا بالأعراب الخطرين الذين لايتورعون عن القتل والسلب .

وفى اليوم الخامس من محرم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وصلت إلى القدس وسأتحدث عن حال مكة والحج فى مكان آخر ، إذا قدر لى الحج مرة اخرى ! (١)

هذا كل ما كتبه ناصر خسرو عن رحلته الأولى إلى مكة المكرمة وأدائه فريضة الحج ، وقد كان فيها فى سياحة بيت المقدس ، وقد أشار إلى أن الرحلة من القدس إلى مكة قد استغرقت ثلاثة عشر يوما ، وكان يلزم لكل رحلة مرشد ودليل يعرف دروب الصحراء وطرقها حتى يصل الحجيج إلى مقصدهم سالمين ، وذلك لوجود العديد من قطاع الطرق ، والذين تحدث عنهم كل من سلكوا هذه الطرق فى ذلك الوقت ، وقد ظل

= وقد اعتمدت عليهما فيما أقدمه من وصف لهذا الرحلة السياحية الدينية ، علما بأن الدكتور البدلى يقول عن الترجمة الأولى أنها تمت عن الفرنسية ، أما ترجمته قد تمت مباشرة عن الفارسية ، فى حين لم يشر الدكتور يحيى الخشاب إلى هذا الأمر ولم يذكر فى مقدمة ترجمته أنه أتمها نقلا عن الترجمة الفرنسية : وعلى كل فقد قرأت الترجمتين ونقلت عنهما بعض ما ترجماه ! ويمكن لمن يريد الاستزاده الرجوع إلى الأصل الفارسى أو إلى إحدى هاتين الترجمتين التى لا تغنى إحداهما عن الأخرى !

(١) سفر نامه : الأصل الفارسى ص : ٦٢.

خطرهم يتهدد قوافل الحجاج طويلاً حتى قيض الله للأسرة السعودية منذ قيامها القدرة على درء هذا الخطر تماما ، وقد أمنت جميع طرق الحجيج فى ربوع المملكة كلها ويسرت لتلك القوافل كل وسائل الراحة ومواصلات حديثة ونزل جيدة وتعبيد للطرق ، حتى يتفرغ الحجاج طوال رحلتهم إلى التكبير والتهليل ، فجزاهم الله عن هذا الصنيع خير الجزاء.

بعد عودة ناصر خسرو إلى بيت المقدس ، واصل رحلته إلى مصر ، حيث أقام فيها ثلاث سنوات ، ومن مصر سافر إلى الحجاز أكثر من مرة ونتيجة لتقربه إلى سلطان مصر فى ذلك الوقت ؛ فإنه كان يسافر فى كل مرة ضمن أعضاء الوفد الرسمى المصرى الحامل معه الكسوة الشريفة ، وقد أشار إلى هذا أثناء حديثه عن سفره لأداء الحجة الثانية ، حيث أشار فى البداية إلى كيف يتم الاستعداد للحج فى مصر أيام إقامته فيها ، إذ قال : جرت العادة فى مصر أن يُعلم الناس فى منتصف شهر شعبان بالاستعداد للحج فيقرءون على الناس فى المساجد توجيهات السلطان ويخبرهم أن موسم الحج قد أظلهم ، وأن قافلة الحج السلطانية ستتحرك يوم كذا من مكان كذا ، فإذا كان شهر رمضان كرر المنادى وخطباء المساجد هذا المرسوم السلطانى على أسماع الناس، ويبدأ الاستعداد للحج فى غرة شهر ذى القعدة ، فإذا انتصف الشهر خرج من يريد الحج من المصريين واجتمعوا فى مكان معين .. ويظل الركب فى مكة المكرمة عشرة أيام ومجموع الأيام التى يستغرقها المحمل من القاهرة إلى مكة ثم العودة إلى القاهرة ستون يوماً .(١)

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الحجة الثانية له والتى ذهب فيها ضمن الوفد الرسمى المصرى ، حيث قال : وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة قُرأ سجل السلطان على الناس فى المساجد .. وقد أرسلت الكسوة عن طريق بحر القلزم ، وقد رافقت الكسوة قاصدين الذهاب إلى مكة ، وقد غادرت القافلة المكلفة بإيصال الكسوة من مصر فى غرة شهر ذى القعدة وكنت مع القافلة حيث وصلنا إلى بحر القلزم ، وركبنا الباخرة وبعد خمسة عشر يوما وصلنا إلى ميناء الحجاز على ساحل الحجاز ، ومن الحجاز اتجهنا إلى المدينة فوصلنا بعد أربعة أيام (٢)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠١ والترجمة العربية (د. البدلى) ص : ١١٧

(٢) نفس المرجع، الأصل الفارسى ص ١٠١ ، ١٠٢ وترجمته د. البدلى ، ص : ١١٩

وهنا يبدأ الرحالة ناصر خسرو وصفه الشيق لمدينة الرسول عليه السلام ، ومن بين ماذكره ، أورد بعض حديثه عنها :

تقع المدينة فى حافة الصحراء ، وأرضها رطبة ذات ملوحة ، وماؤها عذب إلا أنه قليل وتكثر فيها أشجار النخيل ، وتقع قبه مسجد المدينة نحو الجنوب ، ومساحة مسجد الرسول عليه السلام تعادل مساحة المسجد الحرام ، ويقع قبر الرسول بجانب المنبر ، وإذا اتجهت إلى القبلة فان القبر يكون على يسارك ، أما عندما يقف الخطيب على المنبر ، فإن القبر الشريف يكون على يمينه ، والقبر بناء مخمس الشكل ، وعلى القبر خمسة أساطين تحنو على القبر، ويربط بين الأبواب الخمسة درابزين يحول بين المرء والوالوج إلى القبر الشريف ، وعلى طول الدرابزين من الأعلى غطاء مشبك يمنع الطيور من تلويث القبر.

وبين القبر والمنبر مساحة تسمى الروضة ، وهى روضة من رياض الجنة كما قال الصادق الأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة» (١).

وللمسجد باب يؤدى إلى خارج المدينة فى الجهة الجنوبية ، حيث يوجد قبر حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، لذا يسمى المكان «قبور الشهداء»

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ، به كوشش نادر وزين پور ، تهران ١٣٥٤ ش ص ٧٠ - ٧١ وبترجمة د. الخشاب ص ١١٠ ، ترجمة د. البدلي ص ١٢١ ، ١٢٢ والنص الفارسى هو .

مدينهٔ رسول الله عليه السلام، شهرى است بركنارهٔ صحرايى نهاده ، وزمين نمناك وشوره دارد ، وآب روان است اما اندك وخرماستان است. وآنجا قبله سوى جنوب افتاده است ومسجد رسول الله عليه الصلاه والسلام چندان است كه مسجد الحرام، وحظيرهٔ رسول الله عليه السلام در پهلوى منبر مسجد است ، چون رو به قبله نمايند جانب چپ ، چنانكه چون خطيب از منبرذكر پيغمبر عليه السلام ، كند وصلوات دهد ، روى به جانب راست كند ، واشاره به مقبره كند . وآن خانه مخمس است ، وديوارها ازميان ستونهاى مسجد بر آورده است ، وپنج ستون در گرفته است ، وبر سراين خانه همچوحظيره كرده به دارا فزين ، تا كسى بدانجا نرود ، ودام در كشادگى آن كشيده تا مرغ بر آنجا نرود، وميان مقبره ومنبر هم حظيره اى است از سنگهاى رخام كرده ، چون پيشگاهى ، وآن را روضه گويند ، وگويند آن بستانى از بستانهاى بهشت است ، چه رسول الله عليه السلام ، فرموده است : "بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة"..

وقد أخبرنا ناصر خسرو بأن القافلة أقامت فى المدينة يومين فقط عجلت بعدهما بالتوجة نحو مكة ، كى يصلوها بالكسوة قبل وقفة عيد الأضحى ، وكان وصولهم مكة فى السادس من شهر ذى الحجة عند باب الصفا وكان يوم عرفة يوم الاربعاء ، فصعدوا بعون الله تعالى عرفة وأدوا مناسك الحج.

وهنا أيضا لم يتحدث حديثا مفصلا عن مكة مرجئا هذا إلى مرة أخرى ، حيث قال : وسوف لا أتحدث عن مكة فى هذه المرة ، بل سأرجئ الحديث عنها إلى مرة أخرى ، فقد أتيح لى فيما بعد الإقامة بمكة ستة أشهر ، وسأشرح ما رأيت بالتفصيل.

فى عام أربعين وأربعمائة أتيحت له فرصة الحج مرة ثالثة ومصاحبة البعثة المصرية إلى الحجاز حاملة معها الكسوة الشريفة ، وقد سلكت هذه الرحلة نفس الطريق الذى سلكته الرحلة السابقة ، ولكنهم قد توجهوا مباشرة هذه المرة من ميناء الحجاز إلى مكة مباشرة وكان ذلك فى الثامن من شهر ذى الحجة ، حيث أدى مع رفاقه مناسك الحج بعون الله وتوفيقه ، عاد بعدها ناصر خسرو إلى مصر دون أن يتحدث بشئ عن مكة ، كما فعل في الحجتين الأولى و الثانية.

الحجة الرابعة : وكانت عام اثنين وأربعين وأربعمائة ، وقد سافر ناصر خسرو إلى الحجاز عن طريق أسوان وبحر القلزم وما أن وصل إلى جدة حتى أخذ فى وصفها، ومما قاله :

جدة مدينة كبيرة ذات سور عظيم وتقع مدينة جدة على ساحل البحر الأحمر وعدد سكانها فى ذلك الوقت نحو خمسة آلاف نسمة ، وتقع إلى الشمال من البحر وبها أسواق نظيفة جيدة ، تقع قبلة مسجد الجمعة فى الناحية الشرقية ، ولا اثر للعمران خاج أسوار مدينة جدة ، إلا مسجد يعرف بمسجد الرسول عليه السلام.

ولسور جدة بابان ، باب مما يلى مكة ، وباب مما يلى البحر ... وجدة بلد غير ذى زرع ، وكل ما فيها يجلب إليها من ريف الحجاز والمسافة بين جدة ومكة آثنا عشر فرسخا وأمير جدة أحد رعايا أمير مكة المكرمة ، الذى يعد كذلك أميرا للمدينة.(١)

---

(١) سفر نامه ، الأصل الفارسى نسخة تهران ١٣٥٤ ش ص ٨٥ :

جده ، شهرى بزرگ است ، وباره اى حصين دارد ، وبرلب دريا ، ودر او پنج هزار مرد باشد . بر شمال دريانهاده ، وبازارهاى نيك دارد . وقبلهء مسجد آدينه سوى مشرق است . وبيرون از=

ولقد غادرت مدينة جدة يوم الجمعة بعد صلاة العشاء ، ووصلت إلى مكة يوم الأحد سلخ جماد الأخر، وقد أمتلأت مكة بالعُمّار القادمين من كل أنحاء الحجاز واليمن ، فإن رجب من كل عام موسم عظيم ، وكذلك فى عيد الفطر ، وفى موسم الحج يفد الحجاج إلى مكة من كل أطراف الأرض .. أما سكان أطراف الحجاز واليمن ، فإنهم يؤمون مكة فى هذه المواسم الثلاثة لقرب مكة منهم ، وأعنى بالمواسم الثلاثة . غرة رجب وعيد الفطر وعيد الأضحى .

ثم ينتقل ناصر خسرو ليصف مدينة مكة وما يحيط بها من جبال ، وماتضمه من أسواق وغير ذلك مما توصف به مكة المكرمة وقت زيارته لها عام ٤٤٢هـ ، ومما قاله: تقع مكة فى واد تحيط به الجبال من كل جانب ، ولا تبدو مدينة مكة لقاصدها إلا إذا اقترب منها ، وأعلى جبل فى مكة هو جبل «أبى قبيس» وهو يشبه قبة عظيمة تشرف على الكعبة وأول ما تشرق الشمس فى مكة يشاهد قرصها مطلا على مكة من أعلى هذا الجبل!

وفى رأس أبى قبيس عمود حجرى يقال إن ابراهيم عليه السلام هو الذى أقامه، كما يشاهد المرء ساحة مبسوطة فى رأس الجبل لاتزيد مساحتها على أذرع قليلة .

وتحيط بالمسجد الحرام أسواق كثيرة ودروب ضيقة تزدحم بالمتاجر ، وكلما كان أحد هذه الدروب قريبا من جبل من الجبال فإنهم يبنون عليه سقيفة ، ويجعلون لها بوابة للدخول وأخرى للخروج.

ولم أر حول المسجد الحرام أى أثر لأشجار باستثناء باب ابراهيم الواقع فى الجهة الغربية من الكعبة ، فقد رأيت بعض الاشجار الملتفة حول حافة بئر ماء هناك ،

= شهر هيچ عمارت نيست ، إلا مسجدى كه معروف است به مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام. ودو دروازه است شهر را ، يكى سوى مشرق كه رو بامكه دارد، وديگر سوى مغرب كه رو با دريا دارد ... وبدينشهر جده نه درخت است ونه زرع ، هر چه به كار آيد از رستا آرند ، واز آنجا تا مكه دوازده فرسنگ است . وامير جده بندهٴ أمير مكه ، ومدينه را هم أمير ، وى بود.

بين تلك الأشجار شجرة ضخمة عملاقة (١)

ويقع فى الجانب الشرقى من الحرم سوق كبيرة تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويقع مدخل تلك السوق الرئيسى فى الجهة الجنوبية التى فى سفح أبى قبيس ، أما الصفا فيقع تحت سفح أبى قبيس مباشرة ، بل إن درجات الصفا جزء من صخور أبى قبيس ، يراه المرء بشكل ظاهر واضح للعيان.

ويصعد الناس فوق درجات محاذية للتك الصخور ليبدأوا مناسك السعى ، وتقع المروة فى نهاية هذا الممر الطويل الذى يبدأ من الصفا ، ويرى الساعى المتاجر عن يمينه ويساره خلال سعية بين الصفا والمروة ، والمروة أكثر ارتفاعا من الصفا (٢)

وإذا اراد المرء أن يعتمر خرج من مكة على بعد نصف فرسخ عنها ، وهناك يجمع بين الحل والحرم ، وفى هذه المواقيت مساجد عامرة يؤدى فيها العمار ركعتى إحرام العمرة.

---

(١) أشهد أن حكومة المملكة العربية السعودية قد أولت هذا الأمر كل اهتمامها ، فاكثرت من زرع الأشجار فى ربوع مكة ، بل فى كل مدن المملكة ، وقد أمتد التشجير إلى الأماكن المقدسة كلها، سواء فى عرفة أو منى أو المزدلفة ، بل وفى جميع الطرق الواصلة من هذه الأماكن إلى الحرم المكى الشريف . وقد أديت الحج مرتين ، عام ١٩٨٣ و عام ١٩٩١ ، كما اعتمرت أكثر من عشر مرات ، وكان الفارق بين التشجير فى أول مرة وآخرها كبيرا ملفتا للنظر ، وذلك تخفيفا لحرارة الجو ، وتوفيرا لراحة قاصدى بيت الله المعظم .

(٢) ومما قاله ناصر خسرو فى وصف مكة ، نذكر هذا النص الوارد: ص ٨٥ ، ٨٦ من نسخة ١٣٥٤ش :

شهر مكه اندر ميان كوهها نهاده است بلند . واز هر جانب كه به شهر روند تا به مكه نرسند نتوان ديد ، وبلندترين كوهى كه به مكه نزديك است كوه ابو قبيس است ، وآن چون كنبدى گيرداست . ودر مشرقى شهر افتاده است . چنانكه چون در مسجد حرام باشند به دى ماه ، آفتاب از سر آن بر آيد ، بر آورده است . واين عرصه كه در ميان كوه است شهر است . دو تير يرتاب در دو بيش نيست ومسجد حرام به ميانهء اين فراخناى اندر است . وگرد بر گرد مسجد حرام شهر است وكوچه ها وبازارها .. واندر شهر هيچ درخت نيست مگر بر در مسجد حرام كه سوى مغرب است كه آن را باب ابراهيم خوانند ، بر سرچاهى درختى چند بلند وبزرگ شده. واز مسجد حرام بر جانب مشرق بازارى بزرگ كشيده از جنوب سوى شمال .. وبر سر بازار، از جانب جنوب كوه ابو قبيس است .. ودامن كوه ابو قبيس "صفا" ست، وبه آخر بازار از جانب شمال كوه مروه است ..

ولعله بهذا يقصد أولئك المقيمين فى مكة وأرادوا الإحرام ، أو الوافدين الذى اعتمروا عقب وصولهم من أوطانهم ، ثم خلعوا ملابس الإحرام وارتدوا ملابسهم العادية، وأقاموا بمكة منتظرين مقدم موسم الحج والوقوف بعرفة ، فإن أرادوا تادية العمرة مرة أخرى ، فهم يخرجون كالمقيمين فى مكة خارجها إلى هذه المساجد التى أشار إليها ناصر خسرو ، ويؤدون ركعتى الإحرام ثم يتوجهون بعد ذلك إلى الكعبة لإتمام العمرة مرة أخرى .

أما كيف يكون الإحرام ؟ يقول ناصر خسرو ما ترجمته :

وهيئة الإحرام هى أن يتخلص الإنسان من المخيط ، ويرتدى إزاراً لاخياطة به ، والرداء مكون من قطعتين ، إزار ورداء ، يلتف بهما الإنسان ثم يرفع صوته بالدعاء قائلاً «لبيك اللهم لبيك» وينحدر إلى مكة ، فإذا وصل المرء إلى مكة دخل المسجد الحرام وتوجه إلى الكعبة ، وعليه أن يترك الكعبة على يساره ويستلم الحجر الاسود حيث يبدأ الطواف ويكرره على هذه الهيئة سبع مرات ، يرمل فى ثلاثة أشواط ، ويسير الهوينا فى الأشواط الأربعة الباقية .

وعندما ينتهى الإنسان من نسك الطواف بالبيت الحرام ، يتوجة إلى مقام ابراهيم عليه السلام والمقام فى مواجهة الكعبة ، ويقف خلف المقام ويصلى ركعتى الطواف ، وبعد الصلاة والدعاء يتوجه المرء إلى بئر زمزم ، فإذا شرب من ذلك الماء المقدس وغسل وجهه ويديه غادر البئر إلى باب الصفا ، وهو أحد أبواب المسجد الحرام المؤدية إلى المسعى وإذا وصل المرء الى الصفا ارتقى تلك الدرجات التى فى السفح واستقبل القبلة داعيا ، ونوى السعى بين الصفا والمروة سبعا ثم ينحدر من الصفا إلى المروة ويكون سيره من الجنوب إلى الشمال.

ولقد سعى رسول الله عليه السلام فى هذا المكان ، وأسرع ، وأمر أصحابه بالإسراع حتى لايظن بهم المشركون ضعفا أو خوراً ، ويهرول المرء مسافة خمسين قدماً فى هذا المكان ، والمكان الذى هرول فيه النبى عليه السلام ظاهر للعيان ومعلم بعلامات بارزة لاتخطئها العين ، فإذا واصل الساعى إلى المروة صعد إلى أعلى المروة واستقبل القبلة ودعا بالدعاء المعلوم ثم ينحدر إلى الصفا، ويكرر المرء هذا السعى بين الصفا والمروة ، فإذا انتهى إلى الصفا أربع مرات وصعد المروة ثلاث مرات يكون قد

أتم مناسك السعى بينهما.

ثم يتحدث ناصر خسرو عما يفعله العمار والحجاج بعد السعى من تقصير للشعر ، فقد قال اذا نزل الساعي من المروة فى نهاية السعى فإنه يرى سوقاً كبيرا ، وفى هذا السوق أحصيت عشرين دكانا للحلاقة ، يحلقون فيها ويقصرون شعور الحجاج والعمار وتعتبر هذه الدكاكين امتداداً لسوق كبير يقع شرق المسجد الحرام يقال له سوق العطارين ، وهو سوق كبير ، فى غاية الجمال وأكثر مايباع فيه هى الأدوية والعقاقير الطبية والأعشاب .

ويقدر سكان مكة بألفى نسمة ، فيها خمسمائة من الغرباء والمجاورين .

وطقس مكة حار جدا ، والخضروات كثيرة بها ، فقد رأيت فى أسواق مكة الخيار والباذنجان وغيرهما وكلها طازجة وجيدة (١)

وأخير ينهى ناصر خسروا زيارته لمكة المكرمة للمرة الرابعة محددا المدة وتاريخ زيارته هذه قائلاً :

هذه هى المرة الرابعة التى أزور فيها مكة ، وقد مكثت بها مجاورا من غرة رجب ٤٤٢ هـ (١٠ نوفمبر ١٠٥٠م) إلى العشرين من ذى الحجة (٣مايو ١٠٥١م) وقد أثمر بها العنب فى الخامس عشرمن فروردين (مارس /ابريل) فأحضر من السواد إلى مكة وبيع فى السوق ، وكان البطيخ كثيرا فى أول أردبيهشت (أبريل / مايو) وكانت الفاكهة متوافرة طوال الشتاء ولم تنقطع قط ! (٢)

وبعد أن انتهى ناصر خسرو من مراسم الحج وكل مناسكه ، غادر مكة متجها إلى اليمن وبعدها بدأ يسجل وصفه للكعبة المشرفة ، وبعض الأماكن الأخرى المرتبطة

---

(١) يمكن مراجعة ترجمة الرحلة كاملة فى إحدى الترجمتين العربيتين لسفر نامه ، التى أشرت إليهما فى بداية الحديث عن هذه الرحلة ، وذلك لمعرفة المزيد من التفاصيل التى تغاضيت عن ذكرها ! أو فى الأصل الفارسى لمن يجيد الفارسية ص ١١٨ - ١٤٠

(٢) آثرت أن أنقل هذه الفقرة عن ترجمة الدكتور يحى الخشاب لأن ترجمة الدكتور البرلى لم تكن واضحة إذ ربط ظهور العنب والبطيخ بشهور الشتاء عامة وهذا غير صحيح .

بمناسك الحج، ولنبدأ بعرض وصفه للكعبة بيت الله الحرام ، ومما جاء فى وصفه لها ما يلى (١)

وصف الكعبة :

الكعبة تتوسط المسجد الحرام ، والمسجد الحرام يتوسط مكة المكرمة ، وطول المسجد الحرام من الشرق إلى الغرب ، وعرضة من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ طول المسجد من باب ابراهيم شرقا إلى باب بنى هشام غربا أربعة وعشرين وأربعمائة ذراع ، بينما يبلغ عرضه من باب الندوة شمالاً إلى باب الصفا جنوبا مابين ثلاثمائة ذراع فى مكان وأربعمائة ذراع فى مكان آخر ، ويحيط بالمسجد الحرام رواق يرتفع على أعمدة رخامية ، ويتوسط المسجد أربعة مقامات ، وفى المسجد مائة وأربعة وثمانون عموداً ، .. ومن بين تلك الأعمدة عمود عند باب الندوة من الرخام الأحمر.

أبواب المسجد الحرام.

للمسجد الحرام ثمانية عشر بابا ، ويعلو كل باب إيوان مغلق ليست له أبواب وقد أقيمت هذه الأبواب على أعمدة مرمرية ، ومن هذه الأبواب فى الجهة الشرقية باب النبى عليه السلام ؛ حيث كان يدخل منه إلى الحرم وقت الصلاة ، ويتلوه باب «على» كرم الله وجه حيث كان يدخل منه هو الآخر إلى المسجد الحرام عند الصلاة ، أما على الجدار الجنوبى للمسجد فتوجد سبعة أبواب ، الأول منها شبيه بنصف دائرة ويقال له باب الرقاقين ، ويتلوه في الجهة الجنوبية باب الفسانين ثم يتلوه باب الصفا الذى خرج رسول الله عليه السلام منه بعد أن سعى بين الصفا والمروة.

ومن أبواب المسجد الحرام فى الجهة الغربية باب التمارين ، ويقال إن منزل أبى لهب كان يقع أمام باب التمارين ، ولكنه حول الآن إلى مراحيض ، وعلى نفس الجهة الغربية يوجد باب العروة ثم باب ابراهيم ، أما أبواب الجهة الشمالية فهى باب الوسيط، وباب العجلة ، وباب الندوة وباب المشاورة .

---

(١) يمكن مراجعة هذا الوصف ، والمزيد منه بالرجوع إلى الأصل الفارسى ، أو لاحدى الترجمتين العربيتين للدكتور يحى الخشاب ، والدكتور أحمد خالد البدلى .

وصف الكعبة المشرفة من الخارج.

الكعبة بناء مربع يميل إلى الاستطالة حيث أن الزاوية المتميزة من الشمال إلى الجنوب تبدو أطوال من الزاوية الممتدة من الشرق إلى الغرب ، وارتفاع الكعبة ثلاثون ذراعا، وعرضها تسعة عشر ذراعاً ، ويقع باب الكعبة فى الجهة الشرقية ، وإذا ولجت داخل الكعبة ، فإن الركن العراقى يكون على يمينك والحجر الأسود على يسارك، وتسمى زاوية الكعبة الجنوبية الغربية بالركن اليمانى ، كما تسمى الزاوية الشمالية الغربية بالركن الشامى.

أما الحجر الأسود فهو فى الزاوية الجنوبية الشرقية من الكعبة ، واذا وقف الرجل معتدلا كان الحجر مقابل صدره ، وطول الحجر الأسود بطول اليد ممدودة مضافا اليها أربعة أصابع ، أما عرضه فقدره ثمانية أصابع والمسافة بين الحجر الأسود وباب الكعبة أربعة أذرع ، ويسمى ذلك الموضع بالملتزم .

وارتفاع باب الكعبة قدر أربعة أذرع . وللكعبة سلم خشبى يُرقى عليه إلى الداخل وقت الحاجة . أما سعة الكعبة من الداخل فتسمح بوقوف عشرة رجال صفا واحداً، وباب الكعبة مصنوع من خشب الساج وله مصراعان ، وارتفاعه ستة أذرع ونصف ، وقد زينت واجهته وأطرافه بآيات قرآنية مكتوبة بالفضة المذهبة وتتخللها تحاريق سوداء ، وقد كتبت عليه هذه الآية حتى أخرها : إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين [١] وله حلقتان فضيتان كبيرتان أرسلتا من غزنين [٢] وقد ركبتا على مصراعيه مرتفعتين بحيث لا تصل اليهما يد ، بينما توجد حلقتان أخريان تحتهما أصغر حجما ويمكن أن تصل إليهما اليد ، وفيهما قفل كبير من الفضة يقفل به الباب .

وصف الكعبة من الداخل:

يبلغ سمك حائط الكعبة ستة أشبار وأرضها مكسوة بالرخام الأبيض وبها ثلاث خلوات صغيرة وكأنها طاقات ، تقابل إحداهما الباب ، والأخريان على الجانب الشمالى

---

(١) سورة آل عمران ، أيه : ٩٦ .

(٢) غزنين : كانت عاصمة للدولة الغزنوية التى أسسها محمود الغزنوى ، وهى تقع الآن داخل أفغانستان .

للداخل ، والأعمدة التى تسند السقف كلها من الخشب الساج المربع إلا عمود واحد مدور ، أما جدران الكعبة من الداخل فمغطاة كلها بألواح الرخام الملون ، وعلى الجانب الغربى توجد ستة محاريب من الفضة يبلغ ارتفاع كل منها قامة الرجل ومزينه بنقوش كثيرة من الذهب والفضة ، وجدران الكعبة الأربعة خالية من النقوش حتى أربعة أذرع من الأرض ، أما بعد ذلك وحتى السقف فمزينة بالرخام المنقوش والموشى أغلبه بالذهب .

وفوق كل خلوة من الخلوات الثلاث لوحان من خشب سفينة نوح ، طول كل منهما خمسة أذرع وعرضه ذراع واحد ، وهناك سلم يؤدى إلى سطح الكعبة يسمى باب الرحمة ، وقد صنع هذا الباب ذو المصراع الواحد من الفضة ، وعليه قفل من الفضة كذلك، وقدغطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحرير الذى يحجبه عن الأنظار.

وبين الأعمده تتدلى ثلاثة قناديل فضية ، كما أن للكعبة أربعة مساقط للضوء كل مسقط فى واحد من الأركان الأربعة ، وقد غطى كل مسقط بغطاء زجاجى يسمح بمرور الضوء ولايسمح بتسرب مياه الأمطار، وميزاب الكعبة يقع فى الجهة الشمالية وطول فتحته ثلاثة أشبار ، وقد أحيط بغلاف ذهبى !

أما عن الكسوة التى تغطى بها الكعبة فبيضاء ، وقد طرزت فى موضعين عرض كل منهما ذراع ويفصل بينهما مسافة ثمانية اذرع ، وعلى هذا فإن الكسوة مقسمة إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها عشرة أذرع ، يتوسطها القسم المطرز في موضعيه ، بينهما القسم العلوى ، وعرضة عشرة أذرع ، وكذلك القسم السفلى وعرضه كذلك عشرة أذرع ، فليسا مطرزين ، كما نسجت على جوانب الكسوة الأربع محاريب ملونة بخيوط من ذهب ، فى كل جانب منها ثلاثة محاريب ، الأوسط منهما كبير ، والمحرابان الصغيران علي جانبيه ، وبالتالى يكون مجموع المحاريب أثنى عشر محراباً ويوجد خارج الكعبة من الجهة الشمالية حائط مقوس كنصف الدائرة ، يبلغ ارتفاعه ذراعاً ونصف ، وتمتد شفتاه إلى قريب من ركنى الكعبة الشرقى والغربى ، وقد بلطت أرضيته بالرخام الملون المنقوش ، ويسمى «الحجر» ، وبه يصب ماء الميزاب ، وقد وضعت تحته قطعة من الحجر الاخضر على شكل محراب ، وهى قطعة كبيرة يمكن للرجل أن يصلى عليها ، وقد وضعت لتتجمع فيها مياه الأمطار ..

مقام ابراهيم

ويقع مقام ابراهيم شرقى الكعبة ، وهو عبارة عن صخرة بها آثار قدمى النبى ابراهيم عليه السلام ، وقد وضع هذا الحجر فى قلب حجر آخر ، ثم أحيط بغلاف مربع الشكل قدر قامة رجل وهو من الخشب وقد زين بألواح من الفضة، كما أحكم ربط الغلاف بالحائط بسلاسل من الجانبين ، وعليه قفلان حتى لايستطع أحد أن يلمس الحجر ، والمسافة بين مقام ابراهيم والكعبة قرابة العشرين ذراعاً .

بئر زمزم

يقع بئر زمزم شرقى الكعبة فى الزاوية المحازية للحجر الأسود ، وبين زمزم والكعبة ستة وأربعون ذراعاً ، واتساع فوهته ثلاثة أزرع ونصف فى مثلها ، وماء زمزم به ملوحة ولكنه مستساغ ، وقد بنى حوله جدار ارتفاعه ذراعان ، وفى جوانبه الاربعة أحواض يصب فيها الماء كى يتوضأ الناس وأرضها من الحشب المشبك ليسيل الماء الذى يراق بها .

ويوجد أمام البئر جهة الشرق ، بناء مربع الشكل تعلوه قبة يسمى «سقاية الحاج» وقد وضعت به أزيار كى يشرب منها الحجاج ، ويلى هذا البناء بناء آخر مستطيل عليه ثلاث قباب يسمى خزانة الزيت به الشمع والزيت والقناديل .

وحول الكعبة أعمدة يتصل بعضها بالبعض بواسطة عروق من الخشب عليها زخارف ونقوش من الفضة ، وتتدلى منها سلاسل وحلقات يعلق عليها الشمع والمصابيح ليلا ، وتسمى بسكة المشاعل ، ويفصل هذه المشاعل عن الكعبة مسافة مائة وخمسين ذراعاً ، هى مسافة الطواف وتحت المظلة المحيطة بالمسجد وعلى جميع جوانبه صنادق مليئة بالمصاحف أوقفها المسلمون من كل أنحاء العالم الاسلامى ، من المغرب ومصر والشام والروم والعراق (العراق العربى ، العراق العجمى) وخراسان وماوراء النهر وغيرها .

وقد حضر ناصر خسرو مراسم فتح مكة ذات مرة حيث قال :

فى هذه السنة (٤٤٢ هـ) كنت بمكة مجاوراً منذ أول رجب ، وعادة أهل مكة أنهم يفتحون باب الكعبة طوال هذا الشهر فى كل يوم مع إشراقة الشمس!

وصف فتح باب الكعبة :

مفتاح باب الكعبة تحتفظ به قبيلة بنى شيبة ، فإذا أرادوا فتح باب الكعبة تقدم زعيم القبيلة وبيده المفتاح ويصاحبه فى ذلك خمسة او ستة أفراد من ذويه وحينما يقف الزعيم أسفل باب الكعبة ، إذا به يأمر عشرة أنفار من الحجاج المتجمعين أمام الباب كى يحضروا السلم الخشبى ، حتى يصعد الزعيم ويقف على عتبة الكعبة برفقة إثنين من خواصه حيث يقومان برفع الستار الديباج ، ويمسك كل منهما طرفا منه ، بحيث يحجب الشيخ وهو يفتح الباب ، وبعد أن ينزع القفل وينفتح الباب يرفع الحجاج أو المعتمرون أيديهم بالدعاء ، فيدرك كل من يستمع إلى أصواتهم بأن باب الكعبة قد فتح، فتحدث جلبة فى مكة حيث يرتفع صوت الجميع مهللين داعين ، وبعد ذلك يدخل زعيم القبيلة ويصلى ركعتين ، وبعدها يفتح الباب على مصراعيه ، ثم يقف الزعيم على العتبة ويقرأ الخطبة بصوت مرتفع ويصلى على رسول الله عليه السلام وعلى آله الكرام ثم يقف الشيخ ومعاونوه على جانبى باب الكعبة ، كى يأخذ الحجاج فى الصعود ودخول الكعبة حتى يصلى كل منهم ركعتين ثم يخرج ، ويدوم ذلك إلى ما يقرب من منتصف النهار وعادة يولى المصلون وجوهم نحو الباب مع جواز التوجة نحو الجوانب الأخرى... وفى غير رجب يفتح باب الكعبة كذلك أيام الاثنين والخميس والجمعة من أشهر شعبان رمضان وشوال وإذا جاء ذو القعدة أغلق الباب !

عمرة الجعرانة :

تقع الجعرانة فى الشمال الشرقى من مكة وعلى بعد أربعة فراسخ من البيت الحرام ويقال بأن رسول الله عليه السلام كان فى هذا الموضع عند عودته من غزوة الطائف ، وكان ذلك فى الخامس عشر من شهر ذى القعدة من السنة الثامنة للهجرة ، وأنه أحرم من هذا الموضع وتوجه إلى مكة وطاف وسعى ، وقد اتخذت هذه العمرة النبوية سُنَّة تؤدى فى هذا الموسم.

وفى هذا الموضع بئران ماؤهما عذب ، أحدهما بئر الرسول عليه السلام، وثانيهما بئر على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، كما توجد على مقربة من البئرين صخرة كبيرة فيها فجوات كأنها كئوس قيل بأن النبى عليه السلام عجن الدقيق فيها بيديه ، لذا فإن من يزورون هذا الموقع الآن يعجنون الدقيق بأيديهم بماء هذين البئرين،

كما يقال إنه بالموقع صخرة كبيرة مرتفعة كان بلال رضى الله عنه يقف عليها مؤذنا؛ لذا فالزائرون يصعدون عليها ويؤذنون .

مشعر عرفات :

تقع صحراء عرفات فى قلب مجموعة من الجبال الصغيرة الشبيهة بالتلال ، ومساحتها لاتزيد عن فرسخين فى فرسخين ، وكان بها مسجد يقال إن ابراهيم عليه السلام هو الذى بناه ، وهو مايعرف الأن بمسجد نمرة ، وعندما يحين وقت صلاة الظهر يصعد الخطيب على بقايا منبره ويلقى خطبة جامعة ، ثم يؤذن للصلاة جامعة ، فيصلى الإمام بالناس ركعتين أى صلاة قصر للظهر، ثم يصلى بهم ركعتين آخرين للعصر ، وبعدها يركب الإمام جملا ويتجة إلى الجهة الشرقية من عرفات حيث يرقى جبلا صغيرا ، يسمى جبل الرحمة ، حيث يدعو الله ويسأله الرحمة والغفران حتى غروب الشمس وتوجد فى سفح جبل الرحمة أحواض تملأ بالمياه أيام الحج حتى يتيسر الماء للحجيج ، كما بنى فوق هذا الجبل مربع كبير ، يضعون فوق قبته كثيرا من القناديل والشموع ليلة عرفة ويومه ، فيرى نورها من مسافة فرسخين .

بعد قضاء المناسك فى مشعر عرفات يتحرك الحجيج بعد مغيب الشمس قاصدين المزدلفة وهى على بعد فرسخ من عرفات ، هناك بناء عظيم يشبه المقصورة يؤدى فيه الحجيج صلاتى المغرب والعشاء قصرا وجمعاً ، ومن هناك يلتقطون الجمرات ، وعادة يقضى الحجاج هذه الليلة (أى ليلة العيد) بالمزدلفة حتى صلاة الفجر وعند طلوع الشمس يتوجهون إلى منى حيث يضحون ويرجمون ، وفى منى مسجد عظيم يقال له مسجد الخيف .

وهذا هو يوم الحجيج الأول بمنى ، وهو يوم عيد الأضحى ، ولكن ليس من السنة إلقاء خطبة أو صلاة عيد هناك وإنما يقضون يومهم العاشر من ذى الحجة هناك حيث يرمون الجمرات وتفاصيل الرجم متوفرة فى كتب مناسك الحج .

أما فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة فينصرف الناس من منى حيث يسافرون إلى أوطانهم ، ومن أراد الذهاب إلى مكه توجه إليها .

* * *

بعد وصفه مناسك الحج ووصفه للمشاعر المقدسة ، توجة ناصر خسرو إلى الطائف كى يواصل مسيرته بعد ذلك إلى منطقة الإحساء . ولكن هذا خارج عن نطاق ما حددناه وهو الاقتصار على السياحة الدينية وزيارة الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة المنورة ، ولاشك فى أن كتاب سفرنامه ، وهو أول كتاب فارسى يفصل الحديث عن هذه الأماكن ، وما يؤديه المسلمون من مشاعر هناك ، يعد وثيقة مهمة توضح كيف كانت الكعبة المشرفة فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، وكيف كان الحجيج يؤدون مناسك الحج والعمرة سيرا على الاقدام أو على الابل متحملين كل مشقة تلبية لنداء الرحمن لكل من استطاع ألى الحج سبيلا ، كما أجاد ناصر خسرو وصفه للكعبة من الداخل ومن الخارج ، وكذلك وصفه لكل من الصفا والمروة وكيفية السعى بينهما هرولة أو مشيا ، وكذلك حديثة البسيط الواضح عن عرفات والمزدلفة ومنى ورمى الجمرات، وغيرها من الأماكن المقدسة التى يتشوق المسلمون فى كل بقاع الأرض إلى زيارتها ، والتمتع بالنفحات الربانية التى يستشعرها الحجاج والعمار فى كل مرة يذهبون إلى هذه الأماكن طائعين مهللين ومكبرين . ولاشك أن وصفه لهذه الأماكن لم يبعد كثيرا عما يؤديه الحجاج حتى يومنا هذا، فالمشاعر هى المشاعر و الفروض والسنن هى نفس الفروض والسنن، وإذا حدثت بعض الاختلافات فليست فى الجوهر ، وإنما فى التيسيرات التى تحاول الحكومة السعودية جاهدة أن توفرها خدمة لضيوف الرحمن، وذلك لأداء المناسك دن معاناة !.

ومن الملاحظ أن رحلته الأولى كانت من الشام إلى الحجاز عبر بيت المقدس وعبر البوابة الشمالية للأراضى الحجازية، مشيرا إلى أن قافلة الحاج كانت تعترضها جامعات البدو وقطاع الطريق ، لذا كانت كل قافلة تستأجر من يؤمن لها الطريق وتدفع مقابل ذلك مبالغ طائلة لزعيم كل منطقة ضمانا لسلامة وصولهم إلى مكة والمدينة وأداء مناسك الحج والعودة سالمين إلى ديارهم مرة أخرى ، ولم يشر ناصر خسرو إلى هذا الأمر فى رحلاته الأخرى إلى الحج ، إما لأنه كان يذهب ضمن الوفد المصرى الرسمى الذى يحمل الكسوة معه، وكانت الحكومة المصرية توفر لهذه الرحلة الحراسة الكافية أو أن أمير منطقة جدة كان مسئولا عن وصول الوفد المصرى الرسمى والكسوة بسلام إلى مكة المكرمة ، والحمدلله لم يعد هذا الخطر قائماً فقد تكفلت الحكومة السعودية بتأمين جميع طرق الحج وضربت على أيدى الخارجين عن القانون بيد من حديد .

كان ناصر خسرو محددا فى كل ما يكتب ويصف ، فقد كان يذكر تاريخ كل رحلة واضحا لا لبس فيه ، ومحددا المدة الزمنية التى كانت تستغرقها كل رحلة ، بل والفترة الزمنية التى تقضيها الرحلة فى سفرها من منطقة إلى منطقة ، كأنه يكتب مذكرات يومية مرتبة ومفصلة ، مثال ذلك فى حديثه عن الرحلة الأولى ؛ حيث حدد موعد خروج القافلة قاصدة الحجاز فى منتصف شهر ذى القعدة سنة ٤٣٨ هـ ، وكان وصولهم إلى مكان يدعى «ارعز» بعد ثلاثة أيام ، ثم واصلت الرحلة المسير مارة بمكان يقال له وادى القرى ، ومنها توجهوا إلى مكة فوصلوها بعد مسيرعشرة أيام ، وبعد أدائهم مناسك الحج ، عادت الرحلة إلى بيت المقدس مرة أخرى فوصلتها فى الخامس من محرم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، هكذا حدد أن الرحلة قد أستغرقت منذ خروجها من بيت المقدس وعودتها إليها خمسين يوماً تقريبا وإذا كان ناصر خسرو قد فصل الحديث عن المدينة المنورة ومسجد الرسول عليه السلام فى رحلته الأولى ، وذلك لأنه كان قادماً من الشام ، فإن طريق الحجاج من الشام وفلسطين كان لابد وأن يمر بالمدينة قبل وصولهم إلى مكة المكرمة ، فى حين أنه لم يشأ أن يتحدث عن مكة المكرمة والكعبة الشريفة والمسجد الحرام إلا فى حجته الأخيرة ، حيث كان فى كل مرة يجمع بعض المعلومات ويدونها ويستوثق من صحتها ، حتى أتيحت له الفرصة فى رحلته الرابعة لأن يقيم بمكة طوال سته أشهر ، فكان حديثه عن الأماكن المقدسة والمشاعر الدينية فى كل من مكة وعرفات ومنى والمزدلفة وغيرها حديث خبير ، عايش المكان وانفعل به أكثر من مرة ، فإن وصفه لهذه الأماكن مازال ينبض بالحياة وكأنه قد تم فى أيامنا هذه ، ولم يتغير منه شئ إلا فى المواصلات والعديد من التيسيرات التى قدمتها الحكومية السعودية لحجاج بيت الله الحرام وعُمّاره ، وكذلك ما أدخلته على المسجد الحرام من توسعات حتى يستوعب الأعداد المتزايدة من الحجاج فى كل عام .

أشار ناصر خسرو إلى أن رحلتيه الثانية والثالثة كانت عن طريق السويس وجبل الطور عبورا ببحر القلزم (البحر الأحمر) ، وأن رحلته الثانية قد توجهت إلى المدينة المنورة أولا ثم سافرت بعد ذلك إلى مكة المكرمة ، فى حين أن رحلته الثالثة قد توجهت إلى مكة مباشرة ، هذا ما يحدث مع الحجاج المصريين حتى اليوم ؛ فمن يسافر منهم براً أو بحراً أو جواً قبل أداء الحج بفترة كافية ، فإنهم يقصدون المدينة المنورة أولا ليزوروا مسجد الرسول عليه السلام ، ثم يتوجهون بعد ذلك إلى مكه لاتمام مشاعر الحج ، أما من يسافر فى أوائل ذى الحجة ، فإن مقصدهم يكون مكه مباشرة،

وبعد انقضاء مناسك الحج من اليوم الثانى عشر أو الثالث عشر من ذى الحجة ، فإنهم يكملون رحلتهم بزيارة المدينة المنورة.

أما رحلته الأخيرة فقد كانت عن طريق البحر الأحمر (بحر القلزم) كذلك ، ولكنه بدأها من مدينة أسوان متوجها شرقا إلى شواطئ البحر الاحمر ومن هناك ركب سفينة إلى جدة، ولم يشر إلى اسم الميناء المصرى الذى أبحر منه جنوبا ، ولعله يقابل اليوم مدينة سفاجا التى تربطها الآن بميناء جدة السعودى خطوط ملاحية منتظمة ، تيسر السبل إلى حجاج الصعيد وبعض الحجاج القادمين من وسط أفريقيا للتوجه إلى ميناء جدة مباشرة دون تحمل عناء الوصول إلى السويس للسفر بحرا ، أو إلى القاهرة للسفر جواً.

ومن الملاحظ أن ناصر خسرو لم يكتف بوصفه للأماكن المقدسة فقط ، بل كان حريصا على أن يصف المكان الذى يزوره بمبانيه وأسواقه وفواكهه ومما قاله فى ذلك:

إذا نزل الساعى من المروة فى نهاية السعى ، فإنه يرى سوقاً كبيرا ، وفى هذا السوق أحصيت عشرين دكانا للحلاقة ، وتعتبر هذه الدكاكين امتداداً لسوق كبير يقع شرق المسجد الحرام يقال له سوق العطارين ، وهو سوق كبير غاية فى الجمال ، وأكثر ما يباع فيه هى الأدوية والعقاقير الطبية والأعشاب.

ومما قاله عن الفواكة فى مكة ،، وقد أثمر العنب فى الخامس عشر من فروردين (مارس/ ابريل) فأحضر من السواد إلى مكة وبيع فى السوق ، وكان البطيخ كثيراً فى أول اردبيهشت (ابريل/ مايو) كما كانت الفاكهة متوافرة طوال الشتاء ولم تنقطع قط..

وهكذا كان ناصر خسرو يقدم وصفا حيا للمكان ومابه من حركة وحيوية ، مما جعل كتابه مرجعا مهما لحياة أهل الحجاز فى منتصف القرن الخامس الهجرى إلى غير ذلك من الملاحظات التى يزخر بها الكتاب ،، والذى أتمنى أن يرجع إليه القارئ العربى فى إحدى ترجمتيه طلبا للمزيد من الفائدة وزيادة فى تعرفه على هذه الأماكن المقدسة التى نهفو جميعاً إلى زيارتها وأداء مناسك الحج بها ونحن على معرفة جيدة بتاريخ المكان ومناسكه تلك المعرفة التى تزيد من لهفتنا على السفر إليه دوما .

ثانياً : سفر نامه . مكه (كتاب السفر إلى مكه)(١)

سبق القول بأن مؤلف هذا الكتاب الحاج مهديقلى هدايت مخبر السلطنة قد بدأ رحلته هذه عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣م) ، وقد زار عدة بلدان أسيوية وأوربية وأفريقية ، لكنه آثر أن يعنون الكتاب برحلته إلى مكة المكرمة حيث زارها وزار المدينة المنورة والمشاعر المقدسة وأدى فريضة الحج بصحبة عدد من رفاقه الإيرانين الذين وفدوا إلى مصر ، ومنها توجهوا إلى الحجاز ، مثهلم فى ذلك مثل ناصر خسرو الذى سافر إلى الحجاز فى المرات الثلاث الآخرة عبر الاراضى المصرية ، والآن يجمل بنا أن نعرض لما ذكره المؤلف مرجئين التعليق إلى ما بعد الانتهاء من سرد رحلته كلها : وقد بدأ مهدى قلى هدايت هذه الرحلة بما ترجمته :

فى يوم الجمعة أول ذى الحجة توجهنا صوب مدينة السويس ، وكان المطوف الحاج على فى صحبتنا وكان الطريق حتى وادى النيل صافيا جميلاً ولما خرجنا من هذه الوادى سلكنا طريقا عبر الصحارى ، ولو لم يكن هناك القطار ، لكنا فى عداد من «يتيهون فى الأرض» (٢) ولكن حمدا لله أننا لم نتأسَ بأولئك الفاسقين ، بل إننا نعمنا بقوله تعالى « وأنزلنا عليهم المن والسلوى» (٣) وسمعنا بآذان عقولنا قوله تعالى « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » (٤) وسمعنا بقلوبنا ببركة الهدايا المحمدية نداء الحق تعالى «فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى» (٥) أما النارالتى نظر إليها موسى بجبل الطور فهى نور الإيمان الذى يضئ قلب المؤمن ، والسويس فى نهاية جبل الطور وعلى حافة الخليج (خليج السويس) وتربطها بمدينة بورسعيد قناة (قناة السويس) (٦)

---

(١) حاج مهدى يقلى هدايت ؛ مخبر السلطنة : سفرنامهء مكه ، مع حواشى وفهارس باهتمام دكتر سيد محمد دبير سياقى الطبعة الأولى نشر تيراژه ، ١٣٦٨ هـ.ش ص ٢٤٥ - ٢٧٣ .

(٢) المائدة ، آية ٢٦ .

(٣) الأعراف ؛ آيه ١٦٠ .

(٤) طه آيه : ١٣.

(٥) طه ؛ آيه : ١٢ .

(٦) النص الفارسى ؛ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، وهو :

جمعهء اول ذى حجه بطرف سوئيس رهسپار شديم ، حاجى على مطوف از اينجا همراه است . راه تا كنار نيل مى گذرد صفائى دارد ، از حوضهء نيل كه خارج شد ، از تيه مى گذرد . اگر نه راه آهن بود در زمرهء "يتيهون فى الأرض" درمى آمديم. لله الحمد تأسى به فاسقين نكرديم ، وبه نعمت " وانزلنا عليهم المن والسلوى " متنعم بوديم وبه گوش هوش اشاره " وانا اخترتك =

ولقد بدأنا رحلة السفر إلى جدة مستقلين سفينة تابعة للشركة الخديوية (المصرية) ولم تكن السفينة نظيفة بالقدر المطلوب ، وكان بعض عمالها يفتقدون الذوق والمعاملة الطيبة ، وكانت مراحيضها فى مواجهة صالة الطعام ، ومع هذا فقد كان ربانها، رجلا ودودا وخلوقا وقد توجه معنا بعد ذلك إلى مكة !

وفى مواجهة جحفة ، حيث ميقات الشام والعراق ، أمرنا المطوف الحاج على بأن نحرم ، فخلعنا أرديتنا الشتوية واغتسلنا وأحرمنا.

الوصول إلى جدة.

وصلنا إلى جدة فى صباح الخامس من ذى الحجة وقد وقفت السفينة بعيدة عن الشاطئ لذا لزمت الحاجة إلى عدة قوارب كى تنقلنا من السفينة إلى الشاطئ .. وقد لاحظنا أن معظم عمارات جدة قد بنيت بالأحجار ، كما أن غالبتها تتكون من ثلاثة طوابق .

وفى اليوم السادس من ذى الحجة نوينا الترحال إلى مكة المكرمة ، وقد لاحظت أن قدمى وكذلك قدمى رفيقى عبد الله قد تورمت وهكذا باقى الرفاق ولكن الحالة بالنسبة لى ورفيقى عبد الله كانت أكثر تورما ، مما لم اعد معه أستطيع لبس الحذاء أو الجورب ، وكأن الهاتف قد جاء فى بالأمر الإلهى : اخلع نعليك .

والسفر إلى مكة ركبنا عدة حافلات تجرها الخيول ، بينها حافلات فخمة وأخرى أقل فخامة ، بعضها متسع مريح ، وبعضها يكاد يفى بالغرض ،،، وفى الطريق أقيمت بعض النزل وبخاصة فى منطقة بهره أو حدة ، وكان بالنزل خزان للمياه وقد بنيت به حجرتان حقيرتان ، وأمامهما إيوان تحيط به بعض الحشائش والخضرة ، وكانت مساحته تقترب من ثلثى فرسخ عرضا وطولا ، وكان النزل على مقربة من مشارف

= فاستمع لما يوحى" مى شنيديم" وبه بركت هدايت محمدى صلى الله عليه وآله كه نداى « فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى » ، به سمع دل مى آورديم. نارى كه موسى در كوه طور به نظر آورد ، نور ايمان است كه در قلب مؤمن تابشى دارد . سوئيس پاى كوه طور در دامنه اى كنار خليج ، شهركى است كه از آن به پرت سعيد كانال (ترعه) ممتد است .

جبل، وعلى بعد مائتى قدم أو ثلاثمائة من خزان المياة مسجد من المستحب أن تصلى فيه ركعتان، الشأن فى ذلك شأن ضرورة الحفاظ على الروح ، وقد أدينا ذلك المستحب فى الإيوان ، وحول هذا المسجد ضربت عدة خيام سوداء ، يقيم فيها الأعراب النازلين بالمكان .

ما أن أقبل الصباح وعم الضياء حتى تحركت القافلة مواصلة المسير ، ولكن لم تمض إلا ساعة وفجأة عمت الجلبة والضوضاء ؛ حيث هاجم البدو القافلة وقد سمعنا أصوات طلقات الرصاص دون أن نرى من يطلقونها، وكانت خطة هؤلاء الأعراب تتمثل فى إيقاع القافلة بين طرفى كمين ، حيث يطلق أحد الاطراف نيران بنادقهم ، فيعم الهرج والمرج بين جموع القافلة ، فإذا بأفراد الطرف الثانى من هؤلاء الأعراب يندفعون لمهاجمة القافلة وسلب ونهب كل ما تصل إليه أيديهم وإذا حاول أحد أفراد القافلة التصدى لهم فإنهم يسارعون بطعنه بخناجرهم ، فيخلفون وراءهم الجريح أو القتيل ؛ مما جعلنا نردد قول السعدى :

أيها الحادى ! أين جمال الكعبة ، وقد ألم بنا الموت، عبرصحرائها ![1]

لقد أخذ الخطر يقترب منا رويدا رويدا ؛ فتوقفنا عن المسير ،. وترجل بعضنا، وقفز البعض الآخر خارج العربات ، وتملكتنا الحيرة والدهشة ، حيث كان معنا الحاج قاسم نامي الذى يرافق الرحلة من مصر لحمايتها وحراستها ، وكانت معه بندقية وبعض الاسلحة البيضاء ، ولكنه سرعان مالجأ إلى خلف تبة يحتمى بها مصداقا للمثل القائل : «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان !» ثم نادى أحد الرفاق على بقية زملائه ؛ هيا تعلوا إلى خلف التبة .

وبينما نحن هكذا إذا بالهدوء يعود مرة ثانية ، وهنا يرتفع صوت رئيس الحرس قائلا : لم يعد هناك خطر ! ثم أردف قائلا : لو أن الخطر قد حاق بنا أكثر من هذا لسارعت بالضرب ، ومع هذا فقد أصاب هؤلاء الأعراب أحد أفراد القافلة ، كما أصبت أنا أحدهم ، لذا فقد أدركوا أنه ليس من المتاح لهم أن يقتربوا من القافلة أكثر فأكثر ؛ وهذا ما حدث ! وبعد أنقضاء وقت قصير من حلول الظهر وصلنا إلى واد يمتد حتى يصل إلى مكة ، واصلنا المسير حيث وصلنا بعد ساعات ثلاث إلى مرعى يقال له قنقر

---

(١) الأصل الفارسى : ص ٢٤٧ ، وهو :

ساربانا جمال كعبه كجاست   كه بمرديم در بيا بانش

النگ أو قصر الخورنق ، وأملا فى استعادة العافية خلدنا إلى الراحة بعض الوقت كى نتناول طعامنا .

ثم واصلنا المسير نحو مكة المكرمة وقبل الغروب بساعتين انطلقنا لأول مرة ملبين (لبيك اللهم لبيك) فقد أصبحنا على مشارف مكة .

الوصول إلى مكة:

نزلنا بمنزل الشيخ علي محمد محرز الشريف وهو من أفضل بيوت مكة ، يتوسطه حوض ماء به عدة فوارات ، ويشرف الإيوان على هذا الحوض ، بينما توجد الغرف فى الخلف علي طابقين . حيث نزل كبيرنا (الاتابك) فى الغرفة بالطابق العلوى ، ونزل باقى الرفاق فى الغرف الكائنة بالطابق الأرضى ، وفى هذا المنزل التقينا بأولئك الرفاق الوافدين من الشام ، وهم مجد الدولة ، مستعان الدولة ، وأمين الخاقان ، وميرازا حسن رشدية ومعز السلطان وابنه.

وبعد انقضاء ثلاث ساعات من حلول الليل ، أغتسلنا ، وذهبنا إلى الحرم وأدينا العمرة .

وفى ليلة الثامن من ذى الحجة وهو يوم التروية ، ذهبنا إلى الحرم مع الغروب وبعد أداء الفريضة والصلاة بالمسجد توجهنا صوب منى، وهى ساحة واسعة تمر فى وسطها قناة زبيدة ، وهى قناة مكشوفة يأخذ الحجاج منها حاجتهم من المياه .

ويقال إن عدد الحجاج فى ذلك الوقت كان مائة وخمسين ألف حاج! وفى صباح التاسع من ذى الحجة عزمنا على التوجه صوب عرفات ، وكانت المواصلات إليها قاصرة على الجمال ، ويتم الوقوف بعرفات طوال نهار التاسع ثم يبدأ الترحال إلى المشعر الحرام مع غروب الشمس (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) [١] حيث نصل إلى المزدلفة فيتم جمع الجمرات وكذلك أداء الصلاة قصرا ، ثم واصلنا المسير إلى منى.

---

(١) البقرة ، آية : ١٩٨ .

وفى منى ابتعنا أربعا وخمسين شاة للتضحية بها ، وقد وكلنا أحدهم لذبح هذه الأضاحى ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عمت الضجة والضوضاء أرجاء المكان ، اذا أقبل الأعراب وأخذوا الأضاحى ، ولم يستطع الموكل بالذبح ذبح سوى شاتين فقط!

بعدها شغلنا جميعا بتناول الطعام وقد تساوى فى ذلك الجميع الخادم منهم والمخدوم ، حيث حمل كل حاج وعاء أكله بنفسه وتوجه به إلى خيمته ومما يجدر ذكره بأن يوم عرفة قد صادف فى هذه السنة يوم جمعة وهو ما يطلقون عليه (الحج الأكبر)؛ والحج الاكبر كما أفهم هو أن نرجم الوسواس ونبعده عن قلوبنا ، وأن نغلق عيوننا عن الحرام ، وأن نمتنع عن الغيبة والنميمة ، وأن نحفظ قلوبنا عن الهوى ، وأن نتحرز عما يغضب الله ، وألا ينطق لساننا بالفحشاء .

ومما يجدر ذكره أننا بعد الطواف فى صباح العيد والذبح تحللنا حيث لبسنا ملابسنا ، فرحين بمقدم العيد حيث يتبادل الناس فيه الزيارات ، وفي اليوم الحادى عشر من ذى الحجة رمينا الجمرات، وفى اليوم الثانى عشر أتممنا كل شى وعدنا إلى مكة المكرمة ، وإن كان بعض أهل السنة والجماعة يبقون فى منى حتى اليوم الثالث عشر آخر أيام عيد الاضحى المبارك .

ومن المستحب فى منى صلاة ركعتين فى مسجد الخيف ذى الصحن الواسع أما جوانبه فكلها مسقوفة ، وقد لوث الحجاج الصحن كله حتى لم يعد فى الإمكان الوصول إلى الأماكن المسقوفة مما جعلنا نعود حانقين على بعض الحجاج .

وبعد انقضاء مناسك الحج بقينا عدة أيام فى مكة حيث طوفنا ذات يوم بجبل أبى قبيس وزرنا قبور بعض الصحابة هناك.

وذات يوم ذهبنا عصرا إلى الحرم المكى ، حيث وجدنا الفرصة سانحة للدخول داخل البيت الحرام . وإذا كنا فى الخارج نوجه أنظارنا نحو الكعبة فى كل صلاة ، فإننا فى الداخل كنا نوجه أنظارنا خارجها (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) [1] من المعروف أن المصلين فى مكة تتجه أنظارهم فى الصلاة صوب وسط

(١) البقرة ، آية : ١٧٧ .

المدينة حيث توجد الكعبة الشريفة أيا كان مكان وجودهم شرقا أو غربا ، شمالا أو جنوبا !

وإذا كان ماء زمزم للتبرك ، فلا ضير فى ذلك ، ولكنه غير مستساغ للشرب أو الأكل حيث أنه يتسم بالملوحة والمرارة!

وحيثما يوجد مقام ابراهيم يوجد حجر عليه أثر لقدم الخليل عليه السلام محفور على أحد الأحجار وقد وضع هذا فى النصب المقام هناك ، ومن الثواب الاهتمام به والحفاظ عليه !

ويقال إن بنى شيبة كانوا يسكنون هذا المكان فى عهد الرسول عليه السلام.

والصفا والمروة إيوانان تفصل بينهما مسافة السعى ، وكلاهما صوب باب النبى القائم فى الجهة الشرقية من الحرم .

أما عن النظافة هنا فلا داعى للحديث عنها وما أكثر التزاحم عند المشى والهرولة .

وذات يوم ذهبنا إلى الحرم قبل صلاة المغرب ، وتصادف عدم وجود كثيرين بالمسجد ، فتوجهنا إلى حجر اسماعيل وشغلنا بالدعاء والمناجاة ، ومن بين ما دعوت به : هو أن تنال إيران استقلالها، كما دعوت بكل ما جال بخاطرى .

وكتب فى بيان حكمة الحج ؛ مايلى :

لقد فرض الله الحج لما فيه من خير عميم لجموع الخلق ، فالبيت الحرام منذ عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهو محط اهتمام الناس من قريب أو بعيد ، وفيه يجتمع الناس مرة فى كل عام بعيدين عن الرياء ، كما تتم فى موسم الحج الألفة بين أهل المشرق وأهل المغرب ، وفيه يتدارس المسلمون أحوالهم ، وتتم بينهم الوحدة والاتحاد ، وينزعون عن أبدانهم أردية الكبر والغرور ، ويدركون أن الإنسان لن يظفر بشئ من هذه الدنيا غير كفنه ، وهناك يكون الجميع سواسية لافرق بين غنى أو فقير ، ولابين شريف أو وضيع ، كما أنهم فى هرولتهم يحطمون كل مظاهر الاستكبار.

– الفقير والغنى كلاهما عبيد لهذه الأرض وتلك الأعتاب

بل إن الأكثر غنى يكون الأكثر احتياجا ! [١] .

وفى كل عام تفد من كل من الشام ومصر قافلة ، وتحضر كل منها محملا مزينا، وما يقدمه الشام منسوب إلى عائشة رضى الله عنها ، وما يفد من مصر منسوب إلى فاطمة رضى الله عنها ، كما تقدم مصر كل سنة كسوة منسوجة من الحرير وموشاة بالذهب ، وذلك من أجل تغطية الكعبة وكسوتها !ومن بين الذين قدموا الكسوة للكعبة كان شاهرخ بن الأمير تيمور !

بنى المسجد الحرام من الحجر الأبيض ، طوله ٣٧٠ ذراع وعرضة ٣١٥ ذراع ، وتحيط به من كل جانب أردفة ويحمل سقفه ١٣٤ عمود ، وتتوسطه الكعبة، ويوجد بابها جهة المشرق ، ويرتفع عن الأرض بمقدار ستة أذرع ، وطول الباب ستة اذرع كذلك اما عرضة فثلاثة أذرع وعشرة أصابع ، أما طول الكعبة نفسها فيبلغ أربعة وعشرين ذراعا وشبرا، بينما يبلغ عرضها ثلاثة وعشرين ذراعا وشبرا ، أما ارتفاعها فيبلغ سبعة وعشرين ذراعا ، وللمسجد ثمانية عشر بابا من بينها فى الجهة الشرقية باب النبى الذى كنا ندخل منه ، وعند الدخول يكون مقام ابراهيم فى مواجهة الكعبة أما على الجهة اليسرى منه فيوجد بئر زمزم ومقام ابن حنبل ، وفى الجهة الشرقية مقام مالك ! وفى الطرف الشمالى مقام الحنفية وليس للشافعى مقام !

---

(١) گفته اند كه حكم حج شايد از نظر احسانى نسبت به مردم آن سر زمين باشد ، شبهه نيست كه حكمت بسيار در آن هست . خانه از زمان ابراهيم واسماعيل محل توجه مردم دور ونزديك بوده است . مركزى است خالى از جفا وبى ريا كه مردم هر ديار نوبتى در سال در آن جمع شوند . ألفت بين شرقى وغربى حاصل شود ، از حال هم استحضار بيابند ، اتحاد ويكانگى بين آنها ايجاد شود ، لباس كبر وغرور از تن دور كنند . بدانند كه ، جز چند گز كرباس بهرهء آخره آنها نيست ، درويشى وغنى ، وضيع وشريف خود را در يك مقام بينند ، به هروله در سعى رگ استكبار ا بشكنند .

درويش وغنى بنده اين خاك ودرند   آنانكه غنيترند محتاجترند

أما الصفا والمروة فهما فى الجانب الشرقى ، وعلى جانبى باب النبى يوجد إيوانات بكل إيوان منهما كرسى وثلاث درجات ، ودائماً يُسعى لنظافة طريق السعى بين الصفا والمروة .

أما الحجر الأسود فقائم فى الركنى الجنوبى الشرقى من الكعبة ، وقد تحطم الحجر الأسود أكثر من مرة وهو الان خمسون قطعة حفظت جميعها ونسقت داخل قالب من الفضة !

وجدران الكعبة من الداخل والخارج من الحجر الأملس ، وتغطى من الخارج بالكسوة الشريفة ، وفى الداخل توجد قطعة صغيرة من الحجر المنقر تبلغ مساحته شبرا فى شبر ، ويظن أنها أحضرت من بعلبك !

وسقف الكعبة مرفوع على ثلاثة أعواد من الخشب المربع الذى يصل قطر كل عمود منها نصف ذراع وهو من خشب العود الذى يعطى رائحة جميلة تعطر الكعبة من الداخل .

إن الطواف يستمر سبعة أشواط تبدأ من محاذاة الحجر الأسود على أن يتم حضور القلب واستجماع الحواس ، بحيث لايمكن التفكير في شيئين فى وقت واحد.

أما السعى بين الصفا والمروة فيتم ذهابا وايابا بين الموضعين على أن تكون البداية من الصفا والنهاية عند المروة ويكون السعى هرولة فى جزء منه !.

* * *

وقبل أن ننتقل إلى حديث مهد يقلى هدايت عن المدينة المنورة. نورد رسما توضيحا للمسجد الحرام نقلا عن سفر نامهء مكة صفحة ٢٥٦ ، لمافية من فائدة ، حيث يوضح الرسم الشكل العام للحرم المكى عندما زاره الكاتب عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) وحتى يستطيع القارئ أن يقارن بين خريطة المسجد الحرام الآن ، وبين ماكان عليه قبل ذلك .

الوصول إلى المدينة :

فى يوم عاشوراء وصلنا إلى المدينة المنورة والتى تبدو كساحة منبسطة تحيط بها الجبال من كل جانب وعند المدخل إلى تلك الساحة يوجد مسجد الشجرة على اليد اليسرى وهو ميقات أهل المدينة ويستحب أن تصلى فيه ركعتان ، إذا كان المسجد الحرام بمكة المكرمة يتصف بالسعة والضياء فإن مسجد الرسول ليس على هذا الحال إذا أن معظمه مسقوف ، لذا فهو أقل ضياء ، وليس به ذلك الازدحام الموجود بالكعبة ، وكانت ليلتنا الأولى بالمدينة هادئة ، حيث لم يثر الرعد ولم يومض البرق ، والفرق العظيم الآخر بين المسجدين يتمثل فى وجود قبر حضرة الرسول عليه السلام، وحجرة أمير المؤمنين على بن ابى طالب وفاطمة الزهراء رضى الله عنهما فى مسجد المدينة، وهنا يستطيع المرء أن يتصور بعض الوقائع التاريخية التى حدثت فى منزل الرسول عليه السلام والتى واجهها بروحه السمحة ، إن هذا المسجد مهبط الوحى ومسقط رأس الحسن والحسين !

ما أن وصلنا حتى سارعنا بالوضوء حتى نستطيع زيارة الحرم النبوى ، لقد دخلنا من باب السلام ، ولكننا خرجنا من باب جبريل بعد تقديم فرائض الاحترام والتبجيل .

كنا طوال إقامتنا حريصين على الذهاب إلى المسجد النبوى لأداء جميع الصلوات . لذا فقد جاءتنى الفرصة كى أزور الروضة المنورة عوضا عن والدى الذى لم تتح له الفرصة لمرضة كى يزور المدينة ، وكم كان يأسف لعدم تمكنه من إتمام هذه الزيارة.

وقد طلب بعض السادة من الرفاق ، أن يفتح لهم باب قبر الرسول كى يزوروه من الداخل ، ولكن الأتابك لم يوافق ، ويوجد بويب لقبر الرسول تجاه القبلة ، وهذا القبر قائم فى الركن الشمالى الشرقى من المسجد ، أما قبر ابى بكر وعمر ففى المسافة بين القبر المبارك والجدار .

ولقد غطى القبر بقطعة من القماش ، ومن السقف يتدلى مصباح وتتناثر المباخر فى جميع الأركان ، وفى الطرف الشرقى من المكان المغطى تحت القبة توجد ثلاث حجرات ، عرضها وطولها ثلاثة أذرع فى ثلاثة أذرع ، حيث كان يسكن الرسول عليه السلام (حجرة عائشة)، وكذلك كانت تقيم فاطمة الزهراء مع على المرتضى . وفوق

مزار الرسول قبة تعلو جميع النوافذ ، وإلى جوار باب جبريل توجد منارة من خمس منارات بالمسجد !

وخارج باب جبريل يوجد خزان للمياه به صنابير للوضوء حيث توضأت هناك ذات مرة.

وفى اليوم التالى ذهبنا عند باب جبريل لزيارة البقيع ، وهى عبارة عن ساحة كبيرة تتوسطها ساحة أخرى أصغر تضم مزارات أئمة الهدى ، ويأتى فى مقدمتها قبر الإمام الحسن وبعده قبر الإمام سجاد ، ثم قبر الباقر ، وأخيرا قبر جعفر الصادق ، بينما يوجد فى الركن الشمالى من هذه الساحة قبر عثمان بن عفان رضى الله عنه !

ومن بين المزارات التى يحرص الزائرون على زيارتها مقابر شهداء أحد وقبر سيد الشهداء حمزة المجاور لجبل أحد والذى يبعد بعض الشئ عن وسط المدينة .

ومما يلاحظ أنه لم يعد بالمدنية أى أثر للخندق الذى حفر حولها أيام معركة الخندق !

وذات يوم ذهبنا لزيارة مسجد قباء ، مسجد القبلتين ، حيث كان المسلمون يتجهون في صلاتهم أولاصوب بيت المقدس ، ولما صدر الأمر بالاتجاه إلى الكعبة بنيت بالمسجد قبله أخرى صوب الكعبة ، وهذا المسجد يقع جنوبى المدينة وقدر وردت الاشارة إليه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين » [(١)] وقد حمل الرسول الكريم بيديه الكريمتين أول حجر فى بنائه .

وكان بناء مسجد الرسول بالحجر والآجر فى عهد قايتباى من سلاطين مصر ، وذلك عام ٨٢٧هـ وأكمل بناؤه فى عهد السلطان عبد المجيد بعد ذلك . ويحمل السقف والايوانات به ٢٥٦ عمود ، وللمسجد ستة أبواب هى باب السلام، باب الرحمة ، باب التوسل ، باب جبريل ، باب النساء ، باب قايتباى .

وبين مكة والمدينة مسيرة يومين !

* * *

---

(١) سورة التوبة ، أية : ١٠٨

هكذا أنهى مهد قلى هدايت حديثة عن سياحته بين مكة والمدينة ولنا على ماذكره عدة ملاحظات نجملها فى نقاط محددة وسريعة .

الملاحظة الأولى :

كانت رحلة الحج لهؤلاء الإيرانيين عبر الاراضى المصرية فقد جاءوا سائحين إلى الاسكندرية والقاهرة ثم عزموا على تأدية فريضة الحج فتوجهوا إلى ميناء السويس، شأنهم فى ذلك شأن الحجاج المصرين المسافرين لأداء فريضة الحج بحرا حيث تنقلهم البواخر الخديوية من ميناء السويس إلى ميناء جدة ، وقد فعل ناصر خسرو نفس الشئ من قبل ، حيث أدى الحج ثلاث مرات عبر الأراضى المصرية ، ومن المعروف أن عددا كبيرا من الحجاج الإيرانيين يفد إلى الأراضى المصرية ويتوجه عبرها بعد ذلك إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وهكذا كانت الديار المصرية نقطة عبور أمام هؤلاء الحجاج الإيرانيين وغيرهم من الحجاج الذين مازال بعضهم وبخاصة من البلدان الإفريقية والأوربية يصل إلى مصر أولا ثم يتوجه بعد ذلك إلى جدة برا أو بحرا لأداء فريضة الحج.

الملاحظة الثانية :

من الملاحظ أن رحلة الحج التى تحدث عنها مهدى قلى هدايت فى كتابه هذا تبدو وكأنها رحلة إخوانية ترفيهية أكثر من كونها رحلة عبادة وتبتل إلى الله ، فقد كان حريصاً على ذكر أسماء مرافقيه ومن قابلهم من ذويه فى جدة أو مكة ، إلى جانب الحديث عن بعض الأمور الذاتية والتقاط الصور التذكارية ، أما وصفه للأماكن المقدسة والشعائر التى يؤديها حجاج البيت الكريم وزوار مسجد الرسول ، فقد جاءت سطحية فى معظمها إذا قورنت بما أورده ناصر خسرو فى كتابه ، وكان المرجو من مهدى قلى هدايت أن يثبت قدرته على الوصف والتحليل أكثر مما فعله ناصر خسرو ، وحتى يجد لكتابه الأثر المرجو ، وهذا مالم يحدث، حيث مازال كتاب ناصر خسرو ووصفه للأماكن المقدسة والشعائر الدينية هو المثال الأكبر قيمة وأعلى ذكرا .

الملاحظة الثالثة :

كان مهدى قلى هدايت ذاتيا فى رحلته هذه ، بل كان متبرما ناقما حريصا على إبراز السلبيات أكثر من الإيجابيات ، فكثيرا ما تحدث عن عدم نظافة الأماكن المقدسة، كما أفرد الحديث عن حالات الإغارة التى تتعرض لها قوافل الحجيج من بعض البدو وقطاع الطرق وسلبهم أمتعة الحجاج بعد ترويعهم ، والحمد لله أنه لم يعد يحدث هذا ، فقد نجحت الحكومية السعودية الحالية فى القضاء على كل هذه السلبيات ، ووفرت الأمن والأمان لجميع حجاج بيت الله الكريم فى ربوع المملكة كلها !

الملاحظة الرابعة :

لم يكن مهدى قلى هدايت موفقا فى ترتيبه لأحداث الرحلة ، فكثيرا ما كان يتكلم عن أمر ما ثم يتركه ويدخل فى حديث آخر ، وبعد فترة يرجع إلى حديثه السابق مما يخل بانتظام سير الرحلة ، فقد تحدث عن وصولهم مكة ثم ذهابهم بعد الاستحمام لاداء الطواف والسعى ، ولكنه لم يتحدث عن الطواف والسعى إلا فى آخر حديثه عن مكة ، وبعد أن يكون قد أدى جميع مناسك الحج ، وتحلل من ملابس الإحرام ، وكان الأولى أن يذكر هذا كله عند دخوله المسجد الحرام لأداء المناسك بمجرد وصوله إلى مكة لا أن يرجئ ذلك إلى نهاية بقائه بها !

كما تحدث عما يفعله الحاج خلال أيام عيد الأضحى المبارك وعودته إلى مكة فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة ، وما يفعله الحجاج بعد ذلك ، ثم إذا به يعود للحديث عن منى والصلاة ركعتين فى مسجد الخيف هناك ، ثم وصفه لهذا المسجد ، وذلك الوصف الذى عاب فيه على بعض الحجاج عدم العناية بنظافة المكان نظراً لشدة الزحام ، وكان الأولى أن يتحدث عن هذا المسجد قبل ذلك وبمجرد وصوله إلى منى لا بعد أن غادرها إلى مكة.

الملاحظة الخامسة :

أشار مهد يقلى إلى وسائل المواصلات التى استخدمها فى الرحلة وبدأها بالقطار من القاهرة إلى السويس ، ثم الباخرة الخديوية من السويس إلى جدة وهى باخرة كبيرة تستطيع نقل المئات من الحجاج. كما تحدث عن العربات التى استخدمها الحجاج من جدة إلى مكة المكرمة ، وهذه العربات متنوعة ما بين صغيرة وكبيرة تجرها

الجياد ، بينما كانت المواصلات أيام ناصر خسرو على ظهور الدواب أو سيرا على الاقدام ، وبالتالى فإن هذه الرحلة الأخيرة قد أشارت إلى بعض الوسائل الحديثة التى ظهرت فى أوائل القرن العشرين والتى جنبت الحجاج تحمل مشاق السفر سيرا على الأقدام أو على ظهور الدواب ، كما أنها قللت من المدة الزمنية التى كان الحجاج يمضونها بين الذهاب والعودة ، والتى كانت تصل إلى الستين يوما بالنسبة للحجاج المصرين على سبيل المثال كما ذكر ناصر خسرو فى كتابه ، حيث كانت الرحلة مابين ميناء السويس المصرى وميناء الجار السعودى تستغرق خمسة عشر يوما ، أما فى زمن مهد قلى فكانت الرحلة من السويس إلى جدة تستغرق خمسة أيام فقط لوجود البواخر الكبيرة والسريعة وهكذا تحدث كل منهما - ناصر خسرو ومهد قلى- عما أتاحه له عصره من وسائل الانتقال !

الملاحظة السادسة :

حرص ناصر خسرو فى كتابه أن يكون أسلوبه بسيطا سلسلا واضحا بعكس ما يتسم به شعره، ولعله أراد أن يكون كتابه على هذا مرشدا يوضح فيه الشعائر فى صورة واضحة لالبس فيها، أما مهد يقلى هدايت فقد جاء أسلوبه فى كثير من المواضع متصنعاً ، مثال ذلك حرصه على أن يزين أسلوبه هذا بالعديد من الأيات القرآنية أو أجزاء من هذه الأيات ، ولو كان ستخدامه لهذه الأيات فى محلها لكان شيئا يحمد له ، أما أن يقحمها فى النص إقحاما ، فهذا لايليق بنص أدبى ذى قيمة وعلى سبيل المثال عندما تحدث عن سفره من القاهرة إلى السويس ! ذكر بضعة أيات قرآنية تشير إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام ورحيله إلى سيناء عبر الطريق الذى سلكه القطار بمهدى قلى ورفاقه إلى السويس ، فكانت هذه الأيات مجرد استعراض من الكاتب وتزيد لايستدعيه النص!

وكذلك حرص المؤلف على أن ينمق أسلوبه بالعديد من الأشعار، وبخاصة المنسوبة إلى السعدى الشيرازى وناصر خسرو ، وبعضها كان مقبولا فى موضعه، وبعضها ذكر دون ضرورة تذكر ، وهكذا كان ذكره للآيات القرآنية والاشعار نوعا من إثبات الذات وادعاء التميز فى الأسلوب .

الملاحظة السابعة :

حرص مهد يقلى هدايت على ذكر بعض الإشارات التاريخية ومنها أن بنى

شيبة كانوا يقطنون أيام الرسول عليه السلام المنطقة المجاورة بمقام ابراهيم ، وقوله : إن من بين الذين قدموا الكسوة للكعبة كان شاهرخ ابن الامير تيمور ، وقوله عن بناء مسجد الرسول عليه السلام بالحجر والآجر إن ذلك كان فى عهد قايتباى سلطان مصر، وأن السلطان عبد المجيد قد أكمل هذا البناء بعد ذلك ، وكذلك إشارته قبل ذلك إلى مسجد قباء وكونه المسجد ذو القبلتين ، إلى غير ذلك من الإشارات التاريخية التى أوردها فى أثناء وصفه للمشاعر فى مكة أو المدينة .

الملاحظة الثامنة :

قدم مهدى قلى هدايت رسما توضيحيا للحرم المكى وضح فيه جميع تفاصيل المسجد والكعبة ، وما يضمه المكا ن من مشاعر مقدسة وهذا مما يحمد للمؤلف ، حيث أن هذا الرسم يساعد القارئ الذى لم يحظ بزيارة الحرم المكى لعمرة أو حج أن يتعرف على المكان وأبوابه ولكل ما يشمله من مشاعر وأماكن تهفو جميع أفئدة المسلمين إلى زيارتها والتمتع بالوقوف خاشعة أمامها .

* * *

وإذا كان لنا أن نقارن فى عجالة بين ما كتبه ناصر خسرو فى القرن الخامس الهجرى، وبين ما سطره مهدى قلى هدايت فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى ، فإننا نقول بكل اطمئنان بأن ناصر خسرو كان أكثر توفيقا فيما قال ، وأكثر تدقيقا فيما وصف ، وأكثر تضرعا فيما قدم من حديث عن المشاعر وما يؤديه الحجاج من أفعال وما يقولونه من ابتهالات وأقوال ، وكان حديث ناصر خسرو حديث من يعايش ما يكتب، ومن يحس بكل كلمة ينطق بها أو يسطرها ، أما حديث مهد قلى هدايت : فقد جاء سطحيا فى كثير مما قاله ، كان حديثه حديث من يكتفى بالنظر من الخارج دون الدخول إلى لب الامر ، إنه حديث من يكتفى بالعرض دون الدخول إلى الجوهر !! انه حديث رحالة غير خبير بالمكان وما يمثله من قداسة ، ولعل ضيق الفترة التى قضاها فى مكة – حوالى شهر (من ٦ ذى الحجة ١٣٢١ إلى ٨ محرم ١٣٣٢٢هـ) لم تتح له الفرصة جيدا كى يورد وصفا وتحليلا ، كالذى قدمه ناصر خسرو فى زيارته الرابعة للأماكن المقدسة ، حيث قضى فى هذه المرة ستة أشهر كاملة وذلك بعد أدائه الحج قبل ذلك ثلاث مرات ، مما جعله يعايش المكان جيدا ويدرس كل صغيرة وكبيرة فيه ، فكانت الفرصة سانحة أمامه لكى يستوثق من كل كلمة ، ومن كل وصف قبل أن يسطره فى كتابه !

الرحلة الثانية : إلى بيت المقدس

حرص الرحالة المسلون على زيارة بيت المقدس وزيارة ثالث الحرمين بها ووصفه، ووصف جميع الاماكن المقدسة فى هذه المدينة العربية الإسلامية أبد الدهر إن شاء الله ، ومن بين هؤلاء الرحالة كان ناصر خسرو وكذلك مهد يقلى هدايت اللذين أوردنا ما وصفاه فى كتابيهما لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث الحرم المكى ومسجد الرسول محمد عليه السلام ، والآن يطيب لنا أن نورد ملخصا لوصف كل منهما لمدينة القدس ، كى نتذكر ما كانت عليه هذه المدينة الخالدة فى عصر كل منهما ، لعنا نحاول تخليصها من العدوان الاسرائيلى الداعى إلى أن تكون القدس العاصمة الابدية لدولة اسرائيل كما يقولون ، ولكن إرادة الله فوق إراداتهم ، وإن شاء الله تعود القدس عربية إسلامية مطهرة من كل دنس إسرائيلى ، ولنبدأ بإيراد ملخص لوصف هذه المدينة العريقة كما جاء فى سفر نامه ناصر خسرو .

(١) وصف ناصر خسرو لبيت المقدس (١)

يقول ناصر خسرو فى أول حديثه عن المدينة : فى الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ (١٦ مارس ١٠٤٧م) بلغنا بيت المقدس .. وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس «القدس» ويذهب إلى القدس فى موسم الحج من لايستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات ، فيتوجه إلى الموقف ويضحى ضحية العيد كما هى العادة ، ويحضر هناك لتأدية السنة ، فى بعض السنين ، أكثر من عشرين ألف شخص فى أوائل ذى الحجة ومعهم أبناؤهم ، كذلك يأتى لزيارة بيت المقدس من ديار الروم، كثير من النصارى واليهود ، وذلك لزيارة الكنيسة والكنيش هناك ... وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء والخيرات بها كثيرة ورخيصة (٢)

ثم قال : لقد سمعت من الثقاة أن النبى صلاة الله عليه وسلامه رأى فى المنام كأن أحد العظماء يسأله قائلا : يارسول الله أعنا على اكتساب العيش ،. فقال الرسول عليه السلام «أنا كفيل لكم بقمح الشام وزيته» (٣)

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه الأصل الفارسى ص ٣٤ - ٦٣ ، الترجمتان العربيتان وص : ٥٥ - ٧٦ (ترجمة د. يحيى الخشاب) ، ص ٥٣ - ٨١ (ترجمة د. البدلى)

(٢) سفرنامه ، ترجمة الخشاب ، ص ٥٥ - ٥٦

(٣) سفرنامه ، ترجمة البدلى ، ص ٥٣-٥٤ .

ومن كان الرسول عليه السلام كفيله فلن يستطيع إنسان أن يخذله ، واذا كان سكان القدس الشريف قد مروا بفترات عصيبة على أيدى الصليبيين سابقا واليهود حاليا ، فسينصرهم الله ويعيد مدينتهم حرة خالصة للإسلام والمسلمين ، بعد ذلك يبدأ ناصر خسرو فى وصف مدينة بيت المقدس وسنكتفى بذكر ملخص لهذا الوصف !

وصف بيت المقدس :

مدينة مشيدة على قمة جبل ليس بها ماء غير الأمطار وتعتمد الزراعة فيها على الأمطار والعيون ، والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص وعليها بوابات حديدية وكان عدد سكانها وقت زيارة ناصر خسرو لها حوالى عشرين ألف نسمة . بها أسواق جميلة وأبنية عالية ، وكل أرضها مبلطة بالحجارة ، وفى المدينة صناع كثيرون لكل جماعة منهم سوق خاصة ، والجامع شرقى المدينة وسوره هو سورها الشرقى، وإذا خرجت من المسجد استقبلتك صحراء عظيمة يقال لها الساهرة ، ويزعمون أنها أرض الحشر يوم القيامة ، ولهذا يأتى كثير من الناس إلى هذه الصحراء ويتفرغون للعبادة راجين أن يدركهم الموت فيها ، فإذا جاء وعد الآخر يكونون أول من يبعثون !

وبين الجامع وسهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق ، وبه أبنيه كثيرة على نسق أبنية الأقدمين وبه قبة من الحجر مقامة على أحد البيوت ، ويقول العامة إنه بيت فرعون أو يطلقون على هذا الوادى «وادى جهنم » ويقال إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أنزل جيشة أيام خلافته بسهل الساهرة هذا، فلما رأى هذه الوادى قال : هذا وادى جهنم !

وعلى مسيرة نصف فرسخ جنوب المدينة توجد عين ماء تسمى عين سلوان ، وقد أقيمت حولها عمارات كثيرة ، حيث يقولون إن من يستحم بماء هذه العين يشفى مما ألم به من الآلام والأمراض .

ومسجد الجمعة على حافة المدينة من الناحية الشرقية وإحدى حوائطة تطل على وادى جهنم ، وإذا نظر المرء إلى ذلك الضلع التابع للمسجد الأقصى والمطل على وادى جهنم وجد أن السور يرتفع بمقدار مائة ذراع ، والسور فى ذلك الجانب ذو صخور ضخمة شديدة النتوء، بينما بقية جدران المسجد الأخرى تتسم بالاستقامة .

وقد بنى المسجد حول الصخرة العظيمة التى يزعمون أن الله أمر موسى عليه السلام باتخاذها قبلة ، وفى عهد سليمان عليه السلام جاءه الأمر ببناء مسجد حول الصخرة، حيث اتخذ هذه الصخرة بمثابة المحراب للمصلين ، كما كان محمد عليه السلام يتجه الى هذه الصخر فى صلاته حتى أمر الله بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة ، زادها الله تشريفا وتعظيماً .

وقد كتب فى الجانب الشمالى للسمجد وبالقرب من قبة النبى يعقوب عليه السلام وفى أعلى أحد الابواب ، أن طول المسجد سبعمائة وأربعة أمتار وعرضة مائة وخمس وخمسين مترا بالمقياس الشاهانى .

وعند المدخل الشرقى للمسجد يوجد رواق عظيم يبلغ ارتفاعه ثلاثين ذراعا ، بينما عرضه عشرون ذراعا وللرواق جناحان واجهتاهما وايوانه منقوشة كلها بالفسيفساء ، وفوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول ، وله بابان مزخرفان وواجهتاهما من النحاس الدمشقى الذى يلمع حتى لتظن أنهما طليا بالذهب ، وطول كل منهما خمسة عشر ذراعا والعرض ثمانية أذرع ويسميان «باب داود » عليه السلام.

وبعد اجتيار هذا الباب يوجد رواقان كبيران على يمين الداخل ، ورواق ثالث ممتد على يساره ويوجد بهذه الأروقة مجموعة من الأعمدة حيث يوجد فى كل رواق جهة اليمين تسعة وعشرون عمودا رخاميا، وبينما يرتفع عدد الأعمدة فى الرواق الواقع على يسار الداخل إلى أربعة وستين عمودا رخاميا، وطول المسجد من الشمال إلى الجنوب ، ولكنه يبدو كساحة مربعة إذا اقتطعت المقصورة منه ، وقبلته فى الجنوب وفى الجانب الشمالى بابان متجاوران عرض كل منهما سبعة أذرع وارتفاعه اثنا عشر ذراعا. ويسميان "باب الأسباط" ، وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس وبعد عبور باب الأسباط فى اتجاه الشرق يوجد باب أخر عظيم مكون من ثلاثة أبواب متلاحقة ، يقال لها باب الأبواب وهو فى نفس حجم باب الاسباط ولكنه كثير الوشى والزخارف وقد سمى باب الأبواب لانه مكون من ثلاثة أبواب متلاصقة فى حين أن باقى الأبواب مزدوجة .

وعلى مقربة من باب الأبواب وفى الزاوية الشمالية يوجد رواق ذو أبواب ، وله قبة عظيمة ، تبدو قواعدها شبيهة بأرجل الفيلة ، وتضيئها مشاعل كثيرة وتسمى قبة النبى يعقوب عليه السلام ، زعما بأن يعقوب كان يتعبد فى هذا المكان .

وعند الركن الشمالى للمسجد رواق جميل وقبة جميلة لطيفة مكتوب عليها هذا محراب زكريا النبى عليه السلام ، ويقال إنه كان يصلى هناك دائما، وعند الحائط الشرقى وسط الجامع رواق عظيم الزخارف من الحجر المصقول ، يبدو كأنه قطعة واحدة ، ارتفاعه خمسون ذراعا وعرضة ثلاثون ، عليه نقوش وله بابان جميلان ويقال إن سليمان بن داود عليه السلام بنى هذا الرواق لأبيه!

وحين يدخل السائر رواق داود هذا متجها ناحية الشرق فإن الباب الواقع فى اليمين يسمى « باب الرحمة» والباب الواقع جهة اليسار هو « باب التوبة » ويقال إ هذا الباب هو الذى قبل الله تعالى عنده توبة داود عليه السلام !

وقد قال ناصر خسرو عند وصوله إلى هذا المكان !

« وقد صليت أنا ناصر، فى هذا المقام ودعوت الله تعالى أن يوفقنى لطاعته وأن يغفر ذنبى ! (١) .

وحين يمضى السائر بمحاذة الجدار الشرقى إلى أن يبلغ الزاوية الجنوبية عند القبلة ، يجد أمام الحائط الشمالى مسجداً بهيئة السرداب ينزل اليه بدرجات كثيرة ، مساحته عشرون ذراعا فى خمسة عشر ، وبهذا السرداب مهد عيسى عليه السلام ، وهو من الحجر ، حجمة كبير بحيث يصلى عليه الناس وهو المهد الذى أمضى فيه عيسى طفولته ، وكلم الناس منه وهوفى المسجد مكان المحراب أما محراب مريم ففى الجانب الشرقى من هذا المسجد، وبه محراب ثالث لزكريا عليه السلام وعلى هذين المحرابين آيات القرآن التى نزلت فى حق زكريا ومريم ويعرف هذا المسجد باسم «مهد عيسى » عليه السلام .

المسجد الأقصى :

وحين يخرج السائر من مسجد مهد عيسى متبعا الحائط الشرقى ، يجد عندما يبلغ زاوية المسجد الكبير، مسجدا آخر عظيما جدا وهو أكبر مرتين من مهد عيسى، ويسمى هذا المسجد الاخير بالمسجد الاقصى ؛ وهو الذى أسرى الله عز وجل بالمصطفى عليه السلام ليلة المعراج من مكة إليه ، ومنه صعد إلى السماء (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) (٢)

---

(١) سفر نامه، ترجمة د. الخشاب ص : ٦٠

(٢) الإسراء : آية : ١

وبالمسجد الأقصى مساحة كبيرة معظمها غير مسقوف ، أما الجزء المسقوف والذى به المقصورة فيقع عند الحائطين الجنوبى والغربى وطول هذا الجزء ٤٢٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراع وبه ٢٨٠ عمود رخامى على تيجانها طيقان من الحجارة ، وقد نقشت تيجان الأعمدة وهياكلها ، وثبتت الوصلات فيها بالرصاص فى منتهى الإحكام وبين كل عمودين ستة أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص ومقصورة المسجد الاقصى فى وسط الحائط الجنوبى ، وهى كبيرة جدا تتسع لستة عشر عموداً وعليها قبة عظيمة جدا منقوشة بالميناء ، والمقصورة مفروشة بالحصير المغربى ، وبها قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل وبها محراب كبير منقوش بالميناء ، وعلى جانبيه عمودان من الرخام لونها كالعقيق الأحمر ، وإزار المقصورة كله من الرخام الملون ، وعلى يمينه محراب معاوية وعلى يساره محراب عمر رضى الله عنه، وسقف المسجد الأقصى مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف، وعلى باب المقصورة وحائطها المطل على الساحة خمسة عشر رواقا عليها أبواب مزخرفة، عشرة منها تفتح على الجدار البالغ طوله ٤٢٠ ذراع ، والخمسة الباقية تفتح على الجدار الثانى البالغ طوله ١٥٠ ذراع ، وقد زين باب منها غايةالزينة حتى ليظن أنه من الذهب الخالص ، ويقال إن الخليفة المأمون هو الذى أرسل هذا الباب من بغداد .

وتحت الأرض فى الحرم المسقوف حوض فى مستوى الأرض حين يغطى، وقد بنى لتتجمع فيه مياه المطر وعلى الحائط الجنوبى باب يؤدى إلى الميضأة.

وقد حفرت فى أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة تتجمع فيها مياه الأمطار، ولا تضيع سدى وينتفع بها الناس وهذه الأحواض لا تحتاج إلى عمارة أبدا. ويقال إن سليمان عليه السلام هو الذى عمل هذه الأحواض وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور ، وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شئ !

وإذا كانت مدينة بيت المقدس الواقعة على قمة جبل تتسم بأن أرضها غير مستوية فإن ارض المسجد مستوية فخارج المسجد حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطة ، إذ يكون أساسه فى أرض واطئة ، وحيثما تكون الأرض مرتفعة يقصر الجدار، وفى جهات المسجد المقابلة للمدينة والمحال السكنية المنحدرة شقت أبواب فى

أصل جبل المسجد حيث نقبت نقبا فى الحجارة الصلدة ، وهذه الأبواب تقود إلى ساحة المسجد الخارجية ، وأحد تلك الأبواب يسمى باب النبى عليه السلام وهو يسامت القبلة الواقعة جنوب المسجد ، ويقال إن النبى سليمان عليه السلام هو الذى نقب هذه الأبواب ، أما باب النبى محمد فقد قيل بأن محمدا عليه السلام قد دخل المسجد الأقصى ليلة المعراج من هذا الباب ، وهو على جانب الطريق إلى مكة ، وفى عرض المسجد باب شرقى يسمى (باب العين) لانه يؤدى إلى عين سلوان ، وهناك أيضا باب تحت الأرض يسمى (الحطة) يقال إنه هو الباب الذى أمر الله عز وجل بنى اسرائيل أن يدخلوا منه إلى المسجد فى قوله تعالى : «وادخلوا الباب سجدا و وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين» (١) وهناك باب آخر يسمونه «باب السكينة» فى دهليزه مسجد به محاريب كثيرة ، باب أولها مغلق حتى لايدخله أحد ، ويقال إن به تابوت «السكينة » الوارد ذكره فى القرآن والذى حملته الملائكة ، كما جاء فى قوله تعالى : وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مماترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ، إن فى ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين »(٢)

ومجموع أبواب بيت المقدس ما تحت الأرض منها وما فوق الأرض تسعة ابواب!

ويوجد فى الساحة الخارجية للمسجد مقام ضخم (٣) أقيم حيث تعذر نقل الصخرة إلى الجزء المسقوف من المسجد لعلوها ، وقد عمدوا إلى هذا البناء وعدوه بمثابة مقام يصعدون عليه لمباشرة بناء الغطاء المطلوب للصخرة ، ومساحة هذا المقام ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً فى ثلاثمائة ذراع ، وسطحه مستو ومزين بالمرمر وقد صمموا المقام بطريقة جعلته الطريق الوحيد المؤدى إلى الصخرة وإذا صعد إنسان إلى سطح المقام استطاع أن يشرف على سطح المسجد ، وفى كل زاوية من زوايا المقام الأربع قبة ، وأكبر تلك القباب هى قبة الصخرة والتى كانت قبلة للمسلمين قبل أن يؤمر النبى محمد عليه السلام بالتحول إلى الكعبة !

---

(١) البقرة ، آية : ٥٨

(٢) البقرة آيه : ٢٤٨

(٣) ورد فى النص الفارسى لفظ (دكان) وقد ترجمها د. البدلى بمقام ضخم ، بينما ترجمها د. الخشاب بدكة تأثرا بتعبير المقدسى ، سفر نامه : ترجمة الخشاب ، ص ٦٥ – هامش : ٣

قبة الصخرة :

بنى المسجد الأقصى بحيث يتوسط المقام ساحته وتتوسط قبة الصخرة مقامة!

والقبة بناء مثمن الأضلاع ، كل ضلع فيه ثلاثة وثلاثون ذرعاً وله أربعة أبواب، ومحيط الصخرة مائة ذراع ، وهى غير منتظمة الشكل . وقد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة دعائم مربعة بارتفاع حائط البيت ، وبين كل دعامتين على الجوانب الأربعة ، عمودان اسطوانيان من الرخام بنفس الارتفاع ، وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة الاثنى عشر ، بنوا القبة التى تحتها الصخرة والتى يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعاً .

والصخرة فى حد ذاتها ليست جرما كبيرا، ولا تزيد عن طول رجل طويل إلا بقليل ، وقد غلفت بحظيرة رخامية حتى تظل فى مأمن من أن تلمسها الأيدى ، ولون الصخرة أزرق ولم تطأها قد بشر منذ وقت مديد ، ومع هذا فيرى فى الجانب الموازى للقبلة من الصخرة أثر قدم زعموا أن ابراهيم عليه السلام وقف على الصخرة أيام أن كانت الصخور لينة ، فانطبعت آثار قدمه الشريفة عليها .. كما يقال إن اثار أقدام اسحق واسماعيل ولدى ابراهيم عليهم السلام هى التى فوق هذه الصخرة .

والمسجد الأقصى هو ثالث بيوت الله سبحانه وتعالى قيمة ؛ إذ المتعارف عليه عند علماء الدين أن كل صلاة فى بيت المقدس تساوى خمسة وعشرين ألف صلاة ، وكل صلاة فى مسجد الرسول محمد عليه السلام تعد بخمسين الف صلاة ، وأن الصلاة فى الكعبة المعظمة شرفها الله ، تساوى مائة ألف صلاة .

وبعد قبة الصخرة توجد قبة السلسلة ، ويزعون أن النبى داود عليه السلام علقهاهناك ولا تصل يد مخلوق اليها أبداً ، وهى تعتمد على ثمانية أعمدة مرمرية وجوانب القبة الثلاثة مفتوحة عدا الجانب الموازى للقبلة فإنه مغلق بإحكام ولهذه القبة محراب رائع !

وترى قبة ثالثة فى جوانب هذا البناء العظيم هى قبة جبريل، وهى تعلو أربعة أعمدة وهى كسابقتها مفتوحة من جوانب ثلاثة ، والجانب الموازى للقبلة مغلق كذلك، ويزعون أن البراق الذى حمل النبى إلى السماء حضر إلى ذلك المكان حتى يمتطيه الرسول عليه السلام، ثم تأتى قبة النبى عليه السلام ويفصل بينها وبين قبة جبريل

عشرون ذراعاً ، وترتفع كذلك على أربعة أعمدة مرمرية ويقولون إن الرسول عليه السلام صلى فى قبة الصخرة ليلة المعراج ، ووضع يده الشريفة على الصخرة ، ولما هم عليه السلام بمغادرة المكان بعد فراغه من الصلاة ، قامت الصخرة من مكانها إجلالا لرسول الله ، فوضع الرسول يده الشريفة عليها فعادت إلى مكانها ، ولكنها ظلت إلى اليوم نصف معلقة ثم جاء الرسول إلى الصخرة التى تسمى باسمه اليوم وامتطى البراق ، ولذلك يعظم المسلمون هذه القبة المسماة بقبة الرسول .

المراقى المؤدية إلى المقام بساحة الجامع :

هناك ستة مراق ، لكل منها اسم ؛ فبجانب القبلة طريقان يُصعد فيهما على درجات ، وأحدهما على اليمين ويسمى مقام النبى عليه السلام، والثانى على اليسار ، ويسمى مقام الغورى ، وقد سمى مقام النبى لأن النبى عليه السلام ، صعد على درجاته ليلة المعراج ودخل إلى قبة الصخرة ويقع طريق الحجاز على هذا الجانب ، وعرض درجاته اليوم أى عام ٤٣٨ هـ عشرون ذراعاً ، أما مقام الغورى فقد أعده أحد ولاة السلطان الغورى سلطان مصر فى أوائل القرن الخامس الهجرى أيضا .

وعلى الجانب الغربى للمقام سُلَّمان ، وعلى الجانب الشرقى طريق عظيم ، وأخيرا يوجد طريق أكثر علوا وأكبر منها كلها وذلك على الجانب الشمالى ويسمى المقام الشامى .

ويختم ناصر خسرو حديثه عن بيت المقدس بقوله :

هذا مارأيت فى جامع بيت المقدس ، فقد صورته وضممته إلى مذاكراتى ومن النوادر التى رأيتها فى بيت المقدس شجرة الجور (١)

ويفهم من هذا أن ناصر خسرو إلى جانب وصفه كان يرسم رسما توضيحيا للمكان ولكن للأسف لم تصلنا هذه الرسوم وتلك الصور التى أشار إليها . ولو وصلت لكانت الفائدة أشمل وأعم ومما لاشك فيه أن ناصر خسرو كان دقيقا فى وصفه ، كما

---

(١) سفر نامه ، ترجمة د. الخشاب ص ٧٧٠

كان حريصا على ذكر أبعاد كل أثر بل كان يحاول قياس هذه الأبعاد بنفسه كما صرح هو بذلك ، قبل أن يجد أن ابعاد المسجد الاقصى قد سجلت على أحد أبوابه، فنقلها ، ولم يجد حاجة بعد ذلك للقياس بنفسه .

* * *

مشهد الخليل:

بعد أن فرغ ناصر خسرو من زيارته ووصفه لبيت المقدس توجه لزيارة قبر سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهو فى قرية تقع جنوبى بيت المقدس بمسافة ستة فراسخ ، والمشهد على حافة القرية من ناحية الجنوب ، والمشهد يتكون من بناء ذى أربعة حوائط من الحجر المصقول ، وطوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ، وارتفاعة عشرون ، وبه مقصورة ومحراب ، وبالمقصورة قبران رأسهما إلى القبلة ، الأيمن قبر اسحق بن ابراهيم، والآخر قبر زوجه عليهما السلام .

وعندما يخرج السائرمن المقصورة إلى وسط ساحة المشهد ، يجد مشهدين أمام القبلة ؛ الأيمن به قبر ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهو مشهد كبير ومن داخله مشهد آخر لايستطاع الطواف حوله ، ولكن له اربع نوافذ يرى منها ، والمشهد الثانى القائم على يسار القبلة قبر سارة زوج ابراهيم عليه السلام .

وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران : الأيمن قبر النبى يعقوب عليه السلام والأيسر قبر زوجه .

وبعد ذلك تأتى أماكن الضيافة التى أعدها سيدنا ابراهيم لاستقبال ضيوفه وخارج الجدران الأربعة منحدر به قبر يوسف بن يعقوب عليهما السلام وهو من الحجر وعليه قبة جميلة .

* * *

ومن الجدير بالذكر أن ناصر خسرو قد وفد إلى بيت المقدس فى الخامس من شهر رمضان المبارك عام ٤٣٨ هـ وغادرها قاصدا مكه المكرمة فى الخامس عشر من

ذى القعدة من نفس العام ، أى أنه قضى بها شهرين وعشرة أيام ، ثم عاد اليها مرة أخرى بعد قضائه مناسك الحج للمرة الأولى ولكنه لم يذكر كم مكث بها فى المرة الثانية ، ولاشك أن هذه الفترة الطويلة نسبيا والتى قضاها ببيت المقدس (شهران وعشرة ايام) كانت كفيلة بأن يتعرف على معالم المدينة ويتعرف على سكانها ويسمع منهم ، وكذلك يدرس تاريخها ، مما ساعده على أن يقدم وصفا تفصيلا دقيقا لكل ما شاهده ، وما سمعه ، فجاء وصفه ينبض بالحيوية والجدة ، ومن يقرؤه اليوم يشعر وكأنه يصور بيت المقدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة . كما هى عليه الآن ، سوى أنها لوثت واضطربت بسيطرة الاسرائيليين عليها ، نسأل الله أن تعود مدينة الزيتون إلى سابق عهدها عاصمة إسلامية خالصة ، عاصمة سلام ووئام لكل الأديان كما كان عهدها دائما تحت الحكم العربى .

(٢) وصف مهد يقليخان هدايت لبيت المقدس :

وصل مهد يقليخان الى بيت المقدس يوم السابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٣٢٢ هـ قادرما من بيروت بالقطار ، وقد بدأ وصفه لبيت المقدس ، بما ملخصه :

تقع بيت المقدس على قمة جبلية جرداء ، بها عمارات متفرقة ، وقد حضر إلى محطة القطار مجموعة من الجنود لاستقباله ورفاقه ، وكان فى مقدمتهم والى المدينة وكذلك بعض رجال الدين وبعض الأعيان ، وقد توجهوا جميعا بعد هذا الاستقبال إلى الفندق الذى يفوق فندقى بيروت ويافا ...

ويقع المسجد الأقصى فوق قمة هضبة تتكون من عدة طبقات ، وعلى الجانب الآخر يوجد ذلك المسجد المنسوب إلى عمر بن الخطاب ، ويوجد على أطراف هذه الهضبة واد. لم يعد هناك أى اثر لمسجد سليمان ، حيث كانت أعمدته قد أدخلت إلى مسجد عمر ، وجميعها من المرمر الملون ، والصخرة تتوسط المسجد حيث تحيط بها أعمدته ، والصخره معلقة حيث يبدو ما بأسفلها خاليا ، وفى الكتابات المسمارية كانت بيت المقدس تعرف باسم (اورساليمو) وفى بعض اللغات القديمة باسم «شلم» أو يروشا لايم» وفى اليونانينة واللاتينية بام «هيرسوليما» أما العرب فقد أطلقوا عليها اسم «القدس الشريف» .

وعندما أصبحت حاضرة لداود، عمل سليمان على توسعتها وتزيينها .

وموضع مسجد عمر الأن كان قصير سليمان ، وفى الجزء الشمالى الغربى كان يوجد مسجد سليمان (المسجد الأقصى) الذى لم يعد له اى اثر باق اليوم . وفى عام ٥٨٦ ق.م استولى بخت النصر على القدس ، ولكن عندما خلص كوروش اليهود من الأسر أعاد تعمير القدس .

وفى عام ٧٠ ميلادية كانت مصائب اليهود سببا فى أن سعى طيطوس وهادريان (من أباطرة الرومان) فى تدمير المدينة ، وفى عام ١٣٠م طرد القائد الرومانى (الياكپيتولينا) اليهود من المدينة ، وبنى هناك معبد جوبيتر (كاپيتلينوس) ودخلت القدس تحت الحكم العربى عام ١٧ هـ واطلق عليها اسم القدس ووقعت فترةً تحت الحكم المسيحى أيام الحملات الصليبية حيث قتلوا أيامها سبعين ألف مسلم ودمروا أثاث المسجد ونهبوه ، وجعلوا المسجد والصخرة زريبة للخنازير، وظل الأمر كذلك حتى

جاء صلاح الدين الايوبى وطردهم منها .

وقد وفد عدد من الأثريين الفرنسيين والإنجليز والألمان ونقبوا فى بيت المقدس واستطاعوا أن يرسموا خريطة للمدينة القديمة ما أمكنهم ذلك .

وكانت بيت المقدس فى بداية الإسلام هى القبلة الأولى وكانت محل احترام وتبجيل المسلمين « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرارومعين»(١) هواؤها معتدل ، وقليلا ما يتساقط الثلج بها ، فواكهها كثيرة منها البرتقال والتمر والتين والموز . مياهها قليلة وهى تعتمد على مياه المطر منذ القدم ، لذا تكثر فيها الاحواض التى تخزن فيها مياة الامطار .

مسجد عمر

الحرم الشريف (مسجد عمر) يقع فى الجنوب الشرقى من المدنية ، وهو بناء مثمن الأضلاع على مصطبة يبلغ ارتفاعها ثلاثة أذرع يصعد إليها بدرجات من المرمر وسطح الصخرة من المرمر الأزرق اللون ، وطولها ١٦٠ متر ، وعرضها بين ١٢٥ و ١٥٥ متر ، وارتفاع قبة المسجد ثلاثة امتار وقطرها عشرون مترا، ويعتمد سقف القبة على أعمدة مرمرية ، والصخرة كما قلنا قبة لهضبة وأسفلها خال وسمك سقفها قرابة المتر وفى أطراف الصخرة إيوان عريض ،يوجد هلى سطح الصخرة آثار قدم يقال انها آثار قدم ابراهيم عليه السلام وهى شبيهة بما هو موجود فى مقام ابراهيم بالكعبة الشريفة.

ومنذ القدم وتحكى قصص عديدة عن القدس، ولكل من المسلمين والنصارى واليهود حكاياتهم عن هذه المدينة ، حيث تواصل اهتمام الناس بها طوال ثلاثة آلاف عام .

وتوجد حول القبة الأصلية أربع قباب فى جهاتها الأصلية ، وهى قبة السلسلة وقبة المعراج ، وقبة الخضر وقبة النبى ، وكلها من الرخام المنقوش ، ويوجد فى جنوب الصحن سرداب بعرض عشرين مترا وطوله خمسون مترا وارتفاعه خمسة امتار .

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ٥٠

وجداره الغربى تظهر من خلاله معظم الآثار القديمة للمدينة .

وطول الساحة المقدسة ألف ذراع وعرضها سبعمائة ، ويقال إنه لما انهى سليمان بناء المسجد ، جاء النداء أن اطلب منى شيئاً، فطلب سليمان ان تمحى ذنوبه، وأجيب طلبه ، لذا فإن الراغبين فى العفو عن ذنوبهم كثيرا ما يفدون إلى المسجد ، ولكن ماذا يقال فى قلة عيسى وقد وفدوا إلى هذا المسجد ؟

وفى البداية وفد الى الشام عمر بن العاص ثم جاء أبو عبيده الجراح لاتمام الصلح، فاشتُرط أن يكون الخليفة عمر حاضرا هذا الصلح ، فحضر عمر عام ١٧ هـ.

كما أن أهل الروم يفدون إلى المكان لزيارة كنيسة بيعه القيامة .

ويوجد فى الوادى بالجهة الشرقية مغارة واسعة بها عدة درجات وبها ساحة دائرية شبيهة بمغارة تحت صخرة ، وسقفها منخفض وقد نحت فى جانبها الشرقى طاق، وبها قبر يعرف باسم قبر مريم .

جبل الزيتون .

وفى متن الوادى عدة حجرات حجرية وقبور العظماء ومن المعروف أن هذه الأماكن كانت فى الأزمنة السالفة غاصة بأشجار الزيتون لذا اطلق علي هذا الجبل «جبل الزيتون »

ويوجد أعلى جبل الزيتون خانقاه يقال إنها كانت موضع عروج الرسول، وعن المعراج حدث كلام كثير فمن قائل بانه كان بالجسد ومن قائل بانه كان بالروح .

وما أكثر الكنائس والمعابد والأديرة ببيت المقدس ، سواء وسط المدينة أو على جانبى الشارع المعروف باسم « ويادلورزا» (معبد الالام والاحزان) وقد اشتريت من أحد المحلات بمدخل الفندق سبحة مصقولة من الحجر الأزرق الطيب الرائحة ، وكذلك عدة سبح من الصدف ، والتى زينت بالورد والرسوم الجيدة .

* * *

بعد أن أنهى مهد يقليخان حديثه عن بيت المقدس ووصفه لجبل الزيتون توجه إلى بيت لحم وغيرها من مدن فلسطين والشام ، مما يخرج عن مجال حديثنا . ونلاحظ

إن مهدي قليخان قد اهتم بذكر بعض الإشارات التاريخية السريعة كذكره لأسماء بيت المقدس عبر عصور مختلفة ، وكذلك لمحات عن تاريخ المدينة وتعرضها لغزوات بخت نصر والحملات الصليبية، وما لحق بها من دمار خلال هذه الهجمات وغيرها، وما أصاب سكانها من العرب من عنت وشدة نتيجة لحملات المعتدين على المدينة ، هذه الحملات التى مازالت تتعرض لها القدس العربية على يد المعتدين الاسرائيلين ، ولكن الله كان حاميها فى كل مامضى، وإن شاء الله سيحميها الآن من المعتدين الجدد، وتعود القدس إسلامية عربية مرة أخرى ، وتعود عاصمة لفلسطين المحررة .

أما وصفه للمدينة فلا يقارن على الإطلاق بما أورده ناصر خسرو فى رحلته، وإذا كان ناصر خسرو قد قدم وصفا تفصيليا لكل ما شاهده وما سجلة ، فإن مهدى قليخان قد تحدث عن بعض الخواطر وبعض الإشارات التى ربما سمعها من سكان المدينة ، أو كان قد قرأ عنها فى كتب التاريخ قبل مقدمه إلى بيت المقدس ؛ لذا جاءت أحاديثة هامشية متفرقة لا عمق فيها ، وكما قلت فى تعليق عن رحلته إلى مكة والمدينة بأنها كانت رحلة ترفيهية أكثر منها دينية ، فقد كانت رحلته الى بيت المقدس ترفيهية كذلك ، ليس الغرض منها تقديم صورة حقيقة للمكان أو للزمان بقدر ذكر بعض الانطباعات السريعة والأخبار غير الموثقة .

* * *

وهكذا يظل كتاب (سفرنامه) لناصر خسرو الكتاب الاول من كتب الرحالة الإيرانيين الذين سجلوا انطباعاتهم ومشاهداتهم بالأماكن الدينية المقدسة الأولى فى العالم الاسلامى ألا وهى الحرم المكى ، ومسجد الرسول الكريم بالمدينة، والمسجد الأقصى بيت المقدس ، حفظها الله جميعا وطهر المسجد الأقصى من كل دنس وحرره من المعتدين على قدسيته فى كل عصر ، سواء كانوا من الصليبيين أو من الإسرائيليين!.

الفصل الثامن
من الأدب الفارسى الإسلامى
فى
العصر الحديث





من الأدب الفارسى الإسلامى فى العصر الحديث

١- الحمد والثناء :

اتسم الأدب الفارسى الحديث بالتنوع والسعة ، فقد دخلت إلى مضمار الأدب الحديث فنون جديدة كالقصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال إلى جانب الفنون الأدبية التى كانت متداولة عبر عصور الأدب السابقة من مثنويات وقصائد وترجيعات فى مجال الشعر ، وحكايات وتقارير وأدب رحلات وغيرها من فنون النثر ، ولكن يلاحظ على الأدب الحديث الميل إلى الأختصار والدخول مباشرة فى الموضوع دون الاسهاب فى المقدمات التقليدية التى كانت تدبج بها صفحات عديدة فى مطلع كل عمل أدبى نثرا كان أم شعرا ، وخاصة أن هذه المقدمات كانت تشمل غالبا الحمد والثناء لله عز وجل ، ثم نعت الرسول الكريم محمد عليه السلام ، وبعدها يأتى مدح الخلفاء الراشدين وبيان فضلهم وعظيم مكانتهم فى الإسلام ولدى المسلمين.

وقد جاء الأدب الحديث خاليا من هذه المقدمات المطولة ، وجاءت الأعمال الأدبية مباشرة فى تناولها لأى موضوع ، لذا فإن مشاركة جميع الأدباء فى النظم أو الكتابة فى الحمد والثناء والنعت قد قلت بشكل واضح وملموس ، ومع هذا فلم يخل الإنتاج الأدبى الحديث فى صلب المتون من حمد لله عز وجل وثناء وشكر على عظيم نعمائه ، وقد جنحت هذه الإبداعات الى ربط الثناء والشكر لله عز وجل بما يدور فى العصر الحديث من أحداث ومشكلات ، ألقت على هذه الإبداعات روح المعاصرة ، ولم تجعلها تكرارا لما كان موجودا ومألوفا عبر قرون سابقة عديدة . ومن هذه الابداعات الجديدة ما نظمته الشاعرة مهكامه محصص [١] من حمد لله عز وجل وثناء على جميل نعمائه

---

(١) مهكامه (محصص) الكاتبة والمتحدثة والشاعرة المجيدة التى قضت معظم سنى عمرها فى تعليم النشء وإلقاء المحاضرات وتكوين المجامع الأدبية ، وهى من أهالى جيلان ، وكان والدها مالكا لأحد المعاهد العلمية بجيلان وكانت أمها كاتبة مجيدة ورسامة متميزة. وقد ولدت مهكامه فى عام ١٢٩١ش (١٣٣٠هـ = ١٩١٢م) وقد شاركت فى الحركة النسائية فى ايران عام ١٣١٤ش (١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م) بعدة مقالات تدعو فيها إلى ضرورة حق المرأة الإيرانية فى التعليم وقد تزوجت من ابن عمها وأنجبت منه أربعة أبناء. وقد نظمت مهكامه فى حدود خمسة آلاف بيت تتسم بالرقة والجزالة وحسن التعبير والتحديث فى الأغراض والفنون ، انظر : مشير سليمى : زنان سخنور جـ ٢ ص ٢٧١-٢٧٥ ، طهران ، چاپ دوم.

ثم ربطت هذا بما يحدث فى العالم من حروب ودمار وخراب ، وقد خربت ذمم الآدميين وتناسوا أنهم أبناء آدم جميعا ، وأن المودة فى القربى يجب أن تسود علاقات هؤلاء الأبناء جميعاً ، ولكن الأمانى شئ وما يحدث فى الحياة من واقع مؤلم وعراك وخصام وحروب عالمية نشرت الخراب والدمار والقتل والتشريد ، كل هذا شئ آخر ، جعل البشرية تفقد الهدف الأصلى من وجودها وهو عبادة الله وحده ، وتعمير الكون لاتدميره ، وقد جاءت قصيدة مهكامه محصص فى واحد وأربعين بيتا ، اكتفى بذكر نصف هذا العدد تقريبا :

قصيدة فى مدح الله خالق الدنيا ، والشكوى من الزمان

– لقد خلق صاحب الذات الإلهية البشر سواسية
إذ هو مشيد قصر المساواة وبناية العدل
– الخلق سواسية فى مصنع خلقه
فقد خلق البشر جميعا من جوهر واحد ، سواء فى ذلك العالى أو الدانى
– لايمكن أن يلحق نقص أو عيب بصنع هذا الصانع
كما لايمكن أن تكون هناك ريبة أو شك فى أمر الحق سبحانه
– كل الوجود فى العالم آيات لعظمته وسبحانه
فإن تبغ إثبات وجوده ، فابحث فى آيات قرآنه
٥ – كل الكواكب تستمد ضياءها من نور كوكب الحق
كما أن الشمس تستمد نورها من بريق شمسه
– وكل عين وضاءة ، نفحة من طلعة مجلسه المنير
وكل ذرة نورانية ، هبة من شمس عالمه المزدان
– إننى لا أنظم طوال عمرى مدحا فى حق أى شخص
إذ لا أمدح غير العادل سبحانه . وألهج بالثناء عليه
– من يعرف كنه نفسه ، يعرف كنه خالقه ،
إذ الإنسان نفسه أعظم آثار خلقه
– يتكون المجتمع من التآلف بين أفراده
كما يتكون البحر العمانى من اتحاد قطراته

١٠ – لقد شيد الخالق منذ الأزل بناء الوحدة الإنسانية
منذ أن خلق الرحمن جل جلاله ، جميع الآدميين من طينة واحدة
– وما أجمل ما قاله سعدى ملك الكلام فى هذا المضمار :
" إن جميع بنى البشر أعضاء جسد واحد "
– فإذا كان البشر جميعا أعضاء جسد واحد
فإن يتألم عضو ، فسرعان ما يتألم الجسد كله ويضطرب
– إذن ، فلماذا يثير الإنسان هكذا الحروب والضغائن ؟
ولماذا يضل طريق الحياة والسعادة ، مما به من جهل ؟
– لنبحث عن حل لجميع المشكلات بالتعاون والتآخى
فبالتعاون والتآخى لن تكون هناك مشكلات ، وسيسهل الحل !
١٥ – بدلا من إضاعة الوقت فى الحديث عن الوداد والمحبة
ليكن الحديث دوما عن العلم والفضل والمعرفة والحرفة
– ولكن ما أكثر الحديث الآن عن المدفع والدبابة والقنبلة والطائرة
وعن السفينة والغواصة والمعدات الجهنمية
– أيها البشر ! لقد امتزج وجودكم الآن بالشر
وإلا ، فلماذا تثار هذه الحروب العالمية ؟
– لقد خربت آلاف المدن ، وعم الهلع والفزع أرجاء العالم
حيث أصبح ملايين البشر قرابين لهذه الحروب
– اجتهد – أيها الانسان – فى أن يعم الصلح والصفاء
إن كنت تأمل ألا يحيق الدمار والخراب من الحروب مرة أخرى
٢٠ – ولتفعل المعروف دائما ، وكن خيراً مع جميع الخلق
إذ المصلح اسمه باق دائما ، وماعداه فان
– وأنت أيتها المرأة ، لتتزينى بجواهر منجم الفضل
فهذه الجواهر أكثر ضياءً من جواهر أى منجم آخر ! (١)

---

(١) مشير سليمى : زنان سخنور ، جـ ٢ ص ٢٧٥ – ٢٧٨ ، والأصل الفارسى لهذه الأبيات كمايلى:
چكامه در ستايش يزدان وآفرينش جهان ونكوهش زمان
بيكسان آدمى را آفريده ذات ربانى   شده كاخ مساوات وبناى عدل را بانى =

ومن الذين تحدثوا عن لطف الحق تعالى مع عباده، الشاعرة پروين اعتصامى[١] ، حيث أشارت إلى قصة إلقاء موسى عليه السلام فى النيل حتى لايأخذه زبانية فرعون كى يقتلوه ، وكيف كانت أمه ملتاعة خائفة على موسى ، ولكن عناية الله به كانت أكبر من رعاية أمه له ، وقد طمأنها الله عز وجل على وليدها ، وأنه سيرده إليها كى ترعاه وتشرف على تربيته حتى يصل إلى مرحلة النضج والاعتماد على

= بود دركارگاه آفرينش آدمى يكسان   بود آرى زيك گوهر بشراز عالى ودانى
نه نقص وعيب ميباشد بصنع صانع بيچون   نه شك وريب ميباشد به امر حق سبحانى
همه آيات سبحان اند موجودات اين عالم   تو اثبات وجود او بجو ز آيات قرآنى
٥- كواكب از فروغ كوكب حق است رخشنده   كه مهر از پرتو مهرش نمايد نور افشانى
ز چهر مجلس آرايش بود هر ديده بى روشن   ز مهر عالم آرايش بود هر ذرهٔ نورانى
بعمر خو يشتن مدح وثنا از كس نميگويم   مگر دادار سبحان را كنم مدح وثنا خوانى
شنا سدار كسى خودرا، خداى خويش بشناسد   كه انسان است خود از بهترين آثار يزدانى
برآيد جامعه زا افراد واز همد ستى آدم   چنان كز قطره ميشود درياى عمانى
١٠- بناى وحدت انسان بنا كرد از ازل يزدان   چواز يك گل سرشته آدميرا رب رحمانى
بدين معنى چه خوش گويد خداوند سخن سعدى   بودند اعضاى يك پيكر همه ابناى انسانى
بشر اعضاى هم با شندوگر عضوى بدرد آيد   سراسر كشور تن رونهد سوى پريشانى
چرا اكنون همين انسان بدينسان جنگ وكين جويد   چرا گم كرده راه زندگانى را ز نادانى
توحل مشكلات زندگى را جو ز يكر نگى   كه هر مشكل بيكر نگى نگردد حل بآسانى
١٥- بجاى آنكه صحبت از وداد آرند پيوسته   كنند از علم وفضل ودانش وصنعت سخنرانى
بود صحبت همه از توپ وتانگ وبمب وطياره   ز كشتى وزتحت البحرى وآلات شيطانى
وجودت اى بشر گويابه شر آميخته اكنون   وگر نه از چه رو برخاسته اين جنگ كيهانى
هزاران شهر ويران گشت ودنيا گشت آشفته   كه ميليونها بشر كشته است دراين جنگ قربانى
در صلح وصفا ميكوب آبادى اگر خواهى   كه از جنگ وستيز آخر نيايد غير ويرانى
٢٠- هميشه نيك باش وباعموم خلق نيكى كن   كه نام نيك ماند باقى ، وباقى همه فانى
ز كان فضل ايزن گوهر دانش بدست آر   كه باشد گوهرش رخشنده تر ازگوهر كانى

(١) پروين اعتصامى. ابنة يوسف اعتصام الملك ولدت فى تبريز عام ١٢٨٥ش (١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م)، ثم انتقلت فى صغرها للعيش فى طهران مع أبيها ، وبها قضت بقيه عمرها. وقد التحقت بالمدرسة الأمريكية بطهران وبعد التخرج عملت معلمة بذات المدرسة ، وكانت تجيد الانجليزية والعربية إلى جانب الفارسية. وقد تزوجت من ابن عمها فى عام ١٣١٣ش (١٣٥٢هـ= ١٩٣٤م) ولكن لم يستمر هذا الزواج كثيرا. وقد خلفت لنا ديوانا يضم قصائد ومثنويات وقطعا ومقطعات وترجيعات . وقد غادرت الحياة وهى فى ريعان الشباب. وكان ذلك فى ١٥فروردين ١٣٢٠ هـ.ش (١٣٦٠هـ= ١٩٤١م) انظر : بديع محمد جمعة : پروين اعتصامى : صوت المرأة الشرقية فى إيران ، القاهرة : ١٩٧٧.

النفس ، وقد حقق الله عز وجل ، وعده ، وعاد يوسف إلى أمه ، وهكذا تحقق قول الله عز وجل فى محكم تنزيله " الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز (١) " وقد جاء هذا المثنوى فى ثلاثة وستين بيتا ، نكتفى بذكر ترجمة لبعض أبياته :

- عندما ألقت أم موسى ، بموسى فى النيل ، وذلك تلبية لأمر ربها الجليل
- أخذت ترقبه من الساحل وكلها حسرة ، وقالت : يا ولدى الصغير الذى لم يرتكب أى ذنب
- إن ينسك لطف الله ، فيكف تنجو من هذه السفينة العديمة الربان ؟
- وإن لايتذكرك الله الطاهر ، فسيسلم الماء ترابك الى الريح !

٥ - فجاءها الوحى قائلا : أى تفكير باطل هذا ؟ ان السالك فى طريقنا يكون فى مأمن دائما

- فاطرحى عنك أردية الشك ، حتى تدركى أخَيْراً فعلت أم خطأ !
- لقد تلقفنا ما ألقيت به ، وقد رأيت يد الحق ولكنك لم تعرفيها
- إن كان ما لديك عشق الأم ومحبتها فقط ، فلدينا العدل ورعاية عبيدنا
- وليس اللعب هو أمر الحق ، فلاتضيعى نفسك ، إن ما أخذناه منك سنعيده إليك !

١٠ - ان سطح الماء أفضل من مخدعه ، حيث سيكون السيل مربيته والموج أمه

- فلاتنسبى النسيان إلى ذات الحق ، إذا هذا ضرب من الكفر ، فألقيه عن كتفك ؟
- فلتدعى لنا من ترقبينه ، إذ متى كنت تحبينه أكثر منا ؟ (٢)

---

(١) سورة الشورى ، آية رقم : ١٩.

(٢) پروين اعتصامى : الديوان ، الطبعة الخامسة تهران ١٣٤١ ش ص ٢٣٨/٢٣٦.

مادر موسى ، چو موسى رابه نيل — در فكند ، از گفتهء رب جليل
خود زساحل كرد با حسرت نگاه — گفت كاى فرزند خرد بى گناه
گرفرا موشت كند لطف خداى — چون رهى زين كشتى بى نا خداى
گر نيارد ايزد پاكت بياد — آب ، خاكت را دهد ناگه بباد
٥- وحى آمد كاين چه فكر باطل است — رهرو ما اينك اند رمنزل است
پردهء شك را برانداز از ميان — تا ببينى سود كردى يا زيان
ما گرفتيم آنچه را انداختى — دست حق را ديدى ونشناختى =

ثم أخذت پروين تتحدث عن لطف الله عز وجل مع الرضيع موسى وكيف سخر البحر والصخر والرياح وكل الموجودات كي تكون في خدمته ، وأن ترعاه حتى يرده الله سالما إلى أمه كي تقر عيناها ، وتدرك أن وعد الله حق ، وأن لطفه بعباده يفوق لطفهم ببعض ، ومما قالته پروين في هذا الصدد ؛ نذكر ترجمة لبعض أبياتها الواردة في نفس المثنوية " لطف حق " : (١)

– قلت للبحر ، لاتثر طوفانك مرة أخرى ، ولاتدمر بناء الشوق هذا .
– وقلت للصخرة ، لاتتعاركي معه ، وقلت لقطرات المطر ، لاتتساقطي بجانبه.
– وأمرت الرياح بأن تحمل هذا الرضيع من وسط المياه وأن تلقي به إلى الشاطئ
– وقلت للحجر ، لتكن لينا ناعما تحته ، وقلت للثلج ، لتكن ماءً دافئا معه !
٥ – وقلت للصبح ، لتبتسم في وجهه ، وقلت للضوء ، لتشع الحياة في قلبه.
– وقلت للنرجسة لتتفتحي إلى جواره ، وقلت لقطرات الندى ، لتغسلي محياه.
– وقلت للذئب ، لاتمزق جسده ، وقلت للص ، لاتسرق أسورته.
– وقلت للحظ ، لتمنحه السيادة والعظمة ، وقلت للعقل لتمنحه الفطنة والذكاء.
– فمن يفعل هذا الإحسان مع النمرود ، كيف يمكن أن يرتكب المظالم مع موسى بن عمران؟
١٠ – إن هذا الكلام يا پروين ، ليس ضربا من الهوى ، فحيثما يوجد نور فهو من أنوار الله !

= درتو ، تنها عشـــق ومهر مادری اســـت — شيوهٔ ما ، عدل وبنده پروری اســـت
نيســـت بازی كـــار حـــق ، خودرامبـــاز — آنچـــه برديم ازتـــو ، باز آريم بـــاز
١٠– سطح آب از گاهوارش خوشتراست — دايه اش سيلاب وموجش مادر است
نسبـــت نســـيان بـــذات حـــق مـــده — بار كفر است اين ، بدوش خود منـه
بـــه كـــه برگـــردی ، بمـــا بســـپاريش — كـــی تـــو از ما دوســـتر ميـــداريش

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨:

بحـــر را گفتـــم دگـــر طوفـــان مكـــن — ايـــن بنـــای شـــوق را ؛ ويران مكـــن
صخـــره را گفتـــم ، مكـــن بـــا او ســـتيز — قطـــره را گفتم ، بدان جانب مريـــز
امـــر دادم بـــادرا ، كـــان شـــير خـــوار — گيـــرد از دريـــا ، گـــذارد در كنار
ســـنگ را گفتـــم بزيرش نـــرم شـــو — برق را گفتـــم ، كـــه آب گـــرم شـــو =

هكذا تحدثت پروين عن لطف الله بعباده ، وأن كل ما يصيب الإنسان مقدر من الله عز وجل ، ولايمكن لأى مخلوق أن يأتى بأى تصرف أو فعل إلا بإرادة الله عز وجل، وإذا كانت الشاعرة قد أشارت إلى حادثة عظيمة هى إلقاء يوسف فى النيل وكيف تلقفته عناية الله حتى أوصلته إلى بر الأمان ، وأعادته ثانية إلى أمه ، فإن المقصود من المثنوى هو أن عناية الله ترعى عباده على الدوام ماداموا مؤمنين بالله سبحانه وتعالى ، بل إن عنايته ورعايته تشمل الجميع ، العابد منهم والعربيد ، لعل هذا الأخير يفيق إلى نفسه ، ويكبح جماح شهواته ، ويعود إلى جادة الإيمان المطلق بالله صاحب القدرة والتقدير ، وأن يدرك هذا المتكبر المتجبر أن قدرة الله تفوق قدرته وجبروته ، فيعود إلى حظيرة الإيمان أملا فى أن يتقبل خالقه صالح أعماله ، ويصفح عن سابق أفعاله السيئة ، فهو اللطيف بعباده ، القابل التوب ، الغافر الذنب ، سبحانه وتعالى الذى لاتحد قدرته حدود ، ولاتقف أمام أوامره أية حواجز أو قيود !

* * *

ومن الذين ابتهلوا إلى الله عز وجل فى أشعارهم ، وسألوه الصفح والغفران حيث لا ملاذ للإنسان إلا باللجوء إلى خالقه ، صاحب القدرة المطلقة والهمة اللانهائية ، وأن الجميع مقرون بربوبيته ، وأنهم جميعا عبيد لله عز وجل. إنها السيدة حشمت درويش [١] " الشاعرة المعاصرة " ، ومن بين مانظمته فى هذا المضمار غزلية بعنوان "خدا " أى " الله " ، ومما قالته فى هذه الغزلية ماترجمته :

= ٥ – صبح راگفتم ، برويش خنده كن نور را گفتم ، دلش را ز نده كن

لا له را گفتم كه نزديكش بروى ژاله را گفتم ، كه رخسارش بشوى

گرگ را گفتم ، تن خودش مدر دزد را گفتم گلو بندش مبر

بخت را گفتم ، جهانداريش ده هوش را گفتم ، كه هشياريش ده

آنكه بانمرود اين احسان كند ظلم ، كى باموسى عمران كند

١٠– اين سخن ، پروين ، نه از روى هوى است هركجا نورى است ، ز انوار خداست

(١) السيدة " حشمت درويش " المتخلصة بأحد هذين الاسمين ولدت عام ١٣٠١ " ش (١٣٤٠ هـ = ١٩٢٢م) فى سنندج ، ولكنها من أهالى مازندران، كان والدها فضل الله درويش من الذين أنهوا دراساتهم فى مدرسة سان لويس بطهران ، وعمل كرئيس للحسابات ونائب لمدير البنك الوطنى فى ايران ، وقد سافرت حشمت إلى معظم مناطق ايران وكذلك الى العراق بصحبة والدها نتيجة تنقلاته فى العمل، ومع أنها مازندرانية الأصل ؛ إلا أن ولادتها كانت فى سنندج =

الله

– إن صدرى بلاط لحشمتك ، وقلبى محرم لزيارتك.
– وكل من يلهث فى إثر مقصوده ، سيجد حاجته عند الإقرار بالعبودية لك.
– ومن يضل طريقه فى ظلمه الليل ، ستكون شمس طلعتك دليلا له وهاديا.
– كم أتأوه أملا فى عونك ، وأعظم أمل أرجوه ، رحمتك !
٥ – كل الخلائق من جماد ونبات وحيوان تتطلع جميعها دائما إلى ألفتك ومودتك.
– فالعربيد والعابد والعالم والجاهل ، تتعلق عيونهم جميعا بأعتاب عنايتك.
– وقصر الفردوس وبلاط الجلال ، كلها شاهدة على قدرتك.
– وكنز قارون وعظمة بلقيس ، كلها ذرة من مقدار همتك.
– أنت منبع الجود والعطاء والسخاء ، لمن هم جميعا عبيد حضرتك.
١٠ – أما قلب " درويش " الضعيف المستكين ، كم يسعد بالتجوال فى مضمار روضتك (١) .

* * *

= أثناء عمل والدها بهذه المدينة. وقد أكملت تعليمها بطهران بمدرسة الفنون النسائية وإلى جانب ذلك أجادت الفرنسية وبعض الانجليزية ، وقد نظمت عدة آلاف من الأبيات فى أغراض عدة. وإلى جانب تميزها فى الشعر فقد كانت لها بعض الأعمال الفنية وفقا لدراستها الفنية فى المدرسة الثانوية.
أنظر : [زنان سخنور ، جـ ٣ ص : ١١٥ – ١١٧].

(١) زنان سخنور ، جـ ٣ ص : ١١٧ – ١١٨

خـــدا

سـينه ام بارگـاه حشـمت تست	دل حرمـانهٔ زيـارت تسـت
آنكـه وامـانده در پـى مقصـود	حاجتش بندگى حضرت تست
وآنكه درشـام تيـره گمشـده راه	رهروانش ز شمع طلعت تست
كـم كمـك ناله ام شـود فريـاد	اى توانگر اميد رحمت تسـت
٥ – از كران تاكران جماد ونبات	حيـوان را نظر بالفـت تسـت
رنـد وصـوفى وعالـم وعامـى	چشـم بر درگه عنـايت تست
قصـر فـردوس بارگـاه جـلال	اينهمه شاهدى ز قدرت تست
گنـج قـارون وشـوكت بلقيـس	ذره يى از حساب همت تست
منبـع جـود ومكنـت وبخشـش	خاصهٔ بندگان حضرت تست
دل (درويش) مستمنـد ضعيـف	خرم از بوستان نزهت تسـت

وهكذا كان شعراء الفارسية وشويعراتها في العصر الحديث يتابعون سابقيهم في نظم القصائد والقطع والغزليات وغيرها من فنون الشعر ، في الابتهال إلى الله عز وجل ، وتقديم الشكر على جزيل نعمائه وعظيم كرمه ، وكانت أشعارهم هذه تنظم لذاتها ، وليست كمقدمات لمنظومات تتحدث عن أغراض أخرى غير الابتهال والشكر ، كما كان في الماضي ، مما يؤكد عمق الصلة بين الأدباء والشعراء الفرس وخالقهم مهما تعاقبت السنون وتبدلت الأجيال ، إذ ان الدين الاسلامي قد ربى معتنقيه على الإيمان والتعلق بالذات الإلهية واللجوء إلى الخالق البارئ المصور كي يعينهم – وهم عبيده – في شتى شئون الحياة ، وبخاصة في الملمات.

٢ - نعت الرسول :

وإذا كان نعت الرسول الكريم قد ورد كقاسم مشترك في معظم المثنويات الفارسية التي نظمت في إيران منذ العصر الغزنوي حتى العصر التيموري وما بعده ، فإن هذا النعت قد وجد أيضا في أشعار وأقوال الشعراء والأدباء في العصر الحديث ، وإن كان أقل بكثير مما كان عليه الأمر قبل ذلك. ولكن مهما قل أو كثر ، فهو موجود وبخاصة ما كانوا ينظمونه أو يكتبونه في مناسبة الاحتفال بمولد الرسول الكريم عليه السلام ، وممن نظموا في هذه المناسبة الكريمة الشاعر محمد تقي بهار(١) ؛ حيث نظم مسمطا في ذكرى مولد الرسول عليه السلام عام ١٣٠٨هـ . س (١٣٤٦ق) ، ومما قاله ماترجمته :

المولد النبوى

– في هذا اليوم وضع رب الوجود على مفرق (الرسول) تاج لولاك !

---

(١) محمد تقي بهار (١٨٨٧ - ١٩٥٢م) اخر من تلقب في إيران بملك الشعراء ، ولد بمشهد وورث عن أبيه منصب شاعر العتبات بمشهد ، ولكنه هجر الوظيفة بعد ان اشتعلت نار المطالبة بالحياة الدستورية في إيران ، فانضم إلى الثوار. وكان من نواب المعارضة في البرلمان الإيراني بعد ذلك ، حتى أنه دبرت محاولة لاغتياله في المجلس ، ولكنه نجا منها. وقد تقلد عدة مناصب بجامعة طهران ثم وزيرا للمعارف. وقد خلف العديد من المؤلفات أهمها سبك شناسي وتاريخ مختصر أحزاب سياسي إلى جانب ديوان كبير يقع في مجلدين ضخمين (انظر لغت نامه – شعراء معاصر ايران رخلخالي. گنج سخن وغيرها).

– فى هذا اليوم سمعت أذن خاتم الأنبياء. " لولاك ما خلقت الأفلاك ".
– فى هذا اليوم أشرقت شمس الأزل ، فأضاءت البسيطة كلها.

فى هذا اليوم ، بمقدم هذا المعظم
شيدت أركان الوجود

– فى هذا اليوم أسبغ الله على الدنيا لطفا ، لم يسبغه عليها من قبل.
– والنور الذى كانت مشيئته تخفيه ، قد بدا اليوم واضحا جليا.
– إذ بُعث معلم الوجود ، مزودا بآلاف المعجزات.

إنه نبى آخر الزمان خاتم الأنبياء
ذلك النور القديم الذى لا حد له

– يا من حكمتك معلمة للكون ، ويا من استمدت جميع الكائنات وجودها من وجودك.
– يا من أصبحت عونا لتربية الزمان ، ويا من أصبحت سندا لخليقة الدهر.
– بدونك تلون الحق عدة ألوان ، ولكن بشرعك تبدد كل هذا الأمر

يا من ظلك وحدبك ممتدان عبر الزمان
إن أمتك قد أصابتها الذلة والهوان

– لقد سلب أعداء الدين ما كان للمسجد من حرمة ومكانة.
– وكسوا وجوه دار العبادة بالأتربة والأشواك.
ولم يعد لنا غير السفسطة ، حيث أحلوا الأوهام والخرافات محل المعرفة والإدراك.

وأصبح إبليس هادينا ومرشدنا
وأصبحنا بقيده مكبلين (١) !

---

(١) ديوان بهار ، جـ ١ ، ص : ٥٠٣ ، ٥٠٤

مولوديه

امـروز خـدا يگان عالـــم	برفـرق نهـاد تـاج لـولاك
امروز شنيـد گـــوش خاتـم	لولاك لما خلقـت الأفـــلاك

وهكذا ربط بهار بين الاحتفال بالمولد الكريم ، وكيف كان مولده نعمة وخيرا على الأمة الاسلامية وعلى العالم أجمع ، وبين حال العالم الإسلامى قبل الحرب العالمية الثانية ، وما تعانيه من ضعف وخور وانكسار لكثرة الأعداء فى الداخل والخارج ، وكيف أن العالم الإسلامى وبخاصة إيران قد انحرفوا عن الطريق السوى الذى بعث من أجله محمد عليه السلام ، وأمام هذا التقاعس أصبح إبليس صاحب السيادة وصاحب الكلمة ، فياليت المسلمين يتذكرون قول الله عز وجل : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " (١) ، فأين نحن الآن من الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ؟! أولئك هم الذين عملوا بما أرسل به محمد عليه السلام ، فكانوا سادة العالم وحكامه.

ومن القصائد الجيدة التى نظمت فى نعت الرسول عليه السلام ، قصيدة

= امروز ز شرق ، اسم اعظم مهر ازلى بتافت برخاك
امروز ازين خجسته مقدم
اركان وجود شد مشيد
امروز خداى با جهان كرد لطفى كه نكرده بود هرگز
نورى كه مشيتش نهاد كرد امروز پديد گشت وبارز
آورد ومربى جهان كرد يكتن را با هزار معجز
پيغمبر آخر الزمان كرد
نورى كه قديم بود وبيحد
اى حكمت تو مربى كون وى از تو وجود هر چه كائن
اى تربيت زمانه را عون وى خلقت دهر را معاون
بيروى تو گشته حق بصد لون با شرع تو گشته دين مباين
بر ملت تواست ذلت وهون
اى ظل تو بر زمانه ممتد
حرمت زمزار ومسجد ما بردند معاندين دين ، پاك
پوشيده رخ معابد ما از غفلت وجهل ، خاك وخاشاك
جز سفسطه نيست عايد ما كاوهام گرفته جاى ادراك
ابليس شده است ها دى ما
ما گشته بقيد او مقيد

(١) آل عمران ، آية : ١١٠.

الشاعر ايرج ميرزا.(١) والتى اعتبر فيها أن حب الرسول عليه السلام خير زاد للإنسان فى رحلته إلى العالم الآخر ، وهذه ترجمة لبعض أبياتها :

فى نعت النبى الخاتم

– ليس عاقلا من يجعل عمره القصير متعلقا بطول الأمل فى هذه الفانية
– وأن يطوق عنق روحه بحبل من طول الأمل ، إذ سيمتد هذا الحبل حتى يوم القيامة !
– فلتبحث عن الخلاص من هذا الحبل قبل فوات الأوان ، واطلب الخلاص من ربقته
– أجمِل بمن حرر روحه من ربقة هذا الحبل ، وقد آمن بتقدير ذى الجلال
٥ – وخلص نفسه من منة الوضيع أو الشريف ، وأنقذ روحه من الخجل من الكريم أو البخيل
– فكن كالخليل متوكلا على ذى الجلال ، حتى تحرر روحك كالخليل من نار الغم
– إن يكن الحق نصيرك ، فنعم النصير ! وإن يكن الحق وكيل أمرك ، فنعم الوكيل!
– لاتكن رهينا لأى شخص طلبا للرزق ، فهو – أى الله – المتكفل برزق الجميع
– فهو كما وهبك الروح ، سيهبك الرزق ، فلماذا تذل روحك الغالية من أجل فان؟
١٠ – أنىّ يكون لك جمال الصورة فى الغد ، إذا لم تكن جميلة سيرتك اليوم !
– أنت لامحالة مسافر ، ولابد لك من زاد ، فالزاد ضرورة لكل إنسان وقت الرحيل

---

(١) ايرج ميرزا (١٨٧٤ – ١٩٢٦م) أحد أبناء الأسرة القاجارية الحاكمة فى ذلك الوقت ، أتاحت له ظروفه الاجتماعية ان يتعلم اللغات الأجنبية وبخاصة اللغة الفرنسية ، وقد تقلد بعض المناصب المالية فى الدولة ولكنه آثر الاعتزال فى نهاية حياته. وتحول بيته إلى صالون أدبى. إلى جانب ديوانه الشعرى نظم قصة زهرة ومنوچهر على غرار فينوس وأدونيس لشكسبير، كما نظم عارف نامه، حيث هاجم فيها الشاعر عارف القزوينى لتطاوله على الأسرة القاجارية، ويعتبر شعره من أرق مانظم فى النصف الأول من القرن العشرين فى الأدب الفارسى.
(راجع مقدمة الديوان ، والتى كتبها محمد جعفر محجوب ، الطبعة الثالثة عام ١٣٥٣ ش).

– ولكن أي زاد أفضل من حب الرسول ، لأن الولاء له خير دليل يقدمه الخلق للعزيز القدير

– ليس له ظل ولكن رحمته وعطفه ، ظل ظليل على رءوس الضعفاء والمساكين

– وقد ورد نعته كاملا في الفرقان ، كما جاء تمام وصفه في الإنجيل

١٥ – وتدلت من قصر عظمته تسعة أفلاك ، كما تدلت القناديل من قصور الأكاسرة (١)

– وفيما يتسم به من خلق طيب وصفات جميلة وخلقة بديعة ؛ لم يخلق الله شبيها له ولا عديلا !

* * *

وهكذا نصح ايرج ميرزا الإنسان المسلم بألا يعيش في عالم الأوهام ، معتمدا على آمال وأحلام بعيدة عن عالم الواقع ، وأن يكون إيمان المسلم بتقدير ذي الجلال والإكرام بلا ضرورة ، ومادام الانسان يرجو رحمة ربه وعطفه ، فإنه لن يسعى إلى

---

(١) الديوان ، ص ٣٥ ، ٣٦ :

در نعت نبی خاتم

نه عاقل است که دارد در این سرای رحیل	قصیر عمر خود اندر امیدهای طویل
نهد به گردن جان رشته یی ز طول امل	که تا قیامت آن رشته را بود تطویل
مناص جو یی ازاین رشته لات حین مناص	خلاص خواهی از ین عقده لاعلیك سبیل
خوش آن که بگسست این رشتهٔ امید زجان	نهاد بر کف تقدیر کرد گار جلیل
٥– رهاند خودرا ز منت وضیع وشریف	نجات داد هم از خجلت کریم وبخیل
خلیل وار توکل به کردگار نمای	که تا رهاند از آتش غمت چو خلیل
نصیر جان تو چون حق بود ، فنعم نصیر	وکیل کار تو چون حق بود فنعم وکیل
رهین هر کس ونا کس مشوپی روزی	چو او به روزی هر ناکس وکس است وکیل
همان که او به توجان داد ، نان دهد چه کنی	ز بهر فانی ، جان عزیز خوار وذلیل
١٠– جمال صورت فردا کجا ترا باشد	اگر نباشد امروز سیرت تو جمیل
مسافری تو وناچار بایدت زادی	که زاد باید مر مرد را به گاه رحیل
کدام زاد نکوتر زحب پیغمبر	که خلق راسوی ایزد ولایی اوست دلیل
نداشت سایه ولی رحمت وعطوفت او	فتادگان رابر سر فکنده ظل ظلیل
بود سراسر نعتش هر آنچه درفرقان	بود تمامی وصفش هر آنچه در انجیل
١٥ – زکاخ خسرویش نه سپهر زنگاری	معلق است چوازکاخ خسروان قندیل
ز خلق نیك وصفات جمیل وخلق بدیع	نیا فریدش ایزد همال وشبه وعدیل

وضيع أو شريف طلبا لكسرة خبز أو طمعا فى زيادة رزق ، فالله سبحانه هو الرزاق الوهاب وهو الذى يرزق السائل والمسئول من البشر ، ومادامت نعمة الخالق البارئ تغطى الجمع ، فيجب على الإنسان المسلم ألا يسأل أحدا إلا الله عز وجل ، وإلى جانب إيمان المسلم بالقدرة الإلهية فهو مطالب كذلك بحب الرسول عليه السلام ، لأن حبه خير زاد يتزود به الراحل عن هذه الدنيا الفانية ، حتى يكون الرسول الكريم شفيعه يوم القيامة ، كما وصف محمدا عليه السلام بأن الله قد أمده بكل الصفات والسجايا الحسنة التى لم تعط لغيره ، قبله أو بعده ، كما أن وصف محاسنه وسماته التى وردت فى القرآن الكريم ، وردت قبل ذلك فى الإنجيل وكذلك فى التوراة. مصداقا لقوله تعالى: *الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل..*"[١] وقد كان الرسول عطوفا رحيما ، حيث أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين جميعا وهاديا ومبشرا ، فقد قال الله فى حقه : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".[٢]

* * *

٣- الحديث عن بعض المقدسات الاسلامية :

ومن الشعراء المعاصرين الذين تحدثوا عن المقدسات الإسلامية ودورها فى بناء البشرية الشاعر عباس شهرى [٣] ، الذى تحدث عن القرآن الكريم ودوره فى هداية البشرية ، حيث جاءت أحكامه خير هاد فى طريق الإيمان والتوفيق ، ولو أحسن الناس فهم القرآن وأحكامه وعملوا بها ، لأصبحت الدنيا بأسرها روضة من رياض الجنة ، ولعمَّ السلام والوئام. ولكن ما حدث غير هذا ، حيث نسى البعض من ضعاف الإيمان أحكام القرآن ، فسيطرت عليهم الأحقاد والضغائن ، واشتعلت الحروب وعم الخراب

---

(١) الأعراف ، آية : ١٥٧.
(٢) الأنبياء ، آية : ١٠٧.
(٣) عباس شهرى : ولد عام ١٢٨٩ ش (١٣٢٨ هـ = ١٩١٠م) بقرية شهر ستانك من توابع طهران. وقد عده سعيد نفيسى من أعظم الشعراء المعاصرين ، وقد كان شهرى مهتما بالنظم فى الأغراض المتعلقة بهموم الناس وآلامهم ، حيث كان يعتقد أن مهمة الشاعر تبصرة الناس والأخذ بأيديهم إلى حياة أفضل، لا كغيره من هواة التمويه والغموض ، وأن الشاعر يجب أن يكون رقيق الحاشية ، ومن المتقربين إلى الله بشعرهم حتى يلهمهم المعانى النبيلة والأفكار الرشيدة.
(تذكره شعراى معاصر جـ ٢ : ٢٠١).

والدمار ، فياليتهم يعودون إلى فطرتهم التى فطرهم الله عليها ، ويدركون ما فى القرآن الكريم من هداية وإرشاد يأخذ بأيديهم نحو حياة سعيدة رغدة ، ومما قاله عباس شهرى ما ترجمته :

القرآن الكريم

– الحمد لله الوهاب ، من ذاته خالدة ، ومن عاداه فانون !
– لقد وهبنا الشريعة والإيمان ، فى كتاب مبجل هو القرآن
– إنه الكتاب الهادى للحق ، الكتاب الذى جاء بشريعة الرسالة.
– الكتاب المنقذ من الضلال ، مفتاح باب حدائق الجنان

* * *

– هذا الكتاب السماوى ، المصباح الكاشف للطريق ، الأكثر ضياءً من الشمس
– وهو واهب الضياء لروحك وقلبك ، والمنتزع من نفسك الطبيعة الشيطانية
– فلتهتد بالقرآن ، حتى تكون صادقا ، إذ القرآن وحى من الله القادر
– وبالقرآن أصبح الرسول هاديا لك ومرشدا ، وتضافرت فى ذلك أحكام الله وأحاديث محمد.

* * *

لو أحسن الخلق اتخاذ القرآن مرشدا وهاديا ، لأصبحت الدنيا بأسرها جنة فيحاء !
– ولكن ما أن أشحنا بوجوهنا بعيدا عن القرآن ، حتى أصبح نصيبنا الفشل بدلا من التوفيق .

وما أن أصبح شعار الجميع الحقد والحروب
فسرعان ما ضاقت بنا جنبات العالم ! (١)

---

(١) تذكرهٔ شعراى معاصر ، جـ ٢ ص ٢٠٠ – ٢٠١
قــرآن پــاك
سپاس خدائى كه بخشنده اوست   همه فانى وذات پاينده اوســت   =

وهكذا ربط الشاعر بين مايدور فى عالمنا الحديث من حروب ودمار، وبخاصة تلك الحروب التى تثار بين بلدان العالم الاسلامى، وبين مانحن فيه من عدم الامتثال لأحكام القرآن الكريم الداعية إلى الإخاء والمساواة والمحبة بين جميع الشعوب وبخاصة بين أمه لا اله الا الله، محمد رسول الله. تلك الأمة التى شرفها الله بأن أنزل فيهم القرآن الكريم ، فياليتهم يرجعون إلى القرآن حتى يعيدوا بناء نفوسهم على المحبة والإخاء ونبذ الحروب والضغائن.

ومن المناسبات الإسلامية التى يحتفل بها المسلمون كل عام ، ليلة القدر ، لما لها من منزلة كريمة فى نفوسهم وفى عقيدتهم ، وقد أشاد بها ملك الشعراء محمد تقى بهار مبينا مكانتها، وأنها - كما جاء فى القرآن الكريم - خير من ألف شهر ، وأنها ليلة سلام حتى مطلع الفجر. ومما قاله ، ما ترجمته :

ليلة القدر

- يا ليلة القدر ويا خزانة الأجر ، سلام عليك حتى - مطلع - الفجر
- طلعتك البهية أساس كل وصل ، وذؤابتك مبددة لكل هجر
- قلبك الطاهر هو الماء الزلال لأى نبع فياض ، وحديثك مفتاح لمخزن الأجر

أنت واهبة النور ومبددة الألم

أنت أفضل من مائة ألف شهر

= عطا كرد آئين وايمان مرا — گرامى كتابى چو قرآن مرا
كتابى كه مارا بحق رهبراست — كتابى كه قانون پيغمبراست
رهاننده‌ء ماز اعمال زشت — كليد در بوستان بهشت
براه تو اين آسمائى كتاب — چراغيست روشنتراز آفتاب
ببخشد بجان ودلت روشنى — بگيرد ز تو خوى اهريمنى
بقرآن كرا تاشوى رستگار — كه قرآن بود وحى پرور دگار
ز قرآن نبى شد ترا رهنماى — چه حكم محمد چه حكم خداى
اگر رهبر خلق قرآن بدى — سراسر چهان چون گلستان بدى
ز فرمان قرآن چو رخ تافتيم — بجاى خوشى ناخوشى يافتيم
شعارهمه كينه وجنگ شد
بما عرصه زندگى تنگ شد

- لقد ألمت بى الحرقة لفراقك ، فلا تشيحى بوجهك عنى أنا المكلوم.
- لقد رأيت مطلع - الفجر - من رؤيتك ، حيث استمدت الشمس ضياءها منك؛ أيتها الليلة !
- لقد أصبح وصالك أيتها الليلة لى حلالا ، والنوم فيك أصبح على حراما !

عجبا للمحب كيف ينام

كل نوم على المحب حرام (١)

أما پروين اعتصامى فقد تحدثت عن الكعبة المشرفة ومكانتها لدى المسلمين، وقد تمثلت أن الكعبة تحدث نفسها فى يوم عيد الأضحى المبارك ، ومما قالته الكعبة، ماترجمته :

- وقت الإحرام ، يوم عيد النحر ، حدثت الكعبة نفسها على هذا المنوال :
- إننى مرآة نور ذى الجلال ، كما أننى عروس محفل الوصال.
- لقد شيدتنى يد خليل الله ، وكرمنى الله ورفع من قدرى.
- ولايوجد فى ربوع العالم كله ، مكان سعيد طاهر مثلى.
٥ - ولاتوجد ساحة مشرقة مثل محفلى ، ولايوجد قصر آمن مثل مبناى.
- أساس إقليم الإرشاد مستمد منى ، وعمد بناء الشوق منى كذلك.

---

(١) ديوان ملك الشعراء بهار ، جـ ١ ص : ٢٧٢

شب قدر

ای شب قدر وای خزانهٔ اجر — وسلام عليك حتى الفجر
رخ خوبت بنا كنندهٔ وصل — سر زلفت فنا كنندهٔ هجر
دل پاكت زلال چشمهٔ فيض — دم صحبت كليد مخزن اجر

نور بخش ورنج كاهى تو
بهتر از صد هزار ما هى تو

شدم ز فرقتت بتاب ای شب — از من خسته ، رخ متاب ای شب
مطلع ديده ام زديدن تو — شده پر نور آفتاب ای شب
وصلت ای شب بمن شده است جلال — گشته برمن حرام خواب ای شب

عجبا للمحب كيف ينام
كل نوم على المحب حرام

– أبدو فى الصورة قبلة الأحرار ، ولكننى فى المعنى حامية الضعفاء.
– كل حجر وطينة وقشة من هذه الأعتاب ، تسجد لله فى كل أونة.
– ويردد الباب والسقف هنا قولة " أنا الحق " ، كما تلهج بالشكر جميع الأجسام والأجرام.
١٠ – وهنا يسبح الملائكة ؛ حيث يقولون كلاما بالمعنى دون لسان.
– ليس مسموحا هنا امتشاق الحسام ، وليس لشخص أن يعارك آخر.
– وليس فى هذا الجانب شباك أوصياد ، فالصياد فى إجازة ، والطيور حرة.
– ما أجمل ذلك المبدع الذى خلط هذا الماء والطين ، وما أبهى ذلك المعمارى الذى شيد هذا البناء .
– وما أسعد هذا الخياط الذى خاط تلك الكسوة المذهبة ، وما أعظم هذا التاجر الذى با ع هذه الحلة .
١٥ – الشخص الذى تطهرت كعبة قلبه ، أنَّى له أن يخاف الدنس والآثام؟ (١)

---

(١) ديوان پروين اعتصامى ، ص : ٢٠٠ – ٢٠٢

كعبهء دل

كه احرام ، روز عيد قربان	سخن ميگفت باخود كعبه ، زينسان
كه من مرآت نور ذو الجلالم	عروس پردهء بزم وصالم
مرادست خليل الله برافراشت	خداوندم عزيز ونامور داشت
نباشد هيچ اندر خطهء خاك	مكانى همچو من ، فرخنده وپاك
٥– چو بزم من ، بساط روشنى نيست	چو ملك من ، سراى ايمنى نيست
اساس كشور ارشاد ، ازماست	بناى شوق را ، بنياد از ماست
بصورت ، قبلهء آزاد گانيم	بمعنى ، حامى افتاد گانيم
درين درگاه ، هرسنگ وگل وكاه	خدارا سجده آرد ، گاه وبيگاه
" أنا الحق " ميزنند اينجا، در وبام	ستايش ميكنند ، اجسام واجرام
١٠ – در إينجا، عرشيان تسبيح خوانند	سخن گويان معنى ، بى زبانند
در اينجا رخصت تيغ آختن نيست	كس را دست بركس تاختن نيست
نه دام است اندرين جانب ، نه صياد	شكار آسوده است وطائر آزاد
خوش آن استاد ، كاين آب وگل آميخت	خوش آن معمار ، كاين طرح نكو ريخت
خوش آن درزى ، كه زرين جامه ام دوخت	خوش آن بازار گان ، كاين حله بفروخت
١٥ – كسى كاو كعبهء دل پاك دارد	كجا از آلودگيها باك دارد ؟

اعتبرت الشاعرة پروين الكعبة قلب هذا العالم ، والمحور الذى تدور حوله قلوب جميع المسلمين ، والمكان الذى يفوق كل أرجاء الدنيا عظمة ومكانة ، وكل ما بالمكان يسبح بحمد الله وعظمته ، يتساوى فى ذلك كل الكائنات وكل المخلوقات ، بل يشاركهم فى هذا الملائكة دون لسان أو لغة ، وأن الكعبة المشرقة مكان سلام ووئام ، إذ لايسمح لإنسان مهما كان أن يحمل فى رحابها سلاحا ، كما لايسمح بالصيد فى ساحتها ، ولذا ترى الحمام والطيور تلتقط الحب من أرضها، أو تحلق فى سمائها، دون أن يتعرض لها أحد بالإيذاء ، فالكل فى مضمارها آمن طاهر مشغول بتسبيح الله وشكره، ويا ليت قلب الانسان الذى يتوسط الجسد ، كما تتوسط الكعبة مركز العالم أن يتطهر ويصفو ، ويبتعد عن الكراهية والأحقاد والخصام والعراك متشبها فى هذا بالكعبة المشرفة المطهرة من أى دنس ، ومن أى مسلك يشغل الحجاج والمعتمرين عن العبادة والطواف والسعى والصلاة والانشغال بقراءة القرآن والتسبيح والابتهال.

* * *

٤ - من الخلق الإسلامى :

لقد حرص الإسلام على الارتقاء بالإنسان عن طريق حسن تربيته وجميل تهذيبه، وإبعاده عن كل سلوك شائن ، داعيا إلى فتح كل أبواب العمل الصالح ، وقد أكثر أدباء الفارسية ، شأنهم فى ذلك شأن جميع الأدباء المسلمين فى شتى بقاع العالم، من تناول ما يدعو إليه الاسلام من الاهتمام بالعلم والعمل والعطف على الفقراء والمساكين ، ونبذ المحرمات إلى غير ذلك من تعاليم الإسلام الحنيف.

وبطبيعة الحال لن نستطيع أن نذكر جميع ما قاله أدباء الفارسية فى العصر الحديث حول هذه الأخلاق الإسلامية السامية ، ولاحول هذه الدعوات الإصلاحية المنبثقة من تعاليم الاسلام الحنيف ، وإنما سنكتفى بذكر بعض الأمثلة.

وأول ما سنذكر ، هو الدعوة إلى بر الوالدين والامتثال إلى نصحهما ، والعمل بما يرضيهما حيث أن رضاءهما من رضاء الله عز وجل ، وقد نظم ملك الشعراء بهار قصيدة عنوانها : " نصيحة الأب " ، وقد جاءت فى ستة وأربعين بيتا وكان بهار قد نظمها عام ١٣٠٩هـ .س (١٣٤٧هـ.ق) بمناسبة حلول عيد النوروز. ومما جاء فيها ما ترجمته :

- أفق أيها الابن ، وليمتثل قلبك لنصائح الأب ، فهو أيها الغالى قد اشترى حكمته بنقد روحه
- وأحسن الإصغاء إلى نصيحة المعلم ، وإلا فإن الفلك سيمزق جسدك بسيف المكر والخداع
- فكل شخص يحسن الإصغاء لنصح العطوف المشفق ، سيقطف ورودا وأزاهير من غصن مراده
- عندما لم أمتثل مثلك لهذا النصح فى طفولتى ، مزقت يد الزمان أرديتى

٥ - لقد استمعت إلى نصح أبى ولومه ، ولهذا فقد روضت طبعى بحسن تجربته

- وعندما لايكون الزمان لى مواتيا ، يكون فى تلك اللحظة التى لم أحسن الامتثال فيها للنصح والإرشاد .
- لقد درست فى مدرسة الحياة أربعين سنة ، حتى اسودت أيامى وابيض شعرى .
- لقد ضاعت منى بعض نصائح أبى ، ولكن فى مشيبى هذا ؛ مازلت أحفظ الكثير منها.

١٠- لقد رأيت أن نصائح الأب هى ثروة العمر ، حيث كان يقدمها لى بعطفه وحنانه.

- مهما طال العمر بتجاربه فهو ليس كافيا ، إلا إذا ربطناه بتجارب الآخرين.

ما أسعد من عرف فى صباه قدر أبيه

وما أعظم من استمع فى شبابه إلى نصح أبيه (١)

* * *

(١) ديوان بهار ، جـ ١ ، ص : ٥٢٨ - ٥٢٩

پنـــــد پـــــدر

هان اى پسر به پند پدر دل سپاركاو	اى كوهر كر انرا بانقد جان خريد
ده كوش بانصيحت استاد ، ورنه چرخ	كوشت به تيغ مكر بخواهد همى بريد
هركس به پند مشفق يك رنگ داد كوش	كلهاى رنگ رنگ ز شاخ مراد چيد
من خود بكود كى چو تو نشنيدم اين حديث	تادست روزكار كريبان من دريد
٥- پند پدر شنيدم وكفت ملامت است	زينرو از آزمايش آن طبع سر كشيد
وانگاه روزگار مرا در نشايد پيش	يك دم ز درس وپند ونصيحت نيارميد =

كما دعا بهار الأبناء إلى الربط بين عبادة الله عز وجل ، وحب الوالدين وعدم عقوقهما ، وبخاصة الأم التى تمنحهم الحب والحنان والعطف، وضحت براحتها من أجل إسعاد هؤلاء الأبناء ، ودعا أيضا إلى أن يرعى هؤلاء الأبناء والديهما فى حالة الكبر والعجز، وبخاصة الأم ، حتى يكون الأبناء بررة راجين رحمة ربهم ورضاه .

الله والوالدان

– أيها الطفل العذب اللسان ، لاتغفل عن أمك العطوف
– لتجعل نصب عينيك هؤلاء الثلاثة : الأول هو الله ثم يأتى من بعده الوالدان
– الله هو المنعم الرزاق ، والوالد هو المربى ، أما الأم فكم احترق قلبها من أجلك

اعبد الله ، واحترم والدك
وضحى بروحك من أجل أمك (١)

* * *

= چهل سال درس خواندم در نزد روزگار — تا گشت روز من سيه وموى من سپيد
چندى كتاب خواندم وچندى معاينه — ديدم خرام گيتى از وعد واز وعيد
بخش ز پندهاى پدر شد درست ، ليك — بسيار از آن بماند كه پيرى فرارسيد
١٠– ديدم كه پندهاى پدر نقد عمر بود — كان مهربان بطرح بمن برپراكنيد
اين عمرها به تجربت ما كفاف نيست — تا داشته بتجربت ديگران اميد

خوش آنكه در صباوت قدر پدر شناخت
شاد آنكه در جوانى پند پدر شنيد

(١) ديوان بهار ، جـ ١ ص : ٣٣١

خدا ووالدين

اى كودك خوب شيرين زبان — مشو غافل از مادر مهربان
بدار اين سه مقصود را نصب عين — نخستين خدا ، زانسپس والدين
خدا منعم است ومر بى پدر — بود مادر ازهر دو دلسوزتر

خدا را پرست ، وپدر را ستاى
ولى جان بقربان مادر نماى

وشاركت پروين اعتصامى الشاعر محمد تقى بهار فى دعوته إلى الأبناء كى يمتثلوا لنصائح الأباء والأمهات ، وإذا كان بهار قد تكلم مباشرة، فقد لجأت پروين الى استخدام الرمز عن طريق الحيوان ، وهذه طريقتها دائماً فى تقديم النصح والارشاد ، ففى قطعة عنوانها " قوس القضاء " تحدثت عن فأر صغير أجهدت أمه نفسها فى نصحه ولفت نظره الى الاخطار الجسام التى يتعرض لها إن لم يتوخ الحذر ، وأن يحسب لكل خطوة حسابها حتى لايقع فى المهالك ، ولكن هذا الصغير لم يعر نصح أمه اهتماما، ولم يقبل أن يعمل بنصائحها مدعيا بأن له عقلا يستطيع أن يميز به بين الخير والشر ؛ وما أن خرج بمفرده باحثا عن طعام ، حتى أرداه عقوقه فى فخ كان فيه هلاكه ، وهكذا جزاء أى ابن لايحسن الإصغاء إلى نصح أمه أو أبيه ، ومن أبياتها ؛ ماترجمته :

– قالت الأم بحنان لفأرها الصغير : ما أكثر المحن والمصائب فى طريقنا
– فلا تخطف قطعة جبن من حديد معقوف ، فهذه اللقمة ليست غذاء ولكنها الردى والموت
– غضب الفأر الصغير وقال : صهى ! إن عقلى أكبر من عقلك !
– فكل إنسان يعرف مكانه ، ولامكان لنصح الآخرين وإرشادهم !
٥– قال هذا ، وخرج من الجحر ، ونظر نظرة متعجلة صوب الشمال واليمين
– فرأى فى فخ حديث الطلاء ، قطعة جبن معلقة فى قطعة من حديد
– قفز الفأر الصغير بلهفة ، ودخل ، وما أن دلف حتى ارتفع صوت الباب
– فكم أصابته المحن من جراء هذا الطعام ؛ وكم أحاطت قطعة الحديد بمعصمة الأيمن !
– وهكذا الطفل الذى يهرب من الوعظ والنصيحة ، فإذا سقط فى بئر فلا تسل: لم حدث هذا ؟ (١)

---

(١) نقلا عن شاعرة إيران پروين اعتصامى للدكتور بديع محمد جمعة ، ص : ٨٤ ، القاهرة ١٩٧٧ ، أما النص الفارسى؛ فهو:

موشكى را بمهر ، مادر گفت — كه بسى گير ودار در ره ماست
ز آهنين ميله ، گردگان مربای — كه چنين لقمه ، خون دل ، نه غذ است
موشك آزرده گشت وگفت خموش — عقل من بيشتر ز عقل شماست
هركس جای خويش ميداند — پند واندرز ديگران بيجا ست

=

ومن المعانى الإسلامية السامية والتى اهتم بها الشعراء والكتاب فى العصر الحديث ، الدعوة إلى التعاطف بين بني البشر ، وضرروة العطف وتقديم العون إلى الفقراء و المحتاجين . وما أكثر مانظمته الشاعرة پروين اعتصامى فى هذا الشأن ، ومنها تلك القطعة وعنوانها " غرور المحظوظين" فقد تحدثت عن عصفور صغير وقع فى الشباك ، وحاول الخلاص فلم يستطع ، وفجأة رأى أمامه طائر الهما فطلب منه أن يساعده ويخلصه من الأسر ، ولكن الهما ترفعت وتعالت عليه ، وقالت : كيف تساعد الهما تعس الحظ مثلك ؟ ومهما توسل إليها العصفور ، فإنها لم تعره التفاتة ، وتركته ومضت تتبختر فى الحديقة، وبعد انقضاء يوم كامل أدركت الهما خطأها وأسرعت كى تنقذ العصفور الصغير ، ولكن بعد فوات الأوان ، حيث وجدته ريشا مبعثرا، وقد أنهت الشاعرة پروين قصتها الرمزية هذه بعدة أبيات تدعو فيها القوى لمساعدة الضعيف ، والغنى كى يحسن إلى الفقير ، وألا يتكبر الانسان على المساكين والضعفاء ، وألا يعيش المرء فى برج عاجى بعيدا عن مشاكل الفقراء والمعوزين، ومما قالته پروين ؛ ماترجمته :

- لقد منحت عين قلبك الضياء ؛ حتى تضئ مصباح التعساء.
- ارتفعت شجرة السرو بالحديقة ، كى تظلل على ورود الروضة.
- فلتسل عن الضعفاء ما استطعت، ولتخش زمن الضعف.
- وتعلم من الشمس أصول الإشراق ، فهى تشع نورها على اليابسة والبحار .
٥- سعيد من استحسن تقديم العون ، فما أن ملك الثروة والجاه حتي قدم العون .
- وموفق ذلك الذى أعان ضالا ، ورفا المزقات بلطف وسماحة.

= این سخن گفت وشد زلانه برون ... نظری تند کرد ، بر چپ وراست
دید دو تلهٔ نو رنگین ... گردکانی در آهنی پیداست
موشك از شوق جست وشد بدرون ... تا که اوجست ، بانگ در برخاست
بهر خوردن ، چو کرد گردن کج ... آهنی رفت بر گلویش راست
کو دکی کاو زپند ووعظ گریخت ... گر بچاه است ، دم مزن که چراست

- لاتشح بوجهك أيها الصديق ، بعيدا عن المساكين حتي يجنبك الله تكبر الفلك
- لو جلسنا فى محيط السماء السابعة ، ولم نطلب الخير لكل شخص ؛ كنا غاية فى الخسة (١).

* * *

وكما دعت پروين إلى عدم التكبر والغرور والتعالى على الضعفاء والمساكين ، دعت كذلك إلى أن يكون العطف عليهم خالصا لوجه الله عز وجل ، لارياء ولا طلبا للدعاء ، فالنعمة والخير كله لله ، وليس الأغنياء إلا حراسا عليها ، وبالتالى فإن أعطوا الفقراء جزءاً مما يحرسونه من نعم الله ، فليس العطاء منهم ، بل إنهم ينفذون مشيئة المنعم الوهاب ، وعلى هذا وجب على الأغنيـاء أن يتـجـرد عطاؤهـم من أى إيذاء لمن يقدمون لهم يد العون والإحسان ، ومما قالته پروين ، ماترجمته :

- لايجوز طلب الأجر من المسكين ، كما لايجب سفك دم العطاء والاحسان.
- أحسن إلى المسكين والمعدم ، لأن الإحسان نفسه سيجلب الدعاء.
- لقد مُنحت قوة الساعد ، كي تأخذ بيد كل ضعيف عاجز.
- ولاتستسلم للغرور ، فأول فرض على الأغنياء هو الإحسان إلى الفقراء.
٥- ولتدرك أحوال المحتاجين يامن تملك مصباح السعادة وكنز الغناء .
- وقت العطاء والإنفاق يجب ، ياپروين ، ألا يعمر القلب إلا بالله وحده !(٢).

---

(١) نقلا عن : شاعرة إيران ، پروين اعتصامى ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، والنص الفارسى هو :

- از آنت هست چشم دل ، فروزان — كه بفروزى چراغ تيره روزان
- بگلشن ، سرو از ان بفراشت پايه — كه بر گلهاى باغ افكند سايه
- بپرس از ناتوان تا توانى — بترس از روزگار نا توانى
- ز قهر ، آموز رسم تابنا كى — كه بخشد نور بر آبى وخاكى
٥ - نكو كار ، آنكه همراهى روا داشت — نوائى داد ، تا برگ ونوا داشت
- خوش انكو گمر هى را جستجو كرد — به نيكى ، پار گيها را رفو كرد
- متاب ايدوست ، بر بيچار گان روى — مبادا بر تو گردون تابد ابروى
- اگر بر دامن كيوان نشستيم — چو خير كس نميخواهيم ، پستيم

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٠٧ والنص الفارسى هو :

- نشايد خواست از درويشى پاداش — نبايد كشت ، إحسان وعطارا
- تو نيكى كن بمسكين وتهيدست — كى نيكى ، خود سبب گردد دعارا =

ومن التعاليم الإسلامية السامية دعوة المسلمين إلى العمل والكد فى طلب الرزق، وعدم الارتكان إلى الكسل والتراخى ، حتى أن الله سبحانه وتعالى قد ربط فى معظم آيات قرآنه الكريم بين الإيمان والعمل ، حيث قال الله عز وجل : " والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم " (١) وقال تعالى : وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"(٢) وقد ربط الله سبحانه وتعالى الأجر والجزاء بجنس العمل تشجيعا للمسلمين على العمل والعطاء والكد وعدم الجنوح إلى الكسل ، فقد قال سبحانه : " ولكل درجات مما عملوا ، وماربك بغافل عما يعملون"(٣) كما أن الله عز وجل لن يظلم عاملا قط ، ولن يبخسه حقه فى الجزاء والأجر حيث قال تعالى : «إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» (٤)

وقد أكثر الأدباء والشعراء فى العصر الحديث من الدعوة إلى العمل الجاد والدءوب ، حتى تستعيد الأمة الإسلامية عافيتها وسابق ازدهارها بعد أن تكاسل بعض أبنائها . وتخلوا عن العمل الجاد والدءوب ، وركنوا إلى الاعتماد على الغير ، وقد عبرت الشاعرة پروين اعتصامي عن هذا الموقف المتخاذل ، بأن صورت فقيرا وقد جلس على قارعة الطريق غاية فى الذلة والمسكنة ، وقد أخذ يتأوه مما ألم به من فاقة ومسغبة وأنه قد عدم المسكن والمأكل ، وكم حاول استجداء الخلق فصده معظمهم ، ولما أطال شكايته؛ جاءه الرد من الله عز وجل ، على هيئة حديث سمعه بإذن قلبه ، ومما جاء فى هذا الحديث ماترجمته :

– تحدث الله الودود فى أذن قلبه ، قائلا : إن لم تكن موفقا ؛ فالجرم جرمك .
– اخط خطوة واحدة فى طريقى ، أقربك منى عشرين خطوة.

= – از آن بـــازوت را دادن نيـــــرو — كه گيرى دست هـر بيدسـت وپـارا
– مشو خودبين ، كه نيكى بافقيـــران — نخستين فـرض بودسـت اغنيـارا
٥– ز محتاجان خبر گير ، ايكه دارى — چـراغ دولـت وگنـــج غنـــارا
– بوقــت بخشـش وانفـاق ، پـروين — نبايـد داشـت در دل جز خـــدارا

(١) سورة محمد : ٤٧.
(٢) سورة التوبة : ١٠٥.
(٣) سورة الأنعام : ١٢٧.
(٤) سورة آل عمران : ١٩٥.

- نحن لم نرسلك بلازاد ، فقد منحناك مايجب منحه.
- لقد منحناك يدا كي تعمل ، فإن وجد الدرهم ، بإمكانك جعله دينارا.
٥- ومنحناك قدما كى تسعى من مكان إلى آخر ، وتخلص نفسك من كل ضيق.
- ومنحناك العين حتى يشعر قلبك بالأمان ، فيضئ أمامك طريق الحياة.
- نحن لم نترك إنسانا جائعا ، وقد رفعنا هذا البناء من أجل الخلق .
- هذه القوة الكامنة فى ساعدك ، شاهد حظك ، وكذلك مافى كتفك .
- أيها الجاحد ، منحتك الكنوز التي لايستطيع شخص قط إحصاءها.
١٠- كنزك هو العقل والرأى والعزم والهمة ، وأفضل كنز سعيك وكدك .
- حين طلب ذوو البصيرة الحظ منا ، طلبوا اليد والساعد القويين.
- نحن لانقول لاتطرق بابنا سائلا ، ولكن إن تطرق هذا الباب ، فلا تطرق بابا آخر !
- فمن انكب على موائد الكرام ، سمع ألفاظا نابية من اللئام [1]

* * *

والعاقل هو الذى لايقبل التردد على موائد الكرام ، حتى ولو لم يتبعوا صدقاتهم بالمن والأذى ، وحتى ولو كان هؤلاء الكرام سيدنا سليمان عليه السلام ، فقد رأى

---

(١) شاعرة إيران پروين اعتصامى ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، والنص الفارسى هو :

- گفتش اندر گوش دل ، رب ودود   گر نبودى كار دان ، جرم تو بود
- تو براه من بنه گامى تمام   تا منت نزديك آيم بيست گام
- ما ترا بى توشه نفرستاده ايم   آنچه مى بايست دادن ، داده ايم
- دست داد يمت كه تا كارى كنى   درهمى گر هست ، دينارى كنى
٥ - پاى داد يمت كه باشى پا بجاى   وارهائى خويش را از تنگناى
- چشم دادم تادلت ايمن كند   بر توراه زندگى ، روشن كند
- ما كسى را ناشتا نگذا شتيم   اين بنا از بهر خلق افراشتيم
- اين توا نائى كه در بازوى تست   شاهد بخت است دار پهلوى تست
- گنجها بخشيدمت ، اى نا سپاس   كه نگنجد هيچكس را در قياس
١٠ - عقل وراى وعزم وهمت ، گنج تست   بهترين گنجور ، سعى ورنج تست
- عارفان ، چون دولت از ما خواستند   دست وبازوى توانا خواستند
- ما نميگوئيم سائل در مزن   چون زدى اين در ، در ديگر مزن
- آنكه برخوان كريمان كرد پشت   از لئيمان بشنود حرف درشت

سليمان عليه السلام نملة تجر ساق جرادة ، وقد تحملت العبء الكبير لكي تسحبها إلى جحرها ، فسألها لماذا تتحمل المشاق والمتاعب وفى إمكانها أن تذهب إلى موائد كرمه المنصوبة على الدوام فتأكل منها متى تشاء ، ولكن النملة التى جبلت على السعى والعمل والكد وعدم الارتكان إلى الكسل ، رفضت دعوة سليمان عليه السلام ، وآثرت الاعتماد على نفسها في الحصول على الرزق ، ومما جاء فى هذا الحوار الممتع بين سليمان والنملة ؛ ماترجمته :

سعى وعمل

- فى طريقه إلى الباب ، رأى سليمان نملة ، تجاهد فى جر ساق جرادة .
- وقد أجهدت نفسها فى جرها من كل صوب ، وقد انحنى ظهرها وألم بها التعب من هذا الحمل الثقيل.
- وكانت تخرج عن الطريق أمام كل ذرة غبار ، كما تتطاير كقشة تبن أمام أى هبة ريح.
- وهكذا احتواها طريق السعى والعمل ، حتى فرغت من الجميع ، عدا نفسها
٥- لم يعد لها القدرة على السير ومواصلة العمل ، كما لم تخالجها الرغبة فى التخلى عن العمل .
- فقال لها بحدة أيتها المسكينة الجاهلة ، لماذا بعدت عن ملك سليمان ؟
- إن لدى فى قصر العدل ، موائد عديدة ، وما أكثر الضيوف الملتفين حول كل مائدة.
- فهيا ، من هذا الطريق ، وتوجهى إلى قصر الملك ، وكلى على موائدنا كل ماتبغين .
- وتعلمى منا السعادة والراحة ، وكونى مثلنا سعيدة صباح مساء.
١٠- ولماذا تتحملين هذه الآلام والمتاعب ، و أن يكون عمرك كله تعب وكد ؟
- إن هذا طريق يعبره الخلق ، فليجنبك الله أن تطأك الأقدام !
- فلا تجرى عبثا هذا الحمل الثقيل ، ولاتزهقى روحك من أجل الجسد.
- قالت : لتقلل الحديث عن الولائم مع النمل ، لأن القناعة أفضل من الولائم لدى النمل.
- فإذا كانت النمال ملوكا فى جحورها ، فهى لاتتطلع إلى نوال من الملك.

١٥- فاذهب الى مكان يتواجد فيه المحتاجون ، إذ أننا لسنا في حاجة إلى سليمان.

- وإذا كنا نحن فى انفسنا خادما ومخدوما ، فلن نكون محكومين تحت ربقة أى شخص.

- وراحتنا ماثلة في هذا الكد والتعب ، لذا فلن أتخلى عن ساق الجرادة هذه ولو بألف كنز .

* * *

- إن كنت تبغي التوفيق دائما ، فتعلم الصبر من النمل.

- وكن عاقلا وبعيدا وقت التدبير ، ولاتؤخر عمل اليوم الى الغد.

٢٠- واجتهد فى ربيع حياتك ، حتى يكون شبابك زينة مشيبك (١)

---

(١) ديوان پروين اعتصامی ، چاپ پنجم تهران ١٩٦٢م ص ١٦٠ - ١٦١

سعی وعمل

براهی در ، سلیمان دید موری — که با پای ملخ میکرد زوری
بزحمت ، خویش را هرسو کشیدی — وز آن بار گران ، هر دم خمیدی
ز هر گردی ، برون افتادی از راه — زهر بادی ، پریدی چون پر کاه
چنان بگرفته راه سعی در پیش — که فارغ گشته از هرکس ، جز از خویش
٥ - نه اش پروای از پای افتادن — نه اش سود ای کار زدست دادن
بتندی گفت کای مسکین نادان — چرائی فارغ از ملك سلیمان
مرا در بارگاه عدل ، خوانها ست — بهر خوان سعادت ، میهما نهاست
بیازین ره ، بقصر پادشاهی — بخور در سفرهٔ ما ، هر چه خواهی
ز ما ، هم عشرت آموز وهم آرام — چوما ، هم صبح خو شدل باش وهم شام
١٠- چرا باید چنین خونا به خوردن — تمام عمر خود را بار بردن
رهست اینجا ومردم رهگذارند — مبادا بر سرت پائی گذ ارند
مکش بیهوده این بار گران را — میازار از برای جسم ، جان را
بگفت از سور ، کمتر گوی بامور — که موران را ، قناعت خوشتر از سور
چو اندر لانهٔ خود پاد شاهند — نوال پادشاهان را نخواهند
١٥- برو جائیکه جایی چاره سازیست — که ما را از سلیمان ، بی نیازیست
چوما ، خود خادم خویشیم ومخدوم — بحکم کس نمیگردیم محکوم
مرا امید راحتهاست زین رنج — من این پای ملخ ندهم بصد گنج

* * *

گرت همواره باید کا مکاری — زمور آموز رسم بردباری
گه تدبیر ، عاقل باش وبینا — ره امروز را مسپار فردا
٢٠ - بکوش اندر بهار زندگانی — که شد پیرایهٔ پیری ، جوانی

وهكذا وافقت هذه الدعوات الإصلاحية ، وضرورة بذل الجهد والعرق من أجل العمل الدءوب الذى يرفع من شأن الإنسان والمجتمع ، ما نادى به الإسلام وحث عليه ، حتى ارتبط الإيمان فى الإسلام بالعمل الصالح ، سواء أكان هذا لصالح الأمة الإسلامية ، أو لصالح الفرد نفسه ، وما أحوجنا نحن المسلمين الآن للعمل بهذه الأوامر الإلهية وبدعوات المصلحين حتي يستعيد المسلمون تقدمهم وازدهارهم واعتمادهم على أنفسهم ، دون حاجة إلى مساعدات من هنا وهناك ، تكون فى الغالب الأعم على حساب حريتهم وعقيدتهم .

* * *

ومادمنا نتحدث عن العمل ، فيجب أن نتبعه بالحديث عن العلم ومكانته فى الأمة الإسلامية ومكانة المعلم فى الأخذ بيد أمته نحو طريق التقدم والصلاح ، وما دا مت هذه رسالة المعلم ، فإن الإسلام قد كرمه ورفع من شأنه حيث أنه مطالب بأن يبلغ بعد الرسل رسالة الله عز وجل إلى خلقه ويشرحها لهم ، ويعاونهم على فهمها والعمل بما جاء فيها من عقائد وعبادات وأحكام ، ومن الذين تحدثوا عن هذه الرابطة بين المعلم ورسالة الأنبياء الشاعر صادق سرمد[1] ، فقد قال :

- ان كنت لاتدرك قدر المعلم ، فإن قدره ليس خافيا عنى.
- فلتسل المتعلم عن قدر المعلم ، فلن يوفيه أحد حقه مثلى.
- فلتسمع منى ، إن بناء هذا العالم ، لايمكن أن يستقيم بدون العلم والمعلم .
- إن العرش الإلهى هو كرسى التعليم ، لذا فلن يصل إنسان قط إلى رتبة

---

(١) صادق سرمد : شاعر ايرانى كبير نظم الشعر منذ الحادية عشرة من عمره ، كان قادرا على النظم فى كل الفنون والأغراض ، من منظوماته : خورشيد ، وآئينه فلك ، وپائيز كبود ، ومهتاب وشهاب ، وبدر طالع ، نشر العديد من اشعاره بجرائد الحبل المتين وشفق وناهيد وارمغان وغيرها.

ولد عام ١٢٨٦ ش (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) بطهران وقد أنهى دراسته للحقوق ؛ فكان من الشخصيات القضائية البارزة فى ايران وتولى رئاسة العديد من المؤسسات القضائية. كما اشتغل بالسياسة والأدب وكل النشاطات الفكرية والعلوم الاجتماعية ، وقد اهتم بالعلم والمعلمين، لذا نظم ثلاثة قصائد يوضح فيها مكانة العلم والمعلمين. منها هذه القصيدة التى نستشهد ببعض أبياتها :

(تذكرة شعراى معاصر جـ ١. ص : ٢٢٤ - ٢٢٥).

العالم

٥- لقد كان نبى الإسلام معلما ، إذ لايمكن أن يكون رسولا من لم يكن معلما

* * *

– ولكن لتحذر أن تكون معلما مغرورا ، وإلا فلن تحظى بالنعم على مائدة الدين
– ما الدين ؟ إنه السير إلى جانب الحق ، وما الحق ؟ إنه عدم توهم الباطل
– وما الحق كذلك إلا السير فى مصلحة الخلق ، وما الباطل؟ مالا يكون نفعه دائما !
– إن الحق متكئ على قوة الإيمان ، حيث لاتقاومه أى قوه
– إذا سار المارق مهما كان علمه صوب البحر المتلاطم؛ فلن يستطيع أن ينقذ السفينة ![1]

وإذا كان الشاعر سرمد قد حذر من تكبر العلماء وتعاليهم ، فإن ملك الشعراء محمد تقى بهار قد حذر من شرب الخمر ، وممن يحتسونها ، لأن فيها هلاك من يتجرعونها ، وكذا غضب الله عليهم لإقبالهم على محرم ، حيث قال :

– كم تتملكنى الدهشة من هذه الخمر ، وممن يقبلون عليها ويحتسونها
– إن الخمر تسلب الجسم القوة والعقل ، وما أكثر الأضرار الكامنة فى الخمر
– إنها تبدو فى البداية عروسا جميلة ، ولكنها فى النهاية عجوز شمطاء

---

(١) النص الفارسى هو :

گر برتو فاش قدر معلم نيست   پوشيده بر من متعلم نيست
قدر معلم از متعلم پرس   كاينسان بحق چو من متكلم نيست
بشنوز من كه قائمهء عالم   بى علم وبى معلم قائم نيست
عرش خداى كرسى تعليم است   يعنى كسى برتبهء عالم نيست
٥ – ز ان شد نبى نبى كه معلم شد   هر گز نبى نشد كه معلم نيست

* * *

هان تا بعلم خود نشود مغرور   آنكو ز خوان دينى متنعم نيست
دين چيست ؟ ره بجانب حق بردن   حق نيز ، باطل متوهم نيست
حق چيست ؟ آنچه مصلحت خلقست   باطل چه ؟ آنچه نفعش دائم نيست
حق متكى به قوهء ايمان است   آنجا كه هيچ قوه مقاوم نيست
بى دين اگر به علم شود دريا   منجى كشتى متلاطم نيست

[خلخالى : تذكرهء شعراى معاصر ، جـ ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١].

- إن الله الذى خلق الخلق للخير ، لم يخلق ماهو أسوأ من الخمر
- ما أكثر القامات السروية التي حطمتها ، وما أكثر الأرواح الغالية التي وقعت فى حبائلها

وما أكثر العظماء الذين احتسوا الخمر
فأذلتهم فى الدنيا ، وقضت عليهم ![(١)]

* * *

هذه بعض الإشارات السريعة لما تناوله الشعراء من أفكار منبثقة من تعاليم الإسلام ، وحثه المسلمين على فعل الخير ، وسلوك الطريق المستقيم حتي يضمنوا التوفيق والسداد ، وكذلك تحذيرهم من ارتكاب المعاصى والآثام . وهذه الدعوات الإصلاحية قد وجدت فى كل عصر وفى كل مكان ، مع اختلاف المعالجات وفقا لطبيعة كل عصر.

* * *

٥- بث الشكوى من حال المسلمين فى العصر الحاضر

ولكن مما يلفت النظر فى العصر الحديث ، حديث الشكوى مما وصل إليه حال المسلمين من تخلف وتدهور ، أدى إلى غلبة قوى الاستعمار عليهم لذا حاول المصلحون من ذوى الفكر والآدب تنبيه القلوب والعقول لما آل إليه حال المسلمين ، وكيف أنهم شاركوا فى هذا التخلف ببعدهم عن تعاليم الإسلام السمحة . ومن هؤلاء المصلحين ، بل ويأتى على رأسهم الثائر جمال الدين الأفغانى ، الذى قضى حياته كلها متنقلا بين

---

(١) ديوان بهار ، جـ ١ ، ص ٣٢٦

در ذم مـــــى

خودرا عجب آيد از اين نبيد — وز آنكو بـه نبيدش دل آرميـد
مى از تن زدايد توان وهوش — فراوان ضرر است اندرين نبيد
در آغاز ، عروسى بودنكـــو — بفر جام ، عجوزى شود بليـــد
خدائى كه بخير آفريد خـــلق — شر انگيز تر ازمى نيا فريـــد
بسا سرو بلندا كه كردپست — بساجان گرامى كـه بشكريـد

بسامرد شريفا كه مى بخورد
پليدى بجهان در پرا كنيـــد

بلدان العالم الإسلامى محاولا إيقاظ الوعي الإسلامي والحس الوطنى ، وقد بدأ هذه الدعوة منذ شبابه وحتى مماته ، وكتب العديد من الرسائل إلى كل المسئولين وإلى كل الجميعات والوطنيين حتي يهبوا دفاعا عن إسلامهم وأوطانهم ، وذلك بعد أن وضح أن ما أصاب المسلمين من ضعف سببه المسلمون أنفسهم ، وقد وضح موقفه هذا منذ إقامته المبكرة بالهند وقبل أن يتوجه إلى العالم العربى وإلى الاستانة حيث مقر الخلافة الإسلامية الممثلة فى الدولة العثمانية ، فقد كتب إحدى المقالات والتى ضمنها رسالته الشهيرة "رسالة نيجريه " والتى ترجمها فيما بعد الشيخ محمد عبده تحت عنوان "الرد على الدهريين" ، هذه المقالة عنوانها "لماذا ضعف الإسلام" وقد بدأها بالآيتين الكريمتين :

" إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " سورة الرعد : آية : ١١

" ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " الأنفال : ٥٣

ثم أتبعهما بقوله :

هذه آيات القرآن الكريم ، والكتاب الحكيم ، والهادى إلى الصراط المستقيم والداعى إلى الدين الحنيف ، لايمكن أن يشك فيه إلا الشياطين الضالون، والزنادقة المخرفون ، فقد نزل القرآن من السماء على أفضل الرسل كى يهدى الخلق وينقذهم من وادى الضلالة ..

ان الله اصدق الصادقين ، وهو صادق الوعد ، ورسله وأنبياؤه معصومون ، ولايكذبون ، ولايفترون وهم يدعون الخلق إلى الهداية .. وهو الحكيم المطلق الذى لايقضى أمرا إلا لحكمة ، وهو يفى بوعده ووعيده ولايغير سننه، وكلامه لايقبل التبديل؛ إذ «لامبدل لكلماته» [١] وهل جاءت الأيات المحكمات بلغة اخرى لانستطيع فهمها ؟ وهل كان الله عز وجل يتحدث بالرمز ؟ وهل منع اقتداء الناس بالقرآن ؟ أو أننا لم نستطع فهم الاشارات والآيات ؟ أو أنها جاءت بلسان غريب وعجيب لايستطيع فهمه غير الرسول ؟ استغفر الله ، فإن القرآن كتاب الله قد أرسل هاديا ومرشدا ، وجاء

---

(١) الأنعام : ٣٤.

بلسان عربى فصيح مبينا للخلق مايجب فعله ، ذاكرا مايلزمهم فى المعاد والمعاش ، وهو شفاء لداء الضلال وعلاج لمرضى الجهالة ، فهو هدى وشفاء لما فى الصدور ، إنه ليس لغة طير ، ولم يقل رمزا وتلميحات فى محكم آياته ، بل جاء واضحا صريحا وبلغة يستطيع أن ينطقها كل من يعرف العربية ، إنه مرشد دائم ونموذج أدبى قائم حتى يوم القيامة، ومبدد لكل اشتباه فلا يقترب الباطل منه ابدا ، ولايلحق الخلل به من أى زاوية، «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه» [١] وقد وعدنا الله تعالى نحن المسلمين عدة وعود فى القرآن الكريم ، وبشرنا ببشارات عديدة ومنحنا الرفعة والسيادة ، وبناء على هذا يجب أن يعلو الإسلام سائر الأديان ومذاهب العالم ، والمسلمون هم زبدة بنى آدم وسادة أهل العالم ، مصداقا لقوله تعالى : "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .." [٢] وقال: فى موضع آخر : " وكان حقا علينا نصر المؤمنين .." [٣] يعنى أن الله سبحانه وتعالى فرض على نفسه أن يساعد المسلمين والمؤمنين حتى يحققوا الغلبة والظفر على سائر الأقوام . وقال فى موضع آخر : "ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا " [٤] يعنى أن الله سينصر دين الإسلام الحنيف على سائر الأديان والمذاهب حتى يظهره عليها جميعا ، وهو شاهد على هذا العهد ، وهناك العديد من الآيات والأحاديث التى لاتعد ولاتحصى في هذا الأمر ومنها " الإسلام يعلو ولايعلى عليه .. "

حقا إن الله قد وعد وعدا صريحا فى هذه الآيات المحكمات وذلك بالنصر والظفر والعزة وعلو الكلمة ، وذلك بقسم لايقبل التأويل ، ولايمكن لأى مسلم مؤمن أن ينكر ذلك ، إلا ذلك الذى ينحرف عن الصراط المستقيم ، فيحرّف كلام الله .. [٥]

---

(١) فصلت : ٤٢.

(٢) المنافقون : ٨.

(٣) الروم : ٤٧.

(٤) الفتح : ٢٨.

(٥) سيد جمال الدين أسد آبادى (الأفغانى) رسالهء نيچريه ، ص ١٦٤ - ١٧٠ وهذا هو النص الفارسى :

چرا اسلام ضعيف شد؟

إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

- اين آيات قرآن كريم است وكتاب حكيم وهادى بصراط مستقيم ومنادى دين حنيف. شك نميكنند در اوجز گمراهان ديوانه وزنديقان از خرد بيگانه. قرآن كتاب منزل از آسمانست بر=

هذه ترجمة كاملة لجزء من هذا المقال ، وقد تحدث فيه جمال الدين عما وعد الله عز وجل بنصرة الإسلام والمسلمين ، ولكن متى يتم تحقيق هذا الوعد ؟

يتم الوعد عندما يعمل المسلمون على حماية دينهم ، والحفاظ عليه ضد أى معتد، وقد ظهر هذا فى بداية عهد الدولة الإسلامية ، فمع قلة عددها وضعف جندها وضآلة عتادها ، فقد رفع الله من قدرها ، وأوصلهم إلى أرقى درجات العظمة ، وثبت أقدامهم على قلل الجبال الشامخة ، كما زلزل الجبال الراسيات تحت أقدامهم ، وكانت قلوب الأعداء ترتجف منهم خوفا وهلعا، وذلك لأنهم كانوا مع الله ، فكان الله معهم ،

= بهترين پيغمبر ان تا خلق را هدايت كند ، واز وادى ضلالت نجات بخشد. خداوند راستگو ترين را ستگويان است. در وعدهٴ خود صادق است رسولان وپيغمبر انش هم معصومند دروغ نگويند ، افترا نزنند ، وخلق را بهدايت دعوت كنند... حكيم مطلق جز بحكمت كار نكند وبوعد ووعيد وفانمايد ، سننش تغيير نكند ، وكلماتش تبديل نپذرد. «لامبدل لكلماته» آيا ايات محكمات بزبان ديگراست كه ما نبايد بفهميم ، آيا خداوند برمز صبحت كرده ، وخلق را از هدايت بقرآن منع فرموده أيا اشارات وكتاباتى است كه ما ادراك نميكنيم ، أيا زبانى عجيب وغريب است كه جز پيغمبر كسى نميفهمد - استغفر الله - قرآن كتاب خداست كه براى هدايت وراهنمائى فرستاده وبزبان عربى ساده بيان فرموده آنچه خلق را بكار آيد ودر معاد ومعاش لازم باشد در او ذكر نموده وشفاى درد گمراهى است ودرمان مرضى نادانى كه (هدى وشفاء لما فى الصدور) زبان مرغان نيست ، رمز واشاره در محكمات آياتش نگفته. واضح وصريح بزبانيكه هر عربى دانى ملتفت شود نطق فرموده ، يكمر شد دائمى وراهنماى أدبى است كه تا روز قيامت بر قرار است ورافع اشتباه - هرگز باطل باو تزديك نشود واز هيچ سو خلل بدو راه نيابد - لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - خداوند متعال در كتاب مجيد خود ما مسلمانان را وعده ها فرموده نويدها داده مژده بزرگى وسيادت داده كه بر حسب آنها بايستى اسلام بر ساير اديان ومذاهب عالم برترى داشته مسلمانان زبده بنى آدم وسروران اهل عالم شوند چنانكه ميفر مايد - ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .... در جاى ديگر ميفرمايد - وكان فرضا علينا نصر المؤمنين - يعنى برخداوند لازم وواجب است كه مسلمانان ومؤمنان را يارى وكمك كند برساير مردم غلبه وظفر بخشد. نيز جاى ديگر فرموده - ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا - يعنى خداوند بايد دين حنيف اسلام را برتمام دينها ومذاهب عليه دهد تا انان را سراسر فروگيرد وخودش در اين عهد يكه كرده شاهد كافى است از اين قبيل آيات بسيار است واحاديث نيز در اين خصوص بيشمار كه منجمله است - الاسلام يعلو ولايعلى عليه - . بلى در اين آيات محكمات خد اوند بما صريحا وعده نصرت وظفرت وعزت وعلو كلمه داده است بقسمى كه ابدا قابل تأويل نيست وهيچ مسلمان ديندارى نميتواند أنكار آنرابنمايد مگر آنكس كه از صراط المستقيم شريعت منحرف گشته كلمات الهى را تحريف نمايد.

فقد قال الله فى محكم تنزيله " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " [١] ولهذا لم تقف أمامهم أبراج المجوس ولاحصون الرومان ، وحيثما توجهوا دانت لهم الجيوش.

ولكن هذا الأمر العظيم تبدد ، وأصاب الوهن والضعف هذه الأمة ، وذلك بأن نقضوا عهدهم مع الله عز وجل ، ولهذا فإننا إن نقارن حال المسلمين الآن بحالهم في الماضى ، فسنجد العالم الإسلامى الآن منهوب الخيرات منهوك القوى ، مسلوب الإرادة ، واحتل الأجانب غير المسلمين ديارهم وأراضيهم ، حيث سيطرت انجلترا على الهند ومصر والسودان وغيرها ، كما احتلت فرنسا مراكش وتونس والجزائر ، واستولى الروس على التركستان الغربية وما وراء النهر والقوقاز ، كما احتلت الصين تركستان الشرقية .

ومحور الحديث أن المسلمين قد بعدوا عن الله وعن دينه الحق ، فجزاهم الله شر الجزاء ، وتخلى عن نصرتهم ، فإن عادوا إلى جادة الإيمان ونصرة دين الحق ، حقق الله وعده ، ونصر الإسلام والمسلمين وأعادهم سادة العالم وحكامه !

* * *

وقد شارك الشاعر الإيرانى الثائر فرخى اليزدى [٢] ، جمال الدين الأفغانى فى بثه الشكوى لما آل إليه حال الإسلام والمسلمين ، حيث ربط فرخى بين ما أصاب إيران من ضعف ووهن نتيجة تقاعس أبنائها ، وبين ما أصاب الإسلام والوطن الإسلامي كله من تخلف وتقهقر نتيجة أيضا لانعدام الحمية لدى المسلمين الذين لم يهبوا دفاعا عن دينهم وأوطانهم ، فقد نظم فرخى مربعاً بعنوان " إيران - اسلام " ومما قاله : ماترجمته :

---

(١) سورة محمد ، آية : ٤٧ .

(٢) فرخى اليزدى : شاعر الوطنية الأول فى ايران خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وقد واصل هجومه على حكام الدولة القاجارية التى حكمت ايران قبل عصر رضا شاه البهلوى ، لدرجة أن حاكم يزد من قبل القاجاريين اعتقله وخاط فمه، ومع هذا لم يكف عن مواصلة كفاحه الوطنى ضد الملوك الضعاف الخائنين ، وضد القوى الاستعمارية ، وعندما تولى رضا شاه لم يتوقف فرخى عن التعرض له كلما حاد عن العدل والحق ، وقد انتهى امره بالموت غيلة فى السجن وذلك عام١٩٤١م.

إيران – الإسلام

– أيها الإيرانى المحب لوطنه المؤمن بالإسلام
أين الهمة ؟ فقد ضاع الوطن كما ضاع الإسلام !
– لقد انتكس علم إيران بفعل الأعداء الحاقدين
كما أدمى جور الظالمين قلب الرسول (عليه السلام)
وألم الحـزن بالخلفـاء جـمـيـعـا ، لتـفـشى الكفـر
كما لايمكن وصف حال حيدر ، وما ألم به لسطوة الكفر
– أحيانا ترتفع الآهات والصيحات والثورات
ضد كل خائن يتاجر بالإسلام
– وكم ثارت غيرة الشعوب الإسلامية مدوية
وكانوا فى ثوراتهم متحدين متعاضدين
وجاهدوا فى التصدى للأجانب حفاظاً على القرآن
فإما أن يوفقوا ، وإما بأرواحهم مضحون
– وكى لايتحول المسجد اليوم الى كنيسة
وحتى لايصبح الوطن فى الغد مستوطنة للنصارى
– وكى لايكون الوطن لعاقدى الزنار وقاطنى الأديرة
لابد من انتفاضة إسلامية ، وان لم يحدث ذلك
فستعانى إيران المظالم ، ويصبح الإسلام غريبا
وسيصيب الدمار كليهما أمام جور أهل الصليب
– ما أجمل ذلك اليوم الذى كان للإسلام مناضلوه
وكان لهم قائد وزعيم هو الرسول محمد
– وكان له صدق الصدّيق وفدائية الفاروق
وسماحة عثمان وشجاعة الحيدر
وأشرق وجه الإسلام بأمثال حمزة
كما اشتد عود الإسلام بمدد جعفر
– ليت الإسلام يحظى اليوم بالعديد من المناضلين
أمثال أبى ذر وسليمان

- وبأمثال الزبير أشجع الشجعان
الذين ضحوا بأهوائهم تحت النصال
إذ لعل محاربوا أحد وبدر فى سبات
حيث لم يسارعوا لنصرتنا فى هذه الأيام
- ولكن لن يصب الإسلام ما أصاب سالف الأمم من اندثار
إذا مادام سيف الإسلام موجودا ، فقد حان وقت العمل
- واين سعد بن معاذ ابن معاذ بن جبل
فقد كا ن محاربا صلدا لا شبيه له ولابدل
كى يصون الإيمان والإسلام من حملات الكفار
ويحفظ القرآن من جبروت أهل الإنجيل (١)

---

(١) فرخى اليزدى : الديوان ، الطبعة الخامسة ١٣٤١ س تهران ص : ١٥١ - ١٥٣

ايران - اسلام

ای وطن پرور ایرانی اسلام پرست — همتی ز آنکه وطن رفت چو اسلام زدست
بیرق ایران از خصم جفاجو شده پست — دل پیغمبر را ظلم ستمکاران خست
خلفا را همه دل غرقه بخو نست ز کفر
حال حیدر نتو ان گفت که چو نست زکفر
گاه آنست که زین ولوله وجوش وخروش — که بپا گشته زهر خائن اسلام فروش
غیرت توده اسلام در آید در جوش — همگی متحد ومتفق ودوش بدوش
حفظ قرآن را بر دفع اجانب تازند
یا موفق شده یا جان گرامی بازند
مسجد ار باید امروز کلیسا نشود — یا وطن فردا منزلگه ترسا نشود
سبحه زنان وحرم دیر بجبرا نشود — شور اسلامی بایست ، ولی تا نشود
بود ایران ستم دیده چو اسلام غریب
وین دو معدوم ز جور وستم أهل صلیب
حبذا روزی کاسلام طرفداری داشت — چون رسول مدنی (ص) سیدوسالار داشت
صدق صدیقی وفاروق فدا کاری داشت — عمر وزن مرحب کش حیدر کراری داشت
روی حق جلوه گراز حمزهٔ نام آور بود
پشت اسلام قوی از مدد جعفر بود
داشت امروز گر اسلام نگهبانی چند — یا مسلمانی چند بوذر وسلمانی چند =

٦- الدعوة إلى الاتحاد الإسلامي :

لعل الحديث عن ضعف المسلمين والبكاء على مجدهم الماضي ، والشكوى مما ألم بهم خلال العصر الحديث من تدهور وتخلف ، لعل هذا الحديث كان الدافع لدى جمال الدين الأفغاني وغيره من ذوي الرأي والمشورة من السياسيين والأدباء لكي ينادوا بفكرة " الاتحاد الإسلامي " كي يكون السلاح الذي يمكن الدول الإسلامية من التآخي والترابط أملا في التصدي لمحاولات الغرب المسيحي والصهيونية العالمية ، وحتى يستعيد العالم الإسلامي مجده وعظمته . ومن الشعراء الذين أكثروا من الحديث عن الدعوة "إلى الاتحاذ الإسلامي " شاعر إيران الكبير محمد تقي بهار ، ولكثرة مانظم فإننا سنورد بعض أبيات من قصيدتين له تحدث فيهما عن هذا الاتحاد الإسلامي المنشود ، وبيان فائدته المرجوة ، أما العمل الأول فهو ترجيع بند بعنوان "اتحاد اسلام " وقد نظمه في خراسان عام ١٢٨٧ هـ.ش (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م)، محاولا أن يحرض ايران والإيرانيين على نبذ الاختلافات المذهبية ، وتشجيعهم على الاتفاق والاتحاد مع دول العالم الإسلامي ، وكذلك محاولة التعفف عن الثنائية والنفاق أملا في أمة إسلامية موحدة قوية ، ومما قاله ماترجمته :

- ما أكثر تساؤلك لمَ أصيبت الهند وأفغانستان وخوارزم وايران بالخراب والدمار

- ما أكثر تساؤلك ، لم استولى الدب المهيب على عرين الأسد ؟

- وما أكثر تساؤلك، لم عجزت سواعد الأبطال عن العمل وقت الحاجة إليها ؟

- وما أكثر تساؤلك ، لم أصبحنا أسرى ؟ ولماذا حريتنا مكبلة ؟

ولكن ، الآن وجبت الثورة والتعاون والتآخي

فاليوم يوم الاتفاق والاتحاد !

= يا كه ما نند زبير اشجع شجعانی چند　　　کی شدی پآمال از دست غرض رانی چند

غازيان احد وبدر مگر در خوابند

کی بدنیا ز پی نصرت ما نشتا بند

هرگز اسلام نبد خوار چنین پیش ملل　　　سیف الله اگر داشت کنون حسن عمل

شد کجا سعد معاذ ابن معاذ ابن جبل　　　کو " ضرار " آن یل نام آور بی شبه وبدل

تا مصون دارد از جملهء کفر ، ایمان را

ز اهل انجیل بجار حفظ کند قرآنرا

- الهند وتركيا ومصر وايران ، تونس وفاس والقوقاز وأفغانستان
- كلها مختلفة فى الهوية متفقة فى الدين ، مختلفة فى الأجساد ، متفقه فى الأرواح
- جميعهم اتباع دين أحمد ، كلهم تابعون للنص القرآنى
- وان يبك مسلم فى طنجة ، سرعان مايتألم المؤمن فى بدخشان

حقا هذا هو طريق العباد
واليوم يوم الاتفاق والاتحاد ! (١)

* * *

أما النص الثانى فهو عبارة عن مثنوى سبق وأن نظمه بهار عام ١٢٨٦ ش (١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦م)، أى قبل النص السابق بعام . وكان نظمه أيضا وهو فى خراسان عندما اشتعلت ثورة الشعب فى إيران للمطالبة بحياة دستورية ، وقد انضم بهار إلى المطالبين بالحياة النيابية ، وقد حاول فى هذا المثنوى تقديم النصح للشاه القاجارى كى يحقق أمانى الشعب وألا ينساق وراء استبداده وجبروته ، ويظن أن اعتماده على القوى الأجنبية الممثلة فى كل من انجلترا وروسيا سيحميه من غضب الشعب ، كما حاول أن ينبه الشاه إلى أن الود والسلام مع الدولة العثمانية أفضل من

---

(١) ملك الشعراء بهار : الديوان ، جـ ١ ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ، والنص الفارسى هو :

چند گوئى چرا مانده ويران   هند وافغان وخوارزم وايران
چند گوئى چرا جسته مأوا   خرس پتياره برجاى شيران
چند گوئى چرا روز حاجت   مانده از كار ، دست دليران
چند گوئى چراما اسيريم   زانكه آزادى ما اسيران

جنبش ودوستى و وداد است
روز يكر نگى واتحاد است

هند وتركيه ومصر وايران   تونس وفاس وقفقاز وافغان
در هويت دو ، اما بدين ، يك   مختلف ، تن ولى متحد ، جان
جملگى پيرو دين احمد   جملگى تابع نص قرآن
مسلمى گر بگريد به طنجه   مؤمنى نا لد اندر بدخشان

آرى اين راه ورسم عباد است
روز يكر نگى واتحاد است

التبعية للمستعمر الأجنبى الذى يحاول تعميق الخلاف بين إيران والخلافة العثمانية بحجة الاختلاف المذهبى بينهما ، وقد ركز بهار فى تحذيره هذا على المطالبة بالاتحاد الإسلامى ، والتعاون بين جميع الشعوب الإسلامية ضد القوى الاستعمارية ، لأن فى الاتحاد قوة ومنعة ، وهذا هو السبيل الوحيد كى تستعيد إيران وكل دول العالم الإسلامي حريتها واستقلالها وسابق مجدها، ومما قاله بهار فى هذا المثنوي الذى يصل عدد أبياته إلى المائة والأربعين بيتا ، نذكر ترجمة لعدد قليل من أبياته مركزين على تلك الأبيات التي تتحدث عن الاتحاد الإسلامى وضرورة الود والوئام بين جميع الشعوب الإسلامية وبخاصة بين إيران والدولة العثمانية ، ومايتبع ذلك من نبذ لأى عصبية مذهبية افتعلتها إيران منذ قيام الدولة الصفوية الشيعية المذهب (٩٠٥هـ) وحتي الآن !

- الأمة العثمانية ونحن أمة واحدة ، إننا نبدو جماعتين ولكن مبدأنا واحد
- ونحن وهم جماعتان نبتتا من منبت واحد ،لذا فليس بيننا وبينهم حديث عن نحن أو عن الأنا
- كنا ذات يوم طفلين صغيرين ، أرضعتنا أمنا لبن الإسلام .
- وجمعت بيننا المحبة والتعاطف ، وعقدنا العزم سويا على خدمة أمنا
٥- ولكن نتيجة للتحذلق والادعاء ، أصبحنا أذلاء مقهورين
- وأخذ كل منا يجرى وراء أهوائه ومصالحة الذاتية ، ويبذل الجهد والعرق لرواج سوقه
- وقطعنا أواصر الأخوة بيننا ، فاشتعلت نار الفتن فى عالمنا كله
- وقد ألمت بنا الحيرة والاضطراب نتيجة الجهل ، ولم ندرك حقيقة هذه المعانى
- وهكذا عندما يكون الغصن وحيدا ، سرعان مايسقط أمام عواصف الخريف
١٠- ولكن عندما تتجاور الاشجار وتتحد ، سرعان ماترتفع الأغصان كبيرها وصغيرها .
- فياليت المسلمين ، ياليت ! يرفعون من بينهم الشعور بالإثنينية
- فإن امكنهم الاحتماء بحسن الجوار والتعاون ، لأمكنهم النهوض كالأسود مرة أخرى
- فيا أتباع الدين القويم ، ويا أبناء الآباء الأقدمين

- لم التفرقة بين سنى وشيعى ؟ ولم السعى للإضرار بهذا أو بذاك ؟
١٥- جميعنا مسلمون وأتباع دين واحد ، وقد سبق أن تعلمنا جميعا فى مدرسة واحدة
- الدين واحد والمقصد واحد والمقصود واحد ، الطريق واحد والعبادة واحدة والمعبود واحد
- اليوم ، وبقوة العلم والفضل ، قد تلاشى الجهل وتبدد الظلم
- وساد العدل الدنيا وانتشر ، وتجددت أرواح أهل العقل وقلوبهم
- وأصبح الصلح عيانا ، وأختفت الحروب ، ولم يعد هناك مجال للتخلف والتقهقر ! فلم الاختلاف ؟
٢٠- اننا معا خير عون لانتشار القرآن ، وعلينا أن نفعل كل ما يليق بذلك
- إذا أن كل مايرسخ دعائم هذا الدين ، قاعدته العمل بالقرآن
- ولكنكم كم ابتعدتم عن جوهر القرآن ! وكم آذيتم روح النبى عليه السلام
- وما يفعله الصليبيون ويسعون من أجله ، هو محاولة التخلص من القرآن
- ولكن طالما كان القرآن معنا ونحافظ عليه ، فسيظل أساس الإيمان قويا فى معسكرنا
٢٥- فحينما يوجد القرآن ، يوجد الإيمان ، ولكن إن فقد أحدهما ، فقد الآخر !
- أساس حريتنا فى العصر الحديث كذلك ، قائم تماما على التمسك بالقرآن
- وما أجمل أن تنفض الأمة الإسلامية يديها من الحقد والضغينة فيما بينها
- لأن زيادة الشك وسوء النية بيننا ، هما خصم أمتنا وعدوى ديننا
- ولذا ، فلا حيلة لنا غير الاتحاد ، وهذا طريق الرشد ، ونعم الرشاد !
٣٠- هذه هي النصيحة ، فاصمت يابهار ، وابحث عن نصيحة غالية لقلبك ألا وهى

لاحيلة لنا إلا فى التأسى بالدين وكفى !
وهذه خاتمة الخير وكفى ! (١)

---

(١) ديوان بهار ، جـ ٢ ص ١٣٩ - ١٤٥.

ملت عثمانى با ما يكى است	ما دو جماعت را مبدأ يكى است
ما دو گروهيم زيك پيرهن	نيست ميانه سخن ازما ومن =

هذه دعوة من مفكر إيراني وشاعر له مكانته ، وقد أدرك أن الخلافات المذهبية التي قامت عليها الدولة الصفوية فى إيران منذ عام ٩٠٥ هـ وماتلتها من دول وحكومات

= روزی بودیم دو طفل صغیر   داد بما مادر اسلام شیر

هر دو بهم گرم دل ومهربان   خدمت مادر را بسته میان

٥ – لیك شدیم از پی پیرایه ای   هریك مقهور كف دایه ای

جمله پی مصلحت كار خویش   نیز پی گرمی بازار خویش

ما دو برادر را بر هم زدند   آتش از این فتنه بعالم زدند

اینك از آن جهل خبر گشته ایم   واز سر این معنی برگشته ایم

چونكه بتنهائی باشد نهال   میشود از باد خزان پایمال

١٠ – چونكهء تنیدند درختان بهم   شاخه كشیدند چه بیش وچه كم

ای كاش ، ای كاش اگر آسلامیان   رسم دوئی را ببرند از میان

تا كه بهمسایه دلیری كنند   بار دگر جنبش شیری كنند

ای همگی پیرو دین قویم   ای پسرانی پدران قدیم

سنی وشیعی زكه وكیستند ؟   در پی آزارهم از چیستند؟

١٥ – جمله مسلمان وزیك مذهبند   جمله سبق خواندهء یك مكتبند

دین یك ومقصدیك ومقصودیك   ره یك ومعبدیك ومعبودیك

وامروز از نیروی علم وهنر   جهل وستبداد نهان كرده سر

گیتی از عدل پر آوازه شد   جان ودل اهل خرد تازه شد

صلح عیان گشت ونهان گشت جنگ   نیست دگر هیچ مجال درنگ

٢٠ – هر دو بهم یاری قرآن كنید   آنچه سزاوار بود آن كنید

آنكه مر این دین را بنیان نهاد   قاعده كار بقرآن نهاد

معنی قرآن زمیان برده اید   جان پیمبر را آزرده اید

عیسویان كاین همه جولان كنند   از پی گمنامی قرآن كنند

تا كه بود مارا قرآن بدست   باشد مان رشتهء ایمان بدست

٢٥ – چونكه بود قرآن ، ایمان بود   این رود البته اگر آن رود

مایهء آزادی دوران ما   جمله نهفته است بقرآن ما

خوش بود ار ملت اسلام نیز   دست بشویند زكین وستیز

زانكه فزون است بداندیش ما   دشمن ملك وعدوی كیش ما

چارهء ما نیست بجز اتحاد   این ره رشد است فنعم الرشاد

٣٠- پندهمین است خموش ای بهار   جوی دل پند نیوش ای بهار

چارهء ما یا ری دین است وبس
خاتمهء الخیر همین است وبس

قد أدت الى ضعف العالم الإسلامى وتفككه وأتاحت الفرصة للصليبيين الجدد فى الغرب من إذكاء نار هذا الخلاف ، عملا بمبدأ فرق تسد ، وياليت العالم الإسلامى يدرك خطر هذه الفرقة المذهبية . إلهنا واحد ، ونبينا واحد، ودينا واحد وقرآننا واحد ! فلم الفرقة ؟ ولم التشتت ؟ ولم الانقسام ؟

* * *

وإذا كان الأدب الحديث فى أى لغة قد اتسعت دائرة فنونه ، ولم يعد يقتصر على القصيد وماشابهها من فنون الشعر ، أو المقال وما ناظره من فنون النثر التقليدية المتوارثة ، فقد استحدثت أنماط وفنون جديدة كالرواية والقصة والمسرحية وغيرها من الفنون التى أثرت الآداب الحديثة ، وعلى هذا فإننا سنشير الى بعض هذه الأنماط بصورة سريعة لأننا لن نستطيع ان نلم بكل هذه الأنماط الأدبية فى جزء من كتاب ! أملين أن يكون الأدب الإسلامى فى إيران الحديثة موضوع دراسة مستقلة فى المستقبل القريب !

٧- من الأدب المسرحى

وأول هذه الأنماط الأدبية الحديثة الوافدة إلى الساحة الأدبية الإيرانية بتأثير من الآداب الغربية ، هو الأدب المسرحى ، ومع أن الإيرانيين قد وظفوا هذا الفن فى معالجة قصصهم الأسطورية والشعبية فى المقام الأول، وبخاصة فى معالجة قصص الشاهنامة ، إلا أنه قد وجدت بعض المسرحيات المأخوذة عن القصص الديني أو عن المنظومات الأدبية الفارسية الشهيرة ، كما وجدت مسرحيات تعالج بعض المشاكل الاجتماعية أو الأنماط الأخلاقية المستمدة من أخلاقيات الإسلام وتعاليمه .

ومن المسرحيات الفارسية التي عالجت واحدة من أشهر القصص القرآنى مسرحية (يوسف وزليخا) تأليف ميرزا سليمان . وقد صدرت هذه المسرحية عن المطبعة الاتحادية فى طهران ، دون أن يحدد مؤلها أو ناشرها تاريخ صدورها ، وقد أثرت الحديث بصورة مقتضبة عن هذه المسرحية لأن أدباء الفرس فى العصر الحديث وبخاصة فى الربع الأول من القرن العشرين الميلادى قد حرصوا على محاولة النهوض بأدبهم معتمدين فى ذلك على محاكاة الأدباء المرموقين في العصور الأدبية السابقة ،

وهذه الفترة تعرف فى تاريخ الأدب الفارسى بفترة اليقظة والإحياء.

ولما كانت قصة يوسف وزليخا من أعظم القصص التى تبارى الشعراء والكتاب الفرس عبر العصور المختلفة فى نظمها وسردها وعلى رأسهم الفردوسى والجامى كما سبق أن تحدثنا عن ذلك ، فإن أدباء الفارسية فى العصر الحديث تمشيا مع سياسة عصر اليقظة والإحياء قد أقبلوا على هذه القصة نظما ونثرا . وحاول الكثيرون منهم تقليد الأقدمين فيما كتبوا ، كما حاول البعض الآخر إعادة صياغتها فى قالب أدبى جديد ، ومنهم ميرزا سليمان الذى قدمها لنا فى صورة عمل مسرحى ، وبما يستلزمه هذا الفن المسرحى من إعادة الصياغة لأحداثها !

وقد جاءت المسرحية في خمس وتسعين صفحة ، أما عدد ممثليها فقد تجا وز الأربعين ممثلا موزعين بين الأبطال الأساسيين وأهمهم يوسف ويعقوب وزليخا ووصيفتها والعزيز ، أما الممثلون المساعدون فمنهم أخوة يوسف وابناه وساقى الملك وخبازه والخدم والجوارى والمغنيات والراقصات والعازفات وبعض الوزراء والمنجمين وكذلك عمال السجن وحراسه ، إلى غير ذلك من الممثلين الذين يحتاجهم البناء المسرحى .

وقد قسم المؤلف المسرحية إلى خمسة فصول أساسية ، تضم أربعة وعشرين مجلسا ، وكانت خشبة المسرح تتغير فى كل فصل من فصول المسرحية الخمسة ، وأحيانا كانت تتغير من مجلس إلى مجلس داخل الفصل الواحد مما يقضى على الرتابة ويجدد النشاط لدى المتفرج ، فقد جرت أحداث الفصل الأول فى ارض كنعان حيث الصحراء والرعى والبئر وغيرها من المناطق التى تتفق وطبيعة الوهاد والصحارى، أما الفصل الثاني فقد انتقل بنا المخرج الى قصر زليخا بما فيه من مظاهر أبهة متمثلة فى فرش وثير وخدم وجوار وحفلات غناء وعزف موسيقى ، مما يثرى العمل المسرحى بالحركة والنشاط والحيوية .

وفى الفصل الثالث يصور المخرج أرض مصر وبخاصة منزل العزيز وما به من ثراء ونعيم ، وكذلك سوق العبيد حيث عُرض يوسف للبيع وكذلك كثرة الحدائق والقصور التى كانت تنعم بها مصر فى ذلك الوقت ، وماكان يقام فيها من حفلات وولائم تقدم فيها أشهى الأطعمة وأعذب الألحان.

وفى الفصل الرابع يتغير المسرح ، وإذا به وقد فقد المناظر الخلابة والأبهة التى

ميزت الفصلين السابقين ، وينقلب المسرح الي صورة مقبضة ، صورة السجن الذى زج بيوسف فيه .

وأخيرا يأتى الفصل الخامس ، وقد التأم شمل أسرة يعقوب بعد أن جاء الأخوة إلى مصر طلبا للعون ، وقد أكرم يوسف وفادتهم بعد أن أعطاهم درسا قاسياً فيما فعلوه معه .

وبعد أن التأم شمل يعقوب ويوسف وباقى الأخوة تنتهى المسرحية بفاصل غنائى تقدمه سارة ابنة آشر أخى يوسف ، وقد لخصت فى هذا الفصل قصة يوسف منذ البداية حتي النهاية ، وكان المولف أراد أن يلخص أحداث المسرحية كلها فى هذا الفاصل الغنائى قبل أن تسدل الستار وتنتهى المسرحية .

وهكذا كانت خشبة المسرح تتبدل وتتغير مناظرها حسب المضمون العام لكل مجلس ولكل فصل .

ومادامت المسرحية قد شملت جانبا غنائيا ، فقد قدم المخرج أكثر من لوحة غنائية إما فى صورة غناء فردى أمام زليخا ، وإما فى صورة تابلوه جماعى .

أما الحوار الذى يعد الركن الأساسى للمسرحية ، فقد كان متوافقا مع أحداث كل فصل وكل مجلس ، وكان الحوار إلى جانب كونه نثريا ، فقد كانت بعض اجزائه تاتى شعرا ، كما جاء على لسان زليخا ويوسف وهى تعرض عليه حبها ويجيبها بالرفض والامتناع عن الانسياق لشهواتها ، ومن بين ما قالاه نظما وهو يذكرها بأنها زوجة عزيز مصر ، وأن زوجها يستطيع أن يوفر لها كل اسباب الراحة والرفاهية ، أما هو فليس إلا عبدا ذليلاً ؛ مايلى :

زليخا : إنه عزيــز مملكة مصــر — أما أنت فعزيز مملكة القلب
جميــع العشـاق قتـــلاك — من فرط حسنـك وبهـــاك
يوسف : إننى غريب وذليل وضعيف — وليس لى من معين غير الله
ليـس هنــاك مـن قتلتـــه — غير يعقوب المكلوم الحزين! (١)

---

(١) يوسف وزليخا بشكل درام ص ٤٠.

زليخـا : عزيز ملك مصـر اسـت او — عزيـــز مـلك دلـــى تــــو
همـــه عشـــاق كشــتهٔ تـــو — ز بـس خـوب وخوشـگلى تـــو
يوسف : مـن غريـب وخـــوار وزارم — جـــز خـــدا يـــارى نـــــدارم
كـــس نباشـــد كشـــتهٔ مـــن — غيـــر يعقـــوب فكـــــارم

وكذلك مانظمته المغنيات بأمر من زليخا حول تقدم عجوز لشراء يوسف مقابل عدة حبال نسجتها بيديها ، وهذه ترجمة لهذه الأبيات :

- تلك العجوز الضعيفة الواهنة ، كانت قد نسجت عدة حبال .
- فتقدمت وسط هذا الجمع الحاشد قائلة : أيها الدلال بائع الكنعان .
- إنني جد مضطربة مما بي من رغبة في هذا الغلام ، لذا فقد نسجت عشرة حبال
- خذها مني ، وبعه لي ، وضع يده في يدي دون تردد أو جدال
- ضحك الرجل ، وقال : أيتها العجوز ، ليس في مقدورك شراء هذا الدر اليتيم!
- لقد عرضوا في هذا المحفل ثمانمائه مائة جرة من ذهب ، فأين هذا من حبالك ايتها العجوز ؟
- قالت العجوز : إنني على يقين بأنه لايوجد شخص سيشتري هذا الغلام بمثل ماعرضت
- ولكن يكفيني أن يقول العدو والصديق : إن هذه العجوز كانت من مشتريه![١]

وقد ذكر المؤلف في بداية المسرحية أن ما ورد بها من أشعار بعضها منقول عن منظومات السابقين وبخاصة الفردوسي والجامي والبعض الآخر من نظمه هو ، وكان يضع ماينقله عن الآخرين بين أقواس حتى لايتهم بالسرقة أما ماكان من نظمه فيكتبه دون أقواس .

---

(١) داستان : يوسف وزليخا بشكل درام ؛ ص ٣٥.

آن زن پيرى بخون آغشته بود — ريسمانى چند برهم رشته بود
در ميان جمع آمد با خروش — گفت كاى دلال كنعانى فروش
ز آرزوى اين پسر سر گشته ام — ده كلابه ريسمانش رسته ام
اين ز من بستان وبا من بيع كن — دست در دست منش نه بى سخن
خنده آمد مرد را گفت اى سليم — نيست در خورد تو اين در يتيم
هشت صد گنجيش بهادر انجمن — چه تو وچه ريسمان اى پير زن
پير زن گفتا كه دانستم يقين — كاين پسر راكس نه بفروشد بدين
ليك اينم بس كه چه دشمن چه دوست — گويد اين زن از خريداران اوست

ولاشك أن استخدامه عنصر الشعر فى بناء نثرى ، كا ن الغرض منه الارتفاع بمستوى الأسلوب ، وكذلك تذكير المتفرج من أنه قد اعتمد فيما ألف على بعض ماجاء فى المنظومات الشهيرة السابقة .

ولكون العمل المسرحى محدود بزمن غالبا فقد حرص ميرزا سليمان على أن ينهى مسرحيته بمقدم يعقوب وبنيه الى مصر ولقائهم بيوسف عليه السلام ، ولم يحاول أن يواصل أحداث القصة كما جاءت في بعض المنظومات الفارسية ، من حديث عن علاقة يوسف بزليخا بعد مقدم يعقوب ، وتدخله لاقناع ابنه يوسف بالزواج منها ، وما تلا ذلك من أحداث سبق الحديث عنها أثناء عرض القصة عند كل من الفردوسى والجامى فى موضع سابق من هذا الكتاب !

* * *

أما المسرحية الثانية فهى من مسرحيات الفصل الواحد ، وقد جاءت ضمن مجموعة المسرحيات التي ألفها تقى مشكوتى [١] ونشرها فى طهران عام ١٣٣٥ ش (١٩٥٥م) وقد ضمت هذه المجموعة خمسا وعشرين مسرحية من مسرحيات الفصل الواحد ، أقصرها يقع فى أربع صفحات وأطولها يقع في اثنتى عشرة صفحة، وهذه المسرحيات متنوعة الأغراض فبعضها فى قالب فكاهى ، وبعضها يعالج موضوعات اجتماعية ، والبعض الأخر ذات مغزى أخلاقى ....

وقد ذكر المؤلف أنه عنى فى هذه المجموعة بأن تكون جميع مسرحياتها متوخية الأخلاق والتهذيب المستمد من واقع تعاليم الدين الإسلامى الحنيف وطبيعة الشعب الإيرانى ، حتى تكون إلى جانب القيمة الفنية ، لها قيمتها الموضوعية ، وليس الغرض منها الإضحاك للإضحاك ولو حتى فى المسرحيات الهزلية منها ، لأن رسالة الأديب يجب أن تكون فى خدمة المجتمع ، وأن يكون بمثابة المرشد لقارئيه أو لمشاهدى مسرحياته ، وقد ألف هذه المسرحيات إما لعرضها على حشبة المسرح أو لتقديمها فى برامج إذاعية ، كما حرص على أن تكون لغتها سلسة حتى يستطيع الجميع من الكبار أو الناشئة قراءتها واستيعاب مضامينها الفنية والأخلاقية .

---

(١) تقى مشكوتى : نمايشنامه ها ، تهران : ١٣٣٥ ش.

وقد اخترت من بين هذه المجموعة ، مسرحية " بهشت " أى "الجنة" وهى مسرحية ذات مغزى أخلاقى ، كما صنفها المؤلف نفسه (١) وهي تقع فى خمس صفحات فقط، وأبطالها ثلاثة ، شخصيتان محوريتان هما "ليلاً و "زيلا" و شخصية مساعدة تتمثل فى حارس الجنة .

وتبدأ المسرحية بأن يرفع الستار بمصاحبة عزف موسيقى نشاذ يعبر عن القلق ويظهر المسرح كغرفة نوم ترقد بها شقيقتان ، والإضاءة خافتة تعبر عن أن الوقت ليل، وفجأة تستيقظ إحدى الفتاتين منزعجة وهى ليلا ويبدأ الحوار

ليلا : زيلا ! عزيزتى زيلا ! اصحي ، إننى خائفة ، زيلا !

زيلا : تتنهد ثم تغط فى نومها .

ليلا : هيا استيقظى ، عزيزتى زيلا ، إننى خائفة ، زيلا !

زيلا : ماذا ؟ ما الخبر ؟ لماذا لاتتركينى أنام ؟

ليلا : عزيزتى زيلا . إننى لا أستطيع النوم هذه الليلة ، أرجوك الجلوس معى حتى نتسامر ونتحدث !

زيلا : عجبا ، أنت "رايقة " إننى راغبة فى النوم ، حرام أن استيقظ ، وفى أى شئ سأتحدث معك ؟ لعلك جننت ، نامى يا أختى ! مم تخافين ؟

ليلا : اننى لا أرغب فى ايقاظ أمنا التي أوت إلى حجرتها كى تنام ، كل ما أريده أن نتسامر ونتحدث قليلا حتى يأتينى النوم !

زيلا : حسنا ، انتظرى حتي أضئ مصباح الغرفة (وهنا يسمع صوت مفتاح النور) والآن . ما الحكاية ؟

ليلا : انتبهى إلي ياعزيزتى زيلا : هل تعرفين لماذا يجافينى النوم الليلة ؟

زيلا : لماذا ؟

ليلا : ذلك لأننا ارتكبنا اليوم ذلك العمل الغاية فى السوء !

زيلا : أى عمل غاية فى السوء هذا ؟

ليلا : اليوم عندما نزعت القفل ، وقلت : هيا ساعدينى ، وطلبت منى أن أدلف داخل "الخزانة" وأحضر بعض الحلوى ، هذا العمل هو السرقة بعينها . ولما كانت أمنا

---

(١) المرجع السابق ، ص : ١٣٣ - ١٣٧.

لاتعرف شيئا عن هذا الأمر ، وفعلناه دون علمها ، فهذه سرقة !

زيلا : أفيقى . لقد رغبنا فى الحلوى ، فأخذناها ، وأكلناها . فأى سرقة هذه ؟

ليلا : لا ! أفيقى انت يازيلا العزيزة . إن كل مانحبه ونرغبه تقدمه لنا أمنا وأبونا، ولكن أى شئ يتم دون معرفتها ونأخذه ونأكله . هذا يسمى سرقة ! ومصير الإنسان اللص إلى جهنم !

زيلا : لاشك أن مصيرك إلى جهنم . وفى المقابل سيكون مكانى الجنة !

ليلا : لا ، إنك مخطئة ، أنا لا أفعل مثلك بأن أكذب دائما وألحق الأذى بأمنا، وأتغيب عن درسى ! إننى لم أفعل أى سوء سوى مابدر منى اليوم . وعادة الجميع ؛ أمى وأبى ومعلمتى ، راضون عنى ، لذا فمكانى هو الجنة !

* * *

ويتواصل الحوار بينهما حتى وصلا الى ماذا يعرفان على الجنة ، ومما قالته ليلا بما يتفق وتفكيرها وسنها.

ليلا : لقد قالت معلمتى ذات مرة ، إن الجنة مكان طاهر ، تكثر بها الفواكه المتنوعة والطيبة ، وكذلك الورود الزاهية الألوان ، والأشجار المورقة الباسقة وفيها كل ما يتمناه قلبك !

ثم يتواصل الحوار بينهما ، وكانت نغمة الحوار الصادر من زيلا ينم عن استخفاف بأختها ليلا وسخرية مما دفع ليلا للقول : ألم أقل لك أكثر من مرة أنك اختى الكبرى ويجب أن تفعلى مايجعلنى أضاعف من احترامى لك ؟!

ليلا : لماذا تسخرين منى ؟

زيلا : صه صه . ومن ذا يولى حديثك أى اهمية ؟! دعينى أنام !

سرعان ماغطت زيلا فى نوم عميق ، أما ليلا فقد امسكت بكتاب كي تقرأ فيه حتى يغزوها النوم، وقد أدارت المذياع على موسيقى هادئة ، وفجأة تستيقظ زيلا.

زيلا : ليلا ! ليلا ! استيقظى ! لقد رأيت الجنة فى منامى !

ليلا : أتقولين الصدق ؟ هيا أخبرينى !

زيلا : لقد رأيت فى المنام عرشا عظيما وأنت تجلسين عليه ، ويحيط بك العديد من

الملائكة يلبون لك كل ماتطلبين ، وقد أحضروا لك كل مالذ وطاب من طعام ، وكنت غاية فى السعادة لدخولك الجنة ، ولكنى على العكس كنت بائسة ، وقد التمست من حارس الجنة أن يدخلنى حتى أري أختى ، و لكنه أجاب قائلا :

حارس الجنة : هل تدركين كم كانت أختك تحبك ، وفى المقابل كنت تسخرين منها ولاتأبهين بها ، هل تدركين كم كانت ليلا تحترم والديها وتنفذ أوامرهما بكل دقة وطواعية ، وأن أختك كانت جد عطوفة علي الفقراء والأطفال الصغار ، وأنها لم ترتكب أى خطأ ولو صغير طوال عمرها . بعكسك أنت ، فلا أحد راض عنك وستكونين من بين الذين سيساقون إلى جهنم !

زيلا : ارتميت على الارض باكية ، وقلت مرة أخرى سأتوب ولن يصدر منى أى عمل سئ ولن يسمع منى أحد حتي الصغار حرفا واحدا يؤذيهم ، وسأجتهد فى ارضاء والدى ووالدتى ، فقبل حارس الجنة حديثى وسمح لى بالدخول إلى الجنة!

وما أن دخلت زيلا الجنة حتي رحب بها الملائكة معلنين أن أمة تابت إلى ربها ، فمرحى مرحى بها ! ثم تركوها تمضى إلى حيث توجد اختها ليلا !

زيلا : حقا عزيزتي ليلا . لن أكون مرة أخرى زيلا النافرة العاصية الكاذبة العديمة الأخلاق . سأكون من اليوم فتاة مهذبة أحافظ على دروسى ، وأسمع الكلام وأنفذه ، وكم استسمحك أن تصفحى عما بدر منى قبل ذلك فى حقك من كلام سئ !

ليلا : لك ما أردت يا أختى العزيزة . أى حديث هذا ؟ إننى أحبك كنفسى

وانتهى الأمر بينهما بالعناق . وأسدل الستار !

* * *

وهكذا دار الحديث بين الأختين ، عما يجب على الإنسان فعله كى يحظى برضاء الله ووالديه وعامة الناس ، ومن حظى بهذه المنزلة كان مآله إلى الجنة ونعيمها ، على عكس الإنسان النافر العاصى المذنب فى حق الجميع، فمآله إلى النار والعياذ بالله . وهكذا كانت المسرحية ذات مسحة أخلاقية تتفق والخلق الإسلامى القويم ، وما يدعو

إليه ديننا الحنيف من عمل صالح وسلوك طيب يضمن لصاحبه خير العاقبة .

والملاحظ أن المؤلف قد كتب مسرحيته بأسلوب سهل بسيط مباشر بعيد عن الرمز والغموض ؛ ولعل المؤلف قد كتبها كي تقدم على خشبة المسرح المدرسي ، أو في برامج الأطفال بالإذاعة .

* * *

٨- من الأدب الروائي :

إذا كنا قد تحدثنا عن بعض الأنماط الأدبية النثرية الجديدة في العصر الحديث والتي تناولت القيم الإسلامية والقصص الديني ، ومنها المقال الذي كتبه جمال الدين الأفغاني وكذلك الأدب المسرحي كما جاء في الإطلالة السريعة على مسرحية "يوسف وزليخا" لميرزا سليمان ، أو مسرحية الفصل الواحد المتمثلة في مسرحية "بهشت" فقد بقيت أنماط أدبية عديدة في العصر الحديث لم تقدم منها نماذج ، ولكن لكثرة هذه الأنماط وتعددها وتشعبها فإننا سنكتفي باشارة مقتضبة إلى احد الروايات التي كتبها أحد كبار كتاب الرواية في الأدب الفارسي الحديث والذي ترجمت له عدة أعمال إلى العديد من اللغات ومنها اللغة العربية ، إنه الروائي الشهير جلال آل أحمد ، أما روايته هذه فهي "خسي در ميقات" وقد كتبها ليسجل انطباعاته عن رحلة الحج عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م) ، (١٣٤٣ش) وقد اعتمدت على الطبعة الخامسة لهذه الرواية والتي صدرت في طهران عام ١٣٧٥ ش (١٩٨٥م)، ولم يكن الكاتب في هذه الرواية يكتب أدب رحلات كسابقيه ناصر خسرو ومهد يقلي هدايت ، بل كان يكتب انطباعاته وعلى الرغم من أننا قد لا نوافق على بعض هذه الانطباعات الشخصية ، إلا أننا سنذكر بعض الملاحظات والمشاهدات التي لم يرد مثلها في الرحلتين السابق الحديث عنهما من قبل في هذا الكتاب .

" كانت الرحلة من إيران إلى المملكة العربية السعودية عن طريق الجو ، فقد غادرت طائرة الحجاج مطار مهراباد بطهران يوم الجمعة ٢١ من فردرين عام ١٣٤٣ هـ.ش ، وكان على متن الطائرة خمسة وثمانون حاجا. وكان الوصول بعد طيران دام ثلاث ساعات – إلى مطار جدة . ومنها إلى مدينة الحجاج الملحقة به، وهي مدينة جيدة، شيدت لتستقبل وفود الرحمن وحجاج بيته الكريم كي يستريحوا فيها فترة من عناء

السفر ، وحتى يتم إعداد وسائل النقل التى تقلهم إما إلى مكة أو إلى المدينة المنورة .

وإلى حانب مدينة الحجاج الملحقة بالمطار ، توجد مدينة أخرى للحجاج القادمين عن طريق البحر إلى جدة ، وقد كان بناؤهما وتجهيزهما هدفه حسن استقبال الحجاج والعمل على راحتهم حتى يتفرغوا للعبادة والتكبير والتهليل، ومدن الحجاج هذه من الاضافات التي تحمد للحكومة السعودية الحالية والتى تم بناؤها ضمن العديد من الاجراءات التى تحاول الحكومة السعودية توفيرها لخدمة الحجاج ، وتزداد هذه الخدمات سنة بعد أخرى !

وأثناء وجوده بمدينة الحجاج الملحقة بالمطار فى انتظار الحافلات التى ستنقله ومرافقيه إلى المدينة المنورة ، طوف بفكره حول بعض المعلومات عن جدة والمملكة ، فقال إن تعداد أهل جدة فى ذلك الوقت كان يتراوح بين مائتين وخمسين ألفا وثلاثمائة ألف من السكان ، أما تعداد المملكة فكان يتراوح ما بين سبعة ملايين أو ثمانية ملايين نسمة ، كما أشار الى الصحف الصادرة فى المملكة وذكر منها ثلاثة صحف ، أثنتان منها يومية وهما "البلاد" و"الندوة" والثالثة اسبوعية وهى "أم القرى"

أما عن سكان المملكة فقد ذكر أن سكان المناطق الشرقية منها يقبلون على شرب القهوة العربية ، أما في المناطق الغربية فهم يحتسون الشاى. كما أشار الى الصرافين الذين يتواجدون بكثرة فى جميع المناطق التى يفد إليها الحجاج . فقال إن معظم الحجاج يذهبون إلى هؤلاء الصيارفة لاستبدال عملاتهم بالريال السعودى دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الذهاب إلى البنوك ؛ حيث أن التعامل مع هؤلاء الصيارفة أيسر وأسهل ، إذ يتم الاستبدال دون إجراءات مطولة . ويساعد على هذا أن معظم الصيارفة قادرون على التفاهم بكل اللغات ومنها الفارسية والتركية والأردية والجاوية وغيرها ...

ومما قاله أيضا : وعادة تصحب كل بعثة حج رسمية بعثة طبية تكون فى خدمة عباد الرحمن جميعهم دون تفرقة ، اذ لايقتصر عمل اى بعثة منها على معالجة مواطنيهم، بل انهم يعالجون الجميع دون أية تفرقة ، وهذا مظهر طيب لروح التآخى والتعاون الإسلامى ، وعادة توزع هذه البعثات بمعرفة المسئولين السعوديين على جميع الأماكن التى يتواجد فيها الحجاج بدءاً من مدينتى الحجاج بجدة إلى جميع الأماكن

المقدسة بكل من مكة والمدينة ومنى وعرفات ..

وبعد أن استراح الحجاج عدة ساعات ومعهم مؤلف الرواية جلال آل أحمد . حضرت الحافلات لتقلهم إلى المدينة لزيارة مسجد الرسول عليه السلام حيث كان الوقت يسمح لهم باتمام هذه الزيارة قبل التوجه صوب مكة .

وقد تحركت الحافلة من جدة فى الثانية عشرة مساءً ، وكان وصولها الى المدينة المنورة في الخامسة من صباح السبت ٢٢ من فروردين ١٣٤٣ش (١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م)، ونزلت القافلة فى بناية حديثة خارج المدينة بمحلة درب الجنائز ، وهى محلة تحيط بها حدائق النخيل، ومن المعروف أن تمر المدينة من أفضل وأغلى التمور فى الجزيرة العربية كلها ...

استراح الحجاج فى هذه البناية طوال النهار، ومع قرب حلول صلاة المغرب توجه الجميع صوب مسجد الرسول عليه السلام ، وبعد صلاة المغرب انخرط المصلون فى التكبير والتهليل ، وشغل البعض بعد ذلك بقراءة القرآن الكريم ، كما انتشرت حلقات الدرس والوعظ فى جميع أركان المسجد النبوى ، وكانت إحدى هذه الحلقات يؤمها الناطقون بالأوردية من باكستان والهند حيث كان المتحدث فيها يقدم وعظه وإرشاداته باللغة الأوردية ، وإلى جوارها كانت توجد ثلاث حلقات أخرى ، يدور الحديث فيها باللغة العربية ...

وقد لاحظت أن بعض الحجاج يحاول تقبيل الأسوار المحيطة بقبر الرسول عليه السلام ، ولكن أفراد الشرطة السعودية كانوا يحاولون منعهم بالحسنى ودون إيذاء أو إعتداء.

ومما يلفت النظر كذلك تطوع بعض العمال والحجاج بحمل المياه والطواف بين المصلين ، كى يقدموا لهم مياه الشرب فى أكواب وأباريق صنع معظمها فى بلاد الهند.

وعند الخروج من المسجد يسترعى الانتباه كثرة المحال المحيطة بالمسجد من كل جوانبه ، وإلى جانبها أسواق أخرى تفترش الأرض ، وكانت حركة البيع على أشدها مما يذكرنا بأسواق عكاظ .

وفى ليلة الأحد ٢٣ فروردين (التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة) كانت

الاستعدادات جارية لاستطلاع مولد هلال ذى الحجة ، وقد جرت العادة أن يتم الإعلان من دار الندوة بما يلى : كل من يرى الهلال فى أى بقعة من بقاع المملكة عليه بإبلاغ رئيس المحكمة الشرعية حتى يعلن ثبوت رؤية الهلال وبذايتم الإعلان عن موعد بداية شهر ذى الحجة ، وعلى أساسه سيتم تحديد يوم عرفة ويوم النحر .

وفى نفس هذا اليوم الأحد قام جلال آل أحمد بجولة حول المدينة حيث زار عددا من المساجد الموجودة بها ومنها مسجد أبى ذر الغفارى الموجود أمام البوابة الشمالية للمدينة وبعدها زار مسجد أبى بكر ثم مسجد الغمامة ، وكان يقرأ فى كل مسجد منها بعض آيات القرآن الكريم ، كما زار مسجد قباء جنوبى المدينة بعد ذلك .

وقد قال عن مسجد قباء : وهذا المسجد هو الذى نزلت فى حقه الآية الكريمة «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » .. (التوبة : ١٠٨) .

أما فى يوم الإثنين الرابع والعشرين من فروردين (الأول من ذى الحجة) فقد ذهب إلى البقيع لقراءة الفاتحة على قبور الشهداء وأموات المسلمين ، ولكى يبحث عن قبر أخيه المتوفى فى المدينة من ثلاث عشرة سنة حيث دفن بالبقيع ، ولكنه لم يستطع الأهتداء إلى قبر أخيه حيث لاتوجد شواهد للقبور فى منطقة البقيع .

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من فروردين (الثانى من ذى الحجة) توجه إلى مسجد الرسول عليه السلام ودخله كعادته من باب السلام ،أوسع أبواب المسجد وأكثرها راحة فى الدخول والخروج . وقال إن طائر الحمام يكثر عند هذا الباب ، كما لاحظ أن أسماء الرجال من الصحابة والتابعين فى الصدر الأول من الإسلام قد كتبت على جدران الصحن من جميع الجهات .

أما عن يوم التوجه إلى مكة ، فقد كان مساء الجمعة الثامن والعشرين من فروردين (السادس من ذى الحجة) حيث تحركت الحافلة الساعة الثامنة والنصف مساءً ، وكان الوصول إلى مكة الساعة الرابعة والنصف من صباح السبت (السابع من ذى الحجة) ، وقد توقفت الحافلة عند مسجد حلفة خارج المدينة حتى يحرم الحجاج، إذا أن هذا المسجد مكان ميقات الحجاج القادمين عن طريق المدينة المنورة ، وبعد ذلك تحركت الحافلة مرة أخرى ولم تقف إلا مرة واحدة فى رابغ !

وبعد أن وصلت القافلة إلى مكة المكرمة توجه الحجاج لطواف القدوم والسعى بين الصفا والمروة ، وبعد أن أدى جلال آل أحمد هذه المناسك ، علق على مكان الطواف وكذلك المسعى بين الصفا والمروة حيث قال :

لقد تم تسقيف دائرة الطواف حول الكعبة ، حيث جعلوه من طابقين ، وبذا اتسع مكان الطواف حتى أصبح يسع ثلاثة أو أربعة أضعاف الطائفين حول البيت الحرام ، كما تم تكسية دائرة الطواف حول الكعبة بالرخام المرمرى .

أما عن المسعى بين الصفا والمروة فقد تم تعبيد الطريق بعد أن كان أرضا صخرية وذات حصى ورمال ، كل هذا فعلته الحكومة السعودية تخفيفا عن الحجاج وتيسيرا لأداء المناسك دون مشقة وعناء ما أمكن !

أما عن حكمة الحج فقد قال : وحكمة الحج تتمثل فى كونه أكبر تجمع إسلامى ، بل إنه أكبر تجمع بشرى فى مكان واحد ، وإجتماع المسلمين هكذا دليل على قوتهم ووحدتهم . وياليتهم ينتهزون فرصة الحج كمؤتمر عام يعقد سنويا لتدارس أحوال المسلمين والنهوض بهم وتخطى جميع العقبات التى تعترض طريق توحدهم ، واستعادة ريادتهم للعالم !

وكان جلال آل أحمد يتحدث عن انطباعاته عن كل مكان زاره ، وعن كل مايوفر للحجاج حجا هادئا مقبولا من الله عز وجل .. وقد عاب على بعض الحجاج الوافدين من وسط أفريقيا أو من شرق أسيا عدم إلتزامهم بالنظافة العامة فى الشوارع والخيام على الرغم مما تبذله الحكومة السعودية فى هذا المضمار كما عاب على البعض الذين يأخذهم الحماس فى رمى الجمرات ، فإذا بهم بدلا من رمى إبليس بالحصا، يسارعون برميه بالنعال التى يرتدونها أو بما شابه ذلك .

كما اشتكى بعض الشىء من سوء بعض الحافلات التى تقل الحجاج من جدة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة ، كما أشار إلى قلة المياه أو إنقطاعها أحيانا فى بعض الأماكن المقدسة كعرفات ومنى إلا أن هذه الأمور أولتها الحكومة السعودية جل اهتمامها ووفرت الأن أفخم الحافلات المكيفة وكذلك وفرت المياه فى كل الأماكن المقدسة، بل وشجرت هذه الأماكن بشكل كثيف وبخاصة فى منطقة عرفات ، ولا تدخر الحكومة السعودية أى جهد فى هذا المضمار، بل إن ما تفعله محسوس ملموس بشكل

ملفت للنظر، ولا يستطيع أى أنسان أن ينكره .

وإذا كان قد ذكر بعض السلبيات التى تحدث من بعض الحجاج أو بسبب الزحام الشديد فهو لا يبغى إلا الصلاح - كما يقول - وأن يكون هذا الحدث الإسلامى العظيم فى صورته مطابقا لقيمته الروحية الإيمانية .

لذا أنهى روايته هذه بما ملخصه :

« لقد سجلت رحلتى هذه لتكون تحت تصرف كل الأخوة الحجاج ، ولو فعل كل حاج وكتب أنطباعاته وسجل آراءه ، وإذا كان ملايين الملايين من الذين أدوا هذه الفريضة طوال الأربعة عشر قرنا قد سجلوا إنطباعاتهم ومشاهداتهم ، لكان هذا خير وسيلة لتلافى أى سلبيات ولو كانت بسيطة ، ولكانت هذه الرحلة الإيمانية أفضل رحلة : عقيدةً وعملا ! ولا ننسى أن هذه الفريضة يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل ، وبفهم صحيح ووعى كامل ، وأن يتوفر للحجاج كل أسباب الراحة حتى يتفرغوا لأداء المناسك فى تبتل وخشوع .

وإلى جانب ذلك أشار إلى هدف آخر كان يسعى إلى تحقيقه من وراء تسجيل إنطباعاته هذه ، حيث قال :

كما كنت حريصا على أن أسجل ملاحظاتى ومشاهداتى لندرك الفرق بين ماسجله ناصر خسرو فى كتابه سفر نامه خلال القرن الخامس الهجرى ، وما أصبح عليه الحال الآن فى القرن الرابع عشر الهجرى ! » (١)

ومما يجدر ذكره أن هذه الرحلة الإيمانية قد استغرقت تسعة عشر يوما حيث كانت عودتهم إلى إيران فى التاسع من ارديبهشت ١٣٤٣ ش (السابع عشر من ذى الحجة) .

ومن الجدير بالذكر أنه سجل نقلا عن الصحف السعودية الصادرة فى ذلك الوقت بأن عدد الحجاج فى ذلك العام بلغ مليونا وسته وستين ألف حاج تقريبا ، أما الآن فقد تزايد العدد وتخطى المليونين منذ عدة سنوات . ونسأل الله أن يتزايد ويتزايد،

---

(١) جلال آل أحمد : حسى در ميقات.

ليكون هذا المؤتمر الإسلامى الكبير خير دليل على أتساع رقعة الإسلام وزيادة إنتشاره بين الخلق جميعاً من كل الأجناس والأوطان ، وعلى الله قصد السبيل !

* * *

هذا بعض الإشارات السريعة إلى المعانى الإسلامية السامية التى ضمنها بعض الأدباء والشعراء الأيرانيين فى العصر الحديث إبداعاتهم الأدبية المتنوعة .

ولا شك أن الحديث عن الأدب الإسلامى فى أنماط الأدب الفارسى الحديث عديدة ومتشعبة ولا يكفيها مقال أو فصل فى كتاب ، لذا اكتفينا بهذه الإشارات المقتضبة والسريعة ، لعل الفرصة تسنح بعد ذلك للكتابة فى هذا الموضوع بالتفصيل ، وبتقديم نماذج كثيرة تكون أكثر تعبيراً أو أشمل مضمونا وشكلا .